

جامعة الجزائر 2
أبو القاسم سعد الله
معهد الترجمة



الترجمة وثنائية الخير والشر في القرآن الكريم:
دراسة تداولية معرفية مقارنة لآيات مختارات في ترجمات
محمد حميد الله و جاك بيرك وزينب عبد العزيز ومالك شبل إلى الفرنسية

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الترجمة
تخصص: عربي - فرنسي - عربي

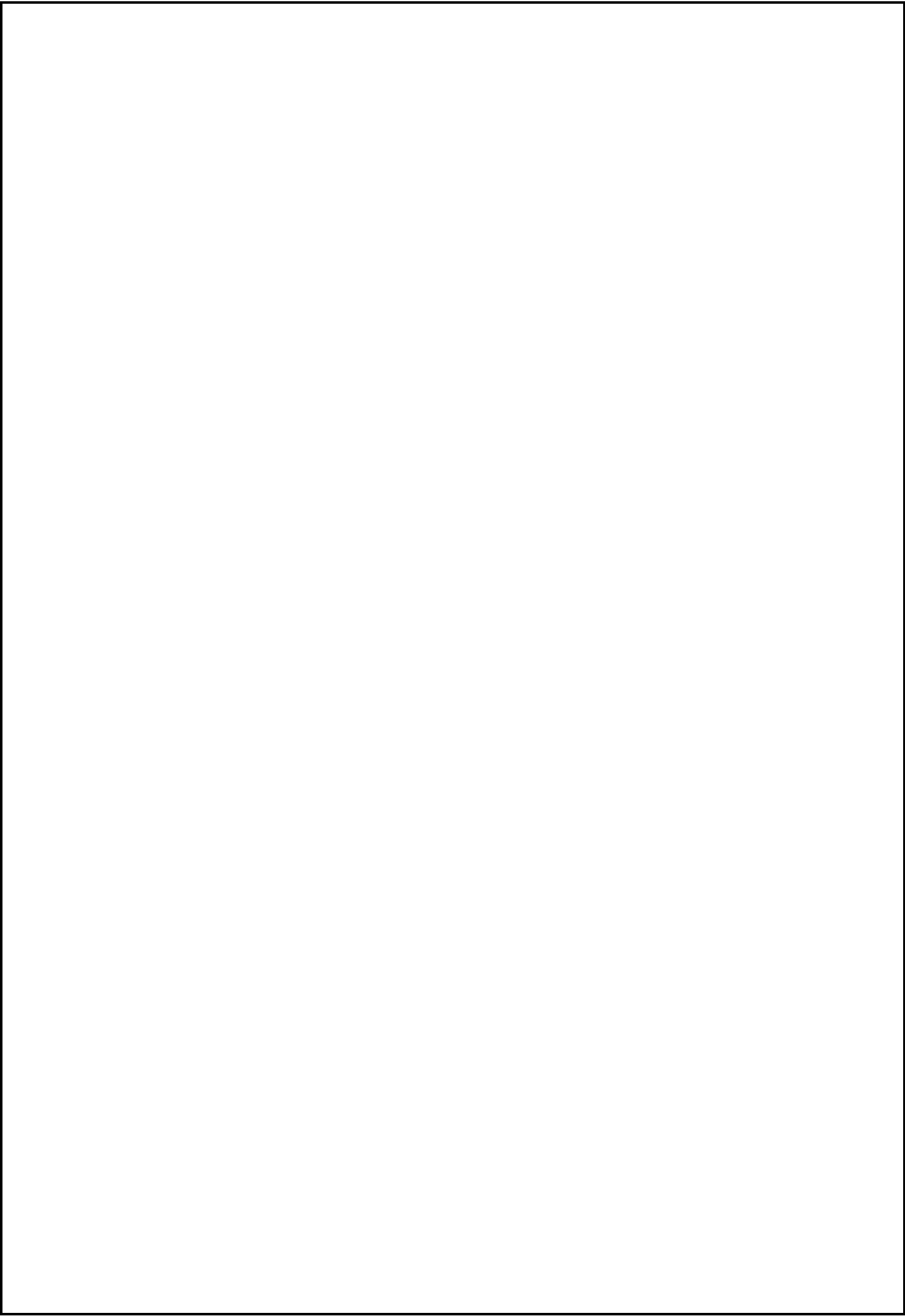
إشراف الأستاذة:
أ. د. دليلة خليفي

إعداد الطالبة:
زوليخة أبرباش

أعضاء اللجنة:

رئيساً	جامعة الجزائر 2	أ. د. سهيلة مربيبي
مشرفاً ومقرراً	جامعة الجزائر 2	أ. د. دليلة خليفي
عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر 2	أ. د. فاطمة عليوي
عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر 2	د. أمينة بن سليم
عضواً مناقشاً	جامعة تيزي وزو	د. كهينة توات
عضواً مناقشاً	جامعة البويرة	د. يسمينة قوادري

ماي 2026



جامعة الجزائر 2
أبو القاسم سعد الله
معهد الترجمة



الترجمة وثنائية الخير والشر في القرآن الكريم:
دراسة تداولية معرفية مقلنة لآيات مختارات في ترجمات
محمد حميد الله و جاك بيرك وزينب عبد الغريز ومالك شبل إلى
الفرنسية

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الترجمة

تخصص: عربي - فرنسي - عربي

إشراف الأستاذة:

أ. د. دليلة خليفي

إعداد الطالبة:

زوليغة أبرباش

أعضاء اللجنة:

رئيساً	جامعة الجزائر 2	ب. د. سهيلة مريبعي
مشرفاً ومقرراً	جامعة الجزائر 2	ب. د. دليلة خليفي
عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر 2	ب. د. فاطمة عليوي
عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر 2	ذ. أمينة بن سليم
عضواً مناقشاً	جامعة تيزي وزو	ذ. كهينة توات
عضواً مناقشاً	جامعة البويرة	ذ. يسمينة قوادري

ماي 2026

الإهداء

أرفع ثمرة هذا الجهد

إلى أولى وجوه الخير في حياتي وأكثرها نوراً

والديَّ الكريمين إجلالاً وعرفاناً ملء السَّمع والبصر والفؤاد،

وإلى من كان لي خير سندٍ ورفيق وشاطرنِي عناء الطريق زوجي الفاضل مودّةً ورحمةً،

وإلى مُهَجَّتِي القلب وقرَّتِي العين أنس وريم حبّاً وصفاءً ورجاءً أن يُكتبا من الأخيار،

وإلى أصدق وجوه الخير إخوتي وأخواتي حبّاً وتقديراً،

وأنبلها عطاءً أساتذتي شكراً وتكبيراً،

وإلى كل من يقف إلى جانب الخير، الأصل الباقي

في معركته الأزلية ضد الشر، الزّبد الذي يذهبُ جفاءً.

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله أولاً وآخراً موفقني ومعيني على إتمام هذا العمل.

وبما أنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فالشكر موصول إلى مشرفتي الأستاذة الدكتورة

دليلة خليفتي التي لم تبخل عليّ بعلمها ووقتها لتوجيهي.

كما أتقدم بالشكر لأساتذتي الذين أخذوا بيدي في مدارج العلم وكانوا القدوة في البحث

والمثابرة وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل الدكتور محمد الشريف بن دالي حسين، وكذا زملاء

الدرب الذين كانوا مصدر إلهام وتشجيع لا ينضب.

وأخيراً، كل الشكر والامتنان لعائلتي التي كانت السند وقت التحديات.

المقدمة



المقدمة

مقدمة

إنَّ الهيبة والجلال الفائضين من كلام الله تعالى يكادان يحولان دون طلب فهمه وإدراكه. إلاَّ أنَّ المقصود من كلِّ كلام هو فهم معانيه، والقرآن أولى بذلك. وقد دعانا الله تعالى إلى الفهم والتعلُّق لكتابه، لأنه نزل نوراً وهدى لبيِّن للناس شرائعه وأحكامه، يقول العزيز الحكيم: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾¹، ويقول أيضاً: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾² كما نهانا عن الإعراض عنه ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾³. فتدبَّر القرآن يدلُّنا على كلِّ خيرٍ ويحذِّرنا من كلِّ شرٍّ. ومجيء البيان إنما للناس أجمعين، كما جاء التنصيص عليه في القرآن: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁴، وكذا في: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁵. فلم يخصَّ بخطابه قوماً دون غيرهم، الأمر الذي يستوجب تبليغه لمن تعذر له فهمه بلسانه العربي. والقول بصعوبة محاكاته والإتيان بنص مطابق لا يستلزم عدم الخوض في ترجمة معانيه والانصراف عنها البتة.

وترجمة القرآن الكريم مسألة قديمة متجددة جاءت الأبحاث فيها تتراى منذ قرون الإسلام الأولى، فكانت موضوع مؤلفاتٍ تنوعت واختلفت بتنوع تخصص واضعيها واختلاف آرائهم.

¹ سورة ص، الآية 29.

² سورة النساء، الآية 82.

³ سورة محمد، الآية 24.

⁴ سورة آل عمران، الآية 186.

⁵ سورة النحل، الآية 44.

المقدّمة

فمنها التي تناولتها من باب إعجاز القرآن وإمكانية الترجمة مطلقة للأحكام الفقهيّة، ومنها التي تطرقت إليها من جانب خصائص اللّسان العربي والتمايز بينه وبين الألسن، ومنها ما طبعه السّرد التاريخي للحركات التي أتت ضمنها ترجمات معاني القرآن، ومنها الدراسات العلميّة التي اهتمت بالجوانب اللّغوية للترجمة من خلال عرض الأمثلة ومقارنة الترجمات المنتسبة إلى مختلف المشارب متوسّلةً ما جدّ في الحقول اللّسانية والترجمية من معارف. ولعلّ هذا الكم الهائل من الدراسات والأبحاث في مسألة ترجمة معاني القرآن الكريم ينمّ عن همّة الدّارسين للوصول بترجمات القرآن الكريم إلى أفضل المقاربات التي يمكن الوصول إليها توخياً للترجمة السّليمة الأقرب إلى روح النص القرآني؛ همّة نابعة من ضرورة متعلقة أساساً بقضية عالمية الرّسالة التي جاء بها الإسلام ودلالاتها الحضارية. بذا تغدو الترجمة ضرورة وواجباً، ويغدو المترجم واعياً تمام الوعي أن ما يقوم به هو سعيّ لنقل خطاب إلهيّ في نسقه اللّغويّ تكمن رؤية كونية وقيمية كاملة ومتكاملة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، ظلّت الدراسات الترجميّة الكلاسيكيّة تنظر إلى الترجمة القرآنية من زاوية لغويّة شكلية تقيس نجاحها بمدى مطابقتها للنّص الأصلي أو سلاستها في اللغة الهدف.

ومن نافلة القول إن ترجمة القرآن الكريم تفرض قيوداً وتحديات تتعلق بالحفاظ على قدسيّة النّص وشموليّة دلالاته وتعدّد مستويات فهمه. وفي هذا السياق تبرز الحاجة إلى أطر نظرية قادرة على تقديم رؤى منهجيّة لعملية ترجمته.

المقدمة

وقد أتاح تطوّر حقل اللسانيات في العقود الأخيرة - لاسيما مع بروز التداوليات المعرفيّة ونظرية الملاءمة في التواصل لكل من دان سبربر Dan Sperber ودايردري ويلسن Deirdre Welson - مقارنةً جديدةً للترجمة بلورها إرنست أوغست غوت Ernesst August Gutt باعتبارها فعلاً تواصلياً معرفياً يدفعه مبدأ الملاءمة ويهدف إلى تحقيق الفهم بين الكيانات الذهنيّة لا بين الكلمات. إذ يفترض هذا المبدأ أنّ كلّ فعل تواصلٍ يحمل افتراضاً بالملاءمة المثلى يوجّه المتلقي إلى البحث عن أقصى قدر ممكن من الآثار المعرفية - أي إدراك المعنى المقصود - بأقل جهد ذهني ممكن. وبذلك أضحت الترجمة تُقرأ في ضوء مقاصدها التداوليّة وآثارها المعرفيّة لا في حدود شكلها اللغوي وحده. ولئن أثبتت نظرية الملاءمة نجاعتها في تحليل الظواهر اللّغوية والتواصلية العامة فإنّ تطبيقها العملي ومدى إفادتها في سياق ترجمة معاني القرآن الكريم لا يزال بحاجة إلى استجلاء ودراسة.

موضوع البحث وأهميته:

ينصبّ موضوع هذا البحث على دراسة ترجمة المفاهيم القرآنيّة الكبرى على غرار ثنائية "الخير والشر" في آيات القرآن الكريم من منظور التداوليات المعرفيّة استناداً إلى مبادئ نظريّة الملاءمة كما بيّنها سبربر وويلسن وطوّرها غوت في حقل الترجمة باعتبارها عملية تواصلية قائمة على التشابه التأويلي بين النص المصدر والنّص الهدف. كما يروم النظر في الكيفيّات التي تتمثّل بها الترجمات الفرنسيّة للسياق المعرفي لثنائية الخير والشر ومدى

المقدّمة

توفيقها في إحداث تشابه تأويلي مع الأصل وتحقيق الآثار المعرفيّة التي ينتجها السياق في ذهن القارئ الأجنبي.

ولعلّ أهميّة الموضوع تتبع من طبيعة ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم باعتبارها بنية معرفيّة وقيميّة لا مجرد أصداد لغويّة. إذ إنّها تستند إلى نظام تصويريّ محكم ينهض على مستويين: مستوى بيان الحال من خلال وصف صفات المؤمنين والكافرين، ومستوى بيان المآل بتصوير العاقبة والمصير. ومن ثمّ فإنّ نقل هذه البنية المعرفيّة بما تحمله من دقّة مفهوميّة وثقل قيمّي وتكليف يقتضي من المترجم تمثلاً دقيقاً لمقاصد النصّ الأصل وأثره المعرفي في ذهن القارئ. ويمكن إجمال أهميّة موضوعنا البحثي في:

- حادثة تطبيق نظرية الملاءمة على نصوص الترجمات القرآنية، وغياب المنظور التداولي المعرفي في الدراسات السابقة.

- دعم البحث الأكاديمي بدراسة ثنائية الخير والشر دراسة معمّقة تجمع بين التحليل الدلالي والمنهج التداولي المعرفي في ظلّ شخّ البحوث والمراجع العلمية والأكاديمية التي تناولت الموضوع من هذا المنظور.

- الحاجة إلى تقييم الترجمة الفرنسية لثنائية الخير والشر القرآنية بالاستناد إلى أسس نظرية محكمة والبحث في مدى ملاءمتها للمقاصد القرآنية نظراً لطابعها القيمّي والعقدي.

المقَدِّمة

أهداف البحث:

نسعى من خلال هذا البحث إلى دراسة سبعة عشر مثلاً لأربع ترجمات فرنسية لثنائية الخير والشر القرآنية وتحليلها تحليلًا نقدياً مقارنةً بالتداولية المعرفية ويركّز على المعنى القرآني وطرائق نقله إلى اللغة الفرنسية في ضوء نظرية الملاءمة. بناءً على ذلك، نروم استجلاء البنية المفهومية القرآنية لثنائية "الخير والشر" ثم تحليل المقاربات التي اعتمدها المترجمون الأربعة في نقلها إلى اللغة الفرنسية تمحيصاً لصلاحية معادلة (الجهد/أثر) المعرفية في تقويم الترجمات وبيان أنّ الترجمة القرآنية فعل معرفي يتجاوز النقل اللفظي، مستثمرين ما توصلنا إليه من نتائج في الشق النظري وربطها بالشق التطبيقي للخروج بمقترحات عن ترجمة ثنائية الخير والشر في آيات القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية تراعي المقصد القرآني وتقارب نصّه في ضوء المقاربة المعرفية.

إشكالية البحث:

تقوم إشكالية البحث الرئيسة على التساؤل التالي:

- إلى أي مدى تنجح المقاربة التداولية المعرفية في الترجمة في نقل المقاصد القرآنية لثنائية "الخير والشر"؟ وبصيغة أكثر تفصيلاً كيف يمكن لنظرية الملاءمة أن توفر إطاراً منهجياً إجرائياً لقياس نجاح الترجمات الفرنسية في نقل البنية المفهومية لثنائية الخير والشر في القرآن الكريم وتحقيق التشابه التأويلي مع مقاصدها كما تتجلى في السياق القرآني؟

المقدمة

وعن هذا التساؤل الرئيس، تتفرع أسئلة البحث التالية:

- كيف تتجلى البنية المفهومية لثنائية الخير والشر في آي القرآن الكريم؟
- ما منهجية ترجمة معاني القرآن الكريم من منظور تداولي معرفي؟ وما المعايير التي تقيس الملاءمة بين النص القرآني والترجمة؟
- إلى أي مدى نجح المترجمون في تمثّل الآثار المعرفية لهذه الثنائية في سياقها القرآني؟

- وما درجة التشابه التأويلي الذي تحققه كل ترجمة؟
- ولابدّ، كما في أي بحث أكاديمي رصين، أن نضع قيد التحليل والدراسة عدداً من الفرضيات.

فرضيات البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة عن إشكاليته الرئيسة وأسئلته الفرعية من خلال الفرضيات التالية:

- تفترض الدقة القرآنية أن تتطوي ثنائية الخير والشر على حمولة مقصدية تستوجب تمثيلها التمثّل المطلوب.

- يمكن للإطار المنهجي للتداوليات المعرفية، القائم بالتحديد على نظرية الملاءمة، أن يوفر معياراً موضوعياً لتقييم ترجمات معاني القرآن الكريم لاعتبار أنّه يركّز على نقل المقاصد التواصلية والآثار المعرفية بدلاً من الاكتفاء بالمطابقة من حيث البنى اللغوية.

المقدمة

- قد تختلف درجات التشابه التأويلي مع الأصل حسب النهج الترجمي المتبع. إذ يفترض أنه كلما حافظت الترجمة على السمات التواصلية للنص الأصلي كلما كانت الأقرب لتحقيق الملاءمة.

- الترجمة الحرفية قد تفقد ثنائية الخير والشر دقتها القرآنية وحمولتها المقصدية وتحول دون تحقيقها الملاءمة المطلوبة باعتبار أن نجاح الترجمة لا يقاس بمدى تطابقها اللغوي مع الأصل القرآني بل بقدرتها على إعادة إحداث المقصد القرآني في ذهن القارئ الأجنبي أي بنقل الأثر المعرفي وتحقيق التشابه التأويلي.

الدراسات السابقة:

استند بحثنا إلى رصيد علمي يجمع بين المصادر النظرية والدراسات التطبيقية التي تتقارب وموضوع بحثنا. وكان من بينها المؤلف الرئيس في التداولية المعرفية لصاحبه دان سبربر ودايردري ويلسن الصادر العام 1986 والموسوم (Relevance: Communication and Cognition) الذي يرسى المبادئ النظرية لنظرية الملاءمة في التواصل ويشرح أسس التواصل الاستدلالي المعرفي. كما اعتمدنا المرجع الأساس للمقاربة التداولية المعرفية في مجال الترجمة لصاحبه إرنست أوغست غوت الموسوم (Translation and Relevance: Cognition and Context) طبعة العام 2000 الذي طبق فيه نظرية الملاءمة في التواصل على ظاهرة الترجمة باعتبارها تواصلاً من الدرجة الثانية وشكلاً من أشكال التواصل الاستدلالي الإشاري فالمرجم يقدم أدلة لغوية تمكن المتلقي من استنتاج القصد الأصلي.

المقدّمة

وقد كان لهذين المصدرين الإسهام الرئيس في توضيح مفاهيم الملاءمة والتشابه التأويلي ومعادلة الجهد/أثر التي شكلت الأرضيّة النظرية والمنهجية لمنطلق بحثنا هذا.

كما اعتمدنا في بحثنا على أبحاث تطبيقية في ترجمة النصوص المقدّسة نذكر منها على وجه الخصوص أعمال غاري سميث Gary Smith المتمثلة في أطروحته للدكتوراه التي ناقشها العام 2000 بجامعة ستيلينبوش Stellenbosch University في جنوب إفريقيا

والموسومة (Bible Translation and Relevance Theory: The Translation of

Titus) والتي عالج فيها إمكانية تطبيق نظرية الملاءمة على ترجمة الكتاب المقدّس موضحاً أنّ هذا المنظور الاستدلالي كفيل بأن يوجّه المترجمين حين التعامل مع التحدّيات الفريدة للكتاب المقدّس إلى تمكين المتلقي من الوصول إلى الآثار المعرفية ذاتها التي سيصل إليها لو كان النصّ الأصلي مفهوماً لديه. ما يتطلب من المترجم فهماً عميقاً للقصد الأصلي وقدرةً على تقييم السياق المعرفي للمتلقي في اللغة الهدف ومن ثمّ اتخاذ القرارات الترجمة المحققة للملاءمة.

ومن الأبحاث التطبيقية التي تناولت الترجمة القرآنيّة من منظور تداولي معرفي مقال صادر

العام 2021 للباحثة سماح أبو سريع (Relevance Theory and Qur'anic

Collocation) من جامعة حلوان المصرية الذي استكشفت فيه المشكلات الترجمة حين

نقل المتلازمات اللغوية اللفظية والاستعارية في القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية وكيفية

إسهام نظرية الملاءمة في فهم المعنى الضمني للمتلازمات الاستعارية في النص المصدر،

المقدّمة

وقد خلصت إلى أن نظرية الملاءمة تساعد المترجم في العثور على المكافئ المناسب في اللغة الهدف.

وبالمثل، تناول الباحث محمد زكا الفارسي في مقاله الصادر عام 2023 والموسوم (Acceptability of the Quran Translation) تحليل الترجمة القرآنية من منظور نظرية التواصل والاستدلال المعرفية بالتركيز على العوامل المؤثرة على مقبولية الترجمة القرآنية معتبرا أنّ هذه المقبولية لا تتعلق بالشكل والمعنى فقط بل تتجاوزهما إلى تحقيق القصد من النص المصدر.

ورغم أنّ هذه الإسهامات الرّصينة - والشحيحة في آن - قد أشارت إلى أهميّة نظرية الملاءمة في جوانب معيّنة إلّا أنّنا لاحظنا ميلها إلى إعمال المقاربة الوظيفيّة أكثر من المقاربة المعرفيّة. كما لفت انتباهنا غياب المراجع والدراسات الأكاديميّة المساهمة في تقديم إطار منهجي إجرائي يوضح كيفية توظيف مبادئ نظرية الملاءمة كإجراء فعّال لتقييم الترجمات القرآنية وتقويمها.

أمّا الدراسات التي تناولت ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم فلم نعثر - حسب علمنا وإطلاعنا - على دراسات أكاديمية تطرقت للموضوع بالبحث والدراسة إلّا بعض الرسائل المختصرة والكتب التي تناولت الموضوع في مجال الفلسفة أو في مجال العقيدة بأسلوب وعظي. ونستثني منها دراسة موضوعية قدّمتها الباحثة أمل آل عبد السلام لنيل درجة الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: "الخير في القرآن الكريم"

المقَدِّمة

جمعت فيها ألفاظ الخير الواردة في القرآن الكريم لتكون قاعدة للباحثين في التفسير الموضوعي للفظه الخير القرآنية.

وبناء عليه، نلتمس أهمية تقديم دراسة تفصيلية تحليلية ومقارنة تنتقل من المعالجة الوصفية أو الوظيفية التي طبعت معظم الدراسات السابقة إلى توضيح مدى إفادة المبادئ الإجرائية للتداولية المعرفية ونظرية الملاءمة وبالتحديد معادلة الجهد/أثر في تقييم ترجمة "ثنائية الخير والشر" القرآنية وتقويمها. ففي حين انحصرت الإسهامات السابقة إما في التأصيل النظري العام لنظرية الملاءمة أو في تطبيقها جزئياً على الترجمة القرآنية، أو في تناول مفهومي الخير أو الشر في سياقات عقدية أو تفسيرية موضوعية، فإن هذه الدراسة تعنى بمعالجة ثنائية "الخير والشر" بوصفها بنية دلالية تداولية تتغير بتغير السياق والمقصد وتؤثر مباشرة في توجيه القرار الترجمي بما يحقق - قدر المستطاع - الأمانة في ترجمة رسالة القرآن الكريم.

منهجية البحث وأدواته:

اعتمدنا في بحثنا مقارنة بينية تجمع بين التحليل النظري والاستقراء التطبيقي. وبذلك، ارتكزت دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي طبقناه في الجانب النظري للكشف عن المفاهيم النظرية للتداوليات المعرفية واستجلاء إطلاقات الخير والشر القرآنية. فيما انتهجت في جانبها التطبيقي التحليل المقارن بين الترجمات الأربع التي اخترناها أنموذجاً للدراسة لتنوع مشاربها المعرفية وتباعد ورودها زمنياً، وهي:

المقَدِّمة

• ترجمة محمد حميد الله (1959): والتي تنم عن مقارنة لغوية تفسيرية شهيرة بالاتزان.

• ترجمة جاك بيرك (1990): لاعتبار مقاربتها أدبية فلسفية ذات نزعة إنسانية.

• ترجمة زينب عبد العزيز (2001): مقاربتها دفاعية عن الإسلام ذات وعي نقدي بالاستشراق.

• ترجمة مالك شبل (2009): والتي تطبعها المقاربة الحداثيّة التنويرية ذات انفتاح تأويلي.

وسعيًا لتحقيق الدقة التحليلية المقارنة من منظور تداولي معرفي، اعتمدنا تفسير "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور لحصر السياق المعرفي القرآني وحصر الآثار المعرفية والمقصد التواصلية للنص الأصل. كما استعملنا معيار "الجهد الذهني في مقابل الأثر المعرفي" كإجراء أساسي في نظرية الملاءمة لقياس كم الأثر المعرفي الذي تحدثه الترجمة في ذهن القارئ الفرنسي ومدى تحقيقها للتشابه التأويلي. واعتمدنا أيضاً جداول تحليلية مقارنة لتجميع الترجمات وتنظيم الفروق المعجمية وتيسير المقارنة بينها.

دوافع اختيار الموضوع:

أمّا عن دوافع اختيارنا لموضوع هذه الدراسة فقد لمسنا تواتر الأبحاث المتخصصة في ترجمة معاني القرآن الكريم فاستهوتنا فكرة النظر في بعض الترجمات الفرنسية للاطلاع على جودتها ودرجة وفائها لمقاصد الآيات، وارتأينا أن نخوض غمار البحث في ترجمة

المقَدِّمة

الثنائيات الكبرى الواردة في الخطاب القرآني لعلنا نفيد ونستفيد. وقد وقع اختيارنا لثنائية الخير والشر لمحورية مفهومها في الرؤية القرآنية وغياب - في حدود علمنا - الدراسات التي قاربت ترجمتها بناء على أسس تداولية معرفية تكشف المقصد المراد وتعيد إنتاجه.

بنية البحث:

ولتحقيق أهداف البحث، قسمنا دراستنا إلى شقين اثنين أحدهما نظري والآخر تطبيقي. فأما الشق النظري فضمنناه أربعة فصول. يتناول الفصل الأول الموسم بـ "التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة: الأسس والمفاهيم" نشأة التداوليات المعرفية وتطور مسارها وجهازها المصطلحي. كما يتطرق إلى نظرية الملاءمة وجهازها المفاهيمي كما أسس لها سبربر وويلسن.

أما الفصل الثاني الذي عنوانه "مقاربة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة" فسنتطرق فيه إلى الإطار النظري للترجمة عند إرنست غوت مؤسس المقاربة التداولية المعرفية في حقل الترجمة، يليه مبحث عن سيرورة الترجمة ضمن نظرية الملاءمة.

لننتقل في الفصل الثالث من الدراسة إلى معاينة "منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة" الذي نعد فيه إلى ربط المفاهيم الأساسية لنظرية الملاءمة بمنهجية لترجمة معاني القرآن الكريم.

المقدمة

فيما سنتناول في الفصل الرابع والأخير من الشق النظري "ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم" مستعرضين مفهوم الثنائيات القرآنية وتصنيفاتها قبل التطرق إلى مفهوم ثنائية الخير والشر وتجلياتها في القرآن الكريم.

وأما الشق التطبيقي، سنفرد له الفصل الخامس الموسوم بـ"الدراسة التحليلية المقارنة في ضوء نظرية الملاءمة" وسنستعرض فيه المدونة القرآنية المختارة وتعريفاً بالمرجمين الأربعة وبالمرجع التفسيري المعتمد والمنهجية المتبعة قبل الشروع في الدراسة التحليلية المقارنة للنماذج الترجمية من منظور تداولي معرفي.

وأخيراً، نختتم الدراسة بخلاصة تتضمن خاتمة البحث وأهم نتائجه وآفاقه المستقبلية، يليها مسرد ثلاثي اللغة (عربي - فرنسي - انجليزي) بأهم مصطلحات نظرية الملاءمة فقد ارتأينا ضرورة إدراجه لعدم شيوع المصطلحات المعرفية ما يستوجب ضبطها.

صعوبات الدراسة

كأي عمل علمي، واجهتنا أثناء البحث صعوبات معازها خصوصية النص القرآني الذي يتجاوز اللغة إلى المعنى الشرعي ما يجعل تحليله الأكاديمي تحدياً حين الموازنة بين الاجتهاد العلمي واحترام قداسته. هذا ما دفعنا لعرض الفصل الرابع من هذه الدراسة على الأستاذ فتحي بودفلة باعتباره مرجعية أكاديمية في الدراسات القرآنية لمراجعتها من الناحية الشرعية، وقد أيد سلامتها من هذا الجانب. كذلك فإن غياب المراجع العربية في مجال الملاءمة المعرفية جعلنا نعتمد حصراً على المصادر الأصلية في لغتها الأجنبية.

المقدمة

ختاماً نأمل أن يكون هذا العمل نافعا بتوفيق من الله وأن تُسهم النتائج المستخلصة ولو بالنزر القليل في فتح آفاق بحثية مستقبلية لإثراء دراسات ترجمة النص القرآني الكريم.



الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة:
الأسس والمفاهيم

0.1. تمهيد:

تُعَدُّ الترجمة من أعقد القضايا التي واجهت الفكر اللساني، خاصة حين يتعلّق الأمر بترجمة النصوص الدينية التي تتميز بثناء دلالي وخصوصيّة تعبدية ومعرفيّة متعالية، وفي مقدّمها النص القرآني. ومع تعدّد النظريّات اللسانية، برزت التداوليات المعرفيّة بوصفها أحد الأطر التفسيرية المعاصرة القادرة على مقارنة فعل الترجمة في ضوء آليات التواصل الإنسانيّ وفهم كيفية إنتاج المعنى وتلقّيه.

وقد تبلورت ملامح التداوليات المعرفيّة في حقل الدراسات اللسانية والتواصلية سنة 1986 تاريخ صدور كتاب دان سبربر Dan Sperber وديردري ويلسن Deirdre Wilson الموسوم "الملاءمة في التواصل والمعرفة"¹. ثمّ غدت إحدى المناهج البحثية الرائدة التي وجدت لها امتداداً في مجالات معرفية متعدّدة؛ إذ توالى الأبحاث في إطارها لتشمل دراسات الترجمة لما تتيحه من مفاهيم مستجدة في تحليل النصوص والخطابات وإدراك مقاصدها. وجاء الاهتمام بهذا الدرس اللساني في علاقته بالترجمة على يد المنظر الألماني "إرنست أوغست غوت" Ernst-August Gutt الذي أسّس لنظرية جديدة في الترجمة بالاستفادة ممّا راكمته نظرية الملاءمة في التداوليات المعرفية.

وانطلاقاً من هذه المرتكزات، يسعى هذا الفصل إلى إبراز الأسس التصورية لنظرية الملاءمة وبيان مضامينها الرئيسية وشرح كيفية توجيهها للتأويل المفضي إلى المقاصد المنشودة في

¹. Dan Sperber, Deirdre Wilson, **Relevance: Communication and Cognition**, Oxford Blackwell, England, 1986.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

الخطاب. كما يمهد هذا العرض النظري لبيان الكيفيات التي وظفت بها الدراسات الترجمية المعاصرة مفاهيم هذه النظرية لشرح وظيفة الترجمة، واستثمار مضامينها في مقارنة ترجمة معاني القرآن الكريم.

1.1. المفاهيم الأساسية للتداوليات المعرفية:

1.1.1. التداوليات المعرفية: النشأة ومسار التطور

مصطلح المعرفة Cognition صفة لكل ما يعنى بالعمليات الذهنية ذات الصلة بالمعرفة والفهم والتفكير، وبيان كيفية اكتساب العقل البشري المعارف وتطويرها واستعمالها، وغالباً ما تشير هذه المفردة في علم النفس إلى الوظائف الذهنية كالإدراك والاستدلال والذاكرة¹.

أما تسمية علم ما بأنه معرفي فيشير إلى تعلقه بالتخصصات المعروفة باهتمامها بالمعرفة - كعلم الأعصاب ، والذكاء الاصطناعي، وعلم النفس ، واللسانيات، والأنثروبولوجيا ، والفلسفة - وارتباطه بها. ذلك أن العلوم المعرفية علوم ذهنية مندرجة ضمن ما يُعنى بدراسة الحالات الرئيسة للذهن ووصف قدراته المعرفية كاللغة والاستدلال والإدراك والتنسيق

¹ Cognitive Theory, definition and examples, <https://study.com/learn/lesson/cognitive-theory.html> تاريخ المراجعة: 2024 /03/13

من المصطلحات التي لاقت إشكالاً لتعريبه، إذ نجد له مقابلات عدة مثل: الإدراك، والعرفنة، والعرفان، والمعرفة. يراجع في هذا الصدد:

- عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/العرفنة بحث في المصطلح، مجلة الخطاب، العدد 14، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي حول واقع البحوث المعرفية وتحليل الخطاب 11-13 مارس 2013، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2013، ص. 7- 26.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

والتنشيط والتخطيط¹؛ فهي تهتمّ بتحليل الذكاء - لاسيما الإنساني منه - من حيث بنيته الشكلية المرتبطة بجوهره البيولوجي، مروراً بنمذجته ووصولاً إلى تجلياته النفسية واللسانية والأنثروبولوجية.

تُعنى العلوم المعرفية إذاً بدراسة سيرورات تشكّل المعارف وآليات استثمارها، إذ يتمحور موضوعها حول المعرفة باعتبارها نشاطاً ديناميكياً لا مجرد حالة ثابتة أو مضمون معطى. وانطلاقاً من هذا التصوّر، ولما كان الهدف الرئيس لهذه العلوم هو الكشف عن كيفية اشتغال الذهن البشري وآليات معالجته للمعلومات، بات حقل العلوم المعرفية حقلاً متضافراً التخصصات تُستثمر نتائجه لتطوير الأبحاث فيها ودعم مخرجاتها. وهذا التجسير بين مختلف العلوم المذكورة سابقاً، مستندةً إلى ميادين أكثر اختصاصاً على غرار المنطق والنمذجة الحاسوبية للذكاء، من شأنه أن يوضّح طبيعة اشتغال العقل البشري².

والتداوليات Pragmatics عامّة مجال معرفي حديث يُعنى بدراسة اللغة في الاستعمال أي دراسة العلامات اللغوية في علاقتها بمستعملها. إذ تتجاوز التداوليات التصوّر التقليدي للغة بوصفها أداة للإخبار عن العالم أو وصفه إلى اعتبارها وسيلة للقيام بالأفعال الكلامية وإنجاز الأفعال اللغوية بالاستناد إلى السياق والمعارف غير اللغوية في إدراك مقاصد المتكلّمين والاستدلال على مرادهم.

¹ جورج فينو، مدخل إلى العلوم المعرفية، تر. عز الدين الخطابي، سلسلة ترجمات في العلوم المعرفية، باريس، 1991، ص 1.

² عائشة هديم، مقارنة معرفية للتواصل بين الرسل أولي العزم وأقوامهم، دار نور للنشر والتوزيع، الأردن، 2019، ص. ص. 7، 8.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وقد قسّمت شابمان¹ Siobhan Chapman التداوليات عموماً إلى قسمين:

1. تداوليات كلاسيكية: تضمّ نظرية أفعال الكلام² لـ "أوستين" Austine، و"سيرل"

Searle بالإضافة إلى نظرية الاستلزام الحواري لـ "غرايس" Grice.

وقد جاء هذا المسار مخالفاً للنسق البنيوي الذي أغفل مقارنة اللغة في تجلياتها الحقيقية حين حصرها في نظام مغلق من العلاقات الشكلية، فكان أن برزت التداوليات لتعيد فتح هذا النظام على أبعاد الكلام والإنجاز التي غيّبها التحليل البنيوي. وهكذا انتقل البحث اللساني من التركيز على العلامات اللغوية في ذاتها ولذاتها إلى دراستها في سياق تواصلية يتفاعل فيه المتكلم والسامع. وتحول الاهتمام من الجملة المجردة إلى استعمال الملفوظ في وضعيات التواصل الفعلية. ومع تطوّر هذا الحقل، أضحت التداوليات فضاءً معرفياً منفتحاً

¹ Siobhan Chapman, **Pragmatics**, Palgrave Macmillan, New York, 2011, p. 89.

² نظرية أفعال الكلام أسس لها "جون أوستين" سنة 1955 خلال محاضراته التي ألقاها ضمن برنامج (محاضرات وليام جايمنس بجامعة هارفارد (William James' Lectures) السنة التي مثلت النشأة الحقيقية للتداوليات مع تأثرها بداية بالاتجاهات التحليلية لفلسفة اللغة العادية من خلال أعمال الفيلسوف الألماني غوتلوب فيرجه Gottlob Frege والنمساوي لودفيغ فتنغشتاين Wittgenstein الذين يريان أن تجاوز الإشكالات الفلسفية المعقدة يكون باللغة من خلال مراعاة الجانب الاستعمالي لها، والمعنى بالنسبة إليهما هو الاستعمال. جاء جون سيرل بعده - في سنة 1969 - لإثراء هذه النظرية من خلال كتابه الموسوم "أفعال الكلام" Speech Acts والذي ميّز فيه بين الأفعال اللغوية المباشرة وغير المباشرة مقدّماً نظاماً من القواعد الاستدلالية لوصف قدرة المخاطب على استنتاج معنى الفعل غير المباشر وإدراكه في سياق معيّن. وبالموازاة مع أعمال "أوستين" و"سيرل"، شرع بول غرايس في دراسة اللغة والتواصل واضعاً أسساً نظرية حول المعنى في مقاله الصادر سنة 1957 والمعنون بـ "المعنى" Meaning، ثمّ راح يطورها خلال سلسلة "محاضرات وليام جيمس" سنة 1967 في موضوع "المنطق والمحادثة" Logic and Conversation.

يراجع:

- مولود هيد الله مزابط، قضايا في التداوليات المعرفية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط. 1، عمّان، الأردن، 2002، ص. ص 8-10.
- يوسف قويدر، حدود نظرية الملائمة في ترجمة النصّ الأدبي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2020، ص. ص 20-21.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

يتقاطع فيه تحليل الخطاب ونظريات الاتصال، والمحادثة وعلم النفس والعلوم الاجتماعية والذكاء الاصطناعي والعلوم المعرفية.

والواقع أن أفكار غرايس تمثل محطة مفصلية في تاريخ التداوليات، إذ يُعزى إليه الفضل في:

أ. استحداث مجموعة من الأدوات المفاهيمية المهمة التي وجهت البحث التداولي نحو آفاق جديدة من الفهم والتحليل لاسيما مفهوم الاستلزام الحوارى.

ب. سعيه للتقريب بين تيار فلسفة اللغة العادية وفلسفة اللغة المثالية أو ما يعرف في الأدبيات بالسياقيين والحرفيين¹. إذ كان دور اللغة لدى التيار المثالي هو المطابقة بين تحليل معاني الجمل وشروط صدقها بغض النظر عن سياق ورودها ومقاصد أصحابها. في المقابل يرى تيار اللغة العادية استحالة إسناد الصدق والمرجع إلى العبارات اللغوية خارج استعمالها اللغوي باعتبار أن معاني الكلمات ترتبط، في جوهرها، بإمكانات توظيفها في سياقات تواصلية محدّدة.

لقد اقترح غرايس إرساء تمييز بين معنى الجملة أي المضمون الذي يتوصّل إليه المستمع استنادًا إلى معرفته المسبقة بالنظام اللغوي بصورة مستقلة عن السياق، وبين معنى المتكلم الذي يُحيل إلى مقصده أو ما يروم إبلاغه من خلال قوله، والذي قد يختلف في كثير من الحالات عن المدلول الحرفي الظاهر للعبارة المنطوقة.

¹ . فرانسوا ريكاناتي، المعنى الحرفي: دراسات في السياق والمضمون، ترجمة أحمد كروم، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2018، ص 12.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

ولعلّ أبرز ما أسس له غرايس ما بات يُعرف بـ"التداوليات الاستدلالية"¹ التي تجيب عن سؤال جوهرى مفاده "كيف ينبني المعنى المقصود عبر آليات الاستدلال؟" والتي تهدف إلى بلورة نظرية تمكّن من تقديم تفسيرات تستوعب الكيفيات التي يتمّ بها بناء المعنى وتحديد معالم التصرّ الاستدلالي الذي يتحكّم في سيرورة بلوغ مقاصد المتكلم ضمن سياقات تواصلية مخصوصة.

2. **تداوليات حديثة:** وهو التيار الذي انضوى تحته الغرايسيون الجدد الذين راحوا يقدّمون مبادئ مستحدثة في محاولة لتجاوز الثغرات التي أظهرها النموذج الغرايسي على غرار غازدار G. Gazdar ، وليفنسن Levinson ، وهورن Horn ، بالإضافة إلى تيار نظرية الملاءمة المعروف في الأدبيات اللسانية بالتداوليات المعرفية Cognitive pragmatics الذي قدّم مقارنة مغايرة لمعالجة آليات إنتاج المعنى وتأويله في ضوء المبادئ المعرفية والاستدلالية التي تحكم العملية التواصلية.

¹ **Inferential pragmatics**: طرح غرايس نموذج التداوليات الاستدلالية من خلال نظريته اللغوية التخاطبية Conversation عام 1967 ومفاد طرحه أنّ التواصل مرتبط بمقاصد المتكلم ونواياه عند التخاطب وبقدرة المخاطب على معرفة تلك النوايا والمقاصد، فهو بالتالي قائم على التعبير عن المقاصد وكيفية التعرّف عليها؛ ذلك ما يتمّ عبر تزويد المتكلم المستمع بدليل عن مقاصده، فيستدل عليها المستمع من خلال الدليل الذي زوده به المتكلم ليدرك مقصده. وعليه فالتواصل الكلامي يحكمه مبدأ التعاون بين طرفي التخاطب. وقد تبنى هذا النموذج الغرايسيون والغرايسيون الجدد، ومنظري نظرية الملاءمة مع تعديل في محتوياته ومسلماته ليصير التواصل موصوفا بالإشاري الاستدلالي -ostensive-inferential communication، وسنأتي على توسعة هذه الفكرة لاحقاً. للاستقاضة في موضوع التداوليات الاستدلالية الغرايسية، يراجع:

- آن روبول، جاك موشر، **التداولية اليوم: علم جديد في التواصل**، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف الزيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2003، ص 51 وما بعدها.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

بذلك، غدت التداوليات المعرفية حقلاً معرفياً صرف النظر عموماً عن دراسة شروط نجاح الأفعال اللغوية وملاءمتها وقبولها ضمن الموقف التواصل، ليركّز اهتمامه على استكشاف الآليات المعرفية الكامنة وراء معالجة الملفوظات وفهمها وتأويلها، رابطاً بين اللغة والمعرفة والإدراك ومتجاوزاً مرحلة الوصف التي طالما عبّر عنها بالتساؤل "عمّ وقع؟" لتضع أسس مجال بحثي جديد يبحث في الكيفية والآليات ويروم الإجابة عن إشكالات من قبيل: "كيف وقع ما وقع؟ وما دور المعرفة والإدراك في ذلك؟ وما الآليات الذهنية المسؤولة عن إرساء الفهم وبناء التأويل؟" ما أسس لمجال بحثي جديد يتقاطع فيه اللساني والتداولي والمعرفي¹.

2.1.1. الجهاز المصطلحي للتداوليات المعرفية:

لقد تشكّلت المعالم الكبرى للتداوليات المعرفية في 1986م سنة صدور الكتاب الموسوم Relevance: Communication and Cognition (الملاءمة في التواصل والمعرفة) للسانية البريطانية ديردري ويلسن، والأنثروبولوجي اللساني الفرنسي دان سبربر اللذين أسسا من خلاله لنظرية الملاءمة التي دمجت بين مشروعين معرفيين مستمدّين من فلسفة اللغة، وعلم النفس المعرفي أي بين التداوليات الاستدلالية لغرايس والنظرية القالبية² لجيري فودور Jerry Fodor.

¹ مولود هيد الله مزايط، مرجع سابق، ص 74.

² . النظرية القالبية: Modularity طرحها الفيلسوف الأمريكي جيري فودور سنة 1983 في كتابه المصنّف كسابع أهم كتاب مؤثر في العلوم المعرفية في القرن 20 والموسوم بـ: "قالبية الذهن" The Modularity of Mind، منشورات MIT Press Cambridge. تقوم هذه النظرية على فكرة معالجة المعلومات information processing المستمدة من تصور خاص للذهن البشري مفاده أنّ الذهن ليس كيانا موحداً وإنما مجموعة من الأنظمة المتخصصة لكلّ نظام منها طريقة خاصة في الترميز والحساب: فثمة أنظمة للبصر وأخرى للسمع واللمس واللغة؛ وهذه الأنظمة/القوالب تتمفصل =

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

ويقدم الباحثان في كتابهما نموذجاً متفرداً لتفسير آليات التواصل البشري، حيث يعتبران الأفكار والتمثيلات المختلفة التي تطرأ على أذهان الناس أثناء تواصلهم أساس التواصل البشري وقوامه.

وقد شكّل هذا التصوّر خلفيّة الانشغال المعرفي الذي دفع بهما إلى تأسيس نظرية صارت مجال بحث قائم بذاته، فعلى الرغم من الكمّ الهائل من المعطيات المتدفقة على ذهن البشري والتي يستمدّها من الذاكرة والثقافة والعادات والأعراف، وكذا من المقام التواصلية المباشر، ومن تبادل الأقوال، ومن الملامح والحركات والانفعالات، على الرغم من كل ذلك فإنّ الناس يتواصلون بطريقة سلسة ومرنة، حتّى أنّهم ليدركون مقاصد مخاطبيهم ويفهمون دلالتها بتلقائية ويُسّر من خلال كلام لا يبدو عند المتأمّل قطعيّ الدلالة. فكيف يمكنهم اختيار المعلومات المناسبة للتأويل والعناصر السياقية الموائمة للفهم وملاءمتها مع

= بدورها إلى قوالب فرعية (القالب = وحدة معالجة متخصصة في مجال معين منغلقة معلوماتياً مفصولة وتشتغل بطريقة إجبارية وآلية وسريعة، تتميز مخرجاتها بالسطحية باعتبار محدودية المجال) تتفرّد بوظيفة محدّدة، فنظام الإدراك البصري مثلاً يحوي قوالب فرعية مسؤولة عن إدراك اللون والشكل والحركات، ومثله يكون إدراك النحو مختلفاً عن إدراك الدلالة ضمن القالب اللغوي. وتتبنى هذه الهندسة المعرفيّة للذهن حسب فودور على مكونات ثلاثة تعدّ مراحل لمعالجة المعلومات وهي: 1. المحولات Transducers والتي تقوم بترجمة الإدراكات المباشرة perceptions ونقلها إلى الدماغ للمعالجة؛ 2. الأنظمة الطرفية peripheral systems (أو أنظمة معالجة المدخلات Input Systems) وهي بعيدة عن المركز تعالج فيها المعطيات المستمدة من المحولات قصد إنتاج تأويل معيّن، أي تتحول فيها المعطيات الإدراكية الحسية إلى تمثيلات قابلة للمعالجة فكرياً؛ 3. الأنظمة المركزية Central Processors: وهي التي يكتمل معها التأويل عن طريق الدمج بين المعلومات الإخبارية الناتجة عن المحولات وأنظمة معالجة المدخلات بالإضافة إلى المعطيات المخزنة في الذاكرة وذلك قصد إنتاج استدلالات غير برهانية؛ Non-demonstrative inference أي أنّ التأويل التام يتمّ في هذه المرحلة ويؤدي إلى ما يعرف بتثبيت المعتقد وترسيخه Fixation of beleif. ويذهب فودور إلى أنّ الأنظمة المركزية، على عكس الأنظمة المتخصصة، ليس لها مجال خاص مرتبط بها فهي غير منغلقة وبالتالي غير قلبية.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

المعطيات المخزنة في الذاكرة ثم حسم المقصود من الكلام المتلفظ بين الخيارات العديدة المتاحة أمامهم ليدركوا في نهاية المطاف مقاصد مخاطبيهم؟ وبعبارة أخرى كيف يمكن لأحدهم اختيار معطى محدّد دون سواه من المعطيات في الفهم والتأويل¹؟ يرى ويلسن وسبربر أن الإجابة عن هذه التساؤلات لا يرجع إلى القواعد المعرفية والتداولية والأخلاقية التي توجّه العمليّات الاستدلالية والتأويلية لبلوغ المقاصد التي يرومها المتكلّم، بل إنّ الأمر حسبهما راجع إلى البنية الأنثروبولوجية للإنسان. فالأنثروبولوجيا الإنسانية قائمة على مبدأ الملاءمة الذي يعدّنه متّصلاً فيها والمسؤول عن عملية اختيار معطيات الفهم والتأويل.

فما الملاءمة؟ وكيف يمكن تفسيرها؟ وما منطق اشتغالها في التواصل البشري؟

2.1. نظرية الملاءمة وجهازها المفاهيمي

الملاءمة مفهوم مركزيّ في الدّراسات التداوليّة المعرفيّة أعاد النظر في فهم عمليّة التواصل البشريّ وآليات التأويل عبر إدراج مفاهيم نفسيّة وذهنيّة في اللغة. فالتواصل حسب ويلسن وسبربر² هو سعيّ إلى تغيير متواترٍ لسياق التّلفظ وتعديلٍ للمحيط المادّي للآخر حتى يتكوّن لدى طرفي التواصل التمثّلات ذاتها عمّا يُراد تبليغه.

¹ يستعمل سبربر وويلسن مصطلح التأويل واشتقاقاته المختلفة interpreting, interpretive, interpretaion بمعنى الأوسع الذي يفيد الانطلاق من المنبهات والمؤشرات stimuli المنبئة والمبثوثة في الكلام لاستخلاص المعنى المقصود منه. أي أنّه عمليّة استنتاج المعنى انطلاقاً من منبه خارجي. يراجع:

E. A Gutt, **Translation and Relevance: Cognition and Context**, Routledge, 2nd ED., London, 2000, p. 24.

² Gutt, *ibid.*, p. 32

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

ولكن ما الذي يبلّغ أثناء التواصل؟ وكيف يتمّ هذا التبليغ؟ وكيف يمكن لكلام (منبه stimulus) ينتجه فرد ويدركه آخر أن يجعل أفكار هذا الأخير تماثل أفكار الأول رغم عدم التماثل بين المنبه والأفكار؟

يذهب سبربر وويلسن إلى أنّ ما يُبلّغ هو مجموعة أفكار (أو تمثّلات لتصورات) وفرضيات assumptions (أو تمثّلات للواقع). أمّا عن الكيفيّة فتكون من خلال مفهوم الملاءمة وعلاقته الوطيدة بالسياق والذي يفيد - أي مبدأ الملاءمة - أنّ كلّ فعل تواصلٍ إشاري ostensive communication ينقلُ افتراض الملاءمة المثلى الخاصة به¹. فعندما يصدر المتكلّم ملفوظاً فهو يقصد تبليغ فكرة ما يستدلّ المخاطب عليها من خلال العوامل السياقية المحيطة بالملفوظ، فيتمثّلها في ذهنه ويدرك القصد منها.

والانتقال من التمثّلات إلى الأفكار المبلّغة، وفق ما جاء به، لا يتمّ من خلال نموذج التشفير السائد منذ القدم والذي يربط بين التمثّلات الصوتيّة والدلاليّة فحسب؛ فالتمثّلات الدلاليّة للملفوظ قاصرة على أن تتماثل مع الأفكار المراد تبليغها بالاعتماد على التشفير لوحده. وإنما التعرّف على مقاصد المتكلم يكون من خلال سيرورة استدلالية inference تتخذ جملة من المقدمات كنقطة بداية لتنتج جملة من الآثار المضمّنة فيها بشكل منطقي². وعليه للاستدلال أهمية كبرى لفهم الأقوال وإدراك الأفكار المراد تبليغها. فما هو الاستدلال من منظور التداولية المعرفيّة؟

¹ D. Sperber, & D. Wilson, op. cit., p. 185.

² D. Sperber, & D. Wilson, Ibid., p. 27

1.2.1. الاستدلال التداولي المعرفي¹:

أولاً. الاستدلال:

يعرّف معجم اللغة العربية المعاصر الاستدلال بأنه طلب الدليل، وهو في الاصطلاح انتقالٌ للذهن من أمر معلوم إلى أمر مجهول، أي هو بحثٌ عقليٌّ منظمٌ لبلوغ حقيقة مجهولة انطلاقاً من حقيقة معلومة².

وجاء في كتاب "ضوابط المعرفة" لعبد الرحمن حبنكة الميداني أنّ الاستدلال هو استنتاجٌ لقضية مجهولة انطلاقاً من قضية أو عدّة قضايا معلومة. أو هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول من خلال ملاحظة حكم تصديقي أو حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة³.

يتبين لنا من التعريفات السابقة أنّ الاستدلال هو عملية ذهنية ينتقل المستدلّ بموجبها من قضية أو عدّة قضايا معروفة إلى قضية أخرى جديدة يستنتجها دون اللجوء إلى التجربة. ذلك أنّ الانتقال من قضية معروفة إلى قضية جديدة على أساس التجربة يسمّى برهنة Demonstration، والنتيجة المتوصل إليها تكون قطعية لا مجال للتأويل فيها.

¹ وسمناه بالمعرفي باعتبار أننا نتناوله ضمن الإطار النظري للملاءمة.

² قاموس المعاني، الموقع الإلكتروني،

<https://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D9%84%D8%A7%D9%84/>

تاريخ المراجعة: 2024/03/25

³ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، الطبعة 3، دار العلم، دمشق، 1988، ص 149.

ثانياً. الاستدلال التداولي:

يعرّف سيرل الاستدلال بأنه عملية منطقية يتم من خلالها الربط بين الملفوظات والمعطيات التخاطبية والسياقية والتداولية من أجل إنشاء الدلالة: "أن نستدلّ هو أن نستنتج انطلاقاً من عناصر دالة متعدّدة (متعددة خاصة من وجهة نظر التداولية لكي نؤوّل ونقف على دلالة). ويقع مفهوم الاستدلال أساساً من جانب المتلقّي، فهو ليس مجرد تفكيك ولا هو منبثّ عن المرسل بما أنّ الدلالة هي حصيلة تلفّظ مشترك في السياق¹.

يتبيّن من هذا التعريف أنّ الاستدلال هو استنتاج ينشأ في ذهن المستمع من خلال تضافر المعطيات الكلامية لطرفي التواصل مع السياق التداوليّ وهو أساسي لبناء المعنى. وتذهب أوريكيوني إلى أنّ الاستدلال اسم يطلق على أي قضية مضمرة يمكن استخلاصها من ملفوظ ما واستنتاجها من فحواه الحرفي عبر التوفيق بين معلومات ذات وضع متغير من داخل القول وخارجه².

ومن تعريفها ندرك أنّ الاستدلال يتعلق بما هو مضمّر في الخطاب أو محذوف منه أو متضمن فيه، يتمّ استظهاره انطلاقاً من المحتوى الحرفي للأقوال تتضاف إليه معطيات - اجتماعية وثقافية - حتى يفهم المقصود من الخطاب.

¹ فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2007، ص. 153-154.

² كاترين كيربرارت أوريكيوني، المضمّر، ترجمة ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، 2008، ص 65.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

والفكرة هنا أنّ الأصل في التواصل أن تكون الملفوظات ذات معاني كثيرة ومحامل متعدّدة، فالناس لا يتواصلون بتشفير الأفكار وحلّها - كما في النموذج التشفيري - بل يتواصلون بأقوال حيّة تتضح بالفجوات الدلالية والتداوليّة ما يفتح المجال واسعاً أمام تباين الفهم وبالتالي تعدّد التأويلات بين المتواصلين. وهنا يأتي دور السياق والعوامل الاجتماعية والثقافية في تأويل المعاني وفهم المقصود من الكلام.

وعليه يتمثّل الاستدلال لدى التداوليين في كونه:

- آلية ذهنيّة تسمح بالانتقال من مقدّمات معلومة إلى نتائج مجهولة منسجمة مع سياق التواصل.

- ظاهرة جوهريّة في التفاعل اللّغوي ودونها يغدو أيّ تواصلٍ مستحيلاً.

- يتقاطع مع مفهوم الاستنتاج، وهو حاصل العملية الاستنتاجيّة غايته الوصول إلى مقاصد المتكلم.

ثالثاً. الاستدلال التداولي المعرفي:

أ. مفهوم الاستدلال التداولي المعرفي:

حقيق أنّ عمليّة التشفير اللّغوي تضطلع بدور هام في التواصل، بيد أنّها لا تفسّر العمليّة التواصلية برمتها بل تغطي منها جانباً واحداً فقط.

هذا ما يذهب إليه سبربر وويلسن اللذان لا يريان في التواصل الإنساني مجرد تشفير للأفكار والرسائل قائم على عمليّتي ترميز الرسائل وفكّ ترميزها - ما يعرف بالنموذج التشفيري

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

Coding - بل يتجاوز التواصل وفقهما هاتين العمليتين إلى غيرها من العوامل كالاستدلال والسياق؛ أي أنّ إدراك مضمون الأقوال لا يكون بالاعتماد على العلامات اللسانية فحسب بل يجب تعزيزها بمعلومات يوردها معرض الحديث وتوظيفها للاستدلال على مقاصد المرسل. وعليه يتم فهم الأقوال وتأويلها بالدمج بين التفسير اللساني في مستوياته المختلفة - الصوت والتركيب والدلالة - وبين الاستدلال التداولي المعرفي القائم على ثنائية (المنبه/الأثر) والذي يضمن إتمام ما قصر النموذج التفسيري عن معالجته.

ويذهب الباحثان - بناء على ذلك - إلى أنّ نموذج التفسير لا يمثل سوى مرحلة أولى لمعالجة الملفوظ معالجة لغوية. وهذه المرحلة مهمة في إمداد المستمع بالمدخلات اللغوية التي يُثريها عبر عملية الاستدلال للوصول إلى المعنى الذي يرومه المتحدث. وفهم ما يرومه المتحدث من كلامه يستلزم عملية تأويل له من خلال إدراك المضمون الصريح للكلام، يضاف إليه الافتراضات السياقية وما ينتج عنها من آثار، وكذا الموقف المقصود من المتحدث إزاء قوله، وبعبارة أخرى فإنّ فهم القصد يستلزم تحديد¹:

1. ما يقوله المتحدث صراحةً؛
2. ما يقصده المتحدث ضمناً؛
3. الموقف المقصود من المتحدث إزاء قوله؛
4. كلّ ذلك ضمن السياق المقصود.

¹ D. Wilson, *Linguistics in Oxford Research Encyclopedias*
<https://doi.org/10.1093/acrefore/9780199384655.013.201>

تاريخ المراجعة: (2024/03/21)

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

يعتبر الاستدلال، وفقاً لهذه الرؤية، سيرورة ميتانفسية¹ تستند إلى مبدأ الملاءمة تُقبل بواسطتها صحة فرضية ما أو تُحتمل صحتها انطلاقاً من فرضيات أخرى تكون صحتها أو احتمال صحتها مقبولة بدءاً. وهو بذلك يغدو شكلاً من أشكال تثبيت الاعتقاد وترسيخه كما جاء به فودور².

فالفكرة المعتمدة لدى سبربر وويلسن مفادها أنّ فهم المقصود من الكلام عملية استدلالية تخصّ تفاعل البشر مع محيطهم والمواقف التي ترد فيه، مؤكّدين كونها غير برهانية لأنها تستعمل جميع المعلومات المتضمنة في الذاكرة التصويرية بطريقة عفوية وتلقائية وغير واعية، عكس البرهنة التي تتمّ بطريقة واعية أُعمل الفكر فيها³.

والاستدلال بهذا المفهوم شكل من أشكال التخمين المُقَيّد بالزاماتٍ ملائمة أكثر من كونه خاضع للصرامة المنطقية كما في الاستدلال الصوري. وهو منفتح على معطيات اجتماعية وثقافية وإنسانية تؤدي دوراً في نجاح الاستدلال وفعاليته لا في سلامته المنطقية. والمتلقّي لا يدرك قصد مخاطبه على وجه الدقة والكمال، وإنّما أقصى ما بإمكانه هو اتباع جملة من الخطوات الذهنية لتوليد فرضياتٍ على أساس ترصد واقتفاء مجموعة من المعطيات السياقية والمعرفية المحيطة بالخطاب من شأنها أن تعزّز احتمال ورود الفرضيات وتأكدها. فالدور

¹ Sperber, Wilson, op.cit., p. 107

² انظر هامش الصفحة 23 من هذا الفصل.

³ يؤكد سبربر وويلسن أنّ الآليات التي يعتمد عليها الإنسان في تأويل الملفوظات وفهمها ليست آليات حصرية بالظاهرة اللغوية بل هي جزء من عمليات معرفية عامة يقوم بها الأفراد بشكل تلقائي، فوري، ولا شعوري أثناء تفاعلهم مع مختلف الوضعيات والمواقف المحيطة بهم. وهما يعتبران الاستدلال التلقائي غير البرهاني ذا أهمية نفسية تفوق الأساليب الاستدلالية المنهجية المكتسبة بالجهد والكد. يراجع: مولود هيد الله مزايط، مرجع سابق، ص 123.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

الأساسي الذي يضطلع به المتلقي لبناء المعنى الأصلي للكلام هو توظيف قدراته التخمينية اعتماداً على المؤشرات Clues والمنبّهات Stimuli التي يزوده بها قول المتكلم وسلوكه الإشاري Ostensive behaviour الذي يشير إلى "نيتّه لإظهار أمرٍ في حدّ ذاته وتجليّته"¹. وعليه، نستتفّ ممّا سبق أنّ الاستدلال التداوليّ المعرفيّ هو:

- استدلالٌ إشاري يستند إلى مفهوم الملاءمة، يتعرّف المخاطب بموجبه على مقاصد المتكلم من خلال إشارات ومنبّهات يقدّمها المتكلم فعلاً أو قولاً لتشكيل جملة من الفرضيات؛

- استدلالٌ غير برهاني يتمّ بطريقة تلقائية وعفوية ولا واعية؛

- شكلٌ من أشكال الحدس والاستنتاج المقيدين بموجّهات تداولية ومعرفية ملائمة.

ب. سيرورة الاستدلال التداوليّ المعرفيّ:

يتبنّى الإطار النظري للتداولية المعرفية أو ما يعرف بالملاءمة، مُمثلاً في رائدَيْه سبربر وويلسن، نموذجاً استدلالياً إشارياً قائماً على ثنائية (منبه - أثر). إذ يرهّن الباحثان نجاح أي عملية تواصلية بضمان أن يجعل المتحدث قصده مفهوماً لدى متلقيه، وهذا ما يتحقق بجعل

¹ E.-A. Gutt, **A theoretical account of translation - without a translation theory. Target: International Journal of Translation Studies**, (2), 135-164. In: <http://www.bible-researcher.com/gutt1.html>.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

المنبّه¹ الذي يبيّنه في كلامه ملائماً على النحو الذي يمكّن المتلقي من استخلاص ما يريد إبلاغه فيحدث فيه أثراً دون بذل جهد غير ضروري من قبله.

ويسّط جون لايفر John Laver هذه السيرورة في قاموسه للترجمة والترجمة الشفهية² قائلاً إنّ المتكلم/الكاتب يبيّن إشارات (عملية الإشارة التدلالية Ostention) بغرض تبليغ قصده التواصلية، أي أن يظهر المتكلم لمتلقيه نيّته في إظهار طبقة أولية من المعلومات فيلتقطها المستمع/القارئ لبناء نموذج ذهني للمعنى المقصود (عملية الاستدلال Inference).

وعليه، فإنّ اعتبار التواصل عملية استدلالية Inferential يجعل من مهمّة المرسل الرئيسة إنتاج منبّه لغوي ملفوظ، أو غير لغوي كالحركات³، يلتقطه المتلقي وتكون له بمثابة طبقة أولية من المعلومات التي تمكّنه من الاستدلال على الافتراضات - أو مجموعة الأفكار - التي ينوي المرسل إبلاغها إيّاه.

¹ يعرف سبرير وويلسون المنبّه بأنّ "أفضل ما كان بمقدور المتواصلين أن يختاروه من ناحية الجهد". يراجع: د. ويلسن، د. سبرير، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، تر. هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتب الجديدة، ط.1، بيروت، لبنان، 2016، ص 387.

² John, I. M. Laver, *A Dictionary of Translation and Interpreting*. <http://fit-europe-rc.org/wp-content/uploads/2019/05/Dictionary-of-translation-and-interpreting-Mason-Laver.pdf>, 2018, p. 112, 113.

³ وكمثال على التواصل غير اللغوي يورد غوت مثلاً عن أحدهم يرى زميلاً له في قاعة مؤتمرات يبحث عن مكان ليجلس فيه، فيلوح له بيده ليشير إلى وجود مقعد بجانبه. مثل هذه الحركة تمثّل منبهاً ويكون قصده الإخباري هو أن يستدلّ الزميل من هذا المنبه بوجود مقعد فارغ أمامه. والأمر ذاته فيما يخص التواصل اللغوي فقد يسأل أحدهم في الشارع عن الطريق مثلاً فتكون الإجابة "المعذرة، أنا غريب عن المنطقة". والقصد هاهنا أن يستنتج السائل من الإجابة أنّ الشخص المسؤول غير قادر على إعطاء المعلومة التي يحتاجها.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وعليه، فإن الاستدلال التداولي المعرفي لا يقتصر على مجرد سعي المتكلم إلى التأثير في أفكار المتلقي ومعتقداته، بل يتطلب أيضًا إقرار هذا الأخير بوجود هذا القصد لدى المتكلم. وبذا، يبنى هذا النمط من الاستدلال على مقصدين¹ متلازمين يُشكلان معًا القاعدة الأساسية لكل فعل تواصلي ناجح هما:

1. القصد الإخباري: Informative Intention ويتمثل في نيّة المتكلم في إبلاغ

المتلقي بمعلومة أو مضمون معرفي محدّد.

2. القصد التواصلي: Communicative Intention ويعني سعي المتكلم إلى إظهار

قصده الإخباري بوضوح للمتلقي بما يسمح له بإدراك تلك النية وفهم مضمون الرسالة. فالهدف إذا من القصد التواصلي هو تكوين محيط معرفي متبادل بين المتكلم والمتلقي تجعل من الظاهر لكليهما أن يكون للمتكلم قصدا إخبارياً². فلئن كان القصد الإخباري ينحو صوب المتلقي، فإنّ القصد التواصلي متبادل بينهما، بحيث يصدر المتكلم منبّهًا "يجعل من الظاهر لكلّ من المتكلم والمستمع أنّ المتكلم يقصد باستعمال ذلك المنبّه جعل مجموعة من الافتراضات بارزة أو أكثر بروزاً للمستمع"³.

¹ Sperber & Wilson, Op. cit., p 50.

² د. ويلسن ، د. سبربر، المرجع السابق، ص 116.

³ د. ويلسن، د. سبربر، المرجع نفسه، ص 120.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وبناءً على ذلك، فإنّ تحقق الفهم لدى المتلقي لا يتم إلا من خلال إدراكه لهذا القصد التواصلّي الذي يكشف بدوره عن القصد الإخباري. ونجاح العملية التواصلية، بذلك، يكون مرتهاً بمدى قدرة المتكلم على الإفصاح عن قصده، ومدى كفاءة المتلقي في تبين ذلك القصد ضمن سياق تواصلّي محدّد.

والاستدلال التداولي المعرفي وفقاً لسبربر وويلسن حاضر في كلا نوعي التواصل اللغوي وغير اللغوي، فالفرق بينهما لا يكمن في غياب الاستدلال وإنما في درجة الإيضاح¹ التي يحقّقها المنبّه الإشاري. فالاستدلال حاضر لا محالة، وعنصر الإيضاح يتجلّى أكثر في التواصل اللغوي باعتبار جملة الخصائص التي تسم اللغة، لعل أهمّها التمثّلات الذهنيّة التي تتطوّر على صنفين متباينين: أولهما تمثّلات دلاليّة Semantic representation ناتجة عن المعالجة الجارية في القالب اللغوي للذهن، وثانيها صيغ قضويّة Propositional forms ناشئة عن التمثّلات الدلاليّة لكن بعد معالجتها معالجة إضافية في الوحدة المركزيّة للذهن.

• التمثّلات الدلاليّة²:

يقضي الإطار المعرفي لنظرية الملاءمة بأنّ التعامل مع الملفوظات يتم وفقاً لمكونات أو قوالب ذهنيّة متخصصة في معالجة البيانات اللغويّة³، وهذه القوالب تتولّى تشفير الصيغ اللغويّة الواردة على الذهن انطلاقاً من خصائصها اللغويّة لتعطيها صيغاً ذهنيّة تدلّ على

¹ E. A. Gutt. **Translation and Relevance: Cognition and Context**, Routledge, 2nd ED., London, 2000, p. 25.

² Gutt. E. A, *ibid.*, p. 25-26

³ انظر: النظرية القالبية لجيري فودور ص 23 من هذا الفصل.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

أمر معيّن وتمثله ذهنياً وهو ما يشكّل التمثّل الدلالي. فهو يعدّ بذلك أحد مخرجات القلب اللغوي للذهن. وبما أنّ هذا القلب الذهني متخصص في معالجة المعطيات اللغوية فحسب، فإنّ مخرجاته الدلالية أي التمثّلات الدلالية الناتجة عنه لا تعدّ افتراضاً كاملاً ولا حقيقة شرطية تامة باعتبار أنّ القلب اللغوي للذهن لا يعالج إلاّ المعطيات اللسانية، بل تعدّ خطاطات فرضيّة assumption schemas أو هيكل قضوي blueprints for propositions تحتاج توسعة وإثراء بطرق عديدة لتصير أفكاراً مكتملة تامة - لها محتوى قضوي وهو ما تطلق عليه الملاءمة تسمية الصيغ القضية propositional forms

• الصيغة القضية¹:

يرى سبربر وويلسن أنّ أي نظام مدخلات يعمل على معالجة المعلومات الحسية والإدراكية الواردة إليه ليحوّلها إلى تمثيلات تصويرية عالية المستوى، وتسمى هذه الصفات المنطقية الخاصة بالتمثيل التصوري صيغة منطقية وهي مجموعة من المكونات أي مفاهيم concepts هي أساس الافتراضات، وكلّ مفهوم تختزن ضمنه - في الذاكرة - أنماط مختلفة من المعلومات. فإذا استُحِثّ مفهوم معيّن في صيغة منطقية محلّ معالجة يكون من السهل الوصول إلى مختلف المعلومات المخزنة تحت ذلك المفهوم².

¹ مولود هيد الله مزايط، مرجع سابق، ص. ص. 123 - 126.

² المعلومات المخزنة خلف مفهوم ما في الذاكرة لها ثلاثة مداخل:

▪ **مدخل منطقي: Logical entry** يتّصل في المعلومات التي تتعلق بالعلاقات المنطقية التي يقيمها المفهوم مع باقي المفاهيم كالتناقض والتكافؤ والاستلزام. فالمكوّن المنطقي لمفهوم ما يتكون من قواعد استنباطية مدخلها مقدّمة أو مقدمتان ومخرجها عبارة عن نتيجة. (الاستدلالات الناتجة عن المفهوم).

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وعليه فإنّ الأفكار ذات محتوى قضوي أو الصيغ القضائية هي نتاج معالجة إضافية للتمثّلات الدلالية الناتجة عن القلب اللغوي للذهن. وهذا الانتقال من التمثّل الدلالي إلى المحتوى القضوي يستلزم استخدام السّياق. إذ إنّ عنصر فارق وذو دور مهمّ في توفير المعلومات التي تتيح استكمال المعنى والاستدلال على المقصود من الكلام.

يقوم الاستدلال التداولي المعرفي إذاً على جملة من الخطوات الذهنيّة التي تخضع لمبدأ الملاءمة وتهدف إلى استدلال المخاطب على مقاصد المتكلم من خلال تشكيل أقوى الفرضيات بلوغاً للمعاني المرادة. ولكنّ الاستدلال على مقصد المتكلم قد يتسع، ونطاق الاستدلالات التي يمكن للمرء أن ينتجها واسع ومفتوح، فلا بدّ حينئذٍ من وجود قيد كايح يساعد المتلقّي على حصر الافتراضات التي ينوي المرسل إيصالها. ومثل هذا القيد تتولّى الملاءمة إتاحتها من خلال فرضيّة ذات شقّين:

- **مدخل موسوعي: Encyclopedic entry** وهي المعرفة العامّة التي يمتلكها الناس أو المتواصلون عن هذا المفهوم، وهو يتضمن جملة من الاستلزامات التي خزنها المتكلم عن استعماله. وهذا المدخل له أهمية خاصّة في التأويل التداولي باعتباره المصدر الرئيس للافتراضات السياقية التي تستخدم في سيرورة العملية التأويلية من أجل اشتقاق الاستلزامات وتوليد الآثار المعرفية المرجوة.
 - **مدخل معجمي: Lexical entry** وهو مجموع المعلومات المعجمية للمفردة المستعملة للتعبير عن المفهوم، وتتمثل في خصائصها اللسانية بما فيها تمثيلها الصوتي، وخصائصها التركيبية والصرفية... والتي قد تقيد في بناء نماذج ذهنيّة عن الاستعمالات اللغوية للمفهوم قيد الدراسة.
- ولنأخذ مثلاً عن المعلومات المخزنة خلف المفهوم المرتبط بكلمة (نسوة):
- المدخل المنطقي: يتضمن حكماً استدلالياً مفاده: بشر من نوع معيّن مغاير لنوع الرجال.
 - المدخل الموسوعي: صفات النسوة، تصرفاتهنّ مثلاً، سلوكاتهنّ في بعض المواقف،...
 - المدخل المعجمي: اسم، وجمع، وتمثيلها الصوتي "ن، س، و، ة".

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

1. أن تكون مجموعة الافتراضات التي ينوي المرسل إبلاغها ملائمة كفاية للمتلقى؛
 2. وأن يكون المنبّه المقدم منتجاً لآثار سياقية مناسبة دون بذل جهد معالجة غير ضروري.
- ومعنى ذلك أنه عندما يجذب المتكلم انتباه المتلقي كإشارة إلى نيّته في إبلاغه شيئاً ما، يفترض أنّ صياغة المتكلم لكلامه تكون ملائمة بما يكفي للمتلقى ليتمكن من استعادة المقصود منه دون إعمال ذهنه دون مبرر أو مسوّغ لذلك. وبناءً عليه، نفترض نظرية الملاءمة أنّ أول تأويلٍ منسجمٍ مع هذه الفرضيّة، والذي يتبادر إلى ذهن المتلقي عن المنبه الصادر عن المتكلم، هو بالتحديد المقصود من الكلام.
- وفكرة الملاءمة ها هنا تتحدّد حسب سبربر وويلسن بنسبة العائد benefit إلى الكلفة cost: إذ تشكّل الكلفة مقدار جهد المعالجة الذهني الذي تتطلبه عملية تأويل المنبّه الذي يبثه المتكلم في رسالته؛ أمّا العائد فيتمثل في الآثار السياقية التي يستمدّها المتلقي منه. فكلّما قلّ الجهد الذي تتطلبه معالجة المنبّه، كلما زادت آثاره السياقية وكلما اعتُبر المنبّه أكثر ملاءمةً. وإنّ أمعنا النظر أدركنا أن الملاءمة مفهوم يبيّن كيفية ترابط هذين العنصرين أي ترابط الجهد المبذول في المعالجة بالآثار السياقية المحقّقة من المخاطب، وسيأتي تفصيل هذين العنصرين لاحقاً. ولا مجال هنا لإغفال السياق الذي يضطلع بدور حاسم أثناء استدلال المخاطب على مقاصد مخاطبه وعلى حالاته الذهنية باعتبار أنّ هذه العملية

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

الاستدلالية - حسب سبربر وويلسن، تقوم على عنصرين: أولهما المعنى اللساني وثانيهما المعطيات السياقية الملائمة أو السياق بشقيه المادي والمعرفي.

2.2.1. السياق في إطار التداوليات المعرفية:

التداوليات المعرفية وطيدة الصلة بالسياق، إذ إنّ تأويل الأقوال وتمثّل العوالم حسب نظرية الملاءمة يتمّان في إطار سياق تواصلٍ معيّن تُعالج في خضمّه المعلومات ويتشكّل المعنى فيتحقّق الفهم والإفهام، أي أنّ الاستدلال على مقاصد المتكلّم يقوم على السياق التواصلّي؛ وهو، من منظور الملاءمة، ليس جملةً من المعطيات المادية أو اللغوية أو المقاميّة الجاهزة المحدّدة مسبقاً والمعطاة دفعة واحدة قبل عملية الفهم والتأويل. إذ يميّز سبربر وويلسن بين السياق الماديّ physical context الذي يتكوّن من معلومات عن المحيط الماديّ للتواصل مثل: هويّات المتواصلين وخصائص الزمان والمكان؛ وبين المحيط المعرفي cognitive environment أي الافتراضات الذهنيّة mental assumptions المستمدّة من معلومات صريحة أو ضمنيّة مستنبطة من ملفوظات سابقة في الخطاب أو من مداخل موسوعيّة مرتبطة بمفاهيم سابقة أو جديدة عن الملفوظات الواردة في سياق التواصل. والتفاعل بين السّياقين هو ما ينتج السّياق التواصلّي communicative context الذي تعالج فيه المعلومات تشكيلاً للمعنى وإدراكاً للمقاصد.

السّياق التواصلّي = السّياق الماديّ + المحيط المعرفي.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وبناء على هذا التمييز يعرف سبربر وويلسن السياق التواصلي المنتج للملفوظات أنه "مجموع المقدمات المستخدمة لتأويل الملفوظ"¹، وهو عبارة عن افتراضات يكونها المتلقي عن العالم وهو، بناءً على ذلك، مفهوم ذو طبيعة نفسية لا يحيل إلى المحيط الخارجي لطرفي التواصل كالنص السابق للملفوظ أو التالي له أو إلى المقام التخاطبي أو العوامل الثقافية وغيرها، إنما يحيل ضمن الإطار النظري للملاءمة إلى افتراضات المتواصلين حول العالم أو ما يطلق عليه **المحيط المعرفي**² cognitive environment والذي يشير إلى مجموعة الأحداث والحقائق المتجلية في ذهن المرء في لحظة محددة.

فمفهوم **المحيط المعرفي**³ يأخذ بعين الاعتبار مختلف العوامل الخارجية للملفوظ مع التركيز على المعلومات التي تتيحها هذه العوامل وعلى حضورها ذهنياً في لحظة سيرورة التأويل. وتجدر الإشارة إلى أنّ المحيط المعرفي يشمل كمّاً هائلاً من المعلومات المتنوعة التي تُستقى من مصادر عدّة هي:

1. المحيط المادي أي من المعلومات المستمدة من الموقف التواصلي؛
2. الذاكرة وهي بذاتها تعدّ خزناً واسعاً من المعلومات بما فيها المعلومات السابقة للملفوظ بالإضافة إلى أية معرفة مخزنة فيها ثقافية كانت أو غيرها.
3. بالإضافة إلى المعلومات التي يستدلّ عليها انطلاقاً من هذين المصدرين.

¹ GUTT, op. cit., p. 26.

² GUTT, ibid., p. 27.

³ GUTT, loc. Cit, p. 27

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وبناءً عليه، يمكن أن نلخص سمات السياق التواصلية من منظور الملاءمة بأنه ذو طبيعة:

أ. نفسية: يرى سبربر وويلسن أنّ السياق مكوّن نفسيّ psychological construct؛

فهو حسبهما لا يشكّل مجموعةً من الحقائق الموضوعية الصحيحة عن العالم بل هو جملة

من الافتراضات النسبية والذاتية التي يبنّيها الفرد/المتلقّي انطلاقاً من المحتويات الصريحة

والضمنية للأقوال السابقة، ومن المحتويات الموسوعية والمعلومات المخزّنة في الذاكرة عن

المفاهيم التي ترد في الافتراضات المستمدة من الأقوال السابقة أو من الأقوال الجديدة -

هذه الأخيرة تمثّل محور السياق في لحظة بعينها.

ب. ديناميكية: وهذه الطبيعة هي التي تميّز نظرية الملاءمة في تصوّرها للسياق.

فالسياق بالنسبة إليها ليس مُعطى given بشكل نهائي وثابت، وليس محدّداً قبل عملية الفهم،

بل يبنّي تدريجياً تبعاً لتوالي الأقوال وتنامي المعرفة التي يكوّنها المتواصلون حسب تفاعل

المحتويات الموسوعية والمنطقية والمعجمية للمفاهيم المصرّح بها أو المضمر. فهو يعدّ

جملة من الافتراضات المفتوحة - بإطراد - على المراجعة والاختيار والإغناء والحذف

والتأويل؛ إذ يشمل التوقعات التي ترد في ذهن المخاطب وكذا أفكاره ومعتقداته وخلفيته

وذكرياته بالإضافة إلى افتراضاته عن المحيط المعرفي للفرد المتواصل معه وحالته الذهنية

والنفسية.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

هذا يعني أنّ السياق يتوسّع أثناء التواصل؛ وعملية التوسّع هذه تتأتّى من محتويات ذاكرة الجهاز الاستنباطي¹، ومحتويات الذاكرة قصيرة المدى عامّة، ومحتويات ما تمّ تخزينه من معلومات في الذاكرة الموسوعيّة بعيدة المدى، تتضاف إليها المعلومات التي يمكن التقاطها مباشرة من المحيط المادي. ثمّة إذن سياق أولي يأوي الفعل التواصلّي ثم يأتي تعديله وإغناؤه بالتدرّج وعلى نحو مستمرّ من خلال انتقاء ما يُلائم من المكوّنات المذكورة آنفاً حتى يتمّ الوصول في نهاية المطاف إلى الملاءمة في مستواها الأعلى وغايتها المثلى.

إنّ السّياق من منظور الملاءمة² ذو أهميّة كبرى في توفير المعلومات التي يستخدمها المستمع - وجوباً - حتى يصل إلى التأويل الذي يقصده المتكلم؛ وهذه المعلومات متعدّدة المصادر مختلفة الآفاق، هي الذاكرة البعيدة وتأويلات الأقوال السّابقة ومعلومات قصيرة المدى مستمدّة من المحيط المعرفي المباشر للعمليّة التواصلية. وفي خضم هذا الكمّ الهائل من المعلومات الواردة على الدّهن وقت الكلام والذي يمكن أن يشكّل سياقاً محتملاً للملفوظ، وباعتبار هذه السياقات المتعدّدة، ينتقي المستمع الافتراضات التي يقصدها المتكلم فيتشكّل السّياق الملائم بما يضمن تحقيق التفاهم.

¹ هو النموذج الذي اقترحه الباحثان لمعالجة البشر للمعلومات حين استدلالهم التلقائي بغية استيعاب الكلام الوارد أثناء التواصل. يقوم هذا الجهاز بطريقة آلية وعفوية بتوليد الاستلزامات السياقيّة *implicatures* واشتقاقها، أي أنه يعتمد إلى مدخل ما (مقدّمات: المقدمات مرتبطة بالمدخلات الإدراكية المتفاعلة في التواصل، ومنها المعطيات السياقية والصيغ المنطقية المستمدة من المحتوى اللساني للأقوال) فيقوم باستخلاص كل الاستنتاجات التي يمكن اشتقاقها انطلاقاً منه. والاستلزامات السياقية إذاً عبارة عن تفاعل معلومات جديدة مع سياق يتضمن معلومات قديمة، وهي تعدّ من أهم الآثار المعرفيّة المتولدة عن العمليّات الاستدلالية. يراجع: مولود هيد الله مزايط، مرجع سابق، ص. 126 - 132.

² GUTT, op. cit. p. p. 26-29.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

ولكن كيف له - أي المستمع - أن ينتقي السياق الملائم الذي يكفل إنجاح التواصل؟ فمن مجموعة الافتراضات التي قد يستخدمها كل من المتكلم والمستمع، انطلاقاً من محيطيهما المعرفيين، قد تتطلب عملية التواصل أعمال افتراضات معينة بحد ذاتها؛ ذلك أن أعمال افتراضات خاطئة قد يؤدي إلى سوء تفاهم وعدم إدراك القصد الإخباري.

عن هذا التساؤل المشروع والجوهرى في آن، يجيب سبربر وويلسن أن القصد من التواصل هو تعديل المحيط المعرفي للمتواصلين المشكّل للسياق الملائم للتأويل وبناء المعنى المقصود. فتعديل المحيط المعرفي مهم لنجاح التواصل وتعديله، وهو ما يسمى بالآثار السياقية من منظور الملاءمة فمبدأ الملاءمة يضطلع بدور رئيس في هذا التعديل من خلال تحديد المعلومات التي ينبغي على المتواصلين معالجتها. ذلك أن الملاءمة خصيصة ذهنية تحدّد المعلومات التي تشدّ انتباه الفرد في لحظة بعينها لتكون جديرة بالمعالجة¹. يتمكّن المخاطب إذاً من انتقاء السياق الملائم للتأويل بموجب مبدأ الملائمة القائل إنّ الفرد يختار السياق - أو بالأحرى عليه اختيار السياق - الذي يسمح بظهور أكبر كمّ من الآثار السياقية المناسبة بأقل جهد ممكن.

حرّى بنا إذاً أن نتطرق فيما يلي إلى مفهوم مبدأ الملاءمة وكيف يكون إسهامه في اختيار السياق الأنسب لبناء المعنى.

¹ GUTT, op. cit, p. 29

3.2.1. مفهوم الملاءمة:

الملاءمة¹، كما طرحها رائدا هذا التيار، مفهوم مركزي بالنسبة للتداوليات المعرفية وهو خصيصة نفسية ذهنية يقوم على نموذج تفاعلي للتواصل Interactive model. إذ أسس سبربر وويلسن معالمن نظريتهما انطلاقاً من نقدتهما لمبدأ التعاون² الذي وضعه غرايس.

¹ مولود هيد الله مزايط ، مرجع سابق، ص 137 وما بعدها.

² **Principle of cooperation** صاغ غرايس مؤسس نظرية التخاطب مبدأ التعاون الذي يفيد بوجود تعاون المتخاطبين فيما بينهم لإنجاح المحادثة، بحيث يكون اسهام المتخاطبين فيها بالقدر الذي يقتضيه السياق وبما يتوافق مع غرض المحادثة التي يتشاركان فيها.

يراجع:

P. Grice, **Logic and Conversation**. In P. Cole, & J. L. Morgan. (Eds.), *Syntax and Semantics*, Vol. 3, *Speech Acts*, Academics Press New York, 1975, p. 41.

ويندرج ضمن هذا المبدأ قواعد تخاطبية أربع تسهم في نجاح عملية التخاطب التواصلية:

– **قاعدة الكم** Maxim of quantity: تضبط الجانب الكمي للمعلومات الضرورية للمحادثة، فلا يجب أن نقل ولا أن نزيد.

– **قاعدة النوع** Maxim of quality: تحدّد صيغة الكلام أي ألا يقول المتكلم إلا ما يعتقد أنه صادق أو ما يقدر أن يدعم.

– **قاعدة الملاءمة** Maxim of relevance: تحدد ملاءمة المقال للمقام، أي أن يكون الكلام ملائماً لمقام الخطاب بحيث يكون – الكلام – ذا صلة بأقوال القائل السابقة وبأقوال الآخرين.

– **قاعدة الكيف** Maxim of manner: تحدد كيفية تبليغ الخطاب، أي أن يكون الكلام مناسباً للرسالة المراد تبليغها حتى يفهمها المتلقي بسهولة.

يراجع:

J. Munday, **Introducing Translation Studies: Theories and Applications**, Routledge, 3rd Ed., London, 2012, p. 149.

وقد انطلق سبربر وويلسن من قاعدة الملاءمة المتضمنة في مبدأ التعاون للتداوليات الغرايسية ليؤسسا نظرية الملاءمة من منظور معرفي.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

فأحلاً محلّه مبدأ الملاءمة¹ باعتباره كفيلاً بتوجيه المتلقّي لتأويل قول المتكلم وإدراك مقاصده²؛ وللسياق في عملية التأويل دور مهمّ.

فالتواصل البشري، من منظور الملاءمة، سعيّ إلى تغيير سياق التلفّظ وتعديله من خلال ضمان تفاعل المعلومات الجديدة المضمّنة في الملفوظ مع المعلومات المكتسبة سابقاً. فكلاً تغيير السياق بفعل المعلومات الصادرة عن الملفوظ كلّما كان هذا الملفوظ ملائماً. وأهميته في هذا الإطار تتمثّل في توفيره للمعلومات المستخدمة للاستدلال والتأويل.

فالملاءمة صفة لعمليات معرفيّة تضمّ مرحلتين، أولهما: الإدراك بالحواس كسماع صوت ملفوظ أو شمّ رائحة، أو ما أسماه رائدا النظرية بالمنبّهات الخارجية Stimuli، وثانيهما الاستدلال ويتمثّل في الافتراضات assumptions أو التمثلات الداخلية representations التي تخضع للمعالجة كالتعرّف على الرائحة في حالة كان المنبه شمّ رائحة مثلاً أو فكّ

¹ تختلف مقارنة مفهوم الملاءمة بين طرح غرايس وما قدّمه سبربر وويلسن. فمن جهة، حدّد غرايس الملاءمة ضمن إطار قاعدي إجرائي، يُستثمر في تفسير طرائق توليد الاستلزامات الخطابية وتأويلها أثناء التفاعل الحواري، واضعاً المتكلم أمام التزام قيمي يتمثّل في قول ما هو مناسب ومرتبّط بسياق الحديث. وتتميّز هذه القاعدة بمرونة تداولية تتيح إمكانية خرقها عمدًا متى استدعت المقاصد التواصلية ذلك، في مقابل إمكان احترامها والانضباط لها بحسب مقتضى المقام. في المقابل، يتبنّى سبربر وويلسن تصوّراً أنثروبولوجياً معرفياً أعمق، إذ يُنزلان مبدأ الملاءمة منزلة البنية الفطرية المتأصلة في الطبيعة البشرية، بوصفها أداة معرفية جوهرية تُمكن الإنسان من انتقاء المؤثرات الأكثر ملاءمة في محيطه الإدراكي والمعرفي، بما يضمن بقاءه وتكيفه مع بيئته. وتُبرز هذه المقاربة اختلافاً جوهرياً في قابلية المبدأ للخرق؛ ففي حين تظل قاعدة غرايس قابلة للتجاوز وفق مقتضى السياق، يرى سبربر وويلسن أن الملاءمة مبدأً غير قابل للخرق بأيّ حال. وتكشف هذه المفارقة بين التصورين عن اختلاف في طبيعة تصور مفهوم التواصل ذاته؛ إذ يظل عند غرايس فعلاً مقصدياً خاضعاً لضوابط اجتماعية يمكن التلاعب بها، بينما يغدو عند سبربر وويلسن سيرورة معرفية محكومة بقوانين الإدراك الإنساني الثابتة.

² مفتاح بن عروس، السياق وتأويل الأقوال في نظرية الحصافة، مجلة اللغة والأدب، ع. 21 (s)، 2014، ص. ص 135-169.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

التشفير اللساني للملفوظ حين يكون المنبّه متمثلاً في سماع صوت ما. وهذا النوع من العمليات هو الذي يوصف بالملاءمة.

وفي هذا الصدد، يذهب عبد السلام عشير¹ إلى أنّ نظرية الملاءمة تشتغل على مستويين تحليليين هما : المستوى الذهني والمستوى المعرفي. فالمستوى الأول – أي الذهني – يخصّ المعلومات من حيث إدراكها وتخزينها وربطها، أي أنه يعنى بكل ما هو حرفي. وهذا المستوى تتكفل به الأنظمة القالبية المتخصصة. أما المستوى الثاني وهو المستوى المعرفي فيتعلّق بمعطيات القول الداخلية، كالذاكرة والخلفيات المعرفية، والخارجية كالسياقات والمقامات والظروف المحيطة به؛ وهذا ما يتمّ في الأنظمة المركزية غير المتخصصة، وهو الذي يُعنى بالتأويل.

والملفوظات المتّسمة بسمة الملاءمة في سياق تواصل معيّن، حسب سبربر وويلسن، هي الملفوظات القادرة على توليد آثار معرفيّة cognitive effects مهمّة، أي تلك التي تقدّم معلومات قادرة على التفاعل بشكل أو بآخر مع الافتراضات الموجودة لدى المتلقي حول العالم وذلك ببذل أقلّ جهد ممكن من جانبه لمعالجة هذه المعلومات Processing efforts. فالتواصل البشري حسبهما ينشئ بالأساس توقعاً بالملاءمة المثلى، وهو توقع يقع من جانب المتلقي بأنّ تأويله سيفضي إلى آثار سياقية مناسبة بأقلّ جهد معالجة ممكن، وهذا الجزء من النفسية البشرية هو ما يعرف بمبدأ الملاءمة *Principle of Relevance* :

¹ عبد السلام، عشير، عندما نتواصل نغيّر: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 32.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

'Every act of ostensive communication communicates the presumption of its own optimal relevance'¹

'كلّ فعل تواصل إشاري يبلغ افتراض الملاءمة المثلى الخاصة به' (ترجمتنا)

ويعتمد كلاً من الآثار المعرفية وجهد المعالجة بدورهما على عنصر السياق، باعتبار أنّ فكرة الملاءمة جلّها تستند إلى السياق كونه العنصر الذي يوفر المعلومات المنتجة للملاءمة. وعليه، يتحدّد طرفاً معادلة التأويل في إطار الملاءمة في جهد المعالجة من جهة - أي مقدار الجهد الذهني المبذول لمعالجة المعلومات التي يبثها المتكلم في رسالته- والآثار المعرفية التي يحققها المتلقي من المعلومات الناتجة عن ذاك الجهد، من جهة أخرى. وعلى أساس هذين الطرفين يتجسّد مفهوم الملاءمة؛ فالترابط بينهما يحدّد الفكرة الرئيسة التي تقترضها هذه النظرية وهي أنّ التواصل البشري يُنشئ حالة ترقب لدى المتلقي، تسمّى الملاءمة، وهي بذلك تغدو خصيصة ذهنية، يقوم هذا الأخير بموجبها بعملية تأويل للمعلومات الواردة عليه فينتج آثاراً معرفية مقابل بذل حدّ أدنى من جهد المعالجة.

وتوقّع المتلقي أنّ يحقق تأويله أكبر كمّ من الآثار المعرفية بأقل جهد معالجة مُمكنٍ يعدّ حقيقة متأصلة في علم النفس البشري، فكلّما أظهر شخص ما رغبة في التواصل فإنّه ينقل ضمناً وبشكل تلقائي افتراض أنّ متلقيه يمكنه أن يتوقّع الحصول على آثار معرفية مناسبة

¹ مبدأ الملاءمة كما طرحه سبرير ويلسن. يراجع:

- GUTT, op. cit., p. 32.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وكافية دون بذل جهد ضائع سدى¹. ولمبدأ الملاءمة هنا دور في تحديد المعلومات الجديرة بتحقيق هذه المعادلة، أي أنه هو الموجّه لاختيار السياق الصحيح للتأويل بأقل جهد ممكن.

4.2.1. شرطاً للملاءمة:

تتحدّد فكرة الملاءمة إذا من خلال الآثار المعرفيّة المحقّقة، من جهة، والجهد المعرفي المبذول لمعالجة المعلومات الواردة، من جهة أخرى. فتكون المعلومة ملائمة ملاءمةً مثلى إن حقّقت آثاراً معرفية كبيرة بأقل جهد مبذول². وهذه الآثار المعرفيّة هي التي تنتج التأويل انطلاقاً من المقدمات premises أو الأشكال المنطقية للأقوال والقضايا المشكّلة للسياق³، وذلك من خلال تعديل الافتراضات السابقة الموجودة في الذاكرة أو تحسينها أو تأكيدها أو إلغائها. وهذا ما يتمّ من خلال شرطين⁴ حدّدهما سبربر وويلسن كالتالي:

← يعتبر افتراض ما ملائماً في سياق محدّد حين:

أ. تكون الآثار المعرفيّة الناتجة عنه كبيرة؛

ب. يكون الجهد المبذول لمعالجته قليلاً⁵؛

¹ Gutt, op. cit. p. 31.

² Sperber, Wilson, op. cit., p 262

أعاد سبربر وويلسن تعريف 'الملاءمة المثلى' في خاتمة الكتاب ذاته من خلال تحديد مبادئها الأساسيين كالتالي:
في افتراض الملاءمة المثلى يكون المنبه الإشاري:

(أ) مناسباً كفاية ليكون جديراً بالجهد الذي يبذله المخاطب لمعالجته.

(ب) الأكثر توافقاً مع قدرات المتواصلين وتفضيلاتهم.

³ عبد السلام عشير، مرجع سابق، ص 37.

⁴ Gutt, loc. cit.

⁵ يجادل غوت بضرورة إعادة النظر في مبدأ جهد المعالجة واستبعاده عن مفهوم الملاءمة ذاته؛ مشيراً إلى أنّ هذا التعديل لا يؤثر على دراسة طبيعة الترجمة. يراجع: Gutt, loc. cit.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وعليه يتبين لنا من هذين الشرطين أنّ الملاءمة مفهوم قائم على السياق ويعتمد على تفاعل الآثار المعرفية وجهد المعالجة؛ فكلما قلّ الجهد الذي تتطلبه معالجة المعلومات وزادت آثاره المعرفية كلما اعتُبرت المعلومات المقدّمة أكثر ملاءمةً. إذ تتناسب الآثار المعرفية تناسباً طردياً مع مبدأ الملاءمة، فكلما كانت الآثار المتولّدة عن مدخل ما كثيرة كلما كانت ملاءمته أكبر. أما الجهد المبذول في المعالجة فيتناسب تناسباً عكسياً مع الملاءمة حيث أنّه كلما كان الجهد المبذول كبيراً كلما قلت ملاءمته.

5.2.1. عاملا الملاءمة:

إنّ اختيار السّياق الملائم للعملية التأويلية المفضية إلى الاستدلال على مقاصد المتكلم يتحكم فيه عاملا الآثار المعرفية¹ والجهد المعرفي. إذ تعرّف الملاءمة من حيث هذين

¹ لقد استعاض سبربر وويلسن مصطلح الأثر السّياقي contextual effect تدريجياً بمصطلح الأثر المعرفي cognitive effect، ومبررُ عدولهما عن المصطلح الأولي يكمن في اعتقادهما أنّ الآثار السّياقية نتاج نسق معرفي، ومصطلح الآثار السّياقية لا يبين النظام المسؤول عن توليد هذا النوع من الآثار في حين أن مصطلح الآثار المعرفية يظهر جلياً أنّ الآثار السّياقية تحصل في الأساس في النظام المعرفي. يراجع: ويلسن، سبربر، نفسه، ص 455. كما أنّهما أدرجا في خاتمة الطبعة الثّانية من كتابهما مصطلح "الآثار المعرفية الإيجابية" Positive Cognitive effects، وهي الآثار التي تحدث على تمثيلات الفرد للعالم فيتولد لديه تحسين ابستيمولوجي أي زيادة في المعرفة فينتج عن ذلك مجموعة جديدة من الاعتقادات الصّادقة. وهذه الاعتقادات ليست مرتبطة بالضرورة بصدق المدخلات فقد تكون المدخلات صادقة غير أنّ نتائجها كاذبة، لذلك يشدّد سبربر وويلسن على أنّ صدق النتائج المحصّلة أكثر حسماً من صدق المقدمات في ميزان الملاءمة.

وكنتيجة لهذا التحوير المصطلحي المفاهيمي، عدّل رواد نظرية الملاءمة تعريف الملاءمة ليصير مدخلاً ما ملائماً لشخص ما حينما يعالج هذا المدخل في سياق من الافتراضات المتاحة له فتننتج عنه مجموعة من الآثار المعرفية الإيجابية كالاستنتاجات الصحيحة والتعزيزات والتقويات المبرّرة ومراجعة الافتراضات القائمة، وبعبارة أخرى كل أثر يسهم إسهاماً إيجابياً في تحسين المعرفة. يراجع:

- دان سبربر، ديدري ويلسن، مرجع سابق، ص. ص. 455 - 456.

- Clark Billy, **Relevance Theory**, Cambridge University Press, New York, 2013, p103.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

العاملين المحدّدين لها كما رأينا سابقاً. فكلّما زادت الآثار المعرفيّة وقلّ جهد المعالجة، زادت الملاءمة.

1.5.2.1. الأثر المعرفي¹:

تفترض نظرية الملاءمة أنّ للبشر ميل طبيعي لتحسين فهمهم وإدراكهم للعالم المحيط بهم. ويشمل هذا الفهم الافتراضات التي خزّنها في الذاكرة عن العالم. ومن ثمّ فإنّهم يتوقعون أنّ ما يبذلونه من جهد لتحقيق الفهم سيعدّل بطريقة ما الافتراضات السياقيّة² التي أضفوها على فعل التواصل. ونجاح عمليّة التواصل ككلّ مرتّين بإحراز تعديل في السياق المؤدي إلى تحسين المعرفة، وهذه المخرجات المعدّلة للسياق والمحسّنة للمعرفة هي ما تطلق عليها نظرية الملاءمة مسمّى الآثار المعرفيّة³.

وبناءً على ذلك، جاء تعريف سبربر وويلسن للآثار المعرفيّة بأنها تلك التغييرات الطارئة على معتقدات الفرد وتمثالاته عن العالم الحاصلة في جهازه المعرفي⁴. ويذهبان إلى عدّ المعلومة ملائمةً لدى شخص ما إذا كانت قادرة على التفاعل بشكل أو بآخر مع الافتراضات الموجودة عنده حول العالم أي مع المعلومات المتوفرة لديه، فالافتراض لا يكون ملائماً في سياق محدّد إلا إذا أنتج أثراً معرفيّاً في ذلك السياق⁵. والأثر المعرفي، وفقاً لهما، تفاعل

¹ سبربر، وويلسن، المرجع السابق، ص. 195 وما بعدها.

² هي معلومات يتيحها السياق مستقاة من المحيط المعرفي.

³ GUTT, op.cit., p. 29.

⁴ سبربر، وويلسن، المرجع نفسه، ص 455.

⁵ سبربر، وويلسن، المرجع نفسه، ص 217.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

بين معلومة قديمة وأخرى جديدة بطريقة استدلالية؛ وهو بعبارة أخرى تعبير عن مدى التعديل والتحسين الحادثان بفعل ورود معلومة على السياق أو المجال المعرفي المحتضن لفعل الاستنباط.

والآثار المعرفية المحققة لخصيصة الملاءمة، وفقاً لسبربر وويلسن، أنواع ثلاثة¹، فهي إمّا:

▪ استلزامات سياقية *Contextual implications*: أي استدلالات تتأتى من المحتوى

القضوي للملفوظ مقروناً بالافتراضات السياقية التي يثيرها، فهي نتاج دمج كليهما. ما

يعني أنها تشكّل النتائج المحصّلة من المعلومات المتضمّنة في القول والسيّاق معاً،

وتعدّ أهمّ أنواع الآثار المعرفية.

▪ تقوية *strengthenings* افتراضات قائمة مسبقاً: أي تعزيز لمعلومات موجودة في

الذاكرة وتثبيتها، بمعنى أنّ المعلومات التي يقدّمها الافتراض السياقي تؤكد صحة

افتراض مسبق، ففوة الافتراض السياقي تزيد وفقاً للملاءمة عندما توحى الافتراضات

الجديدة ضمناً إلى احتمال صحتها.

▪ نقض *Contradictions* لافتراضات سابقة أو إلغاؤها: أي إقصاء قضية قائمة موجودة

في الذاكرة جرّاء التعارض بينها وبين استلزام سياقي أنتجه السيّاق التواصلية؛ فعند

وجود تناقض بين افتراضين، أي بين ما وجد وما استجدّ من معلومات، يُرجّح الذهن

¹ يراجع:

- دان سبربر، ديدري ولسن، المرجع السابق، ص. ص. 195 - 206.

- Gutt, op. cit., p.p. 30-31.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

أحدهما على الآخر بعد المفاضلة بين قوّتهما، ويجنح تلقائياً إلى حذف الافتراض الأضعف حجّةً. وتكون قوة الافتراض هاهنا هي المعيار.

نستشفّ مما سبق أنّ مخرجات فعل التواصل تستلزم بالضرورة إحداث تغييرٍ في المعرفة السابقة. وهذا التغيير للمحيط المعرفي للمتخاطبين يُحسّن من تمثلاتهم للعالم قصد التوصل إلى معارف أكثر دقّة؛ لهذا تعدّ نظرية الملاءمة إنتاج الآثار المعرفية مطلباً مهماً لنجاح التواصل؛ فهي ترى أنّ جدّة المعلومات المبلّغة وحدها لا تكفي لتحقيق تواصل فعّال لأنّها لا تضمن حدوث تعديل في المحيط المعرفي الموجود سابقاً وهذا الأمر بدوره لا يضمن ملاءمتها، باعتبار أن إحداث الآثار المعرفية هو الشرط الضروري والكافي لوحده لتحقيق الملاءمة¹. فقد يحدث أن تكون الافتراضات غير سياقية أي غير منتجة لآثار معرفيّة، وذلك في حالات ثلاث² هي:

أ. الحالة (1): حين تقدّم الفرضيّة معلومة جديدة لا تمتّ بصلة لباقي المعلومات السياقية.

ب. الحالة (2): حين تكون الفرضية موجودة مسبقاً في السّياق وحضورها من جديد لا يغيّر من قوتها الإخبارية أو ملاءمتها.

ج. الحالة (3): حين تكون الفرضيّة الجديدة مناقضة للسّياق وفي الوقت نفسه عاجزة عن تغييره، إذ إنّ معالجة هذه الفرضية تترك السّياق بلا تغيير.

¹ سبرير، ويلسن، المرجع السابق، ص 219.

² سبرير، ويلسن، المرجع نفسه، ص. 215

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وفي الحالات الثلاثة أعلاه لا تتحقق الملاءمة، وهي تسوغ الرؤية القائلة بأنّ جِدّة المعلومات المبلّغة لا تكفي لتحقيق تواصل ناجح بل يجب أن تؤدي إلى تعديل المعرفة الموجودة سابقاً.

لنلاحظ، في هذا الصدد، المثال التالي¹:

- لنفترض أن يُباعَت جمهور ما بالملفوظ (أ):

الملفوظ (أ): "الزبدة متوفرة في متجر السلع الأجنبية".

يبدو هذا الملفوظ واضحاً تماماً في محتواه الدلالي. ولئن بدت هذه المعلومة جديدة كلياً بالنسبة لغالبية الجمهور، يُعتقد أنّهم سيواجهون صعوبة في فهمها وسيشعر معظمهم بالحيرة من هذا التصريح، وربما يشتبهون في وجود خطأ ما: فهم، أولاً، لا يعرفون المتجر موضوع الحديث. ثمّ إنّهم لن يدركوا الجدوى من هذه المعلومة وفيما سيستغلونها. هنا يأتي دور نظرية الملاءمة لتفسير رد فعلهم هذا: لم تتحقّق أيّ آثار معرفيّة عن الملفوظ (أ) لأنّه لا يرتبط بالنسبة لمعظم الجمهور بأي معلومة أخرى سابقة يسهل الوصول إليها. فبالرغم من جِدّة المعلومة المقدّمة لكن الشعور ساد بأن الكلام غير ملائم. هنا يتبيّن أنّ جِدّة المعلومة لا يستلزم بالضرورة ملاءمتها.

¹. يراجع مقال اغرنست غوت:

Ernst-August Gutt, **A theoretical account of translation - without a translation theory**, Target: International Journal of Translation Studies 2/2, 1990, pp. 135-164.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

ولئن اعتبرنا المثال ذاته، فإنّ الملفوظ (أ) لا يعدّ في الواقع غير ملائم، لأنّه في سياق معيّن سيحقق آثاراً معرفيّة محدّدة¹. وفيما يلي تبيانها وفقاً لأنواعها الثلاثة:

• الآثار المعرفيّة المحقّقة باعتبارها استلزمات سياقيّة:

إنّ معاز عدم إدراك الجمهور لما يستلزمه الملفوظ (أ) هو غياب السياق لديه. فإن كان الملفوظ (أ) موجّهاً مثلاً لأشخاص في مدينة حيث الزبدة شحيحة فستكون المعلومة ملائمة لديهم، إذ سيربطون (أ) بكلّ سهولة مع المعلومات المعروفة والمتاحة لديهم مسبقاً، مما ينتج عدداً من الآثار السياقيّة:

(ب) المعلومات المعروفة مسبقاً:

(1) الزبدة شحيحة وغير متوفرة.

(2) عندما يكون ثمّة شح في سلعة ما، ثمّ تصوير متاحة ينبغي

اقتناؤها بسرعة قبل نفاذها.

وعند اقتران المعلومات المقدّمة من (أ) مع المعلومات الواردة في (ب) سينتج الافتراض (ج) كاستلزام سياقي:

(ج) يجب شراء الزبدة بسرعة من متجر العملات الأجنبية قبل أن تنفد.

¹ وهذا ما يميّز اللّثام عن سمة أخرى مهمّة في التواصل البشري: لا تكون ملاءمة الكلام، وبالتالي تأويله المقصود، واضحة بالضرورة من الوهلة الأولى إذ يمكن استعادتها بمساعدة معلومات لاحقة. يراجع غوت، المقال ذاته:

Ernst-August Gutt, loc. Cit.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

عند دمج هذه الافتراضات، سيفهم هؤلاء الأشخاص القصد من الملفوظ (أ) باعتباره استلزاما سياقيًا، فهو لا ينتج عن المحتوى القضوي للملفوظ (أ) وحده، ولا ينتج عن الافتراضات السياقية (ب) لوحدها ولكن عن الدمج الاستلزامي بينهما (أ) + (ب) = (ج).

• الآثار المعرفية المحققة من تقوية افتراضات قائمة:

وبالعودة إلى المثال أعلاه، فإن الملفوظ (أ) لا يحدّد من خلال خصائصه الدلالية أيّ متجر للسلع الأجنبية يقصده المتكلّم؛ ومهمّة إيجاد المرجع المقصود تقع على عاتق المستمع الذي يتولّى البحث في المعلومات المبنوثة في السياق عن مرجع يمكن أن يصل إليه ذهنه بسهولة والذي ينتج تأويلًا ذا آثار معرفيّة تفي بالمقصود. وسيرجّح تحديدًا مرجعاً يعتقد أن المتكلّم قد فكّر في أنّه سيكون الأقرب إلى ذهنه. فإن وجد مرجعاً يحقّق هذين الشرطين (مرجع سهل الوصول إليه منتج للآثار المعرفيّة المقصودة) افترض أنّ ذلك قصد الكلام. فوفقاً لنظرية الملاءمة، يمكن الاحتفاظ بالافتراضات السياقية بدرجات متفاوتة من القوة أو القناعة؛ وقوة الافتراض تزداد عندما يكون مستتبّاً من افتراضات إضافية يُحتمل أن تكون صحيحة. لنفترض أن ردّ أحدهم جاء كالتالي:

الملفوظ (د): "السوق المركزيّة للمدينة مفتوحة إلى غاية السّاعة الخامسة فقط".

هذه الإجابة تعدّ ذات قيمة لأنها تقدّم معلومات يمكن أن تشكّل دليلاً إضافياً (هـ) على أن افتراض (أ) قد يكون صحيحاً.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

(هـ): المتجر الأجنبي حيث السلع الشّحيرة متوفرة هو المتجر الموجود في السّوق

المركزية للمدينة، ولمن أراد اقتناء الزبدة قبل نفاذها فالوقت ضيق ومحدود لغاية

الساعة الخامسة.

• الآثار المعرفية المحققة من إلغاء افتراضات سابقة:

باعتبار الملفوظ (د)، وفي السياق ذاته وفي وقته ذاك، يفترض أن ينطلق عدد كبير، على

الأرجح، من الجمهور لاقتناء الزبدة قبل أن يغلق المتجر أبوابه باعتبار أن عقارب الساعة

قاربت الخامسة. إلا أن ردّ أحدهم جاء كالتالي:

الملفوظ (و): الشركة المحلية غطت الحاجة حسب الصحف.

هذه الإجابة تبين أن الجمهور لم يلق بالاً للملفوظ (أ)، ما يعني إقصاءه لافتراض أن يكون

(أ) صحيحاً. فافتراض شحّ الزبدة صار لاغياً بعد ترجيح المعلومات المبثوثة في الملفوظ

(و).

رأينا فيما تقدّم أثر عامل الآثار المعرفية في تحقيق خصيصة الملاءمة. وفيما يلي بيان

للعامل الثاني المحدّد لها وهو الجهد المعرفي.

2.5.2.1. الجهد المعرفي:

يرى منظراً الملاءمة أن درجة ملاءمة الخطاب لا تنحصر في الآثار المعرفية

المحصّلة لوحدها بل تتعدّاهما إلى عاملٍ ثانٍ هو الجهد المعرفي؛ فكلاهما يضطلع بدور

رئيس في تقييم ملاءمة الأقوال من عدمها. فكلّما قلّ الجهد المعرفي زادت درجة الملاءمة،

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وكلما تطلب قول ما جهداً كبيراً لفهمه واستيعابه كانت ملاءمة ذلك القول ضعيفة. فالملاءمة هاهنا تقوم على التوازن بين الآثار المعرفية التي تحققها الافتراضات السياقية وبين الجهد الذهني المبذول أثناء معالجة هذه الافتراضات:

- "يكون الافتراض ملائماً بالقدر الذي يكون فيه الجهد المبذول لتحقيق الآثار المعرفية قليلاً"¹.

والجهد المعرفي هو الطاقة الذهنية المبذولة لمعالجة مدخل ما، بمعنى أنه يمثل كل ما تقتضيه العمليات الذهنية الأساسية كالإدراك والتذكر والاستدلال من مجهودات وطاقات لمعالجة مدخل من المدخلات وهو مرتبط بعوامل عدة منها: كثرة الاستعمال فمن المعلوم أن الأنظمة المعرفية تتعامل ببسر وسهولة أكثر مع المعطيات التي سبق وأن تناولتها إذ يسهل استرجاعها من الذاكرة؛ وكذا طبيعة البنية اللسانية والبنية المنطقية للمدخل؛ يضاف إلى هذين العاملين حجم السياق الذي قد يستدعيه².

إن تزايد الجهد المبذول لا يرتبط فحسب بكمية المعلومات الزائدة التي تستدعي معالجة أكبر فتزداد تكلفة التحليل، وإنما يتزايد أيضاً بطول المسارات التأويلية اللازمة في التحليل والتي تستدعي جهداً تحليلياً إضافياً.

¹ Gutt, Translation and Relevance, op.cit., p. 31

² Gutt, Ibid., p 28.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وفي هذا الصدد، يشير سبربر وويلسن¹ إلى أنّ الافتراضات السياقية ليست مفهومة لدى الجمهور بشكل متساوٍ دائماً كما أنها غير متاحة كلّها في لحظة زمنية معينة؛ فقد يستغرق الافتراض زمنًا للتفكير واسترجاع المعلومة في تلك اللحظة المحددة. فعندما نقرأ مقالاً ما، مثلاً، ستكون المعلومات الواردة في آخرها مفهومة بسهولة؛ في حين يصعب علينا فهم المعلومات التي نقرأها بداية. ولعلّ تلك المعلومات تكون قد مرّت بنا من قبل فننتذكرها أيضاً، لكنّ ذلك يتطلب جهداً أكبر. فاختيار السياق التأويلي يقوم على العلاقة بين إمكانية الوصول إلى المعلومات السياقية وجهد المعالجة: إذ إنّ المستمع وفقاً للملاءمة يجنح إلى التعامل مع الافتراضات السياقية التي يسهل الوصول إليها من جهة والمنتجة لآثار معرفية تفي بالمراد.

بناءً على ما تقدّم، يتبين أن اختيار السياق الملائم المؤدّي إلى فهم مقاصد المتكلم خاضع لموازنة بين الآثار المعرفية والجهد المعرفي: فكلّما زادت الآثار المعرفية وقلّ جهد المعالجة زادت الملاءمة.

3.1. سيرورة التأويل في إطار الملاءمة:

رأينا فيما سبق خلال استعراضنا للمفاهيم الرئيسية التي يخضع لها الاستدلال في إطار نظرية الملاءمة أنّ قوام التأويل هو القدرة على الاستدلال على مقاصد المتكلم ونواياه

¹ Gutt, *A theoretical account of translation*, loc. cit.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

انطلاقاً من المؤشرات والأدلة اللغوية (المنبّهات) المبنوثة في الكلام. ولعلّ السؤال الذي يتبادر إلى ذهننا في هذا الشأن يخصّ الكيفية التي تتمّ بها عمليات الاستدلال والتأويل في إطار الملاءمة وصولاً لمقاصد المتكلم؟ وما هي حدودها؟

تفضي الإجابة عن هذا السؤال المحوري إلى وجوب التطرّق إلى نقطتين متداخلتين: أولاًهما مرتبطة بالمتكلم المرسل والثانية بالمستمع المتلقي. إذ إنّ فهم سيروية التأويل في إطار الملاءمة مرتبط أولاً بالكيفية التي يُبنى بها السياق الذي يحدث فيه التأويل؛ وبعبارة أخرى كيف يختار المتكلم المعلومات المناسبة المنتجة لسياق استدلاي مفضي إلى الفهم والتأويل؟ كما أنه مرتبط ثانياً بقرار المستمع بخصوص حدّ التأويل لديه؛ بمعنى: كيف يقرّر المتلقي -المؤول- أنه قد وصل إلى تأويلٍ وجيه تتوقّف عنده عملية التأويل باعتبار بلوغه المراد من القول؟

يوضّح سبربر وويلسون أنّ افتراض الملاءمة المثلى الذي ييسم أي فعل تواصل إشاري له أثر مهمّ في تأويل الكلام بفعاليّة؛ بمعنى أنّ تشكيل السياق المناسب للتأويل يحكمه توفير المعلومات الأسهل منالاً والتي تكفل في الوقت ذاته توفير فرص أكبر لتحقيق نتائج مهمّة، -أي توفير المعلومات السياقيّة المناسبة التي تولّد أكبر قدر ممكن من الآثار المعرفية بأقلّ جهد ممكن. إذ يريان أنّ المتكلم يقوم إلزاماً بتشكيل سياق التأويل الملائم لحثّ الفهم الصحيح؛ فالقدرة على الاستدلال على مقاصد المتكلم مرتبهة بما يبيّنه من مؤشرات وأدلة لغوية في كلامه. وهذا ما يتطلّب اللجوء إلى الاختيار أو بعبارة أخرى الانتقاء والإقصاء،

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

أي أن ينتقي في خضم المعطيات التي ترد عليه أثناء التواصل من المحيط الخارجي (كل ما يدركه من مقام التواصل حسياً) أو الداخلي (أي من الذاكرة بأنواعها القصيرة والمتوسطة والبعيدة) ومن مداخل الكلمات (الموسوعية والمنطقية والمعجمية)، أن ينتقي المقدمات المنطقية المناسبة للتأويل الوجيه ويقصي ما يعيقه. والمتكلم بناء على ذلك لا ينتج من الأقوال إلا ما كان منها مستجيباً لافتراض الملاءمة. إذ يُفترض أن يعتمد منبهاً إشارياً يتيح للمتلقي استنتاج الفرضية التي يقصدها ويجنبه عبء اختبار جل الفرضيات المحتملة للوصول إلى المعنى الذي يرومه¹.

وإزاء متكلم يتوقع أن يحقق متلقيه آثاراً معرفية كافية ومناسبة دون أن يخضعه لجهد غير مبرر للوصول إليها، يحق للمستمع افتراض أن ما ينوي المتكلم نقله ليس مجرد معلومات، وأن الملفوظات توحى ضمناً بأكثر مما تُعبر عنه؛ فالذهن قادر على الاستفادة من المعلومات الضمنية لتشكيل افتراضات تتضاف إلى مجموعة الافتراضات القائمة مسبقاً فيعالجها حتى يصل إلى التأويل المناسب. وسيكون أول تأويل يتبادر إليه هو التأويل المقصود من الكلام. وهذا النحو في التأويل يتمشى، وفقاً لسبيربر وويلسون، مع مبدأ الملاءمة المثلى كذلك، فلا يوجد البتة أكثر من تأويل واحد يحقق هذا الشرط². والتأويل المناسب الذي يستدل عليه المستمع من الكلام هو بالضرورة التأويل الذي يتمشى مع مبدأ الملاءمة.

¹ أن روبول، جاك موشلر، مرجع سابق، ص 87.

² Gutt, op. cit.; p.32-33.

ولكن قد يحدث ألا ينشأ أي تأويل يحقق هذا الشرط. فيعدّ التواصل في هذه الحالة فاشلاً ويضطر المستمع على الأرجح إلى طلب توضيح أكثر عمّ يقصده المتكلم.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

كما سيفترض المستمع أيضاً أثناء سعيه لتحقيق آثار معرفية كافية، سيفترض أنه غير مطالب بدفع كلفة غير ضرورية، أي بذل جهد معالجة غير مطلوب. وهذا ما يعتبره سبربر وويلسن جزءاً من الإجابة على السؤال المثار آنفاً عن كيفية انتقاء المتلقي للافتراض المناسب ضمن مجموعة الافتراضات السياقية التي يعرفها أو يمكن أن يلاحظها أو يستدل عليها. إذ يريان أن ذهنه - أي المتلقي - الرامي إلى تحقيق الملاءمة المثلى، يتجه أولاً نحو المعلومات المتاحة بسهولة فيعمد إلى توضيحها وإزالة اللبس عنها، وإسناد المراجع لها بحثاً عن آثار معرفية كافية¹؛ فإذا أنتجت هذه المعلومات آثاراً "كافية لذلك المقام"² على النحو الذي توقعه المتكلم، فسيفترض المستمع أنه استخدم المعلومات السياقية المقصودة. ومعنى ذلك أن بعض المعلومات التي تتبادر إلى ذهن المتلقي قد تخفق في الإحالة إلى المرجع المقصود ما يصعب عملية الفهم؛ وعليه يضطر المتكلم إلى توضيح قوله بزيادة عبارات وكلمات توجه المستمع في بحثه.

¹ غالباً ما يكون التمثل الدلالي مجرد مخطط لافتراض غير مكتمل، ما يتطلب إثراءه وتوسعته عن طريق الاستدلال باستخدام المعلومات السياقية حتى يصير تمثلاً ذهنياً ذا صيغة قضوية تامة. وتشمل عملية التوسعة الاستدلالية للكلام جوانب مثل إزالة الغموض، وتحديد المرجع، وتأويل التعبيرات المبهمة لغوياً ككلمة "قريباً" أو "بعض" وما شابه. ولا بد من إخضاع هذه العملية بدورها لمعيار الاتساق مع مبدأ الملاءمة. أنظر الصفحة 17. وللاستفاضة:

Gutt, Translation and Relevance, op.cit. p. 25-26.

². يعتبر الباحثان عبارة "كافية لذلك المقام" مهمة باعتبار ألا وجود لمستوى تام من الملاءمة يكون كافياً لكل مقام؛ فعند الخوض في محادثة ودية مع شخص غريب في محطة الحافلات مثلاً، لا يترقب المرء عادةً مستوى عالٍ من الملاءمة، وبالتالي لن يبحث عن كم كبير من الآثار المعرفية. بينما سترقب عدداً أكبر بكثير من الآثار حين يفرض المقام الاستماع إلى مداخله يقدمها عالم بارز في مجال تخصصه؛ بل قد يستعد المتلقي لاستثمار المزيد من جهد المعالجة لاسترجاعها، وقد يلجأ للاطلاع على مؤلفات هذا العالم لفهم أفضل لما قاله. يراجع:

Gutt, ibid., p33-34.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

ولئن كان الأمر كذلك، فإنّ هذا الافتراض يغدو صحيحاً في حال ما وفّرت المعلومة الإضافية جهد المعالجة مقارنة بالجهد المطلوب لمعالجة المعلومة الأولى؛ وإلاّ فلا داعي لإضافتها ولكانت المعلومة الأولى هي الأكثر ملاءمة. وهذا ما يفسّر كون بعض المعلومات الإضافية غير ضرورية وتحوّل دون تحقيق تواصل فعّال. إذ إنّها تستلزم جهداً إضافياً في المعالجة دون تحقيق آثار مناسبة؛ فتزيد من العبء الذهني للمتلقّي دون أن تعزز الفهم لديه أو تضيف قيمة جديدة.

ثمّ إنّ المعلومات الإضافية المقدّمة يجدر أن تكون معروفة فعلاً لدى المتلقّي؛ ذلك حتّى يكون الجهد المطلوب لمعالجتها أقل من الجهد اللازم للبحث عنها في الذاكرة. وبعبارة أخرى، فإنّ تقديم المعلومة الإضافية يصبح خياراً صائباً من لدن المتكلّم إذا كان تحقيق الأثر عبرها أسرع وأسهل من محاولة تحقيقه عبر استحضارها من الذاكرة دون إضافات مُساعدة. وهنا يظهر جلياً اعتماد التواصل الناجح على تحقيق توازن بين الجهد المبذول والأثر المعرفي، بما يضمن تقديم المعلومات على نحو يعزّز الفهم لدى المتلقّي دون تحميله عبئاً ذهنياً غير ضروري¹.

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ تناول مبدأ الملاءمة لسيرورة التأويل لا يتأتّى من وجهة نظر المتلقّي/المستمع كما قد يتبادر إلينا في الوهلة الأولى. فالمبدأ بالأهمية ذاتها، بل أكثر، إن نظرنا إليه من جانب المرسل/المتكلّم باعتبار أنّه هو الذي يروم تبليغ قصده الإخباري؛ فمن

¹ Gutt, op. cit., p.p.33-35

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

مسؤوليته إذاً أن يعبر عن نفسه على النحو الذي يجعل أول تأويل يطرأ على ذهن المتلقي والذي يعدّه الأكثر ملاءمة هو بالفعل التأويل المقصود. لهذا يذهب سبربر وويلسون إلى اعتبار التواصل سيرورةً غير متناظرة، حيث تقع المسؤولية الأكبر على كاهل المرسل الذي يعود إليه إجراء الافتراضات الصحيحة حول المعلومات السياقية المتاحة لدى المتلقي والتي يحتمل أن يستخدمها في عملية الفهم. كما يقع على عاتقه كذلك مسؤولية تفادي سوء الفهم، بحيث يكون كل ما على المستمع فعله هو المضي قدماً في استغلال أي منبه أو إشارة أو معلومة سياقية يسهل عليه الوصول إليها¹. وتحقيق هذا الشرط والالتزام به من الأهمية بمكان، ذلك أنّ المتلقي لا يملك وسيلة أخرى يحدّد بها ويحصر ما يروم المرسل تبليغه له. أمّا فيما يتعلّق بحدود عملية التأويل، فإنّ سبربر وويلسن يعتقدان أنّ سيرورة الاستدلال تتوقف بصفة ذاتية بمجرد بلوغ نتائج تُوازن الجهود المبذولة في التأويل. ومفاد ذلك أنّ المؤلّ يضبط حدّ التفسير والتحليل بطريقة تتناسب مع الغرض التواصلية فيتجنب الإفراط في التحليل والبساطة المفرطة في آن، بل يسعى إلى إيجاد توازن مناسب للجهد المعرفي المستثمر على النحو الذي يسهم في فهم المعنى بشكل دقيق وشامل. فقد يتولّد لدى المؤلّ عند شروعه في الإجراء الاستدلالي كمّاً من التأويلات المحتملة يتبادر بعضها إلى ذهنه بدايةً ويُعمل في بعضها نظره وإمعانه؛ إلّا أنّه يتوقّف عن التأويل بمجرد ما يعتقد أنّه أدرك المراد من القول؛ فالمستمع ملزم بالتوقّف عند أوّل تأويل يلبي تطلّعات الملاءمة التي تفترض

¹ Sperber, Wilson, in: Gutt, op. cit.; p.34.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

أنّ المتكلم ملزم بصوغ كلامه - في حدود اختياراته وقدراته - على النحو الذي يكون فيه سهل الفهم فلا يضمنه أكثر من مقصد واحد حتى يكون التأويل المراد هو التأويل الأول الذي ينسجم مع مبدأ الملاءمة عند متلقي الكلام. فإن توارد تأويلان بالقوة ذاتها لديه فإنه سيضطرّ إلى بذل جهد إضافي للاختيار بينهما قد لا يعود عليه بآثار إيجابية. لذلك يكون الافتراض الأكثر مقبولة لدى المتلقي هو الذي يصل إليه باعتماد أقل جهد في التأويل بما يتناسب مع توقّعات الملاءمة.

ويشير سبربر وويلسن هاهنا إلى أنّ التأويل يبقى احتمالياً وقد يكون خاطئاً في بعض الأحيان، ذلك أنّ الاستدلال التأويلي كما رأينا آنفاً استنباطي غير برهاني؛ كما أنّ ما يتوقّعه المتلقي يبقى عرضة للتعديل أثناء سعيه للفهم وإدراك المقصد. فقد يرى المؤلّ أنّ الجهد المستثمر لبلوغ التأويل الملائم سيكون كبيراً ويفترض بذلك غياب الملاءمة فيوقف سيرورة التأويل وينهي عملية الفهم.

نستخلص ممّا سبق أن تأويل الأقوال ضمن الإطار النظري للملاءمة يرتكز على جملة من العمليّات الذهنية التي يؤديها أطراف التواصل لفهم المقصود ممّا يتلقونه من منبّهات - لغوية أو غيرها - وذلك بالاستناد إلى مبدأ الملاءمة حيث يقوم المتلقي بفحص وتحليل ما يتبادر إلى ذهنه من افتراضات التأويل بناء على معرفته السابقة بموضوع الكلام ومن ثمّ تشكيل الاستلزامات السياقية المناسبة وفقاً لمبدأ الجهد الأدنى. وحينما يتوصل إلى التأويل

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

الذي يلبي مبدأ الملاءمة يتوقف عن الفحص والتمحيص ويكتفي بما توصل إليه من معانٍ ودلالات.

1.3.1. مفهوم التشابه التأويلي:

من المفاهيم الأساسية التي أتت بها نظرية الملاءمة مفهوم: التشابه التأويلي الذي يفيد بأن الأقوال تتم عن تأويل لأفكار المتكلم، فتتولد علاقة تشابه لا مطابقة بين صيغة القول ومقصد المتكلم: "العلاقة بين ما نقول وما نودّ تبليغه من أفكار هي علاقة تشابه تأويلي"¹ بمعنى أننا لا نقول بالضرورة ما نفكر فيه بل غالباً ما تشبه أقوالنا حين تأويلها ما نقصد إيصاله لغيرنا.

وقبل التوسّع في هذه النقطة حريّ أن نستعيد بعض المفاهيم المتعلّقة بالبعدين الوصفي والتأويلي لاستعمالات اللّغة. وفيما يلي بيان ذلك:

1.1.3.1. الاستعمال الوصفي والاستعمال التأويلي للّغة:

ترى آن ريبول² أنّ القول 'يمكن أن يستعمل إمّا للوصف فنقول إن الشكل القضوي للقول يمثل وصفاً لتفكير المتكلم، وإمّا للتأويل فنقول إن الشكل القضوي للقول يمثل تأويلاً لتفكير المتكلم'.

¹ Sperber, Wilson in: Gutt, op. cit.; p.36.

² ريبول، وموشلر، مرجع سابق، ص. 97.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وإذ تشير ريبول هاهنا إلى الطريقة التي يُعبّر بها المتحدّثون عن الأفكار التي يرومون تبليغها، فإنّها تميّز بين استخدامين مختلفين للأقوال أحدهما وصفيّ، والآخر تأويليّ. وبالمثل، يرى سميث أنّ الأقوال إن استعملت استعمالاً وصفيّاً فهي تعود للمتكلّم الذي يقصد مطابقتها للواقع وهو صاحبها؛ أما إن استعملت تأويلياً فهي تعود إلى شخص آخر غير المتكلّم الذي يقصد تمثيل فكرة صاحبها بدقّة:

“In descriptive use, (a) the thought belongs to the speaker and (b) the speaker intends it to accurately represent reality. In interpretive use, (a) the thought belongs (originally) to someone other than the speaker and (b) the speaker intends his/her utterance to accurately represent the original thought¹” .

وهذا التمييز بين نوعيّ الأقوال اللّغوية من حيث استعمالهما بين المتكلمين قد تبنّته نظرية الملاءمة وترى أنّه عنصرٌ محوريٌّ في فهم كيفية تواصل المتكلمين وتبادل الأفكار فيما بينهم. وقد اقترح سبربر وويلسون، في هذا الصدد، مقارنة مبنية على أساس التمييز بين التأويل Interpretation والوصف description باعتبارهما إلزاميّين لوصف التواصل الإشاري الاستدلالي المبني على الملاءمة². فهما يريان وجود طريقتين متميزتين في

¹. Kevin Gary Smith, **Bible Translation and Relevance Theory: The Translation of Titus**, A Dissertation submitted for the degree of Doctor Litterarum at the University of Stellenbosch, South Africa, 2000, p. 39.

² سبربر، وويلسن، مرجع سابق، ص. 386

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

استخدام الأقوال والتمثّلات عموماً¹: استخدام وصفيّ، أي كوصف مطابق لحالة واقعيّة تصدّق عليها، أو تأويليّ أي بالاستناد إلى تشابهها مع تمثّلات أخرى.

أولاً. الاستعمال الوصفي *Descriptive use* :

يكون القول وصفيّاً إذا كان "يمثّل حالاً أو وضعاً ما صيغته القضية تصدق على ذلك الحال أو الوضع"². إنّه الاستخدام الذي يعبر فيه المتكلم عن أفكاره الخاصة مقدّماً معلومات صادقة عن العالم الخارجي؛ أي أنّ الفكرة تعود لقاتلها وهو صاحبها وتعدّ تعبيراً عن الواقع، والمعلومات التي ينقلها تكون صحيحة ومطابقة للحقائق. ولئن كانت المعلومات صحيحة، فإن المتكلم يكون صادقاً أيضاً. لذا، يكون معيار تقييم هذا النوع من الاستعمال هو شروط صدقه *truth-conditional*، أي الدقّة في تقديم المعلومات.

وبناء عليه، يتبيّن لنا أنّ الاستعمال الوصفي للغة هو طريقة في التعبير عن الأفكار على نحو يعكس حالة معيّنة أو واقع ما، ويكون المتكلم هو صاحب الفكرة. وتقدّم الأقوال في هذا النوع من الاستعمال كحقائق يعتقد المتكلم أنها صحيحة ومطابقة للواقع، فلا تكون مرتبطة بنقل أفكار أو آراء شخص آخر.

فعندما يقول أحدهم إنّ "رواية ورش هي الشائعة في الجزائر" مثلاً، فإنّه يعبر عن معلومة يراها صحيحة دون الإشارة إلى رأي شخص آخر؛ ويُعتبر نجاحه في تقديم هذه المعلومة مرتبطاً بمدى مطابقتها للواقع الجزائري.

¹ سبرير، ولسن، المرجع السابق، ص. 390 - 391

² . مولود هيد الله مزايط، مرجع سابق، ص 220.

ثانياً. الاستعمال التأويلي *Interpretive use*:

يكون القول تأويلياً إذا كان "يمثل تمثيلاً آخر يملك هو الآخر صيغة قضوية تشبه الصيغة القضائية للتمثيل الأول"¹.

يمثل القول التأويلي - وفقاً لنظرية الملاءمة- الاستخدام الذي يتحدث فيه المتكلم عن أفكار تعود لشخص آخر غيره، فينقلها عنه بدقة وأمانة. وفي الحالة هذه، يستند معيار تقييم هذا الاستخدام إلى درجة التشابه التأويلي بين قول المتكلم الأصلي وبين القول المنقول، مما يجعل من مسألة الدقة في النقل والحفاظ على جوهر الفكرة أمراً أساسياً.

نستشف من هذا التعريف أنّ الاستعمال التأويلي للأقوال هو طريقة في التعبير عن الأفكار على نحو يماثل أفكاراً أخرى منقولة عن الغير. فالمتكلم هاهنا ليس صاحب الفكرة بل ناقل لها. وهذا ما يمكن وصفه بوضع التواصل الثانوي *Secondary communication* ويراعى أثناء تقديم الأقوال في هذا النوع من الاستعمال مقدار التماثل التأويلي مع القول الأصلي. فالفكرة في هذا السياق لا تقدّم كحقيقة بل كتأويل لما قيل في الأصل؛ ومعياره التقييمي - أي التأويل - يكمن في مدى تطابقه مع فكرة المتكلم الأصلية. ولعلّ هذا يتطلب مهارة في استيعاب المعاني والتعبيرات الأصلية. وعليه، تتجلى هاهنا أهمية فهم المعنى الدقيق من الكلام وإدراك القصد منه.

¹ . مولود هيد الله مزايط ، المرجع السابق، ص 220.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

فإذا قيل: "يرى الطلبة أنّ بعض أحكام قراءة ورش أشقّ عليهم من غيرها من القراءات" مثلاً، فإنّ القائل هنا يشير إلى رأي الطلبة ويقدمه كفهم أو تأويل لفكرة مستمدة من تصريحات القائلين دون الالتزام بصحتها كقول وصفيّ، بل يكون اهتمامه الرئيس مركّزاً على مدى دقّة هذا النقل، وما دلّنا عليه هو استعمال عبارة "يرى..". بيد أنّ التمييز بين ما إذا كانت التمثيلات المقدّمة ذات بعد وصفي أو تأويلي لا يحتاج بالضرورة إلى تحديد من الناحية اللغوية. وهذه المهمة تعود إلى المتلقّي إذ ليس من الضروري تحديد ذلك لغويّاً. ولئن وازنا بين الاستعمال الوصفي والتأويلي للغة، نجد أنّ التّمايز بينهما يقوم أساساً على مسألتَي المصادقية والتركيز.

- **المصادقية:** يراعي المتكلّم بطريقة وصفية تحرّي الصدق والأمانة في مطابقة أفكاره للواقع. ويقدم بناءً عليه معلومات يُعتقد أنّها صحيحة. أمّا المتكلّم بطريقة تأويلية فيراعي تشابه الأفكار والنقل الدقيق لما قاله الآخرون؛ ممّا يفتح المجال للتأويل.
- **التركيز:** يهدف المتكلّم من الطريقة الوصفية تحقيق صدق وأمانة الأفكار المقدّمة فهو يركّز على الحالة الواقعيّة. بينما المتكلّم بطريقة تأويليّة فعرضه مطابقة كلامه أكثر ما يمكن كلام قائله الأصلي؛ فالتركيز يكون على علاقة التشابه/التماثل بين الأقوال في الإيضاح والإضمار.

ففي حين يسعى الاستعمال الوصفي إلى تحقيق الصدق في التعبير عن الواقع، يروم الاستعمال التأويلي تحقيق التشابه مع القول الأصلي. وهنا يكمن الفرق الجوهرى

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

بين نوعي الاستعمال. وهكذا، فإنّ التمييز بين الاستعمالين يعدّ مهماً. إذ تعتمد العديد من الاستخدامات اللغوية على الاستعمال التأويلي على غرار الاقتباسات المباشرة وغير المباشرة¹، والاستعارة، وأسلوب التهكم، والترجمة كما سنرى لاحقاً بما أنّها تعدّ بدورها نصوصاً مقدّمة بناءً على تشابهها مع الأصل، فمن الطبيعي أن تدرج في إطار نظرية الملاءمة ضمن فئة الاستعمال التأويلي للغة.

2.2.3.1. التشابه التأويلي ضمن الإطار النظري للملاءمة

تفترض نظرية الملاءمة أن الأفكار تتشكل داخل الذهن على هيئة صيغ قضوية تضم عناصر منطقية تدخل فيما بينها في علاقات متنوعة، قد تقوم على التناقض، أو الاستدعاء، أو إنتاج علاقات منطقية جديدة. وهذه الصيغ يمكن أن تتقاطع بين أكثر من صيغة واحدة من حيث العناصر المنطقية. وعندما تتقاسم صيغتان قضويتان بعض هذه العناصر، ينشأ بينهما ما يُعرف بالتشابه التأويلي، وهو درجة المطابقة في التأويل بين تمثّلين ذهنيين بالنظر إلى العناصر المنطقية المشتركة بينهما. فالصيغة القضوية قد تستعمل للتعبير عن صيغة قضوية أخرى وتكون العلاقة بينهما علاقة تشابه تأويلي:

¹ يميّز النحاة العرب بين الحكاية بالقول والحكاية بالمعنى كمصطلحين يقابلان بالإنجليزية: direct/indirect speech تمييزاً للكلام المقنّب مباشرة عن غيره من الكلام غير المباشر.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

الطرح (أ) يشبه الطرح (ب) من الناحية التأويلية في إطار السياق (ج) طالما يتشارك الطرحان الاستلزامات التحليلية والسياقية¹ في إطار السياق (ج)².

وإن افترضنا مبدئياً أنّ القضية المعبر عنها بقول ما هي تأويل لفكرة المتكلم، فإنّ العلاقة بين الصيغة القضائية للقول وبين ما في ذهن المتكلم من أفكار يروم تبليغها هي علاقة تشابه لاشتراكهما في عدّة خصائص دلالية ومنطقية. فعملية التأويل كما تبين سابقاً استجلاءً للأفكار المضمّنة في قول ما، وهي ما تطلق عليه الملاءمة تسمية الافتراضات. وبذلك يكون التشابه التأويلي بين طرحين تشابهاً من ناحية الافتراضات التي يعمل الطرحان على نقلها. يقول غوت في هذا الصدد:

“The main purpose of utterances is to convey the set of assumptions which the communicator intends to convey, it seems reasonable to define interpretive resemblance between utterances in terms of assumptions shared between the intended interpretations of these utterances”³.

ومعنى ذلك أنّ الغاية من الأقوال هي تمرير الافتراضات التي يتقصد المرسل إيصالها لمتلقيه؛ ومن ثمّ يكون تحديد التشابه التأويلي باعتبار درجة الاشتراك في الافتراضات المتضمّنة في التأويلات المقصودة.

¹ الاستلزامات التحليلية: هي استلزامات ناتجة عن استنباط طبقت فيه قواعد تحليلية فحسب، إذ تأخذ القاعدة التحليلية افتراضاً واحداً فقط كمدخل للتحليل، وعليه تمثّل الاستلزامات التحليلية كل الاستلزامات المتأتية من الصيغة القضائية لوحدها. على عكس الاستلزامات السياقية التي تعدّ تركيبية خاضعة لقواعد التركيب وتأخذ كمدخل للتحليل افتراضين اثنين مستقلين، ويستدل عليها من تفاعل الصيغ القضائية والسياق معاً. يراجع: Gutt, op. cit.; p.37.

² Gutt, loc. cit.; p.37.

³ Gutt, op. cit.; p 46

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وهذا يدلنا على أنه من الخطأ الاعتقاد بأن الكلام المروي عن الغير هو الوحيد الذي يشكل حالة تشابه تأويلي. فأفكارنا وأقوالنا تعدّ من منظور الملاءمة استعمالاً تأويلياً، والعلاقة بين ما نقول والأفكار التي نريد تبليغها هي علاقة تشابه تأويلي بالضرورة. وتفسير ذلك أنّ أقوالنا لا تُظهر دائماً ما نفكر به بدقّة، بل غالباً ما تعكس تأويلاً لما نريد التعبير عنه¹. إذ يرى سبربر وويلسن أنّ أغلبية الخطابات تشابهية لا حرفية سعياً للاقتصاد في المجهود وتحقيق المقصد التواصلية بأيسر السبل وأقصرها. فالهدف إذاً ليس إيراد المحتوى كما هو بل يتمثل في التعبير عن المحتوى القضوي والمعاني التي يودّ المتكلّم إبلاغها. وباعتبار ما سبق، ثمة مسألة مهمّة بخصوص مفهوم التشابه التأويلي، وهي أنّه مفهوم نسبي غير مطلق تطبّعه المرونة فيما يتعلّق بنوع التشابه مع الأصل إنّ من جانب الإضمار أو التصريح؛ وهذا ما يحدّد درجة التشابه. ذلك أنّ التأويل المقصود يتشكّل من تصريحات القول وتضميناته².

أولاً: التصريحات Explicatures: تتمثل من منظور الملاءمة في الاستلزامات التحليلية التي يقصد المرسل إيصالها للمتلقّي أي المعلومات المستنتجة من العلامات اللسانية وهي بتعبير سبربر وويلسن مجموعة الافتراضات التي تمّ فكّ تشفيرها³؛ سواء أكان هذا التشفير

¹ انظر: سبربر، وويلسن، مرجع سابق، ص. 394.

² Gutt, op. cit.; p.40 .

تجدر الإشارة هنا أنّ اللغة التضمينية وفقاً للتداوليات المعرفية تفتح باب التواصل التوفيري المقصود فيه، فيما تعتبرها التداوليات الكلاسيكية اختراقاً لبعض المعايير اللغوية. يراجع: Gutt, ibid.; p.35

³ دان سبربر، ديدري وويلسن، المرجع نفسه، ص. 312

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

صريحاً أم ضمنياً، يستنتجها المتلقي انطلاقاً من الخصائص اللسانية للقول أي المعجمية والنحوية.

"يكون الافتراض الذي يعبر عن الملفوظ (أ) تصريحياً إذا وفقط إذا كان توسيعاً لصيغة منطقية مشفرة بالملفوظ (أ).

مثال:

- (أ): "هلاً جلمست لتناول العشاء معنا؟"

- (ب): شكرأ لقد أكلت.

← الافتراض هنا أنّ (ب) تناول العشاء لتوّه هذا المساء.

هذا الافتراض يمثّل نوعاً من الاستنتاجات التي استنبطها المتلقي بالاعتماد على المحتوى اللساني للملفوظ وعلى السياق المتبادل أثناء الكلام.

ثانياً: التضمينات Implicatures: أمّا التضمينات فتتمثّل في الاستلزامات السياقية

المستدلّ عليها من خلال السياق؛ فهي افتراضات لا تُفصحها بنية القول نفسه وإنما

يعوّل المتكلم على متلقيه للاستدلال عليها وفقاً للسياق. فهي افتراضات تمثّل ما يريد

المتحدث أن يُستنتج من ملفوظه في ضوء السياق ولا يشكل جزءاً منه. وهي بعبارة

أخرى كلّ الافتراضات التي يبلّغها الملفوظ من غير التصريحات. ففي المثال السابق

يتمثّل التضمين في أنّ (ب) يرفض الدعوة، إذ يستشف (أ) من قول (ب):

- (ب) تناول عشاءه للتوّ.

- من أكل للتوّ لن يعيد عشاءه.

← إذا (ب) يرفض الدعوة للعشاء.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

والفرق بين النوعين يكمن في أن التصريحات تُستنتج من المحتوى اللساني نفسه، أما التضمينات فلا يمكن الاستدلال عليها إلا من خلال السياق الخارجي. وأمّا التأويل المقصود من القول فينبني من دمج كليهما معاً¹.

ويذهب سبربر وويلسن إلى أنّ الأقوال تتشابه تشابهاً كلياً حين تتشارك التصريحات والتضمينات ذاتها المتوصل إليها من خلال السياق². ومعنى قولهما أنّ التشابه التأويلي مفهوم متدرّج *graded notion* ينتقل من التشابه الجزئي إلى التشابه الكلي: أي أنّ الأقوال لا تقوم على ثنائية مشابه/غير مشابه بل لها درجات متفاوتة من التشابه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكمّ التضمينات والتصريحات المشتركة بينها في سياق محدّد.

فتقرير حرفي يستغرق كتاباً كاملاً عن جلسة علمية، مثلاً، أو ملخص مختصر عنها في خبر صحفي كلاهما يشتركان مع الأصل ويشابهانه من ناحية التأويل، إلا أنّ درجة التشابه متفاوتة بينهما. وهذا ما يطلق عليه سبربر وويلسون تسمية التعابير الفضفاضة *loosness*³: هبّ مثلاً⁴ أن يستوقف أحدهم صديقين كانا يسيران في الشارع، فيتوقف أحدهما ليكلّمه مدة وجيزة بينما يستمر الآخر في السير رويداً. ثم يلحق الشخص الأول صديقه بعد محادثة قصيرة مع الغريب، فيسأله عن فحوى الحديث. إن كانت المحادثة قصيرة نوعاً ما، قد يقدّم

¹ Kevin Gary Smith, op. cit., p. 48.

² Sperber, Wilson, op. cit., p. 188.

³ سبربر، وويلسن، المرجع السابق، ص. 399.

⁴ المثال الذي أورده غوت في هذا الصدد. يراجع: Gutt, A theoretical account of Translation, loc. Cit.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

لصديقه بياناً حرفياً بما قيل. هنا سيكون البيان مثلاً على استعمال تأويلي بدرجة كبيرة من التشابه باعتبار أنه سيشارك الأصل تقريباً في جميع نواحي الإيضاح والإضمار.

لكن إن اكتفى بإجابة موجزة كقوله "يريد بعض المال"، فإن هذه العبارة ستشابه الأصل من الناحية التأويلية طالما أنها تشترك معه في إيضاح أو تلميح واحد على الأقل؛ حتى وإن كان الغريب لم يطلب المال صراحةً (كأن يقول مثلاً: "أريد منك مالاً") فقد يصف ضائقته المالية على نحو يوحى ضمناً أنه يحتاج إلى مساعدة مالية. وفي هذه الحالة، تبقى العبارة المختصرة "يريد بعض المال" مشابهة للأصل من حيث اشتراكها معه في إحدى إضماراته.

وعليه، يُفترض من منظور الملاءمة أن يكون هدف المتكلم هو تحقيق الملاءمة المثلى بدلاً من الالتزام بالدقة الحرفية. فليس ضرورياً أن يكون التعبير الأكثر حرفية دائماً هو التعبير التأويلي الأمثل عن فكرة أو تمثيل ما. فهذا الأخير ينبغي أن يزود المتلقي بمعلومات عن الفكرة الأصلية تكون فيها من الملاءمة ما يجعلها جديرة بالمعالجة بأقل جهد ممكن.

4.1. خلاصة الفصل:

يتبين من خلال هذا الفصل أن نظرية الملاءمة تمثل أحد أبرز النماذج التداولية المعرفية التي أعادت صياغة مقاربة الفعل التواصل، من خلال تركيزها على خاصية الملاءمة باعتبارها سمة جوهرية موجّهة لسيروية التواصل الإنساني. فقد أظهرت أن المعرفة والتواصل موجّهان، بفعل ضغوط الاختيار المستمرة في سياق التطور البشري، نحو تحقيق أكبر قدر من الملاءمة.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وتكمن أهمية هذه النظرية في طرحها لفكرة الطبيعة الاستدلالية الإشارية للتواصل، إذ يتوسل الإنسان في تفاعله مع محيطه بمهارات ذهنية تمكنه من الاستدلال على نوايا المتكلم ومقاصده استناداً إلى المؤشرات اللغوية والمعطيات المتاحة في سياق محدد. وقد بينت أن معيار الملاءمة يُحدّد بموجب مبدئين متلازمين هما المبدأ المعرفي والمبدأ التواصلية، ويقوم وفق محددين مترافقين هما كم الآثار المعرفية الناتجة عن الخطاب، وجهد المعالجة الذهنية المطلوب لفهمه.

وتُعَدّ الملاءمة في هذا السياق سمة أساسية تُعنى بتحديد طبيعة المعلومات التي ينبغي أن تسترعي انتباه المخاطب في لحظة بعينها، تبعاً لأولويات السياق ومتطلبات التفاعل. كما أنّها تمثل آلية موجّهة للمتلقى لاختيار السياق الأنسب للتأويل بأقل جهد ممكن، اعتماداً على قدرته الاستدلالية في استحضار مقاصد المتكلم من خلال المؤشرات الموثقة ضمن الخطاب. وقد أولت النظرية أهمية بالغة للسياق الذي لا يُعَدّ معطًى ثابتاً يُستدعى مسبقاً، بل يتشكّل تدريجياً أثناء عملية التواصل وفقاً لمقتضيات التخاطب ومتطلبات الملاءمة.

ومن أهمّ المفاهيم التي بلورتها هذه النظرية مفهوم التشابه التأويلي الذي يُعيد النظر في طبيعة العلاقة بين الأقوال والمعاني؛ حيث تعتبر الأقوال تمثيلات تشابهية تعكس تأويلاً لمقاصد المتكلم، لا صوراً حرفية مطابقة لأفكاره. وهو ما يتيح مقارنة جديدة للمعنى تقوم على التأويل بدلاً من الوصف المباشر.

الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة الأسس والمفاهيم

وقد تبين أن نظرية الملاءمة لا تقتصر على تفسير الظواهر التواصلية فحسب، بل تتطوي على إمكانات تطبيقية في حقل الترجمة إذ وفّرت مفاهيم ومبادئ معرفية تداولية يمكن توظيفها كمضامين أساسية لشرح وظيفة الترجمة. ومن هنا، يتجه بحثنا فيما يلي إلى استكشاف تجليات هذه المبادئ، وفي مقدّمتها السياق ومبدأ الملاءمة والتشابه التأويلي واستثمارها في مقارنة ترجمة معاني آي القرآن الكريم بما يحقق أكبر قدر من الوفاء لدلالاته وقيمه المعرفية والتعبّدية.



الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية
الملاءمة

0.2. تمهيد الفصل:

في خضمّ الجوّ الفكريّ المتأثّر بتوظيف النظريّات اللّسانية والمقاربات الوظيفيّة¹ في مجال التّرجمة، ظهرت محاولة المنظّر الألماني إرنست أوغست غوت Ernest-August Gutt لتطبيق نموذج خاص في حقل الدّراسات اللّسانية التّواصلية لتحليل الترجمة وتفسيرها، معتمداً على ما توصّلت إليه نظرية الملاءمة في التداوليات المعرفيّة ومستقيداً من مبادئها التّواصلية ومضامينها المعرفيّة؛ فكيفها على النحو الذي تستجيب فيه لمتطلبات التّرجمة. وبذلك أضحت دراسات الترجمة موسومة بالمعرفيّة² *Cognitive translation studies* وأطلق عليها اسم علم الترجمة المعرفيّة *Cognitive translatology* لتشمل جميع الأبحاث الرّامية إلى استكشاف دور المعرفة والعمليات الذهنيّة - كالإدراك، والحدس، والتفكير - في عمليّة التّرجمة.

ويركّز علم الترجمة المعرفيّة الاهتمام على مهمّة الترجمة نفسها، بما في ذلك خصائصها الفريدة مقارنةً بالمعالجة أحادية اللغة وكذا الكفاءات المرتبطة بها والمحقّقة لأقصى قدر من الملاءمة³. أمّا الأساليب البحثيّة التي يعتمدها فهي تجريبية إجرائية مع الاستفادة من

¹ . كانت الترجمة فرعاً من فروع اللسانيات التطبيقية ثمّ تبنت المقاربة الوظيفية فيما عرف في 70 و 80 القرن الماضي بالمنعطف الثقافي حيث صارت الثقافة بؤرة الاهتمام وسؤال المعنى محور البحث. إذ اتخذت نظرية الترجمة نهجاً جديداً متخليّة فيه عن مقارنة التكافؤ اللغوي القائم على المقاربة اللسانية البنوية الشكلية لتركّز على قدرة النص المترجم على أداء الوظيفة التي يضطلع بها الأصل في سياق ثقافي واجتماعي بعينه. وبذا انفتحت النظرية على ميادين معرفيّة متعدّدة بعد أن أدمجت الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياقية والتداوليّة.

² John Laver, op. cit., p. 18.s

³ يبدو أنّ فكرة إنتاج أكبر كمّ ممكن من الآثار السياقية من القارئ مقابل أقل جهد ذهني في المعالجة كان قد طرحها المنظّر التشيكي في الترجمة والأدب جيّري ليفي (1926-1967) Jiří Levý في عام 1969 حين اقترح استراتيجية=

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

إسهامات علوم المعرفة وعلم النفس، ليكون هدفه العام ليس الإجابة عن السؤال الكلاسيكي حول الماهية والأهمية من الترجمة (ما الترجمة ولماذا؟) وإنما عن كيفية اشتغال الترجمة في ذهن الإنسان سعياً لشرحها واستكشاف العمليات الإدراكية والمعرفية التي يقوم بها المترجم أثناء معالجة النص الأصلي وتأويله لإنتاج نص ملائم بلغة أخرى. وسنتطرق فيما يلي في هذا الفصل إلى تفصيل ذلك.

1.2. الإطار النظري للترجمة عند إرنست غوت: نحو فهم جديد لفعل الترجمة

يعود الفضل إلى اللساني والأكاديمي الألماني إرنست أوغست غوت في وضع الإطار النظري للترجمة وفقاً لنظرية الملاءمة التي أسس لها سبربر وويلسن، إذ راح يوسّع أفكارهما ليطبّقها على الترجمة تحديداً، عارضاً ما توصّل إليه في مؤلفه الرئيس "الترجمة والملاءمة: المعرفة والسيّاق" *Translation and Relevance: Cognition and Context* الصادر عام 1991 مع طبعة ثانية¹ عام 2000 عن دار روتلج *Routledge*. وقد قدّم، من خلاله،

= 'تحقيق الأقصى بالأدنى' *Minimax strategy* والتي تشير إلى أن المترجم يميل إلى حل مشكلات الترجمة من خلال السعي إلى تحقيق أقصى تأثير ممكن بأقل جهد ذهني من قِبَل قراء الترجمة؛ فحده يقوده أولاً إلى المكافئات الشكلية أثناء عملية اتخاذ القرار. ويرى ليفي أنّ لهذه النزعة تبريرها على المستوى المعرفي باعتبار أنّ مستخدمي اللغة يجنحون إلى توفير الجهد الذهني المبذول في أي سلوك أو فعل. وهذا المبدأ هو جوهر نظرية الملاءمة كما تبين آنفاً.

يراجع: Laver John, op. cit., p. 85, 112-113.

¹ صدرت بعد مرور عقد من الزمن على الطبعة الأولى، وهي التي اعتمدها في بحثنا هذا لتوفرها. وقد أشار غوت في تقديمه لها أنه لم يغيّر مضمونها اللهم إلا بعض التعديلات الطفيفة. كما أشار إلى أن التعديل الذي أدخله سبربر وويلسن على نظرية الملاءمة العام 1995 لم يؤثر على المضامين المطبقة في مجال الترجمة، مع إشارته إليها في الهوامش كلما أمكنه ذلك. والتغيير الوحيد الذي أجراه تمثّل في إلحاق فصل في نهاية الطبعة ضمّنه الردّ على آراء زملائه وملاحظاتهم بخصوص الإصدار الأصلي.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

طرحه النظريّ الشّارح للإشكالات التي تواجه عمليّة الترجمة، مؤكّداً أن الغاية التي يرومها ليست التأسيس لمنهجية ترجميّة وإنّما تقديم إطار نظريّ مفسّر للترجمة وشارح لها *theoretical account* طالما كانت الحاجة ماسّة إليه. وشدّد غوت على أنّ دراسة الترجمة ضمن الإطار النظري للملاءمة كما قدّمه في كتابه لا يشكّل دفاعاً أو دعوة إلى انتهاج طريقة بعينها في الترجمة وإنّما هو شرحٌ لكيفيّة عمل ظاهرة الترجمة وتبيانٌ لطبيعتها وسماتها المميّزة¹.

1.1.2. النهج الفكري والتأسيس النظري:

تعدّ التفاصيل المتاحة حول المسار العلميّ والنهج الفكري لإرنست أوغست غوت شحيحة، من غير ما أورده هو نفسه في مقدّمة كتابه² التي لخصّ فيها دواعي اشتغاله على الأسس النظريّة للترجمة. وتتمثل هذه الدواعي في احتكاكه بمسائل الترجمة وقضاياها في إطار عمله كعضو في معهد اللسانيات الصيفي³. وما عزّز خبرته العمليّة في الترجمة وإشكالاتها محاولته التعامل مع التنوع اللّغوي في أسرته التي كانت تستعمل اللغة الفنلندية والألمانية والانجليزية - ثمّ عمله كباحث لغوي في معهد الدراسات الإثيوبية التابع لجامعة أديس أبابا من العام 1976 إلى غاية العام 1987. ويضيف في مقدّمة كتابه أنّه بدأ التفكير

¹ Gutt, op. cit., p.p.202-203.

² Gutt, ibid., p. vi

³ Summer Institute of Linguistics مؤسسة غير حكومية ذات طابع تبشيري تعنى بدراسة لغات وثقافات المجتمعات اللّغوية ذات الطابع الشّفهي وتروم أساساً ترجمة الكتاب المقدّس بالّلغة المحليّة للمجتمعات التي تنشط فيها؛ وقد اشتغل غوت في إطارها كمتّرجم تبشيري للكتاب المقدّس في إثيوبيا.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

في الإشكالات المعرفية للترجمة عام 1981؛ بيد أنّ محدودية ما كان متوقّراً آنذاك وقلة نجاعته دفعت به للبحث في آفاق اللسانيات النصّية. لكنّ ما حصّله من نتائج بقيت دون طموحاته. حينها بدأ تعامله مع نظرية الملاءمة أثناء دراساته العليا في كليّة لندن الجامعية سنوات 1982 - 1983 في إطار تحضيره لشهادة الماجستير حيث تعرّف على ديردري ويلسن التي كانت منكبة آنذاك على تطوير نظرية الملاءمة في التواصل بمعنيّة دان سبربر. وقد شدّه طابع الشموليّة والوضوح الذي يميّز هذه النظرية فقرّر أن يجعل منها موضوع بحثه في الدكتوراه من الكليّة ذاتها وتحت إشراف ديريدري ويلسن؛ البحث الذي تُوجّ بحصوله على درجة الدكتوراه عن دراسته الموسومة "الترجمة والملاءمة: المعرفة والسّياق" العام 1989.

بنى غوت إطار مشروعه النظري على أساس ما لاحظته من نقص في الأطر النظرية النّسقيّة السّليمة القادرة على بلورة تصوّر شامل للترجمة¹ يمكن المترجمين من تخطّي الصعوبات والإشكالات التي تواجههم أثناء أداء عملهم التّرجمي. إذ يرى أنّ الأدبيّات المتعلقة بالترجمة يعوزها الجانب النظري السّديد من جهة، ويغلب عليها الطابع الفوضوي من جهة أخرى. فبالرغم من كمّها الهائل الذي راكمته منذ حوالي ألفي عام إلّا أنّ الجزء الأكبر منها لا يشير بالضرورة إلى عمق فهم للترجمة. وعزّز غوت رأيه هذا بما ذهب إليه جورج شتاينر Steiner بأنّ التاريخ الغنيّ للكتابات في فن الترجمة ونظريّتها وقامة من عكفوا

¹ Gutt, op. cit.; p.p.01-21.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

عليها لم يغن في إيجاد أفكار أصيلة وهامة في هذا الموضوع إلا قليلاً ومثله جيري ليفي Levy الذي لاحظ أنّ الجانب النظري لم يلق إلا حظاً ضئيلاً في أدبيات الترجمة التي لم تتجاوز حدود المحاولات التجريبية¹.

ثم إنّ هذه الأدبيات تتسم بطابعها الفوضوي غير المتناسق، فالآراء العديدة المعبر عنها حول الترجمة فيما مضى كانت بمثابة "جملة من المقولات غير المنسقة"²؛ ولئن كانت بعض المساهمات ذات أهمية كبرى إلا أنّها لم تدمج ضمن نظرية ترجمية متماسكة ومتفق عليها. حتّى أنّ روجر بيل Bell قد تطرّق إلى هذه المسألة في مقال اختار له عنواناً ذي دلالة: "لم تتخبط نظرية الترجمة في الفوضى وماذا يمكن أن نفعل حيال ذلك؟"³.

هذا الوضع الذي اعتبره غوت "محبطاً"⁴ مردّه غياب تصوّرات ناظمة قادرة على وضع قالب نظري كليّ يستند إلى خلفية معرفيّة ومنهجية متينة، وهذا راجع بدوره إلى أسباب أربعة أجملها فيما يلي:

أ. انغماس مُنظريّ الترجمة لفترة طويلة في مناقشة قضايا عقيمة من قبيل إمكانية

الترجمة من استحالتها، والترجمة الحرفيّة في مقابل الترجمة الإبداعية؛

ب. القصور في فهم الترجمة وعدم التعاطي معها ككيان قائم بذاته؛

¹ Gutt, op. cit., p. 1

² Gutt, ibid., p. 2

³ Roger T. Bell, 'Why Translation Theory is in a Mess and What Can We Do About It', in Proceedings of the GALLA Congress, Thessaloniki 1985, GALLA/AILA, p. 280 -87.

⁴ Disappointing. In: E., Gutt, op. cit., p. 2

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

ج. ومن أبسط الأسباب الجوهرية لهذا الوضع اعتبار الترجمة فناً ومهارة وهي بالتالي

ليست مجالاً مفتوحاً للدراسة العلمية؛

د. غياب الفهم العلمي للترجمة، كون الدراسات التي خاضت فيها تقتصر للأسلوب

العلمي الصحيح.

ويشير غوت أن هذا السبب الأخير قد يكون من أهم الأسباب التي شكّلت تحدياً إيجابياً

أدى إلى ظهور مبادراتٍ بحثيةٍ جديدةٍ تتّبعها منهجيةً علميةً سليمة. فقد تراءى في البداية أن

اللسانيات تمثل هذا الإطار المنشود، لكن سرعان ما اتّضحت عدم كفايته لوحده؛ ما أدى

إلى إدراج نواحٍ إضافية مرتبطة باللسانيات النفسية والاجتماعية والنصية، وبعلم التواصل

والأنثروبولوجيا، وبالدراسات الأدبية وحتى بالتعليم.

وبذلك دخلت الأبحاث التجريبية الترجمة حقبةً جديدةً وانتهجت نهجاً متعدّد التخصصات

لوصف الترجمة وتفسيرها كعمليةٍ ومُنْتَجٍ. إلّا أنّ هذا النهج المتعدّد، وإن بدا إيجابياً بدايةً،

فهو ينطوي على صعوبات فعلية لإرساء نموذجٍ لعلم الترجمة قائم على نظريةٍ علميةٍ عامّةٍ

وشاملةٍ للاعتبارات اللسانية والنفسية والاجتماعية والتداولية، وقادرة على تقديم نتائج قابلة

للتحقّق¹.

فمنهج هذا المسعى متعدد التخصصات هو في الأساس منهجٌ وصفيّ استقرائي، إذ إنّ

ينطلق من دراسة الظواهر التي تنطوي عليها الترجمة وإمعان النظر فيها لاستكشاف ما

¹ Gutt, op. cit., p. 4

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

تشابه منها وانتظم، ثم حصرها وتقديمها كعلم للترجمة. لكن اتضح أنّ نتيجة هذا الجهد لا يدعو عن أن يكون مجرد تعميمات نظراً لتنوّع الترجمات واختلاف العوامل المعتمد عليها. ثم إنّ تعدّد المجالات الذي ينطوي عليه هذا المسعى يدفع للتساؤل إن كان من الممكن للعرض النظري المتوصل إليه أن ينتظم في شكل نظرية شاملة متماسكة ومنسجمة¹. انطلاقاً من هذا التشخيص الذي وضعه غوت عن وضعيّة الترجمة، جاء طرحه العام لمشروعه الفكريّ متمثلاً في التأسيس لتصور شامل وكلّي للترجمة؛ وبعبارة أخرى التأسيس لنظرية شاملة وموحّدة من شأنها تقديم آليات عامّة تفسّر السيرة الترجميّة وتوجّهها. ويمكن حصر هدفه الأساسي في:

• إيجاد إطار نظريّ عامّ وشامل قائم على مبدأ موحّد من شأنه توجيه كل

الاستراتيجيات الترجميّة وتوفير شروط الترجمة الناجحة والفعّالة.

وتحقيقاً لهذا الهدف، ميّز غوت في دراسته هذه بين مصطلح 'مقاربات الترجمة'

Theoretical account of 'النظري للترجمة' و *Approaches to translation*

². translation

¹ Gutt, *A theoretical account of Translation*, op. cit., pp. 135-164.

² Gutt, *Relevance and Translation*, op. cit. p. 202-203.

ولقد ارتأينا ترجمة المصطلح بـ'البيان النظري' بدلاً من 'العرض النظري' لأنّ المقاربة المتبعة هي مقاربة تفسيرية تركز على توضيح المفاهيم من خلال تقديم شرح أوفى وفهم أعمق لها. ويمكن أن يكون 'التفسير' مقابلاً مناسباً كذلك، ولكننا ارتأينا تركه كترجمة مقابلة لكلمة Explanation كما ورد عن المؤلّف.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

إذ يدلّ المصطلح الأول - مقاربات الترجمة - على مختلف الأساليب والاستراتيجيات المستخدمة في الترجمة؛ بمعنى أنّه يشير إلى الطرق المختلفة التي يمكن اتباعها لإنجاز عملية الترجمة، ومنها على سبيل المثال: الترجمة الحرفيّة أو الإبداعيّة، أو الترجمة بالتكافؤ الدينامي أو التكافؤ الشكلي؛ حيث تختار كل مقارنة سبيلاً معيّناً أو منهجية خاصة في الترجمة.

فيما يشير المصطلح الثاني - البيان النظري للترجمة - إلى المحاولات النظرية الشارحة لطبيعة الترجمة نفسها ولخصائصها؛ أي أنّها تتعمّق في فهم ظاهرة الترجمة وتحاول توضيح طبيعتها وسماتها.

وانطلاقاً من هذا التمييز، دعا غوت إلى عدم اعتبار ما قدّمه في نظريته عن الترجمة، ضمن إطار الملاءمة، مقارنةً لأنّها لا تقدّم أدوات إجرائيّة تمكّن من تجاوز مشكلات الترجمة؛ بل راعى فيها شرح المبادئ الأساسيّة لظاهرة الترجمة وأسسها المعرفيّة من أجل تقديم وصف شامل متكامل لها، وبيان منطق اشتغالها دون تحييز أو دفاع عن مقارنة معيّنة. مع ذلك، خاض غوت في أنماط الترجمة إذ قسّمها قسمين اثنين، بل نلمس تفضيله لأحدهما وإن لم يُظهر ذلك صراحة¹، وسيأتي تفصيل ذلك في أوانه.

قد توحى مراعاة غوت تقديم تفسير جامع للترجمة بأنّه سعى إلى وضع نظرية بعيدة عن الواقع غارقة في التجريد. إلّا أنّ إدراجه لكمّ من الأمثلة التطبيقية والنصوص المترجمة،

¹ خصّص لذلك فصلاً كاملاً في كتابه:

- Gutt, op. cit., p.p. 168 -198.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

التي اشتغل عليها في بحثه، يوحى بتوجّها صوب الانشغال بالترجمة من منظور الممارسة والتطبيق وينفي اتهامه بالإغراق في التنظير والإفراط في المفاهيم النظرية المجردة.

2.1.2. معالم التغيير في مقارنة الترجمة¹:

يرى غوت أنّ وضع الترجمة يستدعي تغييراً جذرياً في سبل التفكير فيها، ويكون ذلك عبر نوعين من التغييرات الأساسية في مقارنة شأن الترجمة والتعامل معها؛ ويعتقد أنّ نظرية الملاءمة في التواصل تكفل هذين التغيّرين الذّين يُعدّان مطلبين أساسيين للمضي قدماً بدراسات الترجمة.

أولاً. تغيير في موضوع الترجمة وميدانها:

يرى غوت أنّ نظرية الملاءمة أحدثت تغييراً في مجال تحليل التواصل لأنها قاربت من منظور الكفاءة *competence* والكيفية *process* - كيفية معالجة المعلومات - اللّتين يتواصل بهما البشر فيما بينهم بدلاً من الخوض فيه من جانب السلوك التواصلّي. ومنه يكون الهدف من الدراسة التي يطرحها غوت هو شرح عملية الترجمة باعتبارها فعلاً تواصلياً، أي النّظر إليها في إطار الكفاءة التواصلية التي تشكل جزءاً من الذّهن البشري بدلاً من مقاربتها من منظور السلوك التّرجمي باعتبارها عملية أو منتجاً؛ ما يستدعي تحويل ميدانها من النصوص وعمليات إنتاج النصوص إلى القدرات الذهنية المسؤولة عن الفعل التّرجمي.

¹ Gutt, op. cit., p.p. 21-22

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

ثانياً. تغيير في المنهج العام:

باعتبار أن نظرية الملاءمة ليست وصفية أو تصنيفية للظواهر المعقدة بل هي رؤية تفسيرية قائمة على فهم إشكالات التواصل وشرحها على أساس المنبه والأثر – أو ما يسمّى النموذج الإشاري الاستدلالي – فإن الانتقال في المنهج العام في مقارنة الشأن الترجمي ينبغي أن يكون من الوصف والتصنيف إلى التفسير والشرح *Explanation*؛ ذلك أن المقاربة الوصفية التصنيفية السائدة في مجال الترجمة في حاجة مستمرة إلى مزيد من التصنيفات¹؛ ما يولد كمّاً من المقاربات والأطر النظرية للتصنيف من جهة. وهذه الأطر النظرية من شأنها إلغاء الخصوصيات الترجمية لأنها لا تتعامل مع الظواهر الفردية الخاصة بل تركز على الظواهر المتشابهة.

“But if it turns out that each individual phenomenon, that is, each text, or even each instance of its use with a particular audience, may require its own theory, then this means that the phenomena in question are not accounted for in terms of generalisations at all, but that they actually fall outside the scope of theory”².

نستشف مما سبق أن مشروع غوت في التنظير للترجمة في إطار نظرية الملاءمة المعرفية يعدّ تحولاً جذرياً في موضوع الترجمة، إذ انتقل من مجال النصوص والوحدات النصية إلى مجال علم النفس التواصل، ووظف مصطلحات هذا العلم – كالملاءمة والتأويل والتشابه

¹ تصنيف السمات اللغوية، تصنيف النصوص، تصنيف أهداف الترجمة وغاياتها في علاقتها مع الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية، تصنيف حسب موضوع الترجمة (الدينية، العلمية، الأدبية) أو حسب منهجها (حرفية حرة دلالية).

² Gutt, A theoretical account of translation, loc., cit.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

التأويلي - لفهم آلية الترجمة وشرحها وتعديل أدواتها، فتحول الاهتمام بذلك إلى القدرات الذهنية المسؤولة عن فعل الترجمة بدلاً من الاهتمام بالنص وعملية إنتاجه.

2.2. سيورة الترجمة ضمن نظرية الملاءمة:

استخدم غوت نموذج الملاءمة المعرفية الذي طرحه كل من سبربر وويلسن لشرح سيورة الترجمة، إذ يرى أنّ مبادئ الترجمة وقواعدها هي تطبيقات لنظرية الملاءمة لا غير. فالنظرية العامة للملاءمة باعتبارها سمة نفسية لطبيعة البشر كافية في حد ذاتها لشرح الترجمة وتفسيرها في إطار التفاعل والسّياق والمنبه والتأويل، وليس ضرورياً حينئذ وضع نظرية منفصلة قاصرة على الترجمة.

هذا ما يؤكّده في مقدمة مؤلفه¹ سالف الذكر ويشدّد عليه ردّاً على منتقديه أمثال كيرستن مالمكجير Kirsten Malmkjaer وصونيا تيركونن كونديت² Sonia Tirkonen-Condit اللّتين تريان أنّ نظرية عامة للترجمة كما تطرحها الملاءمة تعدّ نظريةً مكرّرةً وزائدةً عن الحاجة، موضحاً³ أنّ هذه المسألة تستوجب أولاً مراعاة فقه مصطلح "نظرية الترجمة"، وأنّ الهدف المعلن للكتاب هو اقتراح بيانٍ نظريّ تفسيريّ يعالج الترجمة كظاهرة تواصلية قائمة على نموذج "السبب - النتيجة"، ويروم شرح الكيفية التي ينقل بها المتواصل

¹ Gutt, *Translation and Relevance*, op., cit., p.VII

² K. MALMKJAER, *Translation and Relevance: Cognition and Context*. Mind & Language, 1992, p. 298-309. <https://doi.org/10.1111/j.1468-0017.1992.tb00210.x> تاريخ المراجعة: (2024/03/24)

S. TIRKONEN-CONDIT, *A Theoretical Account of Translation - Without Translation Theory?* Oxford: Basil Blackwell, 1991. <https://benjamins.com/online/target/articles/target.4.2.08tir>

³ GUTT, *ibid.*, p.235

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

البشري Human communicator إلى جمهور اللغة (ب) ما عبّر عنه شخص ما بلغة مختلفة (أ)، وكذا تبيان ماهية 'السلسلة السببية في العقل البشري' - بعبارة أخرى السيرورة الذهنية - التي تجعل ذلك النقل ممكنًا، والعوامل التي تسهم في نجاحها أو فشلها؟ وكيف يكون ذلك؟ ولئن كان كل ما سبق هو ما يُتوقع أن تحققه 'نظرية الترجمة'، فإنّه لا حاجة لتطوير نظرية منفصلة للترجمة ذات مفاهيم وإطار نظري خاص بها.

ويضيف غوت إنّ مصطلح 'نظرية الترجمة' إن حُمل على معناه الموسوعي الواسع كمرادف لـ'دراسات الترجمة'، أي دراسة منسقة لأي ظاهرة مرتبطة بطريقة أو بأخرى بالترجمة والمترجمين والترجمات، فمن الواضح أنه ثمة مجال لـ 'نظرية الترجمة' بهذا المعنى. وقول غوت هذا يدلّ على عدم نفيه لهذا المفهوم ولا إنكاره له؛ لكنّه يعتقد أنه لا بدّ من معالجته من منظور الجوهر التواصلي للترجمة إن أُريد له أن يكون شاملاً وجامعاً؛ وسيكون من المستحيل في هذا الصدد تقديم بيان نظريّ مناسب للترجمة دون الرجوع إلى مبدأ الملاءمة.

وبناء عليه، لا يمكن لدراسة قائمة على هذا التصرّو لـ'نظرية الترجمة' أن يشير - وفقاً لغوت - إلى تكرار دراسات الترجمة بشكل عام.

1.2.2. الترجمة والتواصل:

يرى غوت¹ أن الترجمة جزء لا يتجزأ من التواصل، وثمة أسباب وجيهة لاعتبارها عملية تواصلية القائم بها هو المترجم باعتبار أنه يتوجه إلى متلق. وهذه الخلفية التواصلية من شأنها أن تشكل قوام نظرية عامة للترجمة وأرضيتها الصلبة.

وقد يُحتج على هذا الطرح بدعوى أن الترجمة تشمل مجالات واسعة وتخصصات مختلفة يصعب جمعها في نظرية واحدة؛ ثم إن عدداً من المقاربات المعروفة في مجال الترجمة قد تبنت المنظور التواصلية في طرحها النظري ومع ذلك لم تتمكن من تجاوز كل الإشكالات المطروحة.

يجيب غوت عن هذا الاعتراض بالقول إنه لا داعي لوجود مقارنة متعددة التخصصات إن كان من الممكن تطوير كفاءة ترجمية Translational competence تسع مجموعة كبيرة من العوامل المتدخلة في الفعل الترجمي دون وصفها وتصنيفها وفقاً لمجالاتها المختلفة؛ وما دامت المقاربة التواصلية قادرة على توحيد منهج البحث في الشأن الترجمي فمبدئياً لا اعتراض عليه.

أما عن معاز فشل عدد من المقاربات التواصلية في تذليل صعوبات الترجمة فيمكن في استنادها إلى النموذج التشفيري للتواصل - القائم على تشفير المعطيات وفك تشفيرها لاسترجاع الرسالة موضوع التواصل - ولئن كان الأمر كذلك فهذا لا يعني فشل النماذج

¹ GUTT, op., cit., p. 22- 23.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

التواصلية كلّها. إذ ينبغي تجاوز تعثر التفسير من خلال الاعتماد على النموذج الاستدلالي وبالضبط الاستدلالي الإشاري القائم على ثنائية منبه/أثر الذي تُتيحهُ نظرية الملاءمة والذي يقضي¹ أنّ العنصر الأساسي في التواصل البشري لا يكمن في مجرد فك تشفير الرسائل، بل يتعداه إلى القدرة على الاستدلال على مقاصد المتواصلين اعتماداً على افتراضات تُبنى انطلاقاً من بعض المؤشرات التي يتعمّد هؤلاء المتواصلون بثّها في أقوالهم وسلوكاتهم التواصلية.

ويرى غوت أنّ اعتماد مبدأ الملاءمة على أنّه المفسّر الوحيد للفعل الترجمي من شأنه أن يُقصي كافة العوامل الخارجية المؤثرة في إنتاج الترجمة أو تأويلها فلا يكون لها أيّ تأثير عليها إلاّ إذا أدمجت في النشاط الذهني للمترجم ولملتقيه

“No external factor has an influence on either the production or interpretation of a translation unless it has entered the mental life of either the translator or his audience. Its mere existence 'out there' is not enough to influence the translation”².

كما أنّ ردّ الترجمة إلى منزلة التواصل يجعل منها نشاطاً تفاعلياً تأثيرياً بين كيانيين ذهنيين ونفسيين هما المترجم والمتلقي الهدف فقط - حتى وإن كان الكاتب الأصل حاضراً معهما كما هو الحال بالنسبة إلى الترجمة الشفهية - ففي نهاية المطاف يتلقى القارئ الهدف نصّاً

¹ Gutt, op., cit., p. 24.

² Gutt, ibid., p. 21.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

أنتج المترجم وراعى فيه توفير جهد الفهم فلا يبذل مجهوداً إضافياً لتأويل المقاصد التي توصل إليها القارئ الأصل.

وباعتبار هذه الخلفية التواصلية، جاء تعريف غوت للترجمة كما يلي:

"الترجمة نص في اللغة الهدف يشبه النص الأصلي من حيث التأويل"¹.

من هذا التعريف يتبين أن غوت قد استقى من نظرية الملاءمة مفهوماً محورياً لشرح وظيفة الترجمة، وهو مفهوم التشابه التأويلي *Interpretive resemblance*. فهو من هذا المنظور، يعتبر الترجمة استعمالاً تأويلياً بين اللغات يحدده كمّ التصريحات والتضمينات المشتركة بين نص اللغة الأصل ونص لغة الهدف².

إن الترجمة من منظور غوت تواصل من الدرجة الثانية، ونجاحها مرتهن بقدرة المترجم على توجيه القارئ الهدف إلى التوصل بالتأويل ذاته الذي توصل إليه القارئ للأصل أي بقدرته على إنتاج نص يضم المعاني التصريحية والتضمينية التي قصد الكاتب الأصل تمريرها للقارئ الأصل دون سواها³ فلا يضيف فيها ولا ينقص كما لا ينبغي أن يغيرها.

يتّضح لنا ممّا سبق أنّ غوت وضع تصوّراً جديداً لفعل الترجمة باعتباره فعلاً تواصلياً ذا طبيعة استدلالية إشارية، ما يقم فيها الأبعاد المعرفية للاستدلال كما جاءت به نظرية الملاءمة وعلى النحو الذي يجعلها تحقّق تماثلاً تواصلياً بين الأصل والهدف. ففعل الترجمة

¹ Gutt, op. cit., p.105

² Gutt, ibid, 168.

³ Gutt, ibid. p.99

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

ضمن هذا الإطار يتجاوز مجرد نقل العلامات اللسانية والدلالات المباشرة إلى نقل الأطر المعرفية والاستدلالية المستنبطة من النص الأصل. وبناءً عليه يكون نجاح عملية التواصل من خلال الترجمة مرتبهاً بقدرة المترجم على إنتاج نصّ، في محيط اللغة الهدف، يماثل النصّ الأصل في محيطه الأوّل؛ ومعيّار المماثلة هاهنا يتمثّل في تحقيق توازن بين الآثار المعرفيّة والجهود المبذولة من القارئ الأصل وتلك التي يبذلها القارئ الهدف.

يقول فان دير مرفي ووينكلر في هذا الصدد إنّ الترجمة القائمة على مبدأ الملاءمة تسعى إلى إمداد القارئ لها بما يعرف بالآثار المعرفية الفوريّة، ويُقصد بإحداث "آثار معرفيّة فوريّة" إبراز معنى النصّ ليتبادر إلى ذهن المتلقي بسلاسة وعفوية قدر الإمكان:

‘A translation based on the principle of relevance seeks to furnish readers with “immediate cognitive effects”. To produce “immediate cognitive effects” is to make the meaning of the text as spontaneously clear as possible’¹.

ومن تبعات تعريف الترجمة على هذا الأساس - أي كونها تمثيلاً للنصّ الأصلي من حيث التأويل - أن استبعدت من الترجمة الحالات التي يُستخدم فيها النص في اللغة الهدف لأغراض أخرى غير تمثيل الأصل وتأويله والتي أسفرت عن صعوبات كثيرة طالما أعاقَت المساعي الرّامية إلى وضع نظرية شاملة للفعل الترجمي؛ ومن تلك الحالات ما يُعرف بالترجمة الخفيّة Covert Translation.

¹ Van der Merwe, W. K. Winckler, Training Tomorrow’s Bible Translators: Some Theoretical pointers, Journal of Northwest Semitic Language V.19, 1993, p. 55

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

لقد حاول غوت تبرير¹ وجود حالات تواصل بين اللغات طالما صُنِّفها منظرو هذا الحقل ضمن الترجمة في حين أنها تختلف في الواقع عن الترجمة في اعتبار أنّ اللغة المصدر عرضية في الفعل التواصل وليست جوهرية فيه. فالنص في هذه الحالات لا يُوظَّف لتمثيل نص مصدر، بل يُستخدم في سياق لغوي جديد ويكون استعماله وصفيًا، وعليه فلا حاجة لنظرية شاملة في الترجمة أن تتنظر في مثل هذه الحالات من الاستعمال اللغوي.

وجاء طرح غوت للترجمة الخفية بناءً على طرح يوليانا هاوس J. House حول تقييم جودة الترجمة، والتي ترى أنّ الترجمة الخفية هي تلك التي تحظى بوضعية النص المصدر في ثقافة الهدف²، وهي خفية بحكم أنّ أصلها المترجم عنه بات في حكم المخفي الغائب، وهو من منظور التداوليات المعرفية لا يعدّ نصّاً مترجماً بل نصّاً أصليّاً ضمن سياق ثقافة المتلقي؛ ومن ثمّ فهي لا تدخل ضمن ما يلزم أن تتناوله نظرية عامّة للترجمة لذا وجب استبعادها من هذا النطاق. ومن أبرز الأمثلة على هذا النمط يورد غوت الإعلانات، والكتيبات السياحية، وأدلة تشغيل الأجهزة والآلات، إذ يتمثّل الهدف الأساسي منها في نقل المعلومة بفعالية ونجاعة³ effectiveness في اللغة الهدف وليس الأمانة في نقل فحوى الأصل. فالتركيز يكون منصباً على النص من حيث غرضه Purpose وكفايته Adequacy

¹ Gutt, op. cit. p.p. 47 – 68.

² Julianne House, A Model for Translation Quality Assessment. Tübingen: Narr., 1981, p. 194. Cited in: Gutt, op. cit, p. 47

³ Gutt, ibid. p. 217 – 218.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

في محيطه الجديد وليس على تحقيق تمثيل ملائم للفعل التواصلية الأصلي، أي التعبير الأمين عن معنى النص الأصلي ونقل محتوياته.

2.2.2. التشابه التأويلي في الترجمة:

يعتبر غوت التمييز بين القول الوصفي والقول التأويلي الخطّ الفاصل بين ما يمكن أن يشكّل ترجمة ممّا ليس بترجمة؛ فالمتّرجم هو الشخص الذي يتولّى تمثيل أو نقل أفكار شخص آخر إلى لغة أخرى. وعليه تكون الترجمة في الأساس استعمالاً تأويلياً بين اللغات. تتمحور الترجمة، وفقاً لنظرية الملاءمة، حول مقارنة التأويلات والمعاني المستخلصة، لا حول إعادة إنتاج الألفاظ أو التراكيب اللغوية والسمات الشكلية للنص.

“The focus of relevance-theory based translation is on the comparison of interpretations, not on the reproduction of words, linguistic constructions, or textual features”¹.

معنى ذلك أنّ الملاءمة ترى أنّ التشابه الذي ينبغي تحقيقه بين النص الأصل والنص المترجم لا يقتصر على التشابه التمثيلي بين الأشكال المنطقية للملفوظات كما هي الحال بالنسبة إلى بعض النظريات الترجّمية وإنّما ينصبّ أساساً على التشابه من حيث التأويل المترتب عن النص. وإن كانت عملية تأويل الملفوظات تتطلب استكناه ما تنطوي عليه من الأفكار – أو الافتراضات بمسمّى الملاءمة – المراد نقلها، فإنّ التشابه التأويلي بين ملفوظين يستوجب تبعاً لذلك تشابهها من حيث الافتراضات التي يتيحانها. ويأتي هذا التشابه متدرجاً

¹ Gutt, op. cit., p. 233

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

يبتدئ بالتشابه الجزئي حيث يكون الاشتراك في بعض الافتراضات ليصل إلى التطابق التام بين كل الافتراضات ما يحقق التشابه التأويلي التام. وسنعود لهذا المفهوم المتدرج للتشابه التأويلي لاحقاً حين التطرق إلى مناهج الترجمة في ضوء الملاءمة.

وفي هذا الصدد، ثمة ضرورة حسب غوت لوجود توافق وانسجام correspondance بين الترجمة والافتراض الخاص بالملاءمة المثلى، أي أن تنتج الترجمة آثاراً معرفية ملائمة دون جهد معالجة ضائع. وعليه يجب أن تشبه الترجمة النص الأصلي في النواحي التي تجعلها ملائمة لمتلقي الترجمة على النحو الذي كان فيه النص الأصلي ملائماً للمتلقي الأصل؛ ما يستدعي التعبير عنها - أي هذه النواحي - بالطريقة ذاتها في اللغة الهدف حتى يعيها متلقيها ويفهما كما فهمها المتلقي للأصل، وهو الهدف من الترجمة.

وما يقصده غوت هاهنا هو أنّ مسعى المترجم هو إنتاج نصّ يستوفي الافتراضات التي تضمنها النص الأصل وقصد صاحبها إيصالها لقارئ الأصل، أي أن يتوصّل للقارئ الهدف بالتأويل ذاته الذي حقّقه القارئ للنص الأصل¹. إذ ينبغي عليه أن يدرك في كل مرحلة من مراحل معالجته للنص الآثار المعرفية المنشودة في السياق الأصلي، ليتمكن من صياغة فرضية تأويلية متكاملة حول المعنى الأصلي المقصود بمدلولاته التصريحية والتضمينية معاً. وعليه يكون حرص المترجم منصباً على تحقيق الملاءمة للقارئ الهدف من خلال

¹ K. G. Smith, op. cit., p.46.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

الترجمة، أي أن يؤدي التشابه التأويلي بين الأصل والترجمة إلى تحقيق الملاءمة لدى القارئ الهدف، ومقياس ذلك إنتاج آثار معرفية ملائمة. ويقول غوت في هذا الصدد:

“If we ask in what respects the intended interpretation of the translation should resemble the original, the answer is: in respects that make it adequately relevant to the audience - that is, that offer adequate contextual effects”¹

وعن الكيفية التي تمكّن المترجم من تحقيق مبدأ الملاءمة في النص المترجم، فإنّ غوت يرى أنّه على المترجم الاهتمام إلى الطريقة المفضية للتأويل المقصود من صاحب النص الأصل مع بذل أقلّ جهد في التحليل من قبل القارئ للترجمة:

“If we ask how the translation should be expressed, the answer is: it should be expressed in such a manner that it yields the intended interpretation without putting the audience to unnecessary processing effort”².

وعليه فإنّ اعتبارات الملاءمة تقيد كلاً من التأويل المقصود للنص المترجم والطريقة التي يُعبّر بها عنه، والتركيز على السياق مهمّ في خضمّ ذلك باعتبار أنّ مبدأ الملاءمة وطيد الصلة به فذلك تكون العملية الترجمية.

“...Hence, considerations of relevance constrain both the intended interpretation of the translation and the way it is expressed, and since consistency with the principle of relevance is always context-dependent, these constraints, too, are context-determined”³.

¹ Gutt, op. cit. p.107

² Gutt, ibid. p.107

³ Gutt, loc. cit.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

وأما الافتراضات التي ينبغي أن يحملها النص المترجم فتمثل، انطلاقاً من مبدأ التشابه التأويلي، مجموع الافتراضات التي يعتقد المترجم أنها على درجة مثلى من الملاءمة، إذ ينبغي للترجمة أن تشابه الأصل في تأويلها فقط في الجوانب التي يُتوقع أن تجعلها ملائمة كفاية للقارئ في اللغة الهدف:

"...Translation should resemble the original - only in those respects that can be expected to make it adequately relevant to the receptor language audience"¹

ومعنى قول غوت أنّ التشابه التأويلي خاضع لتوقعات الملاءمة بحيث لا يستوجب أن تتضمن الترجمة جميع الافتراضات التي تتضمن معنى النص الأصل وإنّما يستدعي المترجم منها ما يعتقد أنّها على درجة مثلى من الملاءمة بالنسبة لمتلقّي النص الهدف؛ وبناء عليه تتحدّد درجة التشابه التأويلي بين الأصل والترجمة.

ويبدو لنا بناءً عليه أن قرار اختيار درجة التشابه المناسبة ليس قراراً لغوياً فحسب، بل هو قرار تواصلّي معرفي يرتبط أساساً بمبدأ الملاءمة.

تقترن الترجمة من منظور نظرية الملاءمة، إذاً، بمبدأ الملاءمة الذي يقضي بضرورة تحقيق تشابه تأويلي بين النص المترجم والنص الأصل؛ أي أن تشبه الترجمة في تأويلها المقصد ممّا قيل في الأصل. إنّ تحقيق هذه المعادلة هي مقياس نجاح العملية الترجميّة، وعلى المترجم أن يحرص على أن تشارك ترجمته الافتراضات التحليلية والسياقية التي رام النصّ

¹ Gutt, loc. Cit.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

الأصل نقلها لمتلقيه بالاستناد إلى مبدأ الملاءمة؛ وباعتبار أن مفتاح نجاح التواصل هو الملاءمة فإنّ النقل الأمين لما جاء في الأصل من افتراضات هو معيار نجاح الترجمة.

ويقودنا ذلك إلى استنتاج أنّ مفهوم الأمانة واقع متجذر في الإطار النظري للملاءمة وهو على عكس الأطر النظرية الأخرى، ليس خاضعاً لطبيعة النص بل لمفهوم التشابه التأويلي القاضي¹ بالتشابه في الجوانب التي تجعل الترجمة ملائمة لمتلقيها.

ولعلّ أهمّ مكسب² لنظرية الملاءمة في دراسات الترجمة هو هذا التعريف الشامل لمفهوم الأمانة الذي طالما عدّ مسألة إشكالية في حقل الترجمة.

والسؤال الذي يطرح هاهنا: هل اعتبار توقعات الملاءمة لدى قارئ نص الهدف يمنح المترجم حرية التصرف في معنى نص الأصل؟

يرى سابير³ Sappire أن مقارنة نظرية الملاءمة لمفهوم الأمانة مرتّهن بتوقعات المتلقي للترجمة وهذا ما يفتح الباب على مصراعيه أمام المترجم للتلاعب بالنص الأصل بما يليق بتوقعات قارئه. فقد يدخل عليه ما من شأنه، على سبيل المثال، أن يشكل انحيازاً نسوياً بغية ارضاء قراءه ذوي النزعة النسوية.

هذه الرؤية أغفلت أنّ الاستعمال التأويلي، بمقتضى التعريف المناط به، يفرض على المترجم الالتزام بمضمون الأصل ومعناه. ولئن كان من غير الممكن نقل كافة الافتراضات التي

¹ Gutt, op.cit. p.117.

² Magda Strojinska, Grazyna Drzazga, **Relevance Theory, interpreting, and translation**, The Routledge Handbook of Translation Studies and Linguistics, edited by Kirsten Malmkjær, 2018, p. 98

³Cited in: Smith, op. cit. p. 94.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

يسوقها النص الأصل، فإن ما يُنقل منها يجب أن يكون جزءاً منسجماً مع هذه الافتراضات الأصلية. وإن تعمد المترجم بشكل أو بآخر إحداث تغيير في المعنى الذي يرومه الكاتب الأصل فسيطرح عن ترجمته صفة الأمانة؛ حتى أن كل تصرف عمدي في معنى الأصل مرفوض كلياً في ضوء الملاءمة لأن مخرجاته تشكل ترجمة خفية وهذا ما لا يُعدُّ ترجمة أصلاً.

إن مفهوم الأمانة في ضوء الملاءمة، حسب فهمنا، لا يقوم على المطابقة الحرفية ولا على المقابلة الشكلية لبنى النص الأصلي، بل يتحدد بمدى التشابه في الجوانب التي من شأنها توصيل المعنى المقصود للمتلقي دون تحميله جهداً زائداً لفهمه. وهذا ما يتم من خلال تقدير سياق التلقي حيث يبني المترجم افتراضات الملاءمة على أساس المحيط المعرفي للمتلقي؛ ما يبرر تدخل المترجم لتوجيه التأويل وتكييفه مع هذا المحيط لكن دون تغييره¹. وبهذا، تكون نظرية الملاءمة قد وفّرت إطاراً يراعي المعنى حسب سياق التلقي بعيداً عن القواعد الصارمة والمعايير التصنيفية النمطية.

3.2.2. نهج الترجمة في ضوء نظرية الملاءمة:

لقد أبان غوت من خلال اشتغاله على الترجمة، من منطلق التشابه التأويلي بين الأصل والهدف، عن نهجين متميزين لممارسة الترجمة: مباشر وغير مباشر. ولئن كان هذا الأمر لا يطرح إشكالا من الناحية الإجرائية، فإنّه يوحى بالتقسيم كما في النظريات

¹ كما قد تفعل المقاربات الوظيفية، كاستحضار مناسبة العقيدة مثلاً كمقابل لطقوس التعميد في المسيحية (Baptême).

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

السابقة التي دعا إلى الاستغناء عنها لصالح طرحه النظري الموحد للترجمة. إلا أنه بين أن هذين النهجين، في شرحهما وتفسيرهما، لا يخرجان في نهاية المطاف عن ارتكازهما على أساس موحد وهو الاستعمال التأويلي. وعليه تكون كل من الترجمة المباشرة وغير المباشرة ضرباً من ضروب الاستعمال التأويلي للغة. وبذلك، يمكن في ضوء مفهوم الاستعمال التأويلي بين اللغات تصوّر وشرح جميع أنواع الترجمة الفعلية التي يهدف فيها المترجم عن وعي إلى نقل معنى المصدر وفقاً لضوابط الملاءمة.

يرى غوت أن الترجمة من هذا المنظور تعدّ نمطاً خاصاً من أنماط الاستعمال التأويلي لأنه يكون بين اللغات لا داخل اللغة الواحدة. وانطلاقاً من هذه الفكرة أجرى على هذا النوع من الاستعمال التأويلي بين لغوي ما يجري عليه الاستعمال التأويلي داخل اللغة الواحدة.

ومن جملة ما أجرى عليه، فكرة الاقتباس المباشر للكلام والاقتباس غير المباشر له باعتبار أن الأول يعني الحفاظ على النقل الحرفي لما قيل، فيما يعطي الثاني مؤشرات تقريبية عن المعنى المقصود غالباً ما تكون إعادة صياغة أمينة لمعنى النص المصدر في الجوانب التي تهّم المتلقي وتلبي حاجاته أو اهتماماته. واستناداً إلى الإطار النظري للملاءمة فإن التشابه القائم بين هذين النوعين من الاقتباسات متعلّق في الأول بالتشابه في الخصائص اللغوية أما في الثاني ففي الآثار المعرفية المحققة¹.

¹ Gutt, op. cit. p 133.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

قياساً على ذلك، أسقط غوت كيفية نقل الأقوال في اللغة الواحدة على عملية نقلها بين لغتين مختلفتين كاشفاً عن وجود تناظر وظيفي بين عملية الاقتباس داخل اللغة الواحدة وبين الترجمة؛ ففي مقابل الاقتباس المباشر للقول والاقتباس غير المباشر له داخل اللغة ثمة نوعان من الترجمة: المباشرة وغير المباشرة.

فمتى ما كان الهدف من الترجمة هو نقل مضمون النص المصدر كاملاً بما يتضمّنه من معانٍ وآثارٍ معرفيّة مقصودة، مع الحفاظ قدر الإمكان على الصياغة الأصليّة بأبعادها الأسلوبية والثقافية وُسّمت الترجمة بالمباشرة. في حين تكون الترجمة غير مباشرة إذا ما اكتفت بنقل العناصر الأكثر ملاءمة للمتلقي في اللّغة الهدف، مع السماح بإغفال أو إعادة صياغة بعض العناصر التي يحتمل ألاّ تحقّق الأثر المعرفيّ ذاته في محيط اللّغة الهدف.

1.3.2.2. الترجمة غير المباشرة:

أفرد غوت الفصل الخامس من مؤلفه المذكور آنفاً¹ لشرح مفهوم الترجمة غير المباشرة باعتبارها أحد النهجين اللذين يعدّان شكلاً من أشكال الترجمة الفعلية الواعية² بالاستناد إلى مفهوم الاستعمال التأويليّ بين اللغات.

¹ اختار له عنوان "الترجمة باعتبارها استعمالاً تأويلياً بين اللغات". يراجع:

"Translation as Interlingual Interpretive Use", in: Gutt, op.cit. p.p. 105-127.

² الترجمة الخفية باعتبارها استعمالاً وصفياً للغة مستثناة من الإطار النظري للملاءمة كما رأينا سابقاً لأنها تستعمل الأصل كإرشاد فقط فهي خفية فيه وتشكّل نصاً أصلياً جديداً ينمّ عن أفكار المترجم الذي يأخذ على عاتقه همّ النجاعة في نقل المعلومة الضرورية وليس التعبير عن المعنى المتضمن في الأصل.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

وباعتبار الترجمة غير المباشرة معادل الاقتباس غير المباشر بين اللغات، فإنّها لا تسعى إلى نقل الصيغة اللفظية للنص الأصلي أو نقل معناه كاملاً بل تروم الحفاظ على جوهره. وعليه، يكون هدفها مقتصرًا على نقل ما يُعدّ أساسيًا وملائمًا للمتلقي الهدف فيستوعبها فوراً وبأقل جهد. وكما أن الاقتباس غير المباشر يتراوح بين إعادة إنتاج المعنى تكاد تكون مطابقة لما قيل في الأصل وبين تقريب تقديري لمضمونه، فبالمثل تتفاوت الترجمة غير المباشرة في درجة التشابه التأويلي بين الأصل والمصدر تبعًا لتوقعات المتلقي واهتماماته. فكما يكتفي الاقتباس غير المباشر بنقل جزء فقط من الرسالة الأصلية دون التقيّد بنقل كل عناصرها، كذلك تكتفي الترجمة غير المباشرة بنقل الافتراضات الأكثر ملاءمة وأهميّة بالنسبة للمتلقي في لغة الهدف، دون التقيّد بنقل كل ما تضمّنه النص الأصل¹. وبناءً عليه، فإنّ نجاحها مرتّهن بتحقيق تشابه في الآثار المعرفيّة لذا وجب أن تنقل المعنى المقصود في الأصل حتى يفهمه المتلقي الهدف في سياقه هو لا في سياق الأصل. ولعلّ ذلك ما يستوجب من المترجم أن يصوغ المعنى بطريقة سهلة وسلسلة حتى يفهمه المتلقي

¹ قد يبدو هذا النهج من الترجمة شبيهًا، من حيث الإجراء، بفكرة التكافؤ الوظيفي باعتبار خضوعهما للقيود ذاتها المتمثلة في التباين على المستوى الثقافي أو التاريخي أو المفهومي بين سياق النص الأصل وسياق اللغة الهدف. ولعلّ أبرزها استحالة نقل المعنى الكامل للنص الأصل لتباين سياقي اللغة الأصل واللغة الهدف. مع ذلك، تظل الترجمة غير المباشرة شكلًا مشروعًا من حالات الترجمة الساعية إلى نقل ما هو ملائم من افتراضات النص الأصلي إلى اللغة الهدف لأنّ مبدأ الاستعمال التأويلي بين اللغات هو الذي يعطي الترجمة غير المباشرة صفة الترجمة الفعليّة، خلافاً للترجمة الخفية التي تنتج نصاً مكافئاً من حيث الوظيفة لا من حيث التأويل كما تبين سابقاً في هذا البحث.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

دون أن يبذل جهداً جهيداً في ذلك، فالحاجة إلى تقليل الجهد المعرفي المبذول في المعالجة

تقتضي سلاسة في التعبير Naturalness وسهولة الفهم Ease of understanding¹.

وعليه، يكون أقصى ما بوسع الترجمة غير المباشرة أن تسعى إليه هو نقل أكبر عدد ممكن

من الافتراضات المتضمنة في النصّ الأصل دون تغيير فيها أو إضافة أو حذف وذلك

بطريقة سهلة وسلسة حتى لا يبذل المتلقي جهداً لتأويلها.

وفقاً لما سبق، يتراءى لنا أنّ الترجمة غير المباشرة حسب غوت هي ذاك النوع من

الترجمات السّاعية إلى تحقيق تشابه تأويلي مع النصّ الأصل في الجوانب الملائمة لسياق

المتلقي الهدف. وهذا ما يشير إليه فاوست Fawcett حين عرّف الترجمة غير المباشرة بأنها

تصوّر للترجمة يتّسم بالمرونة ويرتبط بالسياق ويتيح وسم أنواع مختلفة جداً من النصوص

المنقولة بترجمات. وهي نهج يلائم حالات الترجمة التي لا يضطر فيها المترجم إلى نقل

جميع الافتراضات الأصليّة إلى قراء اللّغة الهدف².

أما فان دير ميرفي Van der Merwe وفينكلر Winckler فيعرفان الترجمة غير المباشرة

بأنّها نصّ في اللّغة الهدف يسعى المترجم إلى أن يتمّ تأويله في السّياق الذي يتصوّره هو

لمتلقي اللّغة الهدف، ويكون قصده الإخباري نقل أكبر عدد ممكن من الافتراضات التي

نقلها النصّ الأصل ضمن السّياق المتصوّر في الأصل:

¹ Smith G. K., op. cit., p. 50.

² Fawcett, P., Translation and language: Linguistic theories explained. Manchester: St. Jerome, 1997, p. 138. Cited in: Smith, Kevin Gary, op. cit., p.16.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

"An indirect translation is a receptor language text which the translator intends to be interpreted in the context envisaged (by him) *for the receptor language audience*, and his informative intention in making it is to communicate to the receptor language audience as many as possible of the assumptions communicated by the original in the originally envisaged context¹".

ولعلّ أهم ما يمكن استنتاجه من التعاريف أعلاه خاصيتين اثنتين: تتعلّق أولاهما بالسياق التأويلي باعتباره الموجّه للترجمة غير المباشرة حيث يكون التركيز فيها على سياق المتلقي؛ إذ إنّ عمليّة تقريب الترجمة منه تستدعي تحقيق أكبر قدر ممكن من الفهم السلس المباشر لديه وذلك بإزالة اللبس والغموض اللذين قد يعتريان النصّ الأصل.

أمّا الخاصيّة الثانية فتتعلّق بالتشابه التأويلي بين الأصل والهدف الذي يعدّ الميزان في الترجمة غير المباشرة التي تُعنى بمراعاة المحيط المعرفي لمتلقي نصّ الهدف من خلال نقل الآثار السياقيّة الأكثر ملاءمة له لا كلّها، ما يكسي خاصية التشابه التأويلي صبغة نسبيّة وغير تامّة.

وإنّنا نرى أنّ السعي لتحقيق أكبر قدر من الفهم العفوي لدى المتلقي من جهة وتجنّيبه بذل جهد معرفي كبير في ذلك، أي تحقيق آثار سياقية كبيرة بأقل بذل جهد معرفي، يحيل إلى مبدأ الملاءمة المثلى. وعليه، نضيف إلى خاصيّة سياق التأويل والتشابه التأويلي أعلاه خاصية ثالثة تسم الترجمة غير المباشرة وهي تحقيق الملاءمة المثلى.

¹ Van der Merwe, Winckler, op. cit., p. 53.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

وخلاصة القول فيما يخص النهج غير المباشر أنّ الترجمة في ضوءه تتسم بخصائص ثلاث:

1. تشبه تأويلًا الأصل، فهي مقيدة بمحتوى الأصل فلا تخرج عنه بل يجب أن تقضي إلى التأويل ذاته كالأصل.

2. يفترض أن تؤوّل وفقاً للافتراضات السياقية المتصورة في اللغة الهدف.

3. تستند إلى مبدأ الملاءمة المثلى، أي أنّها تتقلّ أكبر قدر ممكن من المحتوى المعنوي بأيسر الطرق الممكنة.

تلك هي إذا السمات والخصائص التي تطبع النهج غير المباشر للترجمة حسب الإطار النظري للملاءمة. وفيما يلي بيان لنهجها المباشر بسماته المائزة عن النهج الأول.

2.3.2.2 الترجمة المباشرة:

يقرّ غوت بالحاجة إلى وجود نوع من الترجمة يروم نقل المحتوى الصريح للنص الأصلي. وهذا ما يجسّده في مفهوم الترجمة المباشرة الذي يعده شكلاً من الاقتباس المباشر بين اللغات يروم الحفاظ على السمات اللغوية للنص الأصلي. ومثلما أنّ الترجمة غير المباشرة تمثّل المكافئ بين لغوي للاقتباس غير المباشر، فإنّ الترجمة المباشرة هي المكافئ بين لغوي للاقتباس المباشر. وعليه، يجري عليها ما يجري على هذا النوع من الاقتباسات. وهذا ما يذهب إليه سميث الذي يرى في الهدف من الترجمة المباشرة سعياً إلى نقل

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

الافتراضات كلها المتضمنة في الأصل تماماً كما ينقل الاقتباس المباشر بالضبط قول المتكلم نقلاً تاماً¹.

وقد جاء تعريف غوت للترجمة المباشرة كالتالي:

"A receptor language utterance is a direct translation of a source language utterance if and only if it purports to interpretively resemble the original completely in the context envisaged for the original"².

"يُعتبر ملفوظ في اللغة الهدف ترجمةً مباشرةً لملفوظ في اللغة المصدر إذا وفقط إذا كان

يُقصَد به أن يُشبه الملفوظ الأصلي شبهاً تأويلياً تاماً ضمن السياق المُفترض للأصل".

يبيّن غوت من خلال هذا التعريف مسألتين أساسيتين تميّزان النهج المباشر عن النهج غير

المباشر: أولاًهما سياق التأويل الذي ينزع نحو السياق الأصلي للمصدر، وثانيهما في

التشابه التأويلي بين الأصل والهدف الذي يشترط أن يكون تاماً في خضم سياق الأصل.

ويرى فان در ميرفي وفينكلر أن الترجمة المباشرة هي:

"A direct translation is a receptor language text which the translator intends the receptor audience to interpret in the context envisaged (by the original author) for the original audience. And in making a direct translation the translator has the informative intention to communicate to the receptor language audience *all* the assumptions communicated by the original in the context envisaged for the original."³

¹ Smith, **Translation as Secondary Communication, The Relevance Theory Perspective Of Ernst-August Gutt**, Acta Theologica, , No. sup-2, 2002, p. 109.

² Gutt, op. cit., p. 171.

³ Van der Merwe, Winckler, op. cit., p. 54.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

الترجمة المباشرة نص في اللغة الهدف، يعدّه المترجم لغرض أن يؤوّله المتلقي الهدف ضمن السياق المتصوّر (من المؤلف الأصلي) للمتلقي الأصل. ويتمثّل القصد الإخباري للمترجم، بانتهاجه سبيل الترجمة المباشرة، في نقل جميع الافتراضات للمتلقي الهدف التي نقلها النصّ الأصل ضمن السياق المتصوّر في الأصل. (ترجمتنا)

يتّضح من التعريفين أعلاه أنّ الترجمة المباشرة نهجٌ يسعى إلى تحقيق أعلى درجة ممكنة من التشابه مع النصّ الأصل في المعنى والمبنى مثله في ذلك مثل الاقتباس المباشر:

"Since they [direct quotations] preserve all the linguistic properties of the original, they give the audience the possibility of reconstructing for itself the meaning intended by the original communicator, provided it uses the contextual assumptions envisaged for the original act of communication."¹

"بما أنّها [الاقتباسات المباشرة] تحتفظ بكافة السمات اللغوية للأصل، فإنها تتيح للمتلقي إمكانية أن يعيد بنفسه بناء المعنى الذي قصده المتكلم الأصل، شريطة أن يستعين بالافتراضات السياقية المتصورة في فعل التواصل الأولي". (ترجمتنا)

قياساً على الاقتباس المباشر، تقوم الترجمة المباشرة إذاً، حسب غوت، على التشابه في السمات اللغوية. ويؤكد أنّ هذه السمات تستمدّ أهميتها من وظيفتها التواصلية لا من شكلها الذاتي؛ إذ يسعى المترجم إلى إعادة إنتاجها، باعتبارها المنبه الإشاري الذي يتوسّله لإنتاج

¹ Gutt, op. cit., p. 169

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

نصّ يفضي إلى التأويل ذاته الذي أفضى إليه النصّ الأصل وهذا ما لا يتحقّق إلا إذا أُولِّ بناءً على الافتراضات السياقيّة ذاتها الموظّفة لتأويل الأصل¹.

ومعنى ذلك أنّ الترجمة متى ما استطاعت الحفاظ على السمّات اللغويّة جميعها² الواردة في النصّ الأصل نجح القارئ في استرجاع المعنى الكامل المقصود في الأصل شريطة أن يستحضر، حين تأويله للنصّ المترجم، الافتراضات السياقيّة ذاتها التي وُضع النصّ الأصليّ في ضوءها. أي أنّه ينبغي على المترجم أن يزوّد القارئ الهدف بكل الافتراضات السياقيّة التي تضمّنها النصّ الأصل ليعتمد عليها في الفهم.

ولعلّ من جملة المحصلات الناتجة عن المعطيات التعريفية للترجمة المباشرة باعتبارها اقتباساً مباشراً بين اللغات مع شرط المحافظة على السمّات اللغوية للأصل ما يتّصل بـ:

1.2.3.2.2. السياق التأويلي:

ترتبط الترجمة المباشرة بالسياق المُفترض الذي يتشكّل فيه النصّ الأصل. إذ تسعى قدر المستطاع إلى نقل كل ما ورد في الأصل نقلاً دقيقاً وكأنّ الترجمة تتمّ في استقلال تامّ عن السياق المتوقّع للمتلقّي. بيد أنّ مراعاة السياق الأصليّ لوحده يطرح إشكالية من منظور

¹ Smith., Bible Translation and Relevance, op. cit., p 57-58.

² مثلما يقتضي الاقتباس المباشر الإبقاء على السمّات اللغوية كلّها للقول الأولي، تقتضي الترجمة المباشرة الإبقاء على

الأدلة التواصلية كلّها للنصّ الأصل. يراجع: Gutt, op. cit., p. 135

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

الملاءمة: فكيف ينجح التواصل المنشود بمنأى عن سياق التلقي؟ وكيف تنتج الآثار المعرفية الملائمة إذا كان سياق المتلقي بعيداً عن السياق الذي تبلور فيه الأصل؟

يدعو غوت، تجاوزاً لهذه الإشكالية، إلى ضرورة تقريب المسافة بين سياق المصدر وسياق التلقي من خلال دعوة المتلقي الهدف إلى الاقتراب من حيثيات النص الأصل وسياقاته¹.

هذا النهج يسعى في جوهره إلى إرجاع قارئ الترجمة إلى جو النص الأصلي ليتشبع بالمحيط المعرفي الحاضن لعمليات إنتاج معناه. وعليه، فإن استعادة الخلفية اللغوية والثقافية والاجتماعية والتاريخية التي أعدّ فيها الأصل يعدّ شرطاً لتحقيق هذا النوع من الترجمة. على أنّ قارئ الترجمة تقع عليه مسؤولية بذل الجهد الملائم للخروج من محيطه والتموضع في المحيط المعرفي الخاص بالنص الأصلي أو على الأقل أن يكون أقرب ما يكون إليه².

ولعل السؤال المشروع الذي يطرح نفسه هاهنا، هو: هل باستطاعة أي شخص الرجوع إلى السياق الأولي³؟ فليس بمقدور أي قارئ غير عربي مقبل على قراءة ترجمة النص القرآني إلى لغة من اللغات المتداولة حالياً أن يستعيد كل الظروف التاريخية والثقافية والاجتماعية لشبه الجزيرة العربية قبل أربعة عشر قرناً حتى يستوعب الترجمة ويتمكن من الفهم العميق له بكل خلفياته الأسلوبية والتداولية.

¹ Gutt, op. cit. p.p. 173-176.

² Gutt, ibid., p. 231.

³ Gutt, ibid. p. 111.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

قد يحيل هذا السؤال إلى استنتاج مفاده أنّ الترجمة المباشرة من هذا المنظور موجّهة للقراء المتخصصين أساساً ممّن لهم من الأدوات المعرفيّة والمنهجية ما يمكنهم من تأويل مقاصد النصّ الأصلي في سياقه الثقافي اللغوي. وهذا ما يعني أنّ الترجمة المباشرة محظورة عن القارئ العادي.

إنّ جسر الهوة بين سياق النصّ الأصل وسياق التلقي تقع على عاتق المترجم من خلال اعتماد استراتيجيات توضيحية¹ مثل الاستطرادات والحواشي والتوضيحات الموازية التي تقدّم المنبهات اللغوية والاجتماعية والثقافية الملائمة لإنجاح المقاصد التداولية للنص. وهذا ينطبق على وجه الخصوص على النصوص التي يكتفى فيها بنقل المعاني والإبانة عن الدلالات كما لا يقبل فيها إضمار أنساق ورود وسياقاته بل لابدّ فيها من المحافظة على كلّ ما يتصل بسماتها اللغوية وخصائصها الأسلوبية والتداولية، كالنصوص الأدبية الشعرية مثلاً لما تتسم به من ثراء اللغة الفنية حيث تكثّر الاستعارات والتضمينات والتلاعب اللفظي بالعبارات ما يجعل هذا النوع من الترجمة الأنسب لها.

2.2.3.2.2. التشابه التأويلي التام:

يرى غوت في التشابه التأويلي مفهوماً متدرّجاً يشكّل التشابه التام حدّه الأقصى، وهو ما يتحقّق في الترجمة المباشرة بينما تغطّي الترجمات غير المباشرة باقي المجال التمثيلي لهذا المدرّج حسب درجات قربها من الأصل أو ابتعادها عنه².

¹ Gutt, op. cit., 196.

² Gutt, ibid., 172.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

وما يقصده غوت من التشابه التأويلي التام هو أن يطابق تأويل النص الأصلي تأويل النص المترجم، وهذا ما يتحقق من خلال إنتاج الافتراضات السياقية نفسها¹.

إنّ تحقيق هذا الشرط يفرض على المترجم أن يصوغ في اللغة الهدف ملفوظاً ملائماً لكل ملفوظ في اللغة الأصل حيث يختار له من سمات اللغة الهدف ما من شأنه أن يوجّه المتلقي إلى تأويل أقرب ما يمكن من المعنى المقصود في الأصل، مع مراعاة أن يظل هذا التأويل منسجماً مع مبدأ الملاءمة من جانب المتلقي.

ولكن ما السبيل إلى تحقيق التأويل الملائم إذا كان التباين بين اللغات معجماً وتركيباً ودلالة حقيقة راسخة؟ تجاوزاً لهذا التباين، تُحدّد هذه السمات اللغوية من منظور الملاءمة على أساس وظيفتها التواصلية لا بنيتها الشكلية. وتحقيق التشابه التأويلي التام يكون بالاعتماد على الأدلة التواصلية communicative clues لا على السمات اللغوية المشتركة بين اللغات ذلك أنّ في بعضها عبارات وصيغ تعبيرية وأسلوبية غير موجودة في غيرها. فهل هذا يثني عن الترجمة؟ إنّ قيمة السمات اللغوية للنص لا تنبع من شكلها المجرد وذاتها بل من الوظيفة الدلالية التي تؤدّيها باعتبارها أدلة تواصلية ترشد المتلقي إلى التأويل المقصود؛ وهذا جوهر في الترجمة، فما يهمّ هو نقل ما تحمله هذه السمات من قيمة بوصفها مؤشّرات تواصلية.

¹ معيار جودة الترجمة المباشرة حسب سميث هو التوصل إلى التأويل الذي يرومه المؤلف عند تأويلها في السياق المتصور لقارئ الأصل. يراجع: Smith, op. cit., p. 82

3.2.3.2.2 الأدلة التواصلية:

تشكّل الأدلة التواصلية¹، حسب غوت، أدوات إجرائية استكشافية هي بمثابة عناصر مفتاحية في عملية الترجمة. وتعدّ، بحسب تعريف حاتم، سمات مُضمّنة في النصّ الغرض منها توجيه الجمهور نحو التأويل المقصود. والأدلة التواصلية عناصر نصية تتفاوت من حيث درجة وضوحها، وتعدّ ذات أهمية بالغة لتحقيق المعنى المقصود².

ويشدّد حاتم في هذا الصدد على مسألة أنّ الأدلة التواصلية لا يقصد بها كل ما يسم النص من خصائص مهما كان نوعها بل يحصرها في الإشارات اللغوية التي، صريحة كانت أم ضمنية، يُبنى عليها النص فتعطيهِ سِمته الخاصّة من جهة، وتقلّص الاحتمالات التأويلية من جهة أخرى.

ويشرح سميث³ مفهوم الأدلة التواصلية باعتباره نابعا من نظرية الملاءمة. إذ يرى أن الفجوة القائمة بين المعلومة المشفّرة لغويًا والفكرة المُراد إيصالها تسدّها الأدلة التواصلية التي تعمل على توجيه ذهن المتلقي نحو التأويل الصحيح عبر عملية استدلال سياقي. فالعقل البشري حين تلقّيه للمعطيات اللغوية يكوّن تمثيلات دلالية، لكن هذه التمثيلات لا تقضي إلى المعنى المقصود مباشرة بل تحتاج إلى إثراء استدلالي من السياق، فاللغة تعنى بتوفير الأدلة لا أكثر والذهن يتولّى استكمال الاستدلال على المعنى.

¹ Gutt, op. cit., p. p. 132- 136.

² Hatim, B., **Teaching and Researching Translation**, Pearson, London, 2013, p. 112.

³ G. K. Smith, op. cit., p. 58

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

ومعنى ذلك أنّ الأدلة التواصلية تزود المتلقي بالمؤشرات النصّية التي توجه القارئ نحو الأساليب الاستدلالية التي تمكّنه من استكناه المعنى المقصود. وهي بمفردات الملاءمة المنبّه الإشاري الذي يظهره الباث في نصّه بغرض إرشاد المتلقي صوب السياق التأويلي الأكثر ملاءمة حتى يتمكّن من إدراك ما أريد التعبير عنه. وعليه، فإنّ أهميّتها تكمن في طابعها الوظيفي الإرشادي نحو الفهم الملائم للمعنى المقصود.

ويحرص غوت على المحافظة عليها في الترجمة المباشرة لأنّها السبيل إلى تحقيق التأويل المقصود في الأصل:

“If a direct translation preserves all the communicative clues of the source, it will enable receptors to arrive at the intended interpretation of the original”¹.

وعليه فإنّ مهمة الترجمة المباشرة لا تتمثّل في نقل الخصائص الشكلية للنص الأصلي بصورة حرفية، بل في الحفاظ على الأدلة التواصلية سبيلا لتمكين قارئ النص الهدف من استنتاج التأويل ذاته الذي توصّل إليه قارئ النص الأصلي، مع شرط التقيد بالسياق الأصلي.

إنّ الدور المهم الذي تضطلع به الأدلة التواصلية في الترجمة المباشرة يلزم المترجم تحديد الأدلة التواصلية في النصّ الأصل وتحليلها لاسيّما منها ما حرص الكاتب الأصل على تمريرها؛ ذلك أنّ الاحتفاظ بها في الترجمة كما تبين يسهم في الاحتفاظ بأهم السمات البنيوية التي من شأنها تحقيق التشابه التأويلي التام. وحري به كذلك أن يحرص على إنتاج بنى في

¹ Smith, op. cit., p. 64

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

اللغة الهدف تضطلع بالدور الوظيفي ذاته للبنى الأصلية. ومتى ما فقدت البنية المنقولة إلى اللغة الهدف وظيفتها وجب استبدالها ببنية تزود القارئ لها بدلائل تواصلية مماثلة للأصل تحقيقاً للتأويل ذاته الذي توصل إليه القارئ الأصل¹.

يبرز لنا من خلال ما سبق أنّ معيار الأمانة لا يكمن في الحرفية الشكلية وإنما في التشابه التأويلي، فمتى ما اقترب إلى درجة الاكتمال - تشابه تأويلي تام - تحققت الأمانة. والمترجم الأمين هو من يعيد إنتاج الأدلة التواصلية التي تحقق التأويل ذاته لدى المتلقي الهدف.

4.2.3.2.2. المحتويات التصريحية لنص الأصل:

تنزع الترجمة المباشرة في إطار الملاءمة إلى التقيد بالمحتويات التصريحية للأصل دون تضميناته فتغدو ملتصقة بمبناه بغية إيصاله في صورته الأولى إلى المتلقي الهدف الذي يفترض أن يوطن نفسه في المحيط المعرفي الأولي. وهذا ما ينفي الحاجة إلى توضيح المحتويات التضمينية تحقيقاً لأكبر قدر ممكن من التشابه والوفاء للنص الأصل مع افتراض تماثل السياقين: الأصل والترجمة. ولا اعتبارات التأويل، سيبدل المتلقي لا محالة جهداً كبيراً لاستحضار حيثيات السياق الأصلي والتوطن في محيطه المعرفي بما يفضي إلى الاستدلال الصحيح. فالأولى إذاً أن يحافظ النص المترجم على ما ترك للاستدلال في النص الأصل فلا يظهره بعناصر خارجية قد تشير إليه.

¹ Gutt, op. cit., p.p. 232-233.

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

يرى سميث أنّ هذه المقاربة تقيم موازنة دقيقة بين الحرفيّة والسّلاسة في التعبير. إذ إنّها، من جهة، تهتمّ بترجمة القول أكثر من اهتمامها بالقصد سبيلاً لتحقيق الوفاء للنّصّ الأصل في مبناه ومعناه فتفسح له المجال لأنّ يعبر بنفسه عمّا يروم إبلاغه. كما تسعى من جهة أخرى إلى أن يغدو النّصّ المترجم طبيعياً، وهذا ما يتحقق بالتعبير السلس عن هذا المعنى من خلال جملة من الأدلة التواصلية الملائمة حتى يستنتجه المتلقي ببسر وسهولة. ومتى ما تعذر الجمع بين الجهتين رجّحت الكفّة لسلاسة التعبير:

« Naturalness takes priority over literalness. The maxim is, translate literally to the extent that it is clear and reader-friendly in the receptor idiom¹».

الأولوية هاهنا لسلاسة التعبير وليس للحرفيّة. والقاعدة تقول ترجم حرفياً طالما النص واضح وسلس يناسب أساليب التعبير في اللغة الهدف. (ترجمتنا).

بناءً على ما سبق، يتبيّن لنا أنّ الترجمة المباشرة نهجٌ يستهدف أقصى درجات الوفاء للنصّ الأصل، وهذا لا يتمّ عبر الترجمة الحرفيّة المجردة بل من خلال إعادة إنتاج الأدلّة التواصلية التي تُمكن القارئ من الوصول إلى التأويل ذاته الذي توصّل إليه المتلقي الأصل. فهي ليست مجرد نقل لغوي، بل دعوة للتّوضع في سياق النصّ الأصلي ومحيطه المعرفي، مما يجعلها خياراً ملائماً للنصوص ذات الخصوصيّة الأسلوبية والثّقافية التي يراد أن تصل إلى القارئ الهدف محافظةً على الحمولة الدلاليّة والتداوليّة للأصل سبيلاً لتحقيق أكبر درجة ممكنة من التشابه التأويلي. ومتى ما تحقّق هذا الهدف تحقّق معه نجاح المترجم.

¹ G. K. Smith op. cit., p.p 70-71.

3.2. خلاصة الفصل:

يطرح غوت نظرية الملاءمة باعتبارها الإطار الأمثل لفهم الظاهرة الترجمة؛ فالترجمة قابلة للشرح والتفسير بشكل طبيعي ضمن نظرية الملاءمة في التواصل التي طورها كل من سبربر وويلسون، ولا حاجة لنظرية مستقلة خاصة بهذه الظاهرة بما أنّ جلّ أنواع الترجمة قابلة للتحليل والشرح من منظور الاستعمال التأويلي للغة.

تبني غوت مصطلح الاستعمال التأويلي للغة ليميز بين نهجين للترجمة من منظور الملاءمة: الترجمة غير المباشرة التي تشير إلى الترجمات التي تُجري تعديلات في الأصل بهدف تحقيق أقصى درجة من الملاءمة، فهي تتطوي على درجات تشابه أقل مع الأصل. والترجمة المباشرة التي تسعى إلى نقل المعنى من خلال الحفاظ على ما قيل في النص الأصلي أو الحفاظ على الأدلة التواصلية لما قيل؛ وهذا النهج يغطي حالات التشابه التأويلي.

وفي جميع الأحوال، تبقى نجاعة الترجمة مرتبطة بمدى استيفائها للمعيار الأساس لجميع أشكال التواصل البشري ألا وهو الاتساق مع مبدأ الملاءمة. وبناء عليه، ما من داعٍ لتفسير مختلف أنواع الترجمة على أساس أنماط النصوص أو الترجمات أو الوظيفة وما شابه من معايير، فالملاءمة توفر الإطار المرجعي لجميع أنواع الترجمات.

ووفقاً لتصوّر غوت، لا يُعدّ التمييز بين الترجمة المباشرة والترجمة غير المباشرة اقتراحاً لطرائق جديدة ينبغي اعتمادها كإجراء تطبيقي، بل تصنيفاً عاماً شاملاً لمختلف طرائق الترجمة القائمة، القصد منه تحليلها من حيث فاعليتها التواصلية: فإما أن يروم المترجم

الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة

تحقيق تشابه تام في الاستعمال التأويلي، كما في الترجمة المباشرة، أو أن يكتفي بتحقيق تشابه تأويلي في الجوانب الملائمة لحاجات المتلقي كما في الترجمة غير المباشرة. وعليه، تُجيز نظرية الملاءمة، حسب طبيعة المشروع الترجمي، خيارات متنوعة تتراوح بين الترجمة الحرفية حد التماثل والترجمة الحرة إلى حد ملائم.

وفيما يتعلق باختيار المترجم لأحد النهجين أمباشر أو غير مباشر، فإن غوت يرى أن الحالة هي التي تقتضي ترجيح طريقة على الأخرى من خلال تحديد درجة التشابه التأويلي، فلا وجود لضرورة تحتم على المترجم اتباع إحداها على نحو صارم وإنما متى ما قدّمت الترجمة درجة تشابه تأويلي قصوى كانت الأفضل. وهذا ما يكشف عن ميله وتفضيله لهذا النهج في الترجمة.

وأخيراً يكمن إسهام نظرية الملاءمة في تقديم المبادئ التواصلية - آثار معرفية/جهود المعالجة - المُعينة على تحقيق الفاعلية في التواصل وبالتالي إنجاح الترجمة. ويتميز هذا الطرح بكونه يتجاوز النماذج التقليدية للترجمة التي تركّز على ثنائية الأمانة/الخيانة أو الوظيفية/الحرفية، إلى التحليل التداولي المعرفي؛ إذ يسمح بدراسة فعل الترجمة في ضوء آليات التأويل أي البحث في العوامل الذهنية والتواصلية التي تؤثر في عملية نقل المعنى بين اللغات.



الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في
ضوء نظرية الملاءمة

0.3. تمهيد الفصل:

يتراءى لنا مبدئياً أنّ نظرية الملاءمة في الترجمة توفر إطاراً إجرائياً من شأنه أن يسهم في تطوير منهجية ترجمية للنصوص ذات الطابع الديني والمعرفي كالنص القرآني موضوع دراستنا، والذي يجمع بين الإعجاز البياني وتكثير المعنى في آن. مع ذلك، فإنّ اعتماد النظرية بطريقة بحثة دون تطبيق فعلي يأخذ بعين الاعتبار صعوبة ترجمة النصّ القرآني، لخصوصيته الدينية وحمولته المعرفية العالية، غير كافٍ. إذ ينبغي لهذا التطبيق أن يستجيب لمتطلبات الفعل الترجمي كفعل تواصل يراعي فروق السياقات التداولية والأغراض النصية مستندة جميعها إلى الخصوصية الدينية حتى تتحقق الفائدة القصوى لدى المتلقي الهدف بأقل جهد معرفي.

وعليه، ينبغي أن تنبني ملامح هذه المنهجية - حسب رأينا - انطلاقاً من المبادئ الرئيسة التي ترتكز عليها الملاءمة، والقائمة على العلاقة بين الجهد المعرفي المبذول وبين الآثار السياقية المعرفية التي تسعى الترجمة إلى توليدها لدى المتلقي الهدف وفقاً لمفهوم التشابه التأويلي بما يضمن أقصى قدر من الملاءمة.

تستند منهجية ترجمة القرآن الكريم من هذا المنظور - وفقاً لفهمنا لنظرية الملاءمة - على التأويل التداولي المعرفي الدقيق الذي يحلّ النصّ القرآني وفقاً لمقاصده ولسياق وروده. ثمّ تسعى إلى إعادة إنتاج هذا القصد في اللغة الهدف من خلال انتقاء نهج الترجمة الملائم والأكثر نجاعة - مباشرة أو غير مباشرة - حسب السياق المعرفي، مع التركيز لا على

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

استنساخ البنى اللفظية¹ وإنّما على تمكين المتلقي المفترض من تحقيق الآثار المعرفية للأصل، فيتسنى له الفهم دون تبسيط مغل أو تعقيد غير مبرر. والغاية أن تغدو الترجمة جسراً تواصلياً بين النصّ القرآني والمتلقي الهدف، يعيد تفعيل الرسالة الأصلية للقرآن الكريم في ذهنه مع الحفاظ قدر الإمكان على خصوصيّة مصدرها مهما اختلفت البيئات والثقافات. ويمكن عموماً تفصيل هذه المقاربة عبر المحاور التالية: التأويل التداولي المعرفي للأصل القرآني أولاً، ثمّ تحديد نهج الترجمة ثانياً، ونقل الأثر المعرفي ثالثاً وأخيراً.

1.2. التأويل التداولي المعرفي للأصل القرآني:

بادئاً، ثمة ترابط وثيق بين المنهج التأويلي في دراسة الترجمة وبين الجهد والآليات المستخدمة في قراءة النصّ القرآني. فقد أدى البحث في مسارات فهم معاني القرآن الكريم إلى بروز مدرسة التأويل في الفكر العربي التي تناولت القرآن من زاوية فكرية عميقة²، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، شهدت الدراسات الترجمة مؤخراً تطوراً ملحوظاً في اعتماد التأويل كأساس منهجي للترجمة وحلّ إشكالاتها؛ حيث طُبّق بشكل موسّع في نماذج متعددة

¹ ثمة ميل لدى المترجمين إلى الالتزام الحرفي بالنصّ اعتقاداً منهم أن ذلك دليل على احترام الأصل والوفاء له، لكن غالباً ما يؤدي ذلك إلى فقدان الكثير من المعاني الدقيقة.

² للتوسّع في هذه المسألة بالذات، يراجع:

- محمّد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991.
- محمّد عابد الجابري، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

لتسهيل استعادة المعنى وتأصيله في اللغة الهدف¹؛ ما يعكس تحولاً معرفياً في النظر إلى الترجمة بوصفها عملية تأويلية ديناميّة لا مجرد استبدال لغوي².

ونظرية الملاءمة كما رأينا تعتبر الترجمة عملية تأويلية معرفية ضمن إطار التواصل بين اللغات تقوم على ضرورة الفهم العميق للنص المصدر قبل الخوض في أي عملية نقل لغوي له؛ وهذا ما يتأتى من السياق التداولي المعرفي المتشكّل من عناصر عدّة هي المتكلم والمتلقّي والسياق المعرفي المشترك بينهما وصولاً إلى مقاصد الكلام.

وعليه فإنّ أولى الخطوات المنهجية لترجمة النص القرآني وفق نظرية الملاءمة تتمثل في تأويله تأويلاً تداولياً معرفياً يأخذ بعين الاعتبار العناصر السياقية المحيطة به والموجهة لمعناه. فالمعنى من هذا المنظور ليس كياناً جامداً في البنى اللفظية، بل هو نتاج تفاعل بين سياق الخطاب القرآني ومقاصده³.

¹ يراجع: عمر شيخ الشباب، سمير الناصر، فصول في التأويل ولغة الترجمة: الاختلاف وانعدام الكفاية في الترجمة، دار الحصاد، ط 1، سوريا، 2003، ص 9.

² تقدّم دراسة أجرتها ريتا كوبلاند Rita Copeland عن أعمال الترجمة في العصور الوسطى صورة واضحة عن الدور التأويلي العميق للمترجم الذي لم يكن مجرد ناقل بل "صانع نص" يتفاعل مع الأصل لينتج نصاً جديداً يتماهى مع الثقافة المستقبلية ويُسهم في بناء عناصر حضارية جديدة. هذا المنظور يوسع من مفهوم الترجمة لتشمل إعادة تشكيل النص وليس فقط نقله حرفياً. ويرى دوليل Delisle Jean، من جهته، أن المنهج التأويلي يسعى لاستخدام اللغة والحضارة باعتبارهما أداة لتأويل النصوص تتجسّدان في الترجمة، حيث تكون الترجمة "قراءة معادة" لا مجرد نقل مباشر. يراجع: عمر شيخ الشباب، سمير الناصر، المرجع نفسه، ص. ص 24 - 26.

³ مقصد الكلام في الاصطلاح هو أن ينحو الكلام واللفظ إلى معنى معيّن أو غاية يريدها المتكلم. وأما في السياق القرآني، فالمقاصد هي الغايات التي أرادها الله في كتابه، ويعبر عنها بمراد الله عزّ وجلّ من كلامه. أي الغايات التي أنزل الله القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد. ومن مرادفاتها: الحكمة والعلة والغايات والغرض والمراد. والمقاصد القرآنية إما صريحة مثل قوله جلّ وعلا في سورة البقرة الآية 2 منها: "هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" إذ يبيّن الله تعالى أن مقصد هذا الكتاب هو الهدى وهذا مقصد صريح؛ وإما خفية في أثناء الكلام كما في قوله تعالى في الآية نفسها: "ذَلِكَ الْكِتَابُ" والمقصد هاهنا بيان علو هذا الكتاب وسمو منزلته، فلم يصرّح بالمقصد وإنما يُفهم من اسم الإشارة (ذلك).

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

وكمثال على ذلك، يتوجب على المترجم أن يدرك الفارق من خطاب الله تعالى بقوله "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ" و"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ"؛ فلئن كان المصطلحان يشيران إلى مسألة واحدة تقريباً وهي الرجل الموحى إليه من الله، إلا أن أسلوب النداء في الخطاب الأول مقصده التواصل التربوي والتوجيه وهو واردٌ حصرياً في السور المدنية. فيما يتمثل المقصد من الخطاب الثاني في الدعوة والأمر بالتبليغ ولا يرد إلا في السور المكية¹. وهذان المقصدان سيتعززان في ذهن المترجم إن تمعن في الأدلة التواصلية المتصلة بالمصطلحين. فالألفاظ المتعلقة بالرسول دون النبي جميعها تدور في فلك 'يعصي'، و'يشاقق'، و'يتبع'، ما يوحي بافتراضات تناسب مقصد الخطاب. حتى أن الكافر لا يلوم نفسه يوم القيامة على عدم اتباع النبي وإنما لعدم اتباعه الرسول: "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا"²؛ لأن الدين وأصوله مرتبطان بالرسول واتباعه هو السبيل للفوز بالجنة. أمّا اتباع توجيه النبي وهديه فهو من السنة الموجبة للثواب ولا تلزم العقاب.

إن أخذ المترجم بعين الاعتبار هذا السياق المعرفي يقوده إلى تأويل الخطاب القرآني التأويل الصحيح ما يمكنه من نقل المقصد الضمني وراء كل صيغة أثناء الترجمة إلى اللغة الأجنبية

يراجع: محمد بن عبد الله الربيع، المقاصد القرآنية: دراسة منهجية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد 27، جمادى الآخرة 1440، ص. 212 - 213.

¹ يراجع:

- محمد بن عبد الله الربيع، المرجع نفسه، ص 223.
- حسين عبد الكريم، فضاءات المفردة في الخطاب القرآني، مركز الكتاب الأكاديمي، ط 1، عمان، الأردن، 2018، ص 181-183.

² سورة الفرقان، الآية 27.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

ليتبيّن أمرها في ذهن المتلقي الهدف. فمتى ما جاء على ترجمة مفردة (نبيّ) استعمل كلمة Prophète كمقابل لها وترك كلمة Messenger كمقابل لمفردة (رسول) لما تتطوي عليه من معاني الرسالة والحمل على الدعوة إليها.

الخطاب	المقصد	الترجمة
يا أيها النبيّ	التربية والتوجيه	O Prophète
يا أيّها الرّسول	الدعوة والتبليغ	O Messenger

وبناءً عليه، لا يكون تعامل المترجم مع النصّ القرآني على أساس أنّه مجموعة من الجمل المعزولة وإنّما على أساس كونه نظاماً تواصلياً خطابياً مقصديّ بالدرجة الأولى، تتضافر فيه المقومات الشكلية والمضامين التصريحية والتضمينية لإبراز مقاصده المتداخلة (بلاغية، برهانية، تشريعية، تهذيبية...) ودفع المتلقي لإدراكها من خلال الاستدلال عليها بالمؤشرات الموثقة في ملفوظاته¹. ويتمثّل مشروع المترجم على هذا الأساس في تأويل الافتراضات الموثقة في آيات القرآن ثم نقلها إلى القارئ الهدف، الذي يقوم بدوره بانتقاء المعلومات الملائمة للوصول إلى المقصد القرآني وفهمه.

¹ للتوسّع حول مقاصد الخطاب القرآني من منظور التداولية المعرفية، يراجع: عائشة هديم، مقالات في تداولية الخطاب القرآني وعلومه، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، 2021، ص. 197 - 222

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

ولتوضيح ذلك نضرب المثال التالي ولنتأمل في لفظتي: "عبيد" و"عباد" اللتين قد تبدوان مترادفتين لأوّل وهلة، ولكن إن تتبعنا سياق ورودهما سرعان ما تتبدد هذه الفرضية ليتبيّن لنا أنّ كلمة (عبيد) غير (العباد)، فالأولى وردت في سياقات ارتكاب المعاصي الموجبة للعذاب، وبالتالي فإنّها تثير افتراضات الشرّ وزمرة الأشرار، فيما جاءت لفظة (عباد) متصلة بالاستقامة والطاعة الموجبة للمغفرة والجنّة وهي بذلك تثير افتراضات الخير وزمرة الأخيار¹. فلا يكون تأويلهما إلّا ضمن هذين الإطارين.

إلّا أنّ تتبّعنا للترجمات الفرنسيّة لهاتين اللفظتين يبيّن أنّهما أنزلتا المنزلة ذاتها لا فرق بينهما وترجمتا حرفيّاً بما يقابلهما في المعجم ما أغاب الافتراضات التي أثارها السياق القرآني.

المفردة القرآنية	ما تثيره من افتراض	الترجمة ²
عبيد	الشرّ / أناس أشرار	Serviteurs/Esclaves/adorateurs
عباد	الخير / أناس أخيار	Serviteur/ Esclaves/ adoreurs

إنّ مثل هذه الترجمات التي لا تراعي نقل الافتراضات التي يتضمنها النصّ القرآني تُلبس الأمر على القارئ الفرنسي فتوجهه بدوره إلى إنزال العبيد منزلة العباد ما يغيب عنه المقصد من كلام الله.

¹ لمزيد من التفصيل، يراجع مقالنا الموسوم: عربية القرآن الكريم: خصوصية اللسان وتحديات الترجمة، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج06، ع01، مارس 2023، جامعة الوادي، ص.ص 106-118.

² اعتمدنا ترجمة محمد حميد الله وجاك بيرك ومالك شبل.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

تتجاوز منهجية الترجمة القرآنية ضمن نظرية الملاءمة، إذًا، مجرد النقل الحرفي للكلمات والجمل إلى بناء معاني تتلاءم مع طبيعة النص القرآني ومقاصده التواصلية في سياق لغوي وثقافي مغاير. وهذا لا يعني التحلل من الأصل بل الالتزام أعمق ما يكون بجوهره ومراده. وعمل المترجم هاهنا يتمثل في الوساطة التأويلية المعرفية بحيث يعيد صوغ الرسالة القرآنية لتلائم توقعات المتلقي الجديد وتثير لديه التأويل ذاته الذي أثاره النص الأصلي في المتلقي العربي.

إنَّ وجوب نقل المقصد الاتصالي القرآني يقتضي أن يكون المترجم مؤهلاً ذا كفاءة على الاستدلال على المعاني التضمينية للنص القرآني وتأويلها من خلال تمثّل السياقات التاريخية والثقافية للنزول (سياق التنزيل) وأنماط الاستعمال البلاغي (كالإنشاء، والتوكيد، والتكرار، والتشبيه والحجاج...) دون إغفال للنظام الصوتي والرمزي للآيات. فهذا النوع من التأويل هو الذي يكفل فهم الرسالة الكامنة وراء البنى اللفظية القرآنية ويحول دون الوقوع في إسقاطات الحرفية التي قد تفرغ النص من مضمونه الأصلي ومقصده الأساسي.

وبناء على ذلك، يكون التأويل التداولي المعرفي هو الموجه لعملية اتخاذ القرار أثناء الترجمة القرآنية من خلال التركيز على المقصد التواصلية بدلاً من التمسك الحرفي بالكلمات.

2.3. تحديد نهج الترجمة (مباشر أو غير مباشر):

تتمثل الخطوة الثانية في منهجية الترجمة القرآنية، وفق نظرية الملاءمة، في تحديد نهج الترجمة الذي ينبغي اتباعه: أمباشر يلتزم بالأصل التزاماً كفيلاً بتحقيق تشابه تأويلي تام أم

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

غير مباشر يركز على نقل المعنى السياقي بدرجة تشابه تأويلي أقل. تحتكم هذه المفاضلة بين النهجين - حسب رأينا- إلى الفكرة الرئيسة لطرح غوت وهي أنّ إنتاج ترجمة فعالة وناجحة تتم عبر نقل مضمون سياق الأصل إلى قراء الهدف. ولقد رأينا سابقاً أنّ نقل مضمون سياق الأصل إنّما يقصد به تحقيق تشابه تأويلي بين النص الأصل والنص المترجم، تحقيقاً للآثار المعرفية ذاتها التي أحدثها الأصل في ذهن متلقيه. وفي هذا الصدد، ترى نظرية الملاءمة أنّ النهج المباشر هو الأنسب لترجمة النصوص ذات الخصوصية الدينية لأنّه يكفل تزويد المتلقي الهدف بالافتراضات ذاتها التي توصل إليها القارئ للأصل، وذلك من خلال المؤشرات اللغوية والأسلوبية والشكلية الموثقة في الأصل والكفيلة بتوجيه المتلقي نحو المقصد الأصلي. فالنصوص الدينية، بحكم قدسيتها وطبيعتها الإعجازية، تقتضي الحفاظ على هذه السمات الفريدة والمميزة لها والتي قد تضيع من خلال النهج غير المباشر الذي يفقد النص الأصل الكثير من أبعاده باعتبار أنّه يركّز على نقل الرسالة المستخلصة منه بدرجة تشابه قد تتناهى عنه حدّ التباين¹.

وبالمثل، يؤكّد سميث² على أهمية النهج المباشر في تحقيق التشابه التأويلي التام بين الأصل وترجمته مشيراً إلى أنّ الترجمة المباشرة - بعيداً عن كونها تكافؤاً حرفياً أعمى³ -

1 وهذا ما يشير إليه سبربر وويلسن، وغوت حذوهما، بتعبير *Looseness* كما تبين سابقاً.

² Smith, Op.cit., p. p 122-137.

³ . لم نر ضرورة التطرق في بحثنا هذا إلى مزالق الترجمة الحرفية في علاقتها بالقرآن الكريم، فقد أفاضت الدراسات السابقة في هذه المسألة بالذات فيضاً عظيماً حتى أنّها أساس الآراء الفقهية الداعية لعدم جواز ترجمة القرآن إلى لغات غير العربية.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

تنتج نصّاً يمكن المتلقي من بناء السياق المعرفي نفسه والوصول إلى الآثار المعرفية ذاتها التي كان سيصل إليها لو قرأ النصّ الأصلي. وهي بالتالي ضرورية للنصوص التي تنطوي على أهمية خاصة في شكلها وسماتها اللغوية مثل النصوص الدينية. إذ أنّ أيّ تغيير شكلي في هذه النصوص قد يؤدي إلى تغيير في المقصد أو فقدان بعض من أبعاده العقديّة. ويرى سميث أنّ الترجمة المباشرة كفيلة بأن تمكّن المتلقي الهدف من العمليات الاستدلالية نفسها التي يقوم بها متلقي الأصل، ولو تطلب ذلك جهداً إضافياً منه، ما يحافظ على جوهر النصّ الأصل قدر الإمكان ضمن بيئة لغوية وثقافية مغايرة. في المقابل، يُقدّم النهج غير المباشر أثراً سياقياً فورياً ولكن على حساب جوهر الأصل وأصالة الرسالة.

ولئن جئنا إلى سياق القرآن الكريم، نرى أنّ تفضيل النهج المباشر هو الأنسب لترجمة معانيه باعتبار أنّ معيار نجاحها - أي الترجمة القرآنية - هو الإبقاء على الأبعاد العميقة والمعاني الأصلية جلّها التي تزخر بها رسالة القرآن الكريم. كما أنّه الأنسب لإسهامه في الحفاظ على إعجاز نصّه ونقل مقاصده بما يحفظ قدسيّته وأصالته. هذا خلافاً للنهج غير المباشر الذي يسعى إلى إعطاء معنى عامٍ يسهّل الفهم الفوري للمتلقي لكن على حساب المعاني والاحتمالات التأويلية الكثيرة التي ينطوي عليها الخطاب القرآني. فكلّما قلّ التشابه التأويلي مع النصّ القرآني كلّما فات على المتلقي استخلاص كامل الآثار المعرفية التي يقصدها.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

ولننظر، في هذا الصدد، قول الله تعالى: "وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"¹.

يفسر الطبري الآية بأن "الله عدل لا يجوز فيعاقب عبداً له بغير استحقاق منه العقوبة، ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت، ويوفي كل عامل جزاء ما عمل"². ويرى ابن عاشور أن عطف جملة 'وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ' على جملة مجرور الباء السببية السابقة لها 'بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ' إنما غرضه "ليكون لهذا العذاب سببان: ما قدّمته أيديهم، وعدل الله تعالى. فما قدّمته أيديهم أوجب حصول العذاب وعدل الله تعالى أوجب كون هذا العذاب في مقداره المشاهد من الشدة حتى لا يظنوا أن في شدته إفراطاً عليهم في التعذيب"³.

ومعنى ذلك أن الظلم ليس من صفات الله تعالى ولا من مقتضيات أفعاله، فهو لا يظلم بتاتاً ولا يقع منه أدنى ظلم ما يعزّز كمال عدله. فصيغة ظلام هاهنا تنفي إرادة الظلم أو حتى مجرد الميل إليه. وفي نفي الظلم الكثير نفي للظلم القليل⁴، فلا هو بفاعل للظلم أصلاً ولا هو بذی ظلم مبالغ فيه. فالمراد هو نفي الظلم من أصله، وصيغة المبالغة لا يقصد بها أصل المبالغة كما قد يفهم فالله "لَا يَظْلِمُ شَيْئاً"⁵ و"لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ"⁶. وعليه يستلزم نفي المبالغة في الآية نفي الفعل من أصله وفي الحديث "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى

¹ سورة آل عمران، الآية 182

² . يراجع تفسير الطبري: مشروع المصحف الإلكتروني، جامعة الملك سعود

تاريخ المراجعة: 12.08.2025 <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura3-aya182.html#tabary>

³ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المجلد 2، الجزء 4، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ص. 185

⁴ جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، المجلد 2، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1998، ص. 469-471.

⁵ سورة يونس، الآية 44

⁶ سورة النساء، الآية 40.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

نَفْسِي". وإنّما التكثير لتعلّق الظلم بالعبيد الذين هم في كثرة هائلة. فالمبالغة بحسب العبيد الذين يقع عليهم الظلم.

والمقصد من الآية بيان كمال نزاهة الله تعالى وترسيخ عقيدة العدل الإلهي المطلق في نفوس العباد وأن ما يصيبهم من عذاب إنّما هو أثر أفعالهم التي ارتكبوها.

هذه هي إجمالاً الآثار المعرفيّة المستدل عليها من لفظ "ظلام". وعلى المترجم أن يسعى لنقلها قدر الإمكان لضمان أكبر قدر ممكن من التشابه التأويلي في ذهن المتلقي الأجنبي.

ولننظر الآن في ترجمات الآية إلى اللغة الفرنسية:

الآية	"وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"
ترجمة بيرك	Dieu n'est pas enclin à l'iniquité envers Ses serviteurs ¹ .
ترجمة شبل	Allah n'étant pas injuste envers Ses serviteurs ² .
ترجمة حميد الله	Car, en vérité, Dieu ne manque point à Ses esclaves ³ .
ترجمة عبد العزيز	Allah n'Est sûrement point un Archi-Injuste envers Ses Créatures ⁴ .

¹ Jacques Berque, Le Coran Essai de Traduction, Editions Albin Michel, France, 2002, p. 91.

² Malek Chebel, Le Coran: nouvelle traduction, Fayard, France, 2013, p. 67

³ Muhammad Hamidullah, Le Saint Coran: Traduction Intégrale et Notes, Club Français du livre, s.d., p. 80.

⁴ Zeinab Abdelaziz, Le Qur'ān: Traduction du sens de ses Versets, Conveying Islamic Message Society, Egypte, 2009, p. 133.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

أ. تحليل ترجمة جاك بيرك:

سعت الترجمة إلى نقل معنى نفي الظلم عن الذات الإلهية كما ورد في الآية من خلال مفهوم عدم الميل باستخدام عبارة (n'Est pas enclin à) أي عدم الميل أو النزوع نحو الجور إزاء من يعبدونه.

Dieu	n'est pas enclin à	l'iniquité	envers Ses serviteurs
الله	لا يميل إلى	عدم الانصاف/الجور الظلم/الإثم	حيال عبده

الترجمة العكسية: - الله لا يميل إلى الجور/ عدم الإنصاف حيال عبده.

- الله لا يميل إلى الظلم/الإثم حيال عبده.

من الملاحظ أن ترجمة بيرك سعت إلى نقل المعنى العام للآية، من خلال التركيز على فكرة عدل الله وأتته لا يميل إلى الجور. إذ نلمس هنا توجيهاً لذهن القارئ إلى تمثّل مفهوم العدل. وفي الوقت ذاته لا نجدها قد أثبتت كمال العدل. صحيح أنّ المعنى العام مائل في الترجمة وأن القارئ الفرنسي سيدرك عموماً أنّ الله عادل ولا يجور على من يعبده، لكنّه لن يتوصّل إلى تأويل نفي الجور نفيّاً قطعياً من أصله وإثبات كمال العدل والنزاهة. ذلك أنّ المترجم نزع إلى التعبير عن المعنى العام سعياً لتحقيق أثر فوري وهو الاستدلال على مفهوم العدل لكنّه تحرّر إلى حدّ ما من الأصل من خلال حذف صيغة المبالغة مع أنّها تعدّ دليلاً تواصلياً أسلوبياً ناشئاً عن تمثّل كمال عدل الله تعالى وعدم ظلمه المطلق، هذا من جهة.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

ومن جهة أخرى، إن اطلعنا على مدلولات لفظة iniquité لوجدنا لها مرجعاً في السياق اللاهوتي، بل هو مفهوم راسخ فيه يستخدم كثنائية مع لفظة péché. فبينما تعدّ هذه الأخيرة لفظاً عاماً يدلّ على الخطيئة ومخالفة وصايا الرب، فإنّ iniquité، المترجمة عادة إلى الإثم/الظلم، تحمل معنى أعمق يشير إلى النزعة الداخليّة لارتكاب الشر والانحراف والحيد عن الخير وإلى الفساد الأخلاقي المتعمّد المفسد لعلاقة الإنسان مع الربّ والمسبب للألم والمعاناة¹. إن تمثل مفهوم "الظلم" ضمن السياق اللاهوتي يوحي بما يصدر عن الإنسان من ظلم وآثام فيكون مصدره الإنسان وهو مرتكبه. فهل غفل بترك عن هذا اللبس في المعنى أم أنّ خياره نابع من سعيه لبناء محيط مشترك بين ثقافة القرآن وثقافة الكتاب المقدّس؟ أو لربّما أراد بذلك نفي النزعة الداخليّة للشر عن الذات الإلهية -حاشاه تعالى، فذاته منزّهة عن ذلك تنزيهاً - وإثبات ميلها التلقائي إلى الخير؛ وهذا افتراض غير وارد في الآية وتأويل خاطئ لها. ومهما كان مبرّر ترجمته، فإنّ خياره ذاك سيحقّز ذهن المتلقي دي

¹ يراجع:

- Dictionnaire de l'Académie Française 9^{ème} Ed. <https://www.dictionnaire-academie.fr/article/A9I1318>. (تاريخ المراجعة: 2025/08/13)
- Shara Drimalla, (2023), What Are Sin, Iniquity, and Transgression in the Bible: Missing the Goal, Distorting Good, and Violating Trust. In: <https://bibleproject.com/articles/sin-iniquity-and-transgression-in-the-bible/> (تاريخ المراجعة: 2025/08/13)
What is the difference between sin, iniquity, and transgressions? In: Seeking Scripture. <https://seekingscripture.com/what-is-the-difference-between-sin-iniquity-and-transgressions/> (تاريخ المراجعة: 2025/08/13)

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

الخلفية المسيحية لاستحضار سياقات تأويلية بعيدة كل البعد عما جاء به القرآن، ما يغيب الهوية القرآنية عن الآية ويعطيها تأويلاً مغلوطاً لا يلائمها بتاتاً.

وعليه يمكن القول أن بيرك حاول نقل المعنى العام للآية وسعى إلى الحفاظ على تشابه تأويلي بينها وبين ترجمتها. ويكون بذلك قد انتهج نهج الترجمة غير المباشرة ملتصقاً بتحقيق الأثر الفوري في ذهن المتلقي الفرنسي لكن على حساب ما تحمله الآية من معاني فياضة. فابتعاده عن الأصل غيب مضامين هامة أوردتها وربما أضافت ما ليس فيها.

ب. تحليل ترجمة شبل:

تركز هذه الترجمة على نفي الظلم عن الله تعالى من خلال استعمال موقف للفظه Injuste التي توحى إلى مفهوم الظلم عامة واشتمالها لمفهوم عدم الإنصاف كما أورده بيرك. وعليه، يمكن لمتلقي الترجمة الفرنسية أن يستدل بسهولة على فكرة نفي الظلم وإثبات النزاهة لله كما جاء في الآية القرآنية.

Allah	n'étant pas	injuste	envers Ses serviteurs
الله	ليس	بظالمٍ	حيال عبده/لعبيده

الترجمة العكسية: الله ليس بظالمٍ لعبيده.

إلا أن شبل - بدوره - لم ينقل الدليل التواصلية الأسلوبية المائل في صيغة المبالغة "ظالم" واكتفى باسم الفاعل 'ظالم'؛ ما يغيب عن ذهن المتلقي الفرنسي تمثل دلالة مطلق النزاهة وكمال العدل ونفي الظلم من أصله. ونلتمس هنا اقتراباً من الأصل وسعيّاً إلى

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

حدّ ما إلى تحقيق تشابه تأويلي مع الآية القرآنية ولكن بدرجة أقلّ أفقدها بُعد كمال صفة الله وتامها القطعي. مع ذلك، تظلّ ترجمة شبل أقرب درجة من الأصل من حيث التشابه التأويلي مقارنة بما حقته ترجمة بيرك.

ج. تحليل ترجمة حميد الله:

تركّز هذه الترجمة على إظهار الآثار الإيجابية لعدل الله تعالى بعباده.

Car,	en vérité	Dieu	ne manque point à	Ses esclaves
ذلك أنّ	حقّاً	الله	لا يقصّر أبداً/ يفي تماماً لا يخلد قطعاً	عبيده

الترجمة العكسية:

- ذلك أنّ الله، حقّاً، لا يقصّر أبداً (في حقّ) عبيده.

- ذلك أنّ الله، حقّاً، يفي تماماً (حق) عبيده.

- ذلك أنّ الله، حقّاً، لا يخلد قطعاً عبيده.

إنّ أوّل ملاحظة تستوقفنا في هذه الترجمة استخدام العبارة الفعلية 'Ne pas manquer à' كمقابل للفظه ظلام، مع ما تحمله من دلالات إيجابية. ولعلّ في تغيير وجهة النظر هذه، من خلال التركيز على نتيجة نفي الله صفة الظلم عن ذاته وليس على نفي الصفة ذاتها، سعيّ من المترجم إلى التعبير عن صفات الوفاء وعدم التقصير أو النقص في إيفاء حقوق العباد باعتبارها آثار لعدله ونزاهته. وقد عزّز المترجم كمال هذه الصفات بإضافة العبارة الظرفية التوكيدية 'en vérité' لإثبات صفة الوفاء وعدم الاعتداء على حقوق العباد. كما

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

استخدم الظرف 'ne point' كصيغة نفي أشدّ وقعاً وأكثر بلاغة للدلالة على النفي القطعي والمطلق بدلاً من مجرد أداة النفي المألوفة 'ne pas' والتي تفيد نفيّاً عاماً وليس قاطعاً. وهذا الاستخدام يُستدلّ به لإلغاء صفة النقص والتقصير عن الله إلغاء تامّاً ومطلقاً. وعليه تكون الترجمة قد ابتعدت عن المعنى المباشر للفظه الظلم وركّزت على تبيان آثار صفة العدل. وفي هذا المسعى اتباعٌ لمنهج الترجمة غير المباشرة إلى حدّ كبير، فقد فضّل حميد الله نقل المقصد العام الذي تأوّل به - وهو أثر عدل الله تعالى - وذلك بطريقة مباشرة وسهلة الفهم. لكنّها في المقابل أفقدت المتلقي إمكانية الاستدلال على تأويلات الظلم اللفظية على الرغم من إبقائه على السّمات البلاغية. وما يلاحظ هنا هو ضعف درجة التشابه التأويلي مع الآية القرآنية، فالأثر يتحقق فوراً في ذهن المتلقي الفرنسي ولكن على حساب الدقة اللفظية الأصليّة وما تقضي إليه من تأويلات أوردتها التفاسير.

ح. تحليل ترجمة زينب عبد العزيز:

تُظهر ترجمة عبد العزيز سعياً حثيثاً لتقفي نص الآية

Allah	n'Est sûrement point	Un Archi-Injuste	envers Ses Créatures
الله	قطعا ليس	شديد الظلم/ظلام	حيال خلقه/لخلقه

الترجمة العكسيّة:

- قطعاً ليس الله بشديد الظلم/ بظلام لخلقه.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

إذ تشير هذه الترجمة، على عكس سابقتها، وبوضوح إلى صيغة المبالغة في الظلم من خلال البادئة الفرنسية Archi التي تفيد الشدة والمبالغة في التفضيل¹. إذ جاء استخدام archi-injuste (شديد الظلم كثيره وبالتالي ظلام) للإحالة على المبالغة الواردة بلفظها في الآية القرآنية بما تحمله من تضمينات يتوقع من المتلقي الفرنسي الاستدلال عليها بنفسه لاسيما أن الصيغة رافقتها أدلة تواصلية تفرضها الملاءمة وهي عبارة صيغة النفي n'est sûrement point التي تحقق جملة من الوظائف التأويلية التوكيدية لكمال عدل الله تعالى ونفي صفة الظلم عنه نفياً قطعياً.

لقد اتبعت عبد العزيز نهجاً مباشراً في ترجمة الآية القرآنية سعياً منها إلى تحقيق أقصى حدّ من التشابه التأويلي من خلال محاولة الحفاظ على السمات اللفظية والدلالية الأصلية بشكل كبير. ولعلّ الاستدلال على هذه المضامين كلّها قد يتطلب جهداً إضافياً من المتلقي الفرنسي لكنّه في نهاية المطاف سيحيط بالمعاني جلّها التي تزخر بها الآية القرآنية وذاك هو الغاية والمبتغى. فتحقيق الترجمة للأثر المعرفي ذاته الذي تحقّقه الآية مقدّم على تحقيق الأثر الفوريّ ناقصاً.

وعلى ذلك، تكون ترجمة عبد العزيز الأكثر قرباً من الأصل بل تكاد تحقق التشابه التام تأويلياً لولا أنّها اعتبرت التأويلات السياقية للفظّة 'عبيد'. فقد استعملت لفظّة (الخلق) وهي تفيد العموم وتدلّ على معنى المخلوقات بشكل أوسع، ثمّ أضافتها لله من خلال ضمير

تاريخ المراجعة (2025/08/14) <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/archi-/5037>¹

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

الملكيّة بالفرنسية (Ses) فأصبحت مضافة إليه بضمير الهاء المتصلة مفيدةً نسبة الخلق إليه (خلقه). ولقد تبين لنا سابقاً أنّ في 'عبيد' افتراض فئة من الخلق الذين يرتكبون المعاصي وليس الخلق جميعهم، وأنّ ذكرهم في القرآن بهذا اللفظ لم يرد بضمير الإضافة إلى الله على عكس كلمة عباد التي اقترن ورودها في آيات القرآن بالقرب من الله تعالى (عباد الرحمن، عبادي، عباد الله المكرمين...) لاعتبار أفعالهم الخيرة.

يُظهر تحليل الترجمات الأربع أعلاه تبايناً في نهج الترجمة المتّبع بين المباشر وغير المباشر. ما أدّى إلى تفاوت درجات التشابه التأويلي للترجمة مع الآية القرآنية. وفي الجدول التالي تبيان ذلك:

المتّبع	النهج	درجة التشابه التأويلي مع نصّ الآية	كمّ الآثار المعرفيّة المحقّقة والجهد المعرفي المبذول
بيرك	غير مباشر	بعيد	أثر قليل + جهد قليل
شبل	مباشر	قريب	أثر كبير + جهد كبير
حميد الله	غير مباشر	بعيد جداً	أثر أقل + جهد أقل
عبد العزيز	مباشر	قريب جداً	أثر أكبر + جهد أكبر

يتبين لنا في ضوء ما سبق أنّ النهج المباشر هو الأنسب لترجمة الآية القرآنية محلّ التحليل لما ينتج عنه من زيادة كمّ الآثار المعرفيّة المحقّقة. إذ كفل هذا النهج، بالمقارنة مع النهج غير المباشر، الحفاظ على المعاني المتضمنة في الأصل وأبقى على المؤشرات والأدلة التواصلية المبنوثة فيه بما يمكّن المتلقي الفرنسي من الوصول إلى الآثار المعرفية

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

ذاتها التي توصل إليها المتلقي العربي والمتمثل في تدبر المعاني جلّها التي تنطوي عليها الآية وتدبر المقصد منها. وقد تبين أنّ ترجمة زينب عبد العزيز هي الأقرب إلى هذا النهج، وقد حافظت على الدقة اللفظية والبلاغية للآية إلى حدّ كبير. تليها ترجمة مالك شبل التي سعت بدورها إلى استعادة معظم الأبعاد والجوانب الواردة في الأصل. فيما تميل ترجمة بيرك وبعدها ترجمة حميد الله إلى النهج غير المباشر، إذ تقدّمان تشابهاً أقل مع الأصل من حيث التأويل بتركيزهما على نقل المعنى العام تسهياً لتحقيق الفهم الفوري لدى المتلقي الفرنسي. لكن هذا الفهم الفوري يحول دون استخلاص القارئ لكامل الآثار المعرفيّة المقصودة في الآية القرآنية.

إنّ تبني نهج الترجمة المباشرة قدر ما أمكن كفيل بأن يحافظ على الدلالات الدقيقة اللفظية والبلاغية للنص القرآني. وعلى المترجم أن يثبت كفاءة في التأويل، مستندا في ذلك إلى معرفته بعربية القرآن الكريم ومن خلال تقديره للمؤشرات التواصليّة - دلالية وبلاغية - المبتوثة فيه، حتى يتمكّن من نقل النص القرآني بنجاعة وفعاليّة بما يحفظ أصالته وقديسيّته. وقد تستدعي الضرورة إظهار بعض المؤشرات التواصليّة كما فعلت عبد العزيز وحميد الله سبيلاً لاستحضار السياقات التأويلية الملائمة في ذهن المتلقي الفرنسي. هذا النهج هو الذي يحفظ للقرآن قدر المستطاع هويّته وكيّنونته ومكانته الرفيعة ليرتسم في ذهن متلقيه الأجنبي كما ارتسم لدى متلقيه العربي.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

وإجمالاً، يستند تفضيل اعتماد النهج المباشر في ترجمة النص القرآني لأسباب الحفاظ على إعجاز القرآن الكريم ما أمكن، ونقلًا لمقاصده الدقيقة وحفاظًا على قدسية مصدره:

1.2.3. الحفاظ على إعجاز القرآن الكريم:

إنّ خطاب القرآن الكريم معجز باللفظ والمعنى، ولغته منسوجة نسجاً "منتهى ما تسمح به اللغة العربيّة من الدقائق واللطائف لفظاً ومعنى بما يفي بأقصى ما يراد تبليغه إلى المرسل إليهم"¹. وعليه فإنّ أول ما يواجه المترجم من تحديات هو مراعاة عدم الفصل بين معنى القرآن الكريم وألفاظه²، أي بين بنيته الأسلوبية واللفظية ومعناه، ذلك أنّ معانيه كامنة في تراكيب ألفاظه ونسقتها.

وهذه الخاصية تعني أنّ كلّ لفظٍ من ألفاظه مسوقٌ ليلائم أتمّ الملاءمة المراد من المعنى، فيتحقّق الوفاء بالغرض على قدر المقصود وعلى قدر ما يُستحقّ من كلام ودلالة، من غير فضول في الأول -الكلام- ولا بخس في الأخير -الدلالة- لذلك قد يؤدي إغفال هذه الخاصيّة القرآنية إلى إسقاط معنى من المعاني المرادة.

وبالعودة في هذا الصدد إلى مثال 'العبيد' الذي سقناه سابقاً، نجد أنّ ترجمتهما الفرنسيّة بكلمة Serviteurs حقّقت أثراً سياقياً فورياً وهي إثبات عبوديّة الخلق لله تعالى، فهم جميعٌ خلقه المكلفين العابدين له:

¹ محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، الجزء 1، المجلد الأوّل، ص 93.

² توفيق الكناني، بلقيس السويدي، صادق المنبري، تحديات ترجمة معاني القرآن الكريم في ضوء نظريات علم اللغة النصّي والترجمة الحديثة (سورة ياسين أنموذجاً)، المجلة العربيّة للدراسات الإسلاميّة والشرعيّة، المجلد 4، العدد 10، يناير 2020، ص 81.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

الآية	"وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ"
ترجمة بورك	Dieu n'est pas enclin à l'iniquité envers <u>Ses serviteurs</u> .
ترجمة شبل	Allah n'étant pas injuste envers <u>Ses serviteurs</u> .
ترجمة حميد الله	Car, en vérité, Dieu ne manque point à <u>Ses esclaves</u> .
ترجمة عبد العزيز	Allah n'Est sûrement point un Archi-Injuste envers <u>Ses Créatures</u> .

لكنها أهملت العديد من الأبعاد الأخرى التي تحملها المفردة والتي تسهم في التأويل الصحيح لمعناها في سياقها القرآني. وتتمثل إجمالاً في:

اللفظة	"وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ" ¹ .
مدخلها	مخلوق + بشر + عبد الله
المعجمي	العبيد هم الناس جميعاً الذين سنّ الله عليهم عبوديته
مدخلها	مخلوق + بشر + عبد الله + ظالم + فضاء الشر
الموسوعي	الناس المقترفون للذنوب الداخلون في زمرة الأشرار
مدخلها	عبيد ≠ عباد
المنطقي	عبودية الظالم المُبعدة عن الله الموجبة للعقاب.

¹. سورة آل عمران، الآية 182

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

صحيح أنّ العبودية قد سنّها الله على المخلوقات جميعاً، لكنّ السياق القرآني يميّز بين عبوديّة الظالم وعبوديّة الطائع الذي شرفه الله بتقريبه إليه درجات. وهذا ما يعزّزه القرآن في مواضع عدّة: (عبادي، عباد الرحمن، عباد الله المخلصين، عباداً مكرمون،..). على عكس لفظة "عبيد" التي لم تأت أبداً في القرآن مقترنة بالله إن بضمير متصل أو منفصل عنه. ولعلّ السياق التأويلي يفرض حذف ضمير الملكية Ses لأنّه يشير إلى الإضافة إلى الله وهذا ما يعارض السياق التأويلي الأصلي للآية. إذ وجب هاهنا الحفاظ على الأسلوب العربي القرآني حتى يستدلّ به على بُعد هذه الزمرة من العابدين من الله بسبب اقترافهم للذنوب وتمييزاً بين اللفظتين القرآنيتين عبيد (Les serviteurs) وعباد (Mes serviteurs) (Les serviteurs d'Allah).

ويمكن، عوضاً عن ضمير الملكية، إضافة صفة مميّزة لهذه الفئة كأن نقول (Les mauvais serviteurs) أو (Les serviteurs infidèles) لتعيين كلمة "عبيد" حتى لا تختلط المعاني في ذهن المتلقّي الفرنسي وتتحقّق الملاءمة بتحقيق الأثر المعرفي وهو إدراك المراد من كلام الله تعالى، بسهولة أي بأدنى جهد ممكن.

وتجدر الإشارة في هذا المقام أنّ الإضافة لا تعني الحرّية المطلقة في الزيادات والتوضيحات، لا سيما تلك التي قد تطول كثيراً. إنّنا نرى أنّ في إضافة لفظ غير موجود في القرآن الكريم دون مبرّر يحتكم إلى تحقيق الملاءمة وتقتضيه ضرورة التشابه التأويلي قد يضيف معانٍ

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

غير موجودة وفي ذلك تقوّل بما ليس في الأصل وتعدّ على قدسيّته. وسنتطرق لهذه المسألة فيما يلي من هذا البحث.

كذلك، من ملامح الإعجاز في القرآن الكريم ترتيب الألفاظ الدال على معانٍ مقصودة؛ فكلّ لفظ فيه وارد في موقعه اللائق به فيحصل به التكامل بين العناصر الدلالية واللغوية، ما يجعل المعنى يرقى إلى مستوى عال من الدقة المناسبة لتحقيق المقاصد القرآنية. ومثال ذلك ظاهرة التأخير والتقديم التي يجب ألا تغفل عن بال من يروم ترجمة القرآن الكريم لما فيها من تحديد لمعنى النصّ القرآني وتأويله. وليس مبتغانا هاهنا التنظير لهذه الظاهرة فذلك سيستغرق الكثير، وإنما إظهار أثرها في تغيير المعنى إذا خرج البناء عن النظم القرآني بالترجمة. فالتفريط في نظم لغة الأصل يفوّت على المترجم فرصة النقل السليم للنص القرآني. وتمثل المعنى لكل تقديم وتأخير في القرآن الكريم قبل الإقدام على ترجمته ضروري تقاديا لانزياح المقاصد التي يرومها البناء القرآني المعجز. كما في الآية:

الآية	"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ¹
بيرك	Dans l'exercice du talion, vous pouvez gagner une vie ² . <u>الترجمة العكسية:</u> وفي تطبيق القصاص يمكنكم أن تكسبوا حياة.
شبل	Vous avez dans le talion une vie à préserver ³ . <u>الترجمة العكسية:</u> ولكم في القصاص حياة تحافظون عليها.

¹ سورة البقرة، الآية 179.

² Berque, op.cit., p.49.

³ Chbel, op.cit., p. 35.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

Et il y'a une vie, pour vous, dans le talion ¹ .	حميد الله
الترجمة العكسية: وثمة حياة، لكم، في القصاص.	
Et vous avez vie dans le talion ² .	عبد العزيز
الترجمة العكسية: ولكم حياة في القصاص.	

فقد جاء تقديم شبه جملة الخبر (لكم في القصاص) على المبتدأ (حياة) لفتاً للانتباه إلى أنّ هذا التشريع يعنى بأهل العقول الكاملة والألباب الوازنة فهم الذين يعرفون حقيقته وهم المخصوصون بالخطاب دون غيرهم، فمففعة القصاص مختصة بهم وعائدة إليهم، وتشريعها إنّما هي رحمة بهم وإحساناً إليهم ومنفعتها تعود لهم. فإذا أقيم الحكم وتحقق، وازدجر من يريد قتل آخر مخافة الاقتصاص منه حياً كلاهما³. وفي تكرير (حياة) دلالة للتعظيم بقرينة المقام، فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة من الجانبين⁴.

وعليه ينبغي للترجمة أن تحافظ على هذا التخصيص في حكم القصاص، بما يحمل من تأويلات، حتى يتبينه المتلقي الفرنسي وتحقق الملاءمة لديه. وعلى ذلك جاءت ترجمة شبل وبيرك، فقد حافظتا على التقديم الوارد في النص القرآني من خلال التركيز على الحكم الشرعي (القصاص) ما يفيد المتلقي الفرنسي بالدلالة التي يبتغيها النص فيؤولها حسب

¹ Hamidullah, op.cit., p. 33

² Abdelaziz, op.cit., p. 86

³ . انظر: تفسير القرطبي،

تاريخ المراجعة (2025/08/18) <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura2-aya179.html#qortobi>

4 ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 2، ص 145-146

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

السياق الذي يرومه القرآن. مع أنّ ترجمة بترك تعوزها الدقة القرآنية إلى حدّ كبير، فإضافة فعل pouvoir خفف من الشحنة الدلالية الواردة في الأصل (يمكنكم أن تكسبوا حياة) والأصل أنّ في تطبيق حكم الله قطعية وحسم لا مجرد إمكانية الحفاظ على الأرواح كما فيه انكفاف للشّر الحاصل بالقتل لا محالة.

فيما أعادت ترجمة كل من حميد الله وزينب عبد العزيز ترتيب بناء الآية، حيث جاء التركيز على المنفعة المحققة من تطبيق الحكم الشرعي سعياً منهما، لربما، لتحقيق أثر محدّد في ذهن المتلقي الفرنسي وهو إنقاذ الأرواح، ولكن على حساب المقصد الأصلي من التركيب الذي يبتغيه النص القرآني وهو مراعاة تطبيق الحكم الشرعي لأنّ الانقياد لأمر الله وتعظيم المعاصي بتركها من موجبات استحقاق الدّخول في زمرة المتقين¹.

وكنتيجة لما سبق، يتبيّن لنا أنّ الحفاظ على السمات اللّغوية والبلاغيّة للقرآن يكون باتّباع النهج المباشر؛ ذلك أنّه يسعى لنقل النص الأصل قدر ما أمكن ضمن إطار قريب من بنائه الأصلي. فسماته اللّغوية والبلاغيّة تُعد جزءاً لا يتجزأ من إعجازه. ثمّ إنّّه - النهج المباشر - يمنع من الوقوع في التبسيط المخلّ ويُبقي النص المترجم أقرب ما يكون إلى مصدره القرآني، في الوقت الذي قد يضحّي النهج غير المباشر بهذه السمات إزاء إتاحة سهولة الفهم، ما يفقد النصّ جانباً كبيراً من قيمته.

¹ انظر: تفسير السعدي،

تاريخ المراجعة (2025/08/18) <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya179.html#saadi>

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

وعليه، تتبين أهمية الالتزام بالنص القرآني حين الترجمة وتوجيه الجهد صوبه دون حذف أو إضافة غير ضرورية، لما فيه من إلغاء فرضيات أو إضفاء لأخرى. ما من شأنه أن يغيّر سياق التأويل ويبعد النص المترجم عن الأصل من حيث المضامين والأغراض وفي ذلك تفويض لعملية إنتاج ترجمة ناجحة وفعالة.

2.2.3. نقل المقاصد الدقيقة:

لا ريب أن القرآن يحمل طبقات متعددة من المعاني تتطوي على مقاصد دقيقة جديرة بالفهم والتدبر. والنهج المباشر في الترجمة كفيل أن يمكّن المتلقي غير العربي من استكناه طبقات المعاني واستخلاص المقاصد منها، وإن تطلب ذلك جهداً تأويلياً إضافياً من لدنه. إذ أن تحقيق أقصى قدر من الآثار المعرفية من خلال الاستدلال على المعاني وتأويلها تماماً كما يفعل متلقي النص الأصلي أولى من تقليل جهد التأويل. ثم إنّ في الجهد المبذول للمعالجة والفهم تعزيزٌ للتفاعل مع النص القرآني ما يُمكن المتلقي الأجنبي من التدبر وبناء فهمه الخاص.

ومن الظواهر التي تستدعي التدبر في القرآن الكريم ظاهرة القراءات القرآنية. ففيها تكثيرٌ للمعاني في الآية الواحدة وتوسعة فيها. ونظير ذلك ما يعرف بالتضمنين في استعمال العرب وفقاً لابن عاشور الذي يرى أنّ في اختلاف القراء في اللفظ الواحد اختلاف في المعنى لكن دون حمل واحد على الآخر بل فيه زيادة في ملاءمة بلاغة القرآن وتوسعة في الدلالات

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

وفيض في المعاني¹. ومعنى كلامه- إن قرّبناه من مفهوم الملاءمة - أن لكلّ قراءة طبقة من الفهم والدلالة a layer of meaning إذ تتراصّ الطبقة فوق الأخرى²، تبعاً لكلّ قراءة، لتتوسّع آفاق الدلالة الإجمالية على نحو يكمل بعضها بعضاً. والمعنى الكامل الذي يستدلّ عليه في نهاية المطاف هو معنى الاختلافات جميعها لا تضارب بينها، بل تتسع وتتكامل وكأنّ الآية تتحرك أمامنا لتتضح الصورة كلياً وتتجلي المقاصد بدقّة عالية.

لذلك وجب على المترجم الحفاظ على مواضع الاختلاف حين الترجمة من خلال اعتماد النهج المباشر لكونه الأنسب في نقل طبقات المعنى كلها كما جاءت في الأصل، فيمتحها المتلقي الأجنبي ويتدبّر مقاصدها كما قد يفعل القارئ العربي.

ولنضرب في ذلك المثال التالي:

قال تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"³

قرأ حمزة "فَأَزَلَّهُمَا" بالالف بعد الزاي وتخفيف اللام، وقرأ بقية القراء "فَأَزَلَّهُمَا" بحذف الألف وتشديد اللام. أما قراءة حمزة التي تمثل الطبقة الأولى من المعنى تدلّ على أنّ الشيطان تسبّب في إبعادهما عن الجنة وتحتيتهما عنها، فأفادت: الزوال، والتتحية من مكان إلى

¹ ابن عاشور الطاهر، المرجع السابق، المجلد الأول، المقدّمة السادسة، ص. 51 وما بعدها.

² أشارت نظرية الملاءمة إلى أنّ الرسالة المراد إيصالها أثناء عملية التواصل متعدّدة الطبقات وبأنّ النص يضمّ طبقات عدّة من المعلومات المقصودة للإسهام في تأويل النص. وقد أشرنا لذلك في فصول سابقة من هذا البحث. يراجع: Gutt, op. cit., p.p 74.

³ . سورة البقرة، الآية 36.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

مكان. فيما أفادت قراءة البقية أنّ الشيطان تسبّب في ارتكابهما لخطيئة الأكل من الشجرة المنهي عنها، أي: الوقوع في الزلل¹، وفي هذا الطبقة الثانية.

وحسب قاعدة الجمع بين طبقتي المعنى المتأتين من اختلاف القراءتين، فإنّ المعنى الإجمالي المفاد هنا أن الشيطان أوقعهما في الزلل والخطيئة من خلال الوسوسة لهما بالأكل من الشجرة المحرّمة فكانت النتيجة أن أخرجهما ونحّاهما من الجنة.

ولننظر الآن في ترجمات الآية:

الآية	فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا
ترجمة بيرك	C'est juste sur quoi Satan les fit trébucher. <u>الترجمة العكسية:</u> ذلك بالضبط ما جعلهما يتعثران عليه
ترجمة شبل	Mais Satan les fit déchoir de leur séjour. <u>الترجمة العكسية:</u> أنزلهما من مقامهما
ترجمة حميد الله	Puis le diable les fit broncher <u>الترجمة العكسية:</u> جعلهما يتعثران
ترجمة عبد العزيز	Alors Satan les fit chuter <u>الترجمة العكسية:</u> فأسقطهما/أهبطهما.

الملاحظ أنّ ترجمة (حميد الله وبيرك) وافقتا القراءة المشدّدة لتفيد معنى الوقوع في الزلل إذ استعملا على التوالي لفظتي: Broncher و Trébucher اللّتين تفيدان التعثر والزلل (زلت قدمه). أمّا ترجمة شبل وعبد العزيز فجاءتا وفقا لمعنى الإزالة والتّحية من الجنّة، فقد

¹. أبو محمد مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، ج 1، مؤسسة الرسالة، ط. 2، بيروت، 1981، ص 235، 236.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

استعملت عبد العزيز لفظة chuter التي تفيد معنى الهبوط والسقوط من مستوى إلى مستوى أدنى، واستخدم شبل فعل déchoir الدال على الهبوط كذلك وزاد عليه عبارة "من مقامهما" دلالة واضحة عن الإزالة والتتحية من مكان إلى مكان.

لكن تحقيق مطلب اكتمال طبقات المعاني في ذهن المتلقي للترجمة تحقيقاً للمقاصد الدقيقة يقتضي أن تستوعب هذه الأخيرة القراءتين معاً، وخلاف ذلك ينقص من المعنى الإجمالي للآية، ويجعل أثر الترجمة لدى القارئ الأجنبي لا يشبه الأثر المحصل في الأصل.

يقترح النهج المباشر ضمن الملاءمة، أمام تحدّيات ترجمة كهذه، اختيار معنى واحد في النص، مع إيراد باقي الاحتمالات في الحواشي حتى يتاح للمتلقي الهدف الوصول إلى نطاق التأويلات نفسه الذي كان متاحاً لمتلقي الأصل¹.

وعليه، فإنّ اعتماد النهج المباشر يقضي الإشارة بحاشية توضيحية إلى القراءة الأخرى وإظهار الاختلاف بينهما حتى لا يحجب على القارئ الأجنبي إدراك طبقات المعاني المترتبة عنها ولا يغمّ عليه الإثراءات السياقية والتأويلات التي تزخر بها الآيات، كما تجلّى لنا من المثال أعلاه.

3.2.3. احترام قدسيّة النص القرآني وأصالته:

لا غرو أنّ القرآن الكريم هو كلام الله المنزل. وأيّ سعي لإعادة صياغته بالنهج غير المباشر سيفقده جزءاً كبيراً من أصالته وقدسيته في ذهن المتلقي الأجنبي. فما يميّز

¹ G Smith, *Direct Translasyon: Striving for Complete resemblance*, Acta Theological, WD, p. 176-177.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

هذا النهج ابتعاده عن الأصل خلافاً للنهج المباشر الذي يقرّ بخصوصية الخطاب الإلهي ويُظهر احتراماً أكبر للنص القرآني بتقريبه إليه قدر المستطاع. ولئن كان هذا النهج بدوره ينطوي على تحديات عديدة باعتبار خصوصية القول الثقيل¹ إلا أنه يسعى إلى ضمان أصالة الرسالة القرآنية وسلامتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وهذا الثقل وجب تحمّله لا تغييره وتعديله؛ والمطلوب من الترجمة حفظه والتوجّه نحوه بما يحفظ للنص القرآني قيمته وأصالة رسالته، لكيلا تقع فيما تسميه الرؤية الطهوية باستلاب المعنى الإلهي.

هنا بالذات، يُعيد نهج الترجمة المباشر في ضوء الملاءمة قراءة مبدأ الجهد والأثر من خلال إعادة إنتاج الرسالة القرآنية بكل أبعادها المعرفيّة والبلاغيّة والروحانيّة في ذهن المتلقي الأجنبي وإن تطلّب منه جهداً لاستيعابها.

ويحضرنا في هذا المقام ترجمة فاطمة زائدة² Fatma Zaida - أو الزاهدة - التي انتهجت نهجاً تأويلياً هو أقرب ما يكون إلى النهج غير المباشر النائي كل النأي عن الأصل. لقد

¹ القول الثقيل رؤية قال بها طه عبد الرحمن ويقصد به أنّ القرآن قول إلهي متعال من حيث المصدر، ولا متناه من حيث الدلالة وكوني من حيث الرسالة، لذلك وجب أن تكون ترجمته ملائمة لمقامه. يراجع:

- طه عبد الرحمن، سؤال العمل: بحث عن الأصول العلميّة في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، ط. 1، المغرب، 2012، ص. 191، 192.

² نشرت تحت عنوان L'Alkoran: Le Livre par Excellence عام 1861 في لشبونة، وتعدّ أول ترجمة تقوم بها امرأة. تذكر المصادر أنّ صاحبة الترجمة كانت جارية لأحد الأعيان الأتراك وقد أهدت إليه الترجمة كما جاء في مقدّماتها. وقد أثار هذا الجانب من هويتها عدة تساؤلات عن دوافعها للترجمة وتأثيرها على النهج المتبع فيها. اتسمت ترجمتها بالطول غير المعتاد، وعدم الالتزام بعدد الآي في السور، والاستعمال الغريب والشاذ للتراكيب ومعاني المفردات. يراجع:

- شيخ الشباب عمر، مرجع سابق، ص 235-240.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

سعت فاطمة زائدة إلى توضيح المعاني الضمنية وتقديم فهمها وتأويلها الخاص لنص القرآن الكريم من خلال التغييرات والزيادات على الأصل التي لا مبرر لها ما أفقده الكثير من أصالته وحاد به عن قدسيته. ومثال ذلك ترجمتها لآية النور:

الآية	"الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" ¹
الترجمة	Je suis la lumière des Cieux et la terre ² . <u>الترجمة العكسية</u> : أنا نور السماوات والأرض.

في ترجمة هذه الآية إلى اللغة الفرنسية، نلاحظ أن المترجمة حوّلت اسم الجلالة "الله" إلى ضمير المتكلم "أنا". ولعلّ هذا التحويل نابع من نية إضفاء قوّة تأكيدية للحقيقة المطلقة بأنّ الله هو نور الكون كلّ، حتى أنّها تصرّ على هذا التوجّه وتدعمه فيما تلي من الآية: "نورٌ على نورٍ":

Je suis lumière sur lumière³.

جاء تحويل الخطاب في الترجمة الفرنسية من الإخبار عن الله بصفة الجلالة إلى خطاب مباشر بصفة المتكلم، وفي هذا تغيير يمسّ صميم النصّ القرآني لا مبرر له إطلاقاً. ويعدّ

– Mohamed Hamidullah, , Le Coran de Fatma Zaida, le Centenaire d'un mystérieux ouvrage, <https://fr.scribd.com/document/378213325/1961-Le-Centenaire-Du-Coran-de-Fatma-Zaida-Un-Mystereux-Ouvrage> (Consulté, le : 17/07/2025).

¹ سورة النور، الآية 35.

² Fatma Zaida, L'Alkoran : Le Livre par excellence, Lisbonne, Imprimerie De La Société Typographique Franco- Portugaise, 1861, p. 286. In : 235 شيخ الشباب، المرجع السابق، ص

³ Zaida, Fatma, loc., cit.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

تعدّياً على القول الإلهي المتعالي، ولا غرو أن احترام قدسيّة المصدر مبدأً أساسيّ في الترجمة القرآنيّة كما تبين.

إنّنا نرى في اعتماد النهج المباشر في ترجمة القرآن الكريم ضماناً لأصالة النصّ القرآني ومهابة قوله وكذا حفظاً له من التغيير والتعديل. فإذا ما التزم المترجم به يكون قد حافظ على نقل الأصل كما أراده الله تعالى وتقادى الوقوع في إسقاطات تُخلّ بأصالة الرسالة التي يحملها. ونستحضر هنا مثلاً آخرًا عن الإسقاطات المخلة بالأصل القرآني والمتمثّل في ترجمة الآية 33 من سورة النبأ حيث يقول الله تعالى: "وَكَوَاعِبُ أَثْرَابًا". ففيما نجد أن بعض الترجمات قد حذفها كلياً¹، راحت فاطمة زائدة تفصل القول فيها في إخلال واضح بالأصل المتعالي علوّ مصدره، إذ جاءت ترجمتها للآية كما يلي:

الآية	"وَكَوَاعِبُ أَثْرَابًا"
الترجمة	- Les femmes y prendront une jeunesse et une beauté incomparables, elles paraîtront toujours Vierges à leurs époux bienheureux par leur extrême délicatesse, elles s'appelleront Houri. 35- Elles viendront au devant des embrassements de celui qu'elles choisiront ² .

¹ . هذا ما ذكره شيخ الشباب حين تطرقه لمسألة الترجمة "ما قبل القاموسية" والتي يعني بها الترجمات الأولى التي لم تقتف أثر أيّ من الترجمات السابقة. ومن الترجمات التي غصّت الطرف عن الآية وأسقطتها الترجمة الفرنسية التي أنجزها دورير De Ryer، والترجمة الإنجليزية لألكسندر روس Ross . يراجع: شيخ الشباب، المرجع السابق، ص. 225.

² . Fatma Zaida, op, cit. p. 18.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

الترجمة	34 - ستكسب النساء شباباً وجمالاً لا يُضاهى، ويظهرن أبدأً أباكراً (في
العكسية	أعين) أزواجهنَّ السَّعداء (بهنَّ) لرقنَّهنَّ الفائقة، وسيُسَمَّين حوراً. 35 - وسيتقدَّمن لاحتضان من ستخترنه. (الأقواس إضافة منا)

إنَّ أوَّل ما يلاحظ في الترجمة هو عدم توافق رقمها مع رقم الآية في السورة القرآنية. بل وجاءت في جزأين (34 و35) بدلا من آية واحدة (الآية 33). وفيه تغيير واضح في ترقيم الآيات والتصرّف فيه، وهذا خروج بيّن عن الأصل. ثمَّ إنَّ كلّ التفاصيل التي أوردتها الترجمة لم ترد البتّة في النصّ الأصلي، فبدلاً من أن تقتبس من النور القرآني نَحَت نحو الأداء البروميثي¹ الذي أسقطها في التسطّيح والتشويه والمساس بقدسيّة الأصل. لقد غالت فاطمة زائدة في تطبيق النهج غير المباشر فراحت تقحم في آيات القرآن الكريم البيّنات ما ليس فيها ولا غرو أنّ هذا المسلك في الترجمة إمعان في تجاوز الأصل والابتعاد عنه وكان الأجدر أن تتعامل معه بما ينبغي من الإجلال والتوقير.

¹ يقدّم طه عبد الرحمن من خلال مفهوم الأداء البروميثي إطاراً نقدياً لتقييم ترجمات القرآن الكريم معتبراً إياه تعدياً على النصّ القرآني لتصرّفه فيه، بالإضافة أو الحذف أو التأويل، بما لا يوافق مراد الله تعالى ودون مراعاة ثقل كلامه. والمترجم البروميثي - بروميثوس سارق النار من الآلهة دون إذن حسب الأسطورة اليونانية - هو الذي يختلس ويتعدّى على حرمة القرآن. ونجد في مقابلة المترجم الجبريلي الذي يقتبس من النور الإلهي بما يحافظ على ثقل القرآن وقداسته. **يراجع:** طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص. ص. 193 - 195.

3.3. نقل الأثر المعرفي:

رأينا أن من مبادئ نظرية الملاءمة ألا تقتصر الترجمة على نقل البنية اللفظية للنص الأصل بل أن تستحث في ذهن المتلقي الهدف الأثر التأويلي ذاته الذي يحدثه الأصل في ذهن المتلقي المصدر. وعليه، نرى أن منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة ينبغي أن تركز على نقل الآثار المعرفية للنص القرآني ما يمكن المتلقي من الاستدلال على المقاصد ذاتها التي يستخلصها القارئ العربي. ويكون نقل الآثار المعرفية المماثلة بتبني نهج ترجمي يُحافظ على فاعلية النص في اللغة الهدف؛ ذلك أنّ التشابه التأويلي بين الأصل والترجمة الذي تقضي به الملاءمة لا يعني البتة الحرفية الجامدة التي تحول دون تفاعل المتلقي غير العربي مع النص القرآني وتحجب عنه تدبر المعاني الكامنة فيه، بل يقصد به إعطاء الأولوية للحفاظ على الآثار المعرفية ذاتها قدر المستطاع. وبعبارة أخرى، فإنّ المترجم مطالب باسترجاع الأثر المقصود وإن تطلب ذلك جهداً إضافياً من المتلقي للاستدلال عليه. وهذه مسألة جوهرية في ترجمة معاني القرآن الكريم. فمبدأ تقليل الجهد المعرفي الذي يبذله المتلقي لا يجب أن يكون على حساب تحقيق الأثر المعرفي الكامل المتأتى من الثقل القرآني الذي يشمل، كما تبين، الإعجاز اللفظي والبلاغة القرآنية والدلالة العميقة والمقصد التشريعي. وهذا الثقل القرآني ليس ممّا يجب تخفيفه وتبسيطه كما في القول البشري حتّى يستوعبه ذهن المتلقي له، بل يجب التأهل له وحفظه بما يحفظ للنص القرآني معانيه العميقة ومقاصده الدقيقة. ولقد جاء بيان ذلك في الأمثلة التي تناولناها سابقاً.

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

إننا نرى أنّ تحقيق الملاءمة في ترجمة القرآن الكريم يكون بتحقيق توازن بين استخلاص

الآثار المعرفية الكاملة ما أمكن وتيسير الجهد في ذلك من خلال الموازنة بين:

أ. الدقة: التي تستلزم نقل الآثار المعرفية ذاتها التي يحدثها النص القرآني قدر الإمكان.

ب. الوضوح: الذي يستلزم استخدام أساليب لغوية واضحة تقدّم المفاهيم والمعاني القرآنية

دونما تبسيط مخلّ بدقّة الأصل أو مشوّه لجوهره. وقد يتطلّب ذلك اللجوء إلى الحواشي

الشارحة عند الضرورة، دون إفراط مُثقل لنصّ الترجمة.

ج. السلاسة: التي تتيح للترجمة أن تبدو سلسلة في اللغة الهدف بعيداً عن التراكيب

الغريبة والأساليب الركيكة.

فمتى ما اجتمعت هذه المعايير الثلاثة تجسّد التوازن بين تحقيق الأثر المعرفي القرآني كاملاً

ما أمكن بما يحفظ للنصّ المتعالي هيئته وأصالته.

حاولنا أن نبيّن فيما سبق أن منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء الملاءمة لا تكتفي

بالنقل اللغوي للنصّ القرآني بل تتجاوزه إلى التأويل التداولي المعرفي ما يسمح بإعادة إنتاج

المقاصد القرآنية في اللغة الهدف. ويمثّل النهج المباشر في الترجمة القرآنية خياراً ناجعاً

من شأنه تمكين المتلقي الأجنبي من استخلاص الآثار المعرفية للأصل القرآني دون تبسيط

مخل أو تعقيد غير مبرّر. هذا ما يجعل من الترجمة القرآنية في ضوء الملاءمة جسراً

تواصلياً فعّالاً يعيد تفعيل الرسالة القرآنية في ذهن المتلقي الأجنبي دون الإخلال بخصوصية

الأصل وبما يحفظ هيئته ومصدره المتعالي.

4.3. خاتمة الفصل:

يتضح لنا من خلال هذا الفصل أن ترجمة معاني القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة يمثل تحوُّلاً منهجياً في مقاربة الخطاب القرآني. إذ ينتقل بالترجمة من مجرد النقل اللغوي إلى الفعل التواصلي التداولي، وبالمترجم من موقع الناقل اللغوي إلى موقع الفاعل التداولي الذي ينخرط في إعادة إنتاج المقصد الأصلي للقرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً من خلال تحقيق التشابه التأويلي بين الأصل والترجمة .

وقد سعى الفصل إلى ربط المفاهيم الأساسية لنظرية الملاءمة بمنهجية إجرائية لترجمة معاني القرآن الكريم باعتبارها آلية متكاملة تبدأ بالفهم العميق وتنتهي بالقرار الترجمي مما يحوّل نظرية الملاءمة من مفهوم نظري إلى أداة عملية لتقييم ترجمة معاني القرآن الكريم وتحسينها. وأبرز الفصل أنّ العملية الترجميّة الناجحة تنبني على خطوتين محوريّتين:

أولاً: التأويل التداولي المعرفي للأصل القرآني وهو الإجراء الذي يمكن المترجم من تحديد المقصد التداولي والآثار المعرفية المقصودة متجاوزاً حرفيّة الألفاظ إلى

الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة

عمق المعاني والافتراضات المبنوثة في سياق الخطاب. وهذا هو التأويل الذي يوجّه اتخاذ القرار الترجمي .

ثانياً: تحديد نهج الترجمة واختيار الطريقة المثلى لنقل المعاني القرآنية.

وقد خلّص الفصل إلى أنّ النهج المباشر هو الأنجع لأنّه يضمن نقل الأدلة التواصلية المحققة للتشابه التأويلي ما أمكن في ذهن المتلقي الهدف - وإن اقتضى منه جهداً ذهنياً إضافياً - محافظاً بذلك على قدسيّة النصّ القرآني من خلال الحفاظ على سماته الأصليّة وعلى أصالة رسالته من خلال تحقيق الفعالية في تبليغ المقاصد.

وبذلك، يكون الفصل قد أرسى الأساس النظري الذي يستند إليه التحليل التطبيقي اللاحق ويُمكّن من قراءة الترجمات القرآنية على ضوء معايير الملاءمة التي تنظر في أثر الترجمة ومدى نجاحها في نقل المعنى والمقصد، بما يحقق درجة عالية من الملاءمة التواصلية والمعرفية في آن.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم



الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

0.4. تمهيد الفصل:

تعدّ فرضية الثنائية (Assumption of duality) من الأفكار التي طالما أثارت اهتمام الإنسان، وهي تتبلور من خلال رؤيتين¹ تعتبر أولاهما الأضداد الكونية (الزيادة والنقصان، الحق والباطل، الذكر والأنثى،..) سعياً للاتحاد لتكوين وحدة أصلية؛ فيما ترى الرؤية الثانية في الأضداد الكونية صراعاً أبدياً هو مصدر الخلق والتوليد لاستمرار الحياة².

ولطالما كانت ثنائية "الخير والشر" حاضرة في عقائد البشر وسلوكهم قديماً وحديثاً، ولعلّها إحدى المسائل التي أشكلت على جهاذة العلم وحقاق الفكر. فقد ذهب الباحثون في فهمها سبلاً عديدة حسب المرجعيات والرؤى الفكرية. وباعتبار عدم انفكاك هذه الثنائية عن الإنسان - باختلاف عرقه ودينه وانتمائه - نجدها دائمة التجدد عبر الزمن.

ولئن استقرنا القرآن الكريم وجدنا أنّ لثنائية "الخير والشر" مكانة مركزية فيه. فإقرار الخير ونشره ومدافعة الشر وتركه مبدآن أساسيان فيه، يقول تعالى: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ

¹ سمر الديوب، الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، الطبعة 1، العراق، 2017، ص. 10.

² رؤية الاتحاد والتكامل لا ترى في الأضداد تنافراً وإنما تعتبرهما جزأين لا يكتمل معنى أحدهما إلا بالآخر. وفي اندماجهما تشكيلٌ لوحدة أصلية متناغمة. فهي رؤية تكامل ووحدة وليست رؤية صراع وتنافر بين الأضداد. ومثال ذلك ثنائية "الليل والنهار": فلا يمكن تعريف النهار أو تقدير قيمته دون وجود الليل، وكلاهما، معاً، يشكلان اليوم الكامل. وكذلك ثنائية "الذكر والأنثى" فهما يمثلان قطبي تكامل واتحاد يشكّلان، معاً، الأسرة ويحقّقان استمرار النوع. أما رؤية الصراع الخلّاق فتري في العلاقة بين طرفي الثنائية صراعاً وتنافساً على الدوام. ولكنه ليس بالضرورة صراعاً هداماً بل هو محرّك الحياة والتطوّر وبه تستمرّ حركيّة الكون. مثل ذلك ثنائية "الحياة والموت"، ففكرة الموت ما يدفع الكائنات للتطوّر والتكيف والتكاثر للبقاء على قيد الحياة، ولولا وجودها كقوة مضادة لما كان هناك دافع للتجدّد والتكاثر. كذلك فكرة "الحق والباطل"، فصراعهما الأبدي هو ما يولّد النقاش والفكر والسعي نحو تحقيق العدالة.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ¹، وفي الآية وجوب الأمر بالدعوة إلى الخير² أي دعوة الناس إلى "الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده ويأمرونهم بالمعروف باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله، وينهون عن المنكر يعني عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله"³. والمقصود هنا أمر بتكوين الأمة الموصوفة بالدعوة إلى الخير والمطلوبة بالتخلق بهذا الخلق الموجب للأفضلية⁴ والسبب المباشر للخيرية لقوله تعالى في موضع لاحق من السورة ذاتها: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"⁵. وفي الآية إخبار أن الأمة استحققت الفضل على سائر الأمم لأنها آمنت بربها وقامت بما أمرها وامتثلت لأمره⁶.

ويبين هذا الربط بين الإيمان بالله، الذي يعدّ أساس العقيدة، وتفعيله بالعمل، من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن المكانة المركزية لثنائية الخير والشر في الرؤية القرآنية.

¹ سورة آل عمران، الآية 104.

² ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 4، ص 38

³ تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura3-aya104.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/06).

⁴ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 4، ص 39

⁵ سورة آل عمران، الآية 110.

⁶ تفسير السعدي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura3-aya110.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/06).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

فحريّ بنا، بناءً عليه، أن نرصد تجليات هذه الثنائية فيما يلي من هذا الفصل بهدف بناء فهم عميق ودقيق لأبعادها الدلالية والتداولية. وهو برأينا خطوة منهجية ضرورية لدراسة ترجمتها في ضوء نظرية الملاءمة. إذ إنّ تحديد الآثار المعرفية المقصودة في القرآن الكريم هو أساس تحليل ترجمتها.

1.4. ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم:

يتطلب الفهم الدقيق لطبيعة ثنائية الخير والشر تأصيلها، قبل كل شيء، ضمن الإطار الأوسع الذي تنتمي إليه، وهو ظاهرة الثنائيات باعتبارها بنية بارزة في القرآن الكريم ومبثوثة في آياته. إذ يزخر القرآن الكريم بالبنى المتقابلة التي تعمل كأدوات معرفية وبلاغية لترسيخ المفاهيم وتوضيح الحقائق. ولكي يتسنى لنا تحديد موقع هذه الثنائية موضوع دراستنا ضمن النسق القرآني، سنبدأ أولاً بتحديد المفهوم العام للثنائيات في القرآن الكريم ثم نبين أنواعها وتصنيفاتها.

1.1.4. مفهوم الثنائيات في القرآن الكريم:

لغويًا تعود دلالة "الثنائية" إلى الجذر (ث ن ي) الذي يفيد تكرار الشيء¹. والأصل فيها اشتقاقها من كلمة "اثنين" ومنه "ثنى الشيء تنثية: أي جعل منه اثنين"². وعليه، تدلّ كلمة ثنائية على كل ما تشكّل من اثنين أو انطوى عليهما. ويفترض فيها وجود

¹ يراجع: أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، بعناية محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، 2008، مادة ثني.

² ابن منظور، جمال الدين، (1414 هـ) لسان العرب، ج. 14، دار صادر، ط. 3، بيروت، ص 115.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

طرفين يشكلان معاً وحدة لا تنفك، سواء أكانا متوالين أم متعاطفين أم متزامنين. فالثنائية ما جاوز الواحد، يلزم كل طرف فيها الآخر بغض النظر عن طبيعة العلاقة بينهما إن تشابه أو تضاد¹.

بذا، تدلّ الثنائية - وجمعها الثنائيات - على الألفاظ المرتبطة بعضها بعضاً ارتباطاً معنوياً أو مادياً حيث إذا ذكر أحدهما ذكر قرينه الآخر²، كثنائية الليل والنهار وارتباطهما الزمان، والسماء والأرض وارتباطهما المكان، والخير والشر وارتباطهما الأفعال.

أمّا في الاصطلاح، فلم نقف على تعريف لمفهوم الثنائية بما يفي بمقصود موضوعنا هذا بالرغم من أنه مفهوم محوري في الكون الذي أوجده الله الأحد. فالزوجية حقيقة متجلية في المخلوقات كلها وأساس التوازن في صنع الله.

ومن الآيات التي أثبتت فرضية الثنائية قوله تعالى: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"³ أي "صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والحق والباطل، والخير والشر فتعلمون أن

¹ سمر الديوب، مرجع سابق. ص. 15-16.

² محمد علا، الثنائيات في القرآن الكريم وجوانب التكامل والتدافع، مجلة النفاهم، المجلد 17، العدد 66، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، 2019، ص185.

³ سورة الذاريات، الآية 46.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

خالق الأزواج فرد¹. كما تتجلى الزوجية في أصناف أخرى في الأنفس والآفاق، إذ يقول جلّ تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ"² أي من الأصناف ما يعسر تعداده، ومن أنفسهم ذكر وأنثى، ومن المخلوقات التي قد خلقت وغابت عن علمنا والتي لم تخلق بعد؛ فسبحانه وتعالى أن يكون له شريك، أو ظهير أو صاحبة، أو ولد، أو سَمِيٍّ، أو شبيهه، أو مثيل في صفات كماله ونعوت جلاله³.

وهكذا تتداخل الثنائيات الكونية فيما بينها ضمن علاقات مختلفة الأشكال فثنائية "الخالق والمخلوق" تتداخل ضمن العبودية والخضوع، وثنائية "الإنسان والطبيعة" ضمن التسخير والإنعام، وثنائية "الليل والنهار" ضمن التوالي والتتابع، و"الخير والشر" حيث التدافع والصراع، وجميعها علاقات تتم عن التجدد والغنى الذي يسم الكون في مقابل وحدانية الله تعالى المنزه عن كل تنثية أو تقابل.

2.1.4. أنواع الثنائيات في القرآن الكريم:

تصنّف الثنائيات في القرآن الكريم على أساس معيارين: أحدهما تفاعل طرفيها والآخر موقع الإنسان فيها أكائن فيها أو فاعل بها.

¹ تفسير البغوي، مشروع المصحف الإلكتروني لجامعة الملك سعود <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura51-aya49.html#baghawy> (تاريخ المراجعة: 2025/09/06).

² سورة يس، الآية 36.

³ تفسير السعدي، مشروع المصحف الإلكتروني لجامعة الملك سعود: <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura36-aya36.html#saadi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/06).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

1.2.1.4. أنواع الثنائيات على أساس تفاعل طرفيها:

تنقسم الثنائيات في القرآن الكريم على أساس تفاعل طرفيها إلى ثنائيات متكاملة وثنائيات متضادة.

أولاً. **الثنائيات النسقية:** يتميز هذا النوع بالطابع النسقي بين طرفي الثنائية التي تتصف بالمركزية وتهدف إلى تحقيق توازن شرعي يجمع بين الطرفين معاً وفق صيغ تعاقدية¹ وبناءً على أوامر ونواه وضوابط شرعية².

وأمثلتها في آيات القرآن الكريم ثنائية "الخالق والمخلوق" التي تشكّل قوام العقيدة الإسلامية والتي يشير إليها قوله تعالى "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"³. إذ يحيل طرفها الأول إلى وجود إله خالق منزّه عن الإنسان والطبيعة والتاريخ، فيما يشكل العالم المخلوق من قبله الطرف الثاني الذي تنحاز إليه كجهة ثانية كل المخلوقات الكونية. والتناسق بين طرفي الثنائية يكمن في العلاقة بينهما حيث أنّ كمال المخلوق لا يُستمدّ إلاّ من الخالق تعالى فمن كان

¹ حسب فهمنا للتعريف أعلاه، فإنّ المقصود بالصيغ التعاقدية التصوّر الذي ينظم به القرآن العلاقة بين طرفي الثنائية، إذ يضعها ضمن إطار يشبه العقد يتمثّل في القواعد الشرعية التي تحدّد واجبات ومسؤوليات كل طرف تجاه الآخر بهدف تحقيق التكامل والتوازن. فإنّ نظرنا في علاقة الإنسان بالطبيعة في ثنائية "الإنسان والطبيعة" مثلاً نجدها قائمة على الاستخلاف والإعمار: فالطبيعة مسخرة للإنسان وفيها متاعه وميدان عمله لقوله تعالى: "وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الجمعة، الآية 13)، والإنسان في مقابل ذلك مستأمن على الطبيعة بإعمارها: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" (هود، الآية 61) وفق ضوابط الإصلاح وعدم الإفساد فيها: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا" (الأعراف، الآية 56). وعلى ذلك تكون الصيغة التعاقدية بين طرفي هذه الثنائية.

² محمد علا، ثنائيات في القرآن: دراسة في الخصائص المنهجية وجوانب التكامل والتقابل، إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المجلد 22، العدد 86، 2016، ص 20.

³ سورة العلق، الآية 01.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

مع الله كان الله معه فهو الموفق والمعين والهادي إلى سواء السبيل ومن نسيه أوكله الله إلى نفسه¹.

كذلك، من أمثلة الثنائيات الموسومة بالتناسق نجد ثنائية "الذكر والأنثى"² في قوله تعالى: "وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى"³ وقوله أيضاً "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى"⁴، فالآيتان توضحان بجلاء حقيقة الزوجية في الأنفس. أما تجليات التناسق بين طرفيها فتتمثل في السكن والموءة والرحمة لقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"⁵.

ثانياً. **الثنائيات الضدية:** ويقصد بهذا النوع من الثنائيات تلك الثنائيات القرآنية المركزية التي يقوم طرفاها على علاقة تقابل، حيث أنها تسعى إلى بناء توازن شرعي قائم على وجود مسافة بين طرفيها وفق أوامر وضوابط شرعية⁶. وهذا التعريف يحيل إلى فكرة تقابل مبدأين، ويدخل ضمنها جميع الثنائيات التي تربط بين طرفين متناقضين مع إظهار التباين والمفارقة بينهما، كالليل والنهار والكفر والإيمان والضّر والنفع. وهذا التضاد يعدّ نمطاً تعبيرياً محفزاً للتذكّر، لأنّ الضد يذكرّ بضده ويوصله إلى الأذهان بلا عناء، ما

¹ محمد علاء، المرجع السابق، 2016، ص 21.

² محمد علاء، المرجع نفسه، ص 22.

³ . سورة النجم، الآية 45.

⁴ سورة آل عمران، الآية 36.

⁵ سورة الروم، الآية 21.

⁶ محمد علاء، المرجع نفسه، ص 24.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

يسهم في استحضار المعاني الغائبة عن الذهن وتذكرها¹. وقد جاءت الثنائيات الضدية في القرآن الكريم في مواضع عدّة، نشير منها إلى ثنائية "التوحيد والشرك" في قوله تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"² وكذا قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُودًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ"³؛ وفي الآيتين دعوة إلى التوحيد بإفراد العبادة لله إذ ليس غيره لهم بإله، ونهي عن الشرك من خلال الأمر بالإقلاع عن عبادة غيره⁴.

وتُشير الأدبيات⁵ إلى أنّ الثنائيات الضدية تؤدي وظيفة مزدوجة: تعبيرية وإقناعية. فهي تعدّ وسيلة حاجية فعّالة، إذ إنّ الحجّة العقلية القائمة على المقارنة بين الأضداد لكشف المفارقة بينها هو من صميم الاستدلال المنطقي. وعملية الحجاج بطبيعتها تتطلب توظيف التقابل والربط والموازنة لإبراز ميزة كل طرف. ثمّ إنّ هذه المقارنة لا تقتصر على الإدراك العقلي فحسب بل تتجاوزه إلى إحداث أثر وجداني؛ فعندما تتجلى ميزة كل طرف من طرفي الثنائية فإنّ النفس تميل إلى تبني الجانب الإيجابي الحسن والاتصاف به والنفور من الجانب السلبي القبيح والإعراض عنه. وبذلك، يمكننا القول إنّ الثنائيات المتضادة تحفّز المعاني الفكرية وتستثير العواطف الأخلاقية في آن واحد، ما يعزّز قوتها الإقناعية والتعبيرية.

¹ محمد كريم الكواز، كلام الله: الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، دار الساقى، ط. 1، بيروت، 2002، ص 42.

² سورة الأعراف، الآية 59.

³ سورة الأعراف، الآية 65.

⁴ ابن عاشور، مرجع سابق، ج. 8 - ب، ص 189.

⁵ . علي مسعود زيتونة، الثنائيات الضدية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي، جامعة الوادي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 7، 2015، ص 161.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ويترآى لنا أنّ في هذه الوظيفة الإقناعية والتأثيرية المزدوجة ما يفسر الحضور المكثف للثنائيات المتضادة في القرآن الكريم. إذ إنّهُ يوظّف هذه الوسيلة الحجاجية بين المفردات والتراكيب ومختلف المواقف المتضادة في الأمثال والقصص على وجه الخصوص، ليقدم نماذج إنسانية متقابلة في عملها ومآلها. هذا ما يكسب الخطاب القرآني خاصيّة مخاطبة ذهن المتلقي له وإقناعه وإحداث الأثر المطلوب فيه.

2.2.1.4. أنواع الثنائيات على أساس موقع الإنسان فيها:

تنقسم الثنائيات في القرآن الكريم على أساس موقع الإنسان فيها إلى ثنائيات وجودية وأخرى اختيارية قيمية، أي أن معيار التصنيف يتمثل في مدى فاعلية الإرادة الإنسانية فيها.

أولاً. الثنائيات الوجودية: ويقصد بها أساسيات أو كبريات الثنائيات التي تتعلق بوجود الإنسان ولا دخل له في إحداثها، فمصدرها الله تعالى خالق الوجود ومنها ثنائية "الخالق والمخلوق" و"الإنسان والطبيعة"¹.

أي أنّ الإنسان كائن فيها موجود داخل أطرها وهي حتمية بالنسبة إليه. أمّا دوره فيها هو الفهم والتعامل معها كحقيقة، وليس له إمكانية تغييرها أو اختيار أحد طرفيها: فلا يمكنه أن يختار ألا يكون مخلوقاً أو ألا يكون جزءاً من الطبيعة. فهذه الثنائيات إذاً تشكل الإطار الذي يحتوي الوجود الإنساني.

¹ محمد علاء، مرجع سابق، 2019، ص 189 وما بعدها.

ثانياً. الثنائيات الاختيارية أو القيميّة:

ويقصد بها الثنائيات الصارمة التي لا يقدر الإنسان على التوفيق بين أطرافها أو الجمع بينها. فلا يسعه إلاّ اختيار أحد طرفيها وذلك لتقابلهما المطلق والشديد ووقوعهما على طرفي تضاد ومنها خصوصاً ثنائية "الإيمان والكفر" و "الحقّ والباطل" و "الخير والشر"¹. أي أنّ الإنسان فاعل بها، طرفاها معروضان عليه ودوره الاختيار بينهما. فهو مطالب باختيار طرفٍ واحدٍ من أطراف الثنائية ليقف إليه: فإمّا الإيمان أو الكفر وإمّا الحقّ أو الباطل. وهو بذلك مسؤول عن هذا الاختيار الذي يترتب عليه مصيره ومآله.

وخلاصة القول في هذا التصنيف أنّ موضع الإرادة الإنسانية هي الفیصل، فإن كانت الإرادة الإنسانية مستقبلة للثنائية كإطار لا يمكن تغييره فهي ثنائية وجودية، وأمّا إذا كانت الإرادة الإنسانية فاعلة فيه ومطلبة بالاختيار بين طرفي الثنائية فهي اختيارية قيميّة.

يقدم الخطاب القرآني، إذاً، حقائقه الكبرى المتعلقة بوحداية الله تعالى، المنزه عن كلّ مقابلة والغني عن كل شريك، وبالوجود الإنساني واستخلافه ومصيره، يقدمها ضمن إطار ثنائي صارم لا يقبل خياراً ثالثاً يتمثل في مجموعة من الثنائيات المركزية² (دنيا وآخرة، إيمان وكفر، حق وباطل، خير وشر...). وتتضح أهمية هذه الثنائيات من خلال ترسيخها للمفاهيم وتأطيرها للسلوكات والأفعال وتحديد المآلات. فأما ما ارتبط منها بالأحكام والقيم

¹ محمد علاء، المرجع السابق، ص 197.

² محمد علاء، المرجع نفسه، ص. 188.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

فهي أساس الاعتقاد الصحيح لمفهوم الوجود باعتبارها منبع قيم التوحيد والاستخلاف والتعبّد. وأمّا ما تعلّق منها بتحقيق مقاصد هذه القيم من خلال السلوك والعمل بالإيمان والتركية والخير فهي رهينة بمسؤولية الإنسان واختياراته.

ولعلّ ما يميّز أسلوب الثنائيات في القرآن الكريم أنّه لا يفضي إلى التشتت والتضارب بل يكرّس نسق الانسجام والتكامل بين الموضوعات التي يطرحها القرآن الكريم. وهذا النسق يتجلّى في مستويين¹:

أ. **مستوى بيان الحال:** حيث تُستخدم الثنائيات لوصف الخصائص الجوهرية لكل طرف من طرفي الثنائية، كوصف المؤمنين بصفات العزة، واللين، وحياة القلوب؛ وفي المقابل وصف الكافرين بصفات الذلة والقساوة وموت القلوب.

ب. **مستوى بيان المآل:** حيث تُستخدم الثنائيات لتصوير العاقبة والمصير المترتب على كل اختيار، كالجنة والنّعيم للمؤمنين، والنّار والجحيم للكافرين. وهذه البنية النسقيّة تجعل القرآن الكريم يوضّح ويؤازر بعضه بعضاً بما يحقّق تكاملاً في معاني آياته.

2.2.4. تعريف ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم:

نسعى في هذا المبحث إلى تأصيل مفهوم الخير والشر من خلال تتبع دلالة هذه الثنائية في اللسان العربي، لننتقل بعدها إلى تحديد مفهومها في التصور القرآني حتى نبين

¹ محمّد علاء، المرجع السابق، ص. 189.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

كيف هذب القرآن الكريم هذا المفهوم ونقله من معياره الإنساني الذاتي إلى معيار إلهي موضوعي. كما سنتناول فيه طبيعة التضاد بين الخير والشر باعتبار الإضافة إلى الله تعالى وباعتبار الإضافة إلى البشر. وسنرصّد في خطوة لاحقة تجليات كل من الخير والشر في آيات الذكر الحكيم وكيفية استخدامهما في سياقات متعدّدة. وهذا الرصد لأوجه الخير والشر في القرآن الكريم غايته تقديم الأساس المنهجي لدراسة وتحليل ترجمة هذه الثنائية في الفصل التطبيقي لاحقاً.

1.2.2.4. الخير والشر في لسان العرب:

يُعرّف الخير والشر¹ في اللسان العربيّ باعتبار نتيجة الفعل والغاية التي تعود منه على فاعله. فإذا كانت عاقبة الفعل نافعة لصاحبها قيل إن الفعل حصل منه خير لصاحبه وإذا كانت ضارّة قيل إنّ هذا الفعل شرّ. وعلى هذا المعنى جاء ورود هذه الثنائية في قوله تعالى: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)"²، وهو كناية عن عدم إضاعة جزاء المحسن والمسيء³ وأنّ كلّ جماعة تصدر في منزلة لتلقّي جزاء الأعمال التي عملتها في الحياة الدنيا⁴.

¹ انظر في هذا الصدد:

- محمّد السّيد الجليلند، قضية الخير والشر لدى مفكرّي الإسلام، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص. 37.

- محمّد بالطيب، مسألة الخير والشر والنظام الأخلاقي في الإسلام، مجلة التفاهم، المجلد 13، العدد 48، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، 2015، ص 197.

² سورة الزلزلة، الآيتان 7 و8.

³ ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 1، ص. 672.

⁴ ابن عاشور، المرجع نفسه، الجزء 30، ص. 494.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ويعرّفهما الراغب الأصفهاني بقوله: "الْخَيْرُ ما يرغب فيه الكلّ، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع"¹، ويضيف ضدّه "الشّر الذي يرغب عنه الكلّ"².

فالخير إذا هو كلّ ما فيه مصلحة للإنسان وتكون نتيجته نافعة أو كلّ ما أدّى إلى جلب المنافع وتحقيق المصالح وفي ذلك قال تعالى: "وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ"³. وما سمّي المال بالخير إلّا لأنّه يجلب الكثير من الرغائب، وقيل لا يسمّى المال خيراً حتى يكون كثيراً ومن مكان طيّب⁴. وفي هذا المعنى ورد⁵ قوله تعالى: "وَأِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ"⁶ وكذا قوله: "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا"⁷. كما يحمل الخير معنى الاختيار والانتقاء لأنّ فيه تخير لما فيه عود بالنفع.

وهذا المعنى يتجلّى في استعمالات مثل "اختار الشيء" و"تخيّر" أي انتقى منه ما هو خير له⁸. وكذا في "استخار الله" أي طلب من الله أن يختار له أفضل الأمرين عاقبةً.

¹ الراغب الأصفهاني، كتاب المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، ط. 1، دمشق بيروت، 1412 هـ، ص 300.

² الأصفهاني، المرجع نفسه، ص 448.

³ سورة البقرة، الآية 110.

⁴ الأصفهاني المرجع نفسه، ص 300.

⁵ ابن عاشور، المرجع السابق، ص 505.

⁶ سورة العاديات، الآية 8.

⁷ سورة البقرة، الآية 18.

⁸ معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية القاهرة،

(تاريخ المراجعة: https://archive.org/details/abdayassin_gmail_01/01/page/n409/mode/2up)

(2025/09/14).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ففي الخير كما تبين إطلاق على كل ما ينفع الإنسان ويفيده ويلئم رغباته مثل المال والصحة والغنى¹.

وخلافه الشر الذي يطلق على كل ما فيه أذى للإنسان وتكون نتيجته سيئة أو كل ما أدى إلى إلحاق الضرر وتقويت المصلحة، وفي ذلك قال تعالى: "وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ"². فإن الحق الفعل ضرراً لصاحبه عدّه شراً وفي ذلك قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا"³، أي إذا أصابه الضر فقلّ ماله أو ناله الفقر والعدم فزعّ وجزع وانخلع قلبه وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير⁴. ففي الشر إطلاق على كل ما يلحق الضرر بالإنسان ويؤذيه ويخالف رغباته مثل المرض والفقر⁵.

يتبين لنا إذاً أن مفهوم الخير والشر في اللسان العربي مرادفان للنفع والضرر، فالخير كل ما فيه نفع للإنسان والشر كل ما ألحق الضرر به.

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 29، ص 170.

² سورة الأعراف، الآية 188.

³ سورة المعارج، الآيات 19 - 21.

⁴ تفسير ابن كثير، المصحف الإلكتروني لجامعة آل سعود: <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura70-aya20.html#katheer> . (تاريخ المراجعة: 2025/09/09).

⁵ ابن عاشور، المرجع نفسه، ص 170.

2.2.2.4. الخير والشر في لسان القرآن:

نقصد بلسان القرآن ما اصطلح على تسميته بعربيّة القرآن¹، فمن المهمّ "استيعاب أن القرآن الكريم عندما يستعمل الكلمة العربيّة فإنّه يخرجها من موقع الكلمة البسيطة إلى موقع المفهوم الغنيّ بدلالاته وآفاقه، وبحيث يفتح على جملة من المعاني ما كانت تردّ على الذهن قبل استعمال القرآن الكريم لها، ووضعها في نظمه وسياقه"². وبعبارة أخرى، فإنّ لسان الخطاب الربّاني لا تطابق عربيّته لسان العرب المعهود. إذ إنّ القرآن الكريم يستخدم ألفاظاً مألوفة، لكنّه يوظّفها في سياقات جديدة أكسبتها معاني مرتبطة برؤية عقديّة وقيميّة مغايرة لما كانت عليه من قبل. وهذا ما يميز "لسان القرآن" عن "لسان العرب"، حيث استنفد أقصى الطاقات البلاغيّة والدلاليّة للسان العربيّ وأنشأ لنفسه قانوناً مفاده اكتناف المعاني الكثيرة والواسعة تقتضي التمثّل الأفضل³. وهذه الخصوصيّة القرآنيّة هي ما يصطلح عليه بـ "الاستخدام الإلهي للغة"⁴ أو "القول الثقيل"⁵.

¹ محمود العزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، مصر، 2006، ص 32.

² محمّد المنتار، خصوصية النسق المفهومي القرآني، مجلة الإحياء، العدد 28، 2008، ص 95.

³ ابن عاشور، المرجع السابق، المقدمة العاشرة، الجزء 1، ص. ص 93 وما بعدها.

⁴ يصف محمد القاسم حاج حمد لسان القرآن بـ "الاستخدام الإلهي" للغة في مقابل "الاستخدام البشري" لها. يراجع: رؤوف دمق، قراءة في كتاب "الحاكميّة" لمحمد القاسم حاج حمد، في <https://www.mominoun.com/articles>، (تاريخ المراجعة: 2019/10/15).

⁵ مفهوم القول الثقيل من وضع طه عبد الرحمن استناداً إلى قول الله تعالى في سورة المزمل الآية 5 منها: "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا". يراجع: طه، عبد الرحمن، مرجع سابق، ص. 191، 192.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ونرى أنّ إدراكها يعدّ شرطاً أساسياً لفهم النص القرآني الفهم الصحيح ومطلباً ضرورياً لمن يروم ترجمته.

1.2.2.2.4. معيار الخير والشر في التصوّر القرآني:

يمكننا أن نستشف من المفهوم اللّغوي أعلاه ملامح المعيار الإنساني في الحكم على الخير والشر. إذ يتّسم هذا المعيار بأنّه "ذاتي فرديّ وضيق، مرجعه إحساس الإنسان ووجدانه وما يجد فيه مصلحة وارتياح وانسراح، أو مضرّة وأذى وانزعاج"¹. ومعنى ذلك أنّ مرجعيّة الحكم بين ما هو خير وما هو شرّ مرجعيّة ذاتيّة تعكس حالة شعور الإنسان فيختزل الخير فيما يبعث على الانسراح الشخصي والرضا الداخلي فيما يثير الشرّ شعوراً بالألم والسوء، فتصير المصلحة الشخصية هي المحدّدة دون اعتبار للأثر على الغير. هذا ما يجعل هذا التصوّر محدود النطاق ضيق الأفق غير قادر على رؤية عواقب الأفعال أو إدراك طبيعة الأمور إذا كانت نافعة أو ضارة للفرد أو الجماعة.

يأتي الخطاب القرآني، في مقابل قصور المعيار الإنساني للحكم على الخير والشر، ليقدّم رؤية صحيحيّة له وينبّه لعدم دقّته كما يتجلى في قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"². يرى ابن عاشور أنّ الكره في هذا السياق هو الكراهية وإبائية الطبع ونفرتة

¹ . محمّد بالطيب، مرجع سابق، ص 197.

² سورة البقرة، الآية 216.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

من الشيء¹. ويوضح، من خلال تفسيره للآية، أنّ حكمة التشريع الإلهي لا تقوم على ملائمة الطبع وموافقته، بل على تحقيق المصالح ودرء المفسدات بالنظر إلى الغايات والعواقب. "فقد يكره الطّبع شيئاً وفيه نفعه وقد يُحبّ شيئاً وفيه هلاكه... فإنّ الشيء قد يكون لذيذاً ملائماً ولكنّ ارتكابه يفضي إلى الهلاك، وقد يكون كريهاً مُنافراً وفي ارتكابه صلاح"². وعليه، فإنّ وصف الفعل بالخير أو بالشر اعتماداً على ما يلائم طبع الإنسان مردودٌ في التّصوّر القرآني. فقد يكره الإنسان أمراً فيه نفعه وصلاحه، وقد يحبّ أمراً فيه ضرره وهلاكه. وفي الآية دعوة للقتال مع ما يبدو فيها من كراهة للنفوس "لأنّه يحول بين المقاتل وبين طمأنينته ولذّاته ونومه وطعامه وأهله وبيته، ويُلجئ الإنسان إلى عداوة من كان صاحبه ويعرّضه لخطر الهلاك أو ألم الجراح، ولكنّ فيه دفع المذلة الحاصلة من غلبة الرجال واستضعافهم"³ ويعقبه النصر والظفر على الأعداء.

ويردّ ابن عاشور في هذا الصدد أنّ في جملة "وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" تذييل لكل ما سبق وأنّ مفعولاً "يَعْلَمُ" و"تَعْلَمُونَ" محذوفان تقديرهما الله الذي يعلم الخير والشر وأنتم لا تعلمونهما. ذلك أن الله يعلم الأشياء على ما هي، أمّا الناس "فِيُشْتَبِه عليهم فيظنون الملائم نافعاً والمنافر ضاراً"⁴. وبسبب الغفلة عن رؤية ما وراء المتعة أو الألم جاء القرآن ليوجّه النّاس إلى الأفعال أو تركها بناءً على مآلاتها النّهائية لا على أهوائهم.

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 2، ص 320.

² ابن عاشور، المرجع نفسه، ص 321.

³ ابن عاشور، المرجع نفسه، ص 320.

⁴ ابن عاشور، المرجع نفسه، ص. 323

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

وعليه فإنّ مقياس الخير والشر في التصور القرآني غير مسند لتقدير الإنسان ولا هو كامن في الفعل ذاته. إن معياريته تنبثق من رؤية مخصوصة للكون والإنسان وهي العقيدة التي يؤمن بها الفرد والتي تمنح الأفعال قيمتها فتكون خيراً إن وافقتها وتكون شراً إن خالفها¹.

2.2.2.2.4 مفهوم الخير والشر في القرآن الكريم:

تتفق التفاسير بأنّ أجمع آية في القرآن لخيرٍ يُمتثل ولشرٍ يُجتنب² هي قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"³.

يتناول القرآن الكريم مفهوم الخير باعتباره كل ما هو مرغوب فيه ومحبوب ومصطلح عليه بمختلف معاني النعم والمنافع والمصالح والخيرات والبركات، سواء كان مادياً كالمال والطعام والقوة، أو معنوياً كالإيمان والطاعة والخلق الحسن. بالمقابل، يجمع مفهوم الشر كل ما يضر الإنسان ويؤذيه، من منكرات وأضرار وموبقات ونقم⁴. إلّا أنّ إبراز القرآن الكريم لثنائية

¹ محمد بالطيب، المرجع السابق، ص 198.

² عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال إنها أجمع آية في القرآن بخير وشر. انظر الآية 90 من سورة النحل في تفاسير:

- البغوي، الطبري، ابن كثير، والقرطبي، مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer>

- ابن عاشور، الطاهر، المرجع السابق، الجزء 14، ص. 259.

³ سورة النحل، الآية 90.

⁴ محمّد علاء، المرجع السابق، 2016، ص 25.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

"الخير والشر" لا يأتي من باب تصنيف المواقف والأفعال فحسب، وإنما يقدّمها كنظام أخلاقي يوجّه سلوك الإنسان ويحدد مصيره وعاقبته في الدنيا والآخرة¹.

وقد ورد الخير في آيات القرآن الكريم مقترباً بالطاعة والتوحيد ومرتبلاً بالمؤمن، إذ يقول تعالى: "وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ"². فيما جاء الشرّ قريباً بالمعصية والكفر ومرتبلاً بغير المؤمن: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ"³، ومثله قوله تعالى: "أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56)"⁴، إذ ينفي الله تعالى الخير عن الذين كفروا برّبهم وناذبوا دينه، ويصف ما أتاهم بالشر يريد بههم، وزيادة عقوبة إلى عذابهم⁵. يقول العزّ بن عبد السلام، في هذا الصدد، إنّ الخير كله في الطاعات والشر في المخالفات، لذلك "حثّ القرآن على الأولى دقّها وجلّها قليلها وكثيرها جليلها وحقيرها، وزجر الثانية دقّها وجلّها قليلها وكثيرها جليلها وحقيرها"⁶، وبعبارة أخرى الخير مكمّنه في الامتثال لأوامر الله، فيما يمثّل كل ما خرج عن أوامره شراً محضاً. وبناءً عليه يمتاز المؤمن عن غيره بالمنهج العملي الذي يتبعه. فالمؤمن هو من اختار الطاعة مبدأً حاكماً لحياته؛ بينما غير المؤمن

¹ انظر: صلة ثنائية الخير والشر بالمسألة الأخلاقية في الإسلام مؤيداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في: محمّد بالطيب، مرجع سابق، ص. ص. من 202 إلى 222.

² سورة البقرة، الآية 221.

³ سورة آل عمران، الآية 178.

⁴ سورة المؤمنون، الآيتان 55 - 56.

⁵ تفسير السعدي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura3-aya178.html#saadi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/11).

⁶ العزّ بن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنعام، الجزء 1، دار القلم، دمشق، سوريا، 2000، ص 11.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

هو من اختار المعصية. لذلك يمثل المؤمن في القرآن التجسيد العملي للخير، وتصبح الصفات التي ينسبها إليه كالحياة والنور والعزة هي الآثار الطبيعية لمنهج الطاعة لديه. وفي المقابل، يصبح غير المؤمن هو التجسيد العملي للشر، وتصبح الصفات السلبية التي يعزوها إليه كالموت والظلمات والذلة هي الآثار الحتمية لمنهجه في المعصية.

نستشف مما سبق أن مفهوم الخير والشر في القرآن مفهوم معياري يقوم على مبدأ الطاعة والمعصية، وعقدي مرتبط بالهوية العقدية للإنسان لذلك نجد الخير مقترناً بالمؤمن والشر بغير المؤمن. كما أنه الأساس في تحديد قيمة الإنسان ومسؤوليته وبالتالي مآله. وسنقف فيما يلي من هذا البحث على تجليات الخير والشر وأجههما بمزيد من التفصيل.

3.2.2.2.4. طبيعة التضاد بين الخير والشر:

لعلّ التصنيف الأكثر دقة في وصف ثنائية "الخير والشر" في القرآن الكريم، وفق ما سبق، هو وضعها ضمن الثنائيات الضدية القيمية. فهي ضدية بوظيفتها البلاغية والإدراكية التي يؤديها التقابل بين طرفيها فلا يمكن أن يأتيا معاً. إذ يستخدم القرآن الكريم التضاد بين الخير والشر كنمط تعبير يهدف إظهار التباين والمفارقة بينهما، فإبراز قبح الشر وعواقبه تزداد قيمة الخير وثمراته في الذهن. وهي قيمة اختيارية بطبيعتها، لأن القرآن لا يقدم الخير والشر كمبدأين يمكن الجمع بينهما في صيغة توفيقية بل يطرحهما كمسارين متميزين حيث يُطالب الإنسان باتخاذ قرار حاسم بالانحياز إلى الخير ونبذ الشر.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ومن أبرز الشواهد القرآنية على طبيعة التضاد في ثنائية الخير والشر قوله تعالى: "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"¹ أي طريقي الخير والشر بينهما الله للإنسان فلا يسعه إلا أن يختار أحدهما واختياره هذا هو ما يحدد قيمته ومآله².

ومن لطائف ما جاء به تفسير الألوسي لهذه الآية قوله إن استخدام لفظ النجد مشهور في "الطريق المرتفع"³، واصفاً بذلك مسلك الخير بالرفعة خلافاً لمسلك الشر الذي فيه هبوط من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقاوة، وعلى ذلك بين الله تعالى للإنسان شأن ما إن سلكه نجا وما إن سلكه هلك⁴.

ويتجلى هذا المقصد في قوله تعالى: "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"⁵، أي "عرّفناه طريق الخير والشر إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقيّاً"⁶. يقول القرطبي في تفسيره للآية: "وهذا هو الاختبار"⁷، فالله ينظر أي شيء يصنع الإنسان وأي الطريقين يختار وأي الأمرين يأخذ. وهذا الاختبار إنما للتمييز بين الشاكرين المُمْتَثِلِينَ والكافرين المُعْرِضِينَ. فقد دلّ الله

¹ سورة البلد، الآية 10.

² تفسير القرطبي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura90-aya10.html#qortobi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/09). وجاء في السنة النبوية أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "يا أيها الناس، إنما هما النجدان: نجد الخير ونجد الشر، فلم تجعل نجد الشر أحب إليك من نجد الخير" (المرجع ذاته).

³ تفسير الألوسي، روح المعاني، المجلد 15، ص. 352، موقع جامع الكتب الإسلامية <https://ketabonline.com/ar/books/2926/read?part=15&page=6341&index=3960020> (تاريخ المراجعة: 2025/09/10).

⁴ تفسير الألوسي، المرجع السابق، ص 353.

⁵ . الإنسان، الآية 3.

⁶ تفسير البغوي، المرجع السابق. <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura76-aya3.html#baghaw> (تاريخ المراجعة : 2025/09/10).

⁷ . تفسير القرطبي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura76-aya3.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/10).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

عباده إلى طريق الهداية وما يوصل إليها من قول وعمل. فالهداية موجودة في كل الأحوال، لكن وحدهم الشاكرون المنتفعون بها، أمّا المعرضون عنها فمآلهم الهلاك¹.

يتبين لنا ممّا سبق أن طبيعة التضاد بين الخير والشر في القرآن الكريم ترسخ مقصد التكليف المناط بالإنسان والمسؤولية الواقعة عليه. إذ يرتبط الخير بما يوافق الأمر الإلهي بينما يرتبط الشر بما يخالفه. وبذلك، يكون الامتثال موجب لرفع منزلة الإنسان وإعلائها عند الله وهو ما يمثّل جانب الخير الذي يحضّ عليه القرآن؛ فيما يشكل الشر الجانب المقابل له والذي يحطّ من قيمة فاعله ويهوي بها إلى أسفل الدرجات. وبناءً عليه، يتضح القصد من هذا التضاد في تأسيس المعيار الذي يحدّد مآل الإنسان بناءً على خياراته. ومجمل القول إن الخطاب القرآني يتميز في تصويره لهذه الثنائية بدقة مفاهيمية ينعكس أثرها على فهم نصّه؛ مما يجعل دراسة تجلياتها خطوة ضرورية تسبق أي محاولة لترجمة معاني الخير والشر ترجمة ملائمة.

3.1.4. تجليات الخير والشر في القرآن الكريم:

بعد أن تناولنا المفهوم القرآني للخير والشر، نتطرق فيما يلي من هذا البحث إلى رصد أبرز التجليات الدلالية لهذين اللفظين في آي الذكر الحكيم. إذ يتّسم استعمال "الخير" و"الشر" في الخطاب القرآني بالتعدّد الدلالي والسّياقي، فهو لا يقتصر على معنى واحد

¹ تفسير الطنطاوي، الوسيط في تفسير القرآن الكريم، موقع التفاسير العظيمة، https://www.greatafsirs.com/Tafsir_Library.aspx?LanguageID=1&SoraNo=76&AyahNo=3&MadhabNo=7&TafsirNo=57. (تاريخ المراجعة: 2025/09/11).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ثابت بل يوردهما بمعانٍ مختلفة ويوظفهما ضمن سياقات متعددة كاشفاً عن أوجه تجلياتهما.

هذا التعدد يمثل تحدياً كبيراً في الترجمة ويستدعي فهماً دقيقاً لكل سياق على حدة.

وعموماً، يمكن حصر تجليات ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم في أوجه رئيسة ثلاثة¹،

يندرج تحت كل وجه منها إطلاقات سياقية متنوعة بيّنتها كتب التفسير. وما السبيل لفهم

الأبعاد المتعددة التي يحملها هذا المفهوم المركزي في القرآن إلاّ بتتبع هذه الأوجه بإطلاقاتها

المختلفة.

1.3.1.4. الوجه الأول: النفع الدنيوي والمصلحة العاجلة

يُطلق الخير في هذا الوجه على ما يعده الإنسان نعمة أو منفعة أو لذة شخصية،

وهو يحبه لذلك². ومعنى ذلك أنّ جوهر هذا الوجه هو ما يراه الإنسان ويعتقد فيه خيراً

لنفسه. غير أن في هذا التقدير معياراً ذاتياً، فقد يكون ما أحبه الإنسان شراً أو سوءاً في

جوهره أو سبباً يؤدي إليه كما نبهت إليه الآية الكريمة التي سبق الاستشهاد بها: "وَعَسَىٰ

أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ"³.

¹ عبد الرحمن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، المجلد 1، دار القلم، دمشق، 1418هـ - 1998، ص 51 وما بعدها.

² عبد الرحمن حبنكة الميداني، المرجع نفسه، ص 51

³ . سورة البقرة، الآية 16.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ويندرج ضمن هذا الوجه ما شاع في لسان العرب من إطلاق وصف "الخير" على المال وسائر أسباب الرزق. كما يتسع هذا الوجه أيضًا ليشمل كل النعم والمنافع التي ينالها الإنسان ولا يكون له كسب مباشر فيها باعتبارها من محض فضل الله عليه¹. وعليه، فإن مرادفات الخير في هذا السياق تدور حول كلمات مثل: نعمة، ومنفعة، ومصلحة، ولذة. وفي مقابل هذا المفهوم للخير، يُطلق "الشر" ضمن هذا الوجه على كل ما يراه الإنسان سوءًا أو ضررًا أو أذى يلحق به، ما يدفعه إلى كراهيته مع أن ما يكرهه الإنسان قد يكون في جوهره خيرًا له أو سببًا يفضي إلى خيرٍ كثير² كما أوضحت الآية. وعليه، فإن مرادفات الشر في هذا السياق تدور حول كلمات مثل: سوء، وضرر، وأذى، ومصيبة. وعموماً، يمكن القول إن هذا الوجه يرتكز في تناوله للخير والشر على مفهوم النفع الدنيوي والمصلحة العاجلة. وسنتطرق فيما يلي إلى استعراض أبرز إطلاقاته في القرآن الكريم³، وغاية ذلك أن نتبع كيف وظّف الخطاب القرآني هذا المعنى الشائع في لسان العرب ضمن رؤيته الخاصة.

1.1.3.1.4. إطلاقات الخير بمعنى النفع الدنيوي:

ورد استعمال القرآن الكريم للخير في سياق النعم والمنافع الدنيوية التي تتولاها مشيئة الله وقضاؤه دون تدخل إرادة الانسان فيها في العديد من الآيات، نذكر منها:

¹ . حبكة الميداني، المرجع السابق، ص 51.

² . حبكة الميداني، المرجع نفسه، ص 51.

³ انظر: عبد الوهاب حمد عبد العزيز الحياي، *وجوه الخير في القرآن الكريم*، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 19، العدد 11، العراق، 2012، ص 4 وما بعدها.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

أولاً: الخير بمعنى المال

جاء معنى الخير لما يراه الناس فيه من نفع وقيمة مادية في قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ"¹، قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "الخير هنا المال من غير خلاف...وقيل: المال الكثير"².

ونظيره قوله تعالى "وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ"³؛ وكذا قوله: "وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" (8)⁴: أي أن الإنسان من أجل حب المال لبخيل⁵.

وجاء في قوله تعالى: "وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ وَلَا تَنفُسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنَّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ"⁶، قال ابن عاشور: "والخير: حسنُ الحالة

¹ سورة البقرة، الآية 180.

² تفسير القرطبي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura2-aya180.html>، (تاريخ المراجعة: 2025/09/26).

³ سورة البقرة، الآية 272.

- انظر: تفسير البغوي، المرجع السابق <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura2-aya272.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14)

⁴ سورة العاديات، الآية 8.

⁵ تفسير البغوي، المرجع ذاته، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura100-aya8.html#baghaw> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14)

⁶ سورة هود، الآية 84.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ويُطلق على المال¹، وقال ابن كثير: "إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ أَي فِي مَعِيشَتِكُمْ وَرِزْقِكُمْ"²، فدل الخير بذلك على يسر الحال.

ثانياً. الخير بمعنى الخيل:

يتجلى في قوله تعالى: "فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ"³، والخير هنا بمعنى الخيل كما جاء في التفسير وقد سمّت العرب الخيل خيراً؛ وقد قرأ ابن مسعود: "إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْلِ"⁴. وتجدر الإشارة إلى تفرّد هذه الآية بإطلاق الخير مراداً به الخيل، إذ لم يرد لفظ الخير في القرآن بهذا المعنى إلا في هذا الموضع.

ثالثاً. الخير بمعنى الطعام:

قال تعالى: "رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"⁵. وردت الآية في نبيّ الله موسى عليه السلام إذ قال هذا القول وهو بجهدٍ شديد بعد أن هرب من فرعون فأصابه الجوع. وما عنى نبي الله بقوله "إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" أي شُبْعَةً من طعام⁶.

¹ ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 12، ص. 137.

² تفسير ابن كثير، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura11-aya84.html#katheer> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14)

³ سورة ص، الآية 32.

⁴ انظر:

- تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura38-aya32.html#baghawy> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14).

- تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura38-aya32.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14).

⁵ سورة القصص، الآية 24.

⁶ تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura28-aya24.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

رابعاً. الخير بمعنى نعم العافية وصحة الجسم:

يقول عز وجل: "لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْتَوِسْ قَنْوُطٌ"¹ يعني

الغنى والصحة، والشر الفقر وجهد المعيشة والمرض.²

ويقول كذلك: "وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"³. ومثل قوله: "وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ

فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"⁴.

جاء في تفسير القرطبي أن المس والكشف من صفات الأجسام. وجاء استعمال كلمة الضرر

مقابل كلمة الخير للدلالة على الشدة من مرض أو فقر مقابل النعمة من عافية ورخاء.⁵

خامساً. الخير بمعنى الغنيمة والظفر في المعارك

اقترن الخير بالغنيمة والظفر في مواضع عدة كما جاء في قوله تعالى: "أَشْحَةً عَلَىٰ

الْخَيْرِ"⁶ والمراد بالخير هنا أشحة على الغنيمة إذا ظفر المؤمنون.⁷ وقيل فيه ثلاثة أقوال

أحدهما الغنيمة التي يصيبها المسلمون في المعركة، والثاني المال الذي ينفقونه في سبيل

¹ سورة فصلت، الآية 49.

² انظر: تفسير البغوي، المرجع ذاته <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura41-aya49.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14)

³ سورة الأنعام، الآية 17.

⁴ سورة يونس، الآية 107.

⁵ تفسير القرطبي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura6-aya17.html#qortobi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14).

⁶ سورة الأحزاب، الآية 19.

⁷ تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura33-aya19.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

الله والثالث قيل قد يراد به ما ظفر به رسول الله صلى الله عليه وسلم¹. ومعنى الآية عموماً أن المنافقين يبخلون حين الإنفاق في سبيل الله حرصاً على ما في أيديهم من المال و"يمنعون المسلمين ما في وسعهم من المال أو المعونة وإذا حضروا البأس منعوا فائدتهم عن المسلمين"² فلا يحبون أن تكون الغنائم للمسلمين، بل يريدونها خاصة لهم. والمعنى ذاته جاء في قوله تعالى: "وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا"³ أي لم ينالوا مرادهم بالظفر بالمسلمين ولم يصيبوا من المسلمين لا مالاً ولا إساراً⁴.

2.1.3.1.4. إطلاقات الشر بمعنى المكروه الديني:

ورد استعمال القرآن الكريم للشر في سياقات الضرر والمكروه الديني في العديد من الآيات، نذكر منها:

أولاً. الشر بمعنى الفقر:

يصف الله تعالى الإنسان بأنه هلوع أي بخيل منوع للخير جزوع إذا نزل به البلاء قائلاً: "إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا"⁵. تورد التفاسير في معنى هذه

¹ عبد الوهاب الحياي، مرجع سابق، ص 25.

² ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 21، ص 296.

³ سورة الأحزاب، الآية 25.

⁴ تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura33-aya25.html#tabary>

، (تاريخ المراجعة: 2025/09/14).

⁵ سورة المعارج، الآيتان 20-21.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

الآية أن المراد بالشر هنا هو الفقر في مقابل المال. فإن أصاب الإنسان الفقر جزع ولم يصبر، أما إذا أصاب مالا منع ولم يُنفق¹.

ثانياً. الشر بمعنى الشدائد والمصائب:

جاء في قوله تعالى: "وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا"²، ومعنى إذا مسه الشر كان يئوساً أي "إذا ناله شدة من فقر أو سقم أو بؤس يئس وقط لأنه لا يثق بفضل الله عز وجل". وكذلك، ورد لفظ الشر بمعنى الشدائد والمصائب والبلايا في قوله عز وجل: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۚ وَاللَّيْنَا تُزْجَعُونَ"³؛ أي نختبركم "بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر"⁴. وقد جاء في تفسير الطبري للآية أن الناس مختبرون بالشر وهو الشدة يبتليهم الله بها وبما يكرهون لينظر كيف صبرهم، كما يبتليهم بالخير وهو الرخاء والسعة يفتنهم الله بها وبما يحبون لينظر كيف شكرهم⁵. وتأويل الآية أن الاختبار يكون فيما يجب فيه الصبر من

¹ تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura70-aya21.html#baghaw> (تاريخ المراجعة: 2025/09/14).

² سورة الإسراء، الآية 83.

تفسير القرطبي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura17-aya83.html#qortobi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/16).

³ سورة الأنبياء، الآية 35.

⁴ تفسير الطبري، تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura21-aya35.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/16).

⁵ تفسير الطبري، المرجع نفسه.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

وولده وماله عند الضرر بالهلاك كدعائه ربه أن يهب له العافية، ولو استجاب الله دعاءه بالشر لهلك، وهلك ماله وولده¹. فتبين من ذلك أن الشر في هذا السياق ورد بمعنى الهلاك.

رابعاً. الشر بمعنى الأذى والضرر:

ورد لفظ الشر للدلالة على معنى الضر والأذى في آيات عديدة نذكر منها ما جاء في المعوذتين سورة الفلق وسورة الناس حيث يقول عز وجل: "مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)"². وكذا قوله تعالى: "مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ"³. إذ يأمر الله تعالى، في السورتين، رسوله الكريم الاعتصام والتعوذ به من شرور المخلوقات من حيوان وناس ومن شرور مخلوقات خفية وهي الشياطين التي تسعى إلى إلحاق الأذى بالعباد⁴. ويتبع ذلك الأمر تعليم المسلمين التعوذ من أذى جميع المخلوقات وأذى الشياطين التي توسوس عند الغفلة وتختفي عند ذكر الله⁵. ومثل ذلك المعنى قوله تعالى: "وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ"⁶، وقوله عز وجل: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ"⁷.

1 تفسير القرطبي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura17-aya11.html#qortobi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/16).

² سورة الفلق، الآيات 2 إلى 5.

³ سورة الناس، الآية 4.

⁴ ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 30، ص. 632 - 633.

⁵ التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، الطبعة 5، 2013، ص. 604

⁶ سورة البقرة، الآية 216.

⁷ سورة آل عمران، الآية 180.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

قال ابن كثير: "لا يحسن البخل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضرة عليه في دينه - وربما كان - في دنياه"¹.

يتضح مما سبق أن الوجه الأول لثنائية الخير والشر في القرآن الكريم يرتكز على مفهوم النفع الدنيوي والنعم العاجلة جرياً على الاستعمال الشائع عند الناس وفي لسان العرب. فمن خلال استعراض إطلاقاته، تبين أن الخير في هذا السياق يُطلق على كل ما يعُدّه الإنسان نعمة ماديّة ملموسة، كالمال، والخيل، والطعام، والعافية، والظفر في المعارك. وفي المقابل، تبين أن الشر يُطلق على كل مكروه دنيوي يُصيب الإنسان كالفقر، والشدة، والضرر، والأذى، والمصائب. وبذلك، يكشف هذا الوجه عن إقرار الخطاب القرآني لهذا التصور الإنساني المادي للخير والشر، وتوظيفه له بما يمهد لفهم تصوّره وتوجيهه له في الأوجه الأخرى التالية.

2.3.1.4. الوجه الثاني: الأفضلية والمفاضلة

يتخذ الخير والشر في هذا الوجه الثاني دلالة تفضيلية مقارنة حيث يأتيان وصفاً "تقديرهما تقدير أفعال منه"² أي بصيغتي تفضيل للدلالة على زيادة صفة أو تفوقها، نحو 'هذا خير من ذاك وأفضل'، و'هذا شر من ذاك وأسوأ'.

¹ تفسير ابن كثير، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura3-aya180.html#katheer> (تاريخ المراجعة: 2025/09/16).

² الأصفهاني، مرجع سابق، ص 301.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ويرى حبنكة الميداني أنّ لفظة 'خير' تُطلق في هذا الوجه بمعنى 'أخير' أو 'أفضل'، ويقابلها في هذا السياق كلمة 'أدنى'. كما تُطلق لفظة 'شر' بمعنى 'أشر'، ويرادفها في هذا المعنى كلمة 'أدنى' أو 'أخس'¹. وقد ورد في القرآن الكريم استعمال اللفظتين على هذا الوجه من وجوه لسان العرب، في مواضع عدّة من آياته. نذكر منها:

أولاً. الخير بمعنى أخير وأفضل:

ورد في قوله تعالى: "قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ"²، قال ابن كثير فيه تقرّيع لهم (لبنّي إسرائيل) وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيّة مع ما هم فيه من العيش الرغيد، والطعام الهنيء الطيب النافع³. وكذلك قال البغوي: "الذي هو خير يعني الذي هو "أشرف وأفضل"⁴. وفي الآية انكار من نبي الله موسى عليه السّلام على قومه أن يطلبوا بدلاً عن الطعام الذي منّ الله به عليهم، وهو خير الأطعمة وأشرفها، بما هو أدنى منه لذة وغذاء⁵. ومعنى الأفضلية هنا الأفضلية الماديّة، فالمفاضلة جاءت بين رزقين وكلاهما من نعم الله تعالى على عباده.

¹ حبنكة الميداني، مرجع سابق، ص 51.

² سورة البقرة، الآية 61.

³ تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya61.html#katheer> (تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

⁴ تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura2-aya61.html#baghawy> (تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

⁵ تفسير السعدي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya61.html#saadi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

وورد هذا المعنى أيضاً في قوله عز وجل: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"¹. قيل أن هذه الآية نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالوا لهم: نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية². وقد جاء فيها مدح الله تعالى لهذه الأمة وإخبار بأنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتصدق بالله تصديقاً جازماً يؤيده العمل³، لذلك استحققت الفضل على سائر الأمم. فالخيرية في هذا السياق مرتبطة بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فدونها لم تكن لهذه المزية أن تثبت لها.

كذلك، يقول عز وجل: "قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ" قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"⁴. في الآية سؤال توبيخ لإبليس الذي سيطر عليه الظن بأنه أفضل من آدم وأنه متفوق عليه بعد أن قارن أصله الناري وأصل آدم الطيني معتقداً بمقياسه أن النار أقوى وأفضل وأشرف من الطين؛ وهذا ما عبّر عنه بقوله "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ" أي أنا أفضل منه خلقاً فأنا مخلوق من نار وهو مخلوق من طين فرأى أن النار أشرف من الطين، فكان هذا الاعتقاد بالتفوق والأفضلية سبب رفضه الامتثال لأمر الله بالسجود وترك طاعته⁵.

¹ سورة آل عمران، الآية 110.

² تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura3-aya110.html#baghaw> (تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

³ التفسير الميسر، المرجع السابق، ص 64.

⁴ سورة الأعراف، الآية 12.

⁵ انظر:

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن لفظة "الخير" قد وردت في القرآن الكريم بمعنى الأفضلية في سياقات عديدة، فمنها ما جاء في سياق الحديث عن تقوى الله بأداء الفرائض وترك المعاصي¹، وذلك في قوله تعالى: "قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا"²، ومنها ما ورد في سياق الحديث عن القوة والقدرة والأمانة كقوله تعالى: "إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ"³. ووردت أيضا في سياق الأمر بالعدل بين الناس وإيفاء المكايل بالقسط من غير بخس ولا نقص⁴، كما في قوله تعالى: " وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"⁵.

وعموما، وردت لفظة "الخير" في القرآن الكريم بمعنى الأفضلية في مواضع وسياقات كثيرة سواءً أكانت هذه الأفضلية مادية في النعم والأرزاق أم معنوية في الإيمان والتقوى والعمل الصالح، أم حتى في القياس الزائف بالتفوق كما في حجة إبليس.

- تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura7-aya12.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

- التفسير الميسر، المرجع نفسه، ص 152.

¹ تفسير الطبري، المرجع نفسه، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura4-aya77.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

² سورة النساء، الآية 77.

³ سورة القصص، الآية 26.

⁴ تفسير السعدي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura17-aya35.html#saadi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

⁵ سورة الإسراء، الآية 35.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ثانياً. الشر بمعنى أسوأ وأدنى

يتجلى في العديد من المواضع القرآنية، نذكر منها قوله عز وجل: "هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ"¹. يفسر ابن كثير الآية قائلاً: "لما ذكر الله تعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال: هذا وإن للطاغين أي الخارجون عن طاعة الله المخالفون لرسول الله لشر مآب أي: لسوء منقلب ومرجع"². أي أن للمتجاوزين لحدود الله بالكفر والمعاصي لجزاء مغايراً لجزاء المتقين، ومآلهم أسوأ المآلات يوم القيامة. وكذلك قوله: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ"³؛ ومعنى كونهم شر البرية أنهم أشد الناس شراً. فشر في هذا الموضع "أفعل" تفضيل أصله أشر مثل خير الذي هو بمعنى أخير، فإضافة شر إلى البرية على نية من التفضيلية"⁴.

وقد ورد لفظ "شر" بوجه التفضيل بمعنى أسوأ السوء وأدنى الدنية في آيات القرآن الكريم في سياق الحديث عن الثواب والجزاء والعاقبة والمآل، كما في قوله تعالى: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ"⁵، وكذا في قوله: "فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ

¹ سورة ص، الآية 55.

² تفسير ابن كثير، المرجع نفسه، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura38-aya55.html#katheer>، (تاريخ المراجعة: 2025/09/16).

³ سورة البينة، الآية 6.

⁴ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 30، ص. 483.

⁵ سورة المائدة، الآية 60.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا"¹، وأيضاً في قوله تعالى: "قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكُمْ ۚ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ"². ففي هذه الآيات كلها جاء معنى الشر في سياق محدد وهو سوء العاقبة والمآل الذي ينتظر الكافرين، فسواء أكان الحديث عن المثوبة التي سينالونها أو المنزلة التي سيؤولون إليها أو المصير الذي سيلقونه فإن "شر" هاهنا تؤدي وظيفة المقارنة تعزيزاً لفكرة أن جزاءهم هو الأسوأ والأدنى على الإطلاق، وأن مكانتهم أخط مكانة يمكن تصورهما.

ولم نجد لاستعمال المفاضلة في القرآن الكريم سياقاً آخر غير المآل والجزاء في الآخرة كما تبين ما عدا في قوله تعالى: "فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ"³. ففي هذه الآية الكريمة جاء استعمال اسم التفضيل "شر" في سياق بلاغي لا يتعلق بالمآل الأخروي بل لإجراء مقارنة تفضيلية في الحالة. فكلية "مكاناً أطلقت على الحالة على وجه الاستعارة، والحالة هي السرقة"⁴، أي أنتم شرُّ حالة من أخيكم هذا والذي قبله لبراءتهما مما رميتوهما به وأنتم أشدَّ جرماً عليهما لقذفكم يوسف في غيابات الجب وتأبيد تهمة أخيه بالسرقة. وعليه، ينم قول نبي الله يوسف عليه السلام عن مقارنة بين حالة السرقة التي ينسبها الإخوة زوراً ليوسف وأخيه وبين حالتهم الأخلاقية الفعلية هم

¹ سورة مريم، الآية 75.

² سورة الحج، الآية 72.

³ سورة يوسف، الآية 77.

⁴ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 13، ص 35.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

أنفسهم، فهي أسوأ وأدنى بسبب حسدهم وكيدهم بأخويهما، وهي أفعال تجعل حالتهم أسوأ من تهمة السرقة الباطلة¹.

وخلاصة القول فيما يتصل بلفظي "الخير" و"الشر" في وجههما الثاني إنهما وردا، في سياقات متنوعة للدلالة على المفاضلة، بصيغة التفضيل 'أفعل' حُذفت همزتهما من "أخير" و "أشر". وقد استُعْمِلَا كما رأينا للمقارنة بين ما هو أفضل أو أسوأ، سواءً في الأمور المادية الحسية كالأرزاق، أو في المنازل المعنوية كالإيمان والتقوى، أو في بيان سوء العاقبة والمآل في الآخرة. كما جاءت مرة واحدة في سياق المفاضلة الأخلاقية الآنية كما تجلى في قصة سيّنا يوسف عليه السلام مع إخوته.

3.3.1.4. الوجه الثالث: البعد القيمي والمصلحة الآجلة

بعد أن تناولنا 'الخير' و'الشر' في بعدهما النفعي الدنيوي ثم في دلالتهم على التفضيل والمفاضلة، وهما وجهان مألوفان في لسان العرب، نتطرق فيما يلي للوجه الثالث الذي يكشف عن تفرد عربية القرآن به، حيث تتجاوز ثنائية "الخير والشر" المنفعة العاجلة والمقارنة الظاهرة لترتبط ارتباطاً وطيداً بالمفهوم القيمي والسلوكي للإنسان المحدّد لمصلحته الآجلة ومآله في الآخرة. إذ يؤسس الخطاب القرآني في هذا الوجه لمفهوم قيمي يكون الخير والشر فيه معياراً للحكم على القيمة الحقيقية لعمل الإنسان وعاقبته، في نقلة نوعية تميّز لسان القرآن عن المفهوم الوارد في اللسان العربي العام.

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص. 35-36.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

يُعرّف حبنكة الميداني مفهوم الخير في هذا الوجه قائلاً: "ويراد به ما يَكسِبُه الإنسان بإرادته في الحياة الدنيا من عمل قلبيّ أو نفسيّ أو جسديّ يحقق له عند الله خيراً باقياً، وسعادةً خالدةً، وثواباً حسناً"¹. ومعنى قوله أنّ الخير بهذا المفهوم لا يُفرض على الإنسان وهو ليس عرضياً وإنّما هو عمل إرادي وثمره فعل اختياري ومقصود. وهو يشمل الأعمال القلبيّة كالإيمان والنيات والنفسيّة كالصبر والرضا والجسديّة كالصلاة والزكاة ويكون جزاؤها أخروياً. فالغاية النهائية من هذه الأعمال لا تكمن في تحقيق مكسب دنيوي وإنّما في نيل السعادة الدائمة في الآخرة وهذا هو المحكّ الذي يميّز هذا المفهوم للخير عن مفهومه النفعي الدنيوي. ويضيف حبنكة الميداني أنّ صفة الخير تبقى ثابتة لهذه الأعمال وإن استلزمت مشقّة أو إضناءً أو تعرّضاً للأذى والضّرّ الآنّي². ذلك أنّ معيارها لا يكمن في المنفعة العاجلة بل في القيمة الأخروية.

وفي المقابل، يُطلق حبنكة الميداني ذاته مفهوم الشرّ من هذا المنظور على كلّ "ما يكتسبه الإنسان بإرادته من عمل قلبيّ أو نفسيّ أو جسديّ يستحقّ عليه جزاءً سيّئاً، ولو جلب له في الدنيا متعةً أو منفعةً أو لذة"³. وبعبارة أخرى، فإنّ مفهوم الشرّ من المنظور القيمي والأخروي هو نتيجة فعل مقصود واختياري يقوم به الإنسان. وهو يشمل الأعمال القلبيّة كالحسد والكبر، والنفسيّة كالقنوط واليأس، والجسديّة كالظلم والسرقة وغيرها من الأعمال

¹ حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص 54.

² حبنكة الميداني، المرجع نفسه.

³ حبنكة الميداني، المرجع نفسه.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

السيئة التي يكون جزاؤها أخروياً. حيث أنّ القيمة النهائية لهذه الأعمال تقاس بأثرها في الآخرة المتمثل في العقاب والجزاء السيء من الله. ففي عبارة "جزاء سيئاً" إشارة واضحة للعاقبة الأخروية، والمتعة الدنيوية ليست معياراً لها، وما تجلبه من لذة عاجلة ومكاسب مؤقتة في الدنيا ليست مقياساً لقيمتها كما لا تجعل منها أفعال خيرٍ لكون عاقبتها سيئة عند الله. وعليه فإنّ الأعمال تكسب صفة الشر تبعاً لمآلها وفي ذلك تركيز على مسؤولية الإنسان عن أفعاله.

1.3.3.1.4. إطلاقات الخير بمفهوم البعد القيمي:

يُطلق "الخير" في هذا الوجه، الذي تتقرّد به عربيّة القرآن عن لسان العرب، على كل عمل إرادي يسعى فاعله إلى تحقيق المصلحة الآجلة عند الله، كالإيمان والطاعة والعبادة والأجر. ويتجلّى هذا المفهوم القيمي للخير في الإطلاقات التالية:

أولاً. الخير بمعنى شرعة الإسلام:

جاء في قوله تعالى: "مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"¹. نزلت هذه الآية الكريمة لبيان حسد الكافرين، من اليهود وغيرهم والمشرّكين بالله من عبدة الأوثان، للمسلمين، إذ كرهوا من شدة حسدهم وبغيهم أن ينزل على المؤمنين من الخير الذي كان عند الله. وتمنّوا "ألاّ ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم من

¹ سورة البقرة، الآية 105.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

حكمه وآياته، وإنّما أحببت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك، حسداً وبغياً منهم على المؤمنين¹. قال ابن عاشور: "الخير: أراد به هنا النبوة وما أيدها من الوحي والقرآن والنصر وهو المعبر عنها بالرحمة في قوله: وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ"². قال البغوي: المراد بالرحمة الإسلام والهداية. وقال ابن كثير: "ينبّه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل، الذي شرعه لنبیهم محمد صلى الله عليه وسلم"³.

وورد المعنى ذاته في قوله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"⁴. يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: "وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أريد به الأمر بالثبات على الإسلام فإن الصلاة والزكاة ركناه...وقوله تعالى: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ) مناسب للأمر بالثبات على الإسلام"⁵.

ويظهر هذا المعنى كذلك في قوله تعالى: "مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ"⁶، وفي قوله عز وجل: "مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ"⁷. تورّد التفسير أنّ الآية نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني

¹ تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya105.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/20).

² ابن عاشور، المرجع السابق، ج. 1، ص. 653.

³ تفسير ابن كثير، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya105.html#katheer> (تاريخ المراجعة: 2025/09/20).

⁴ سورة البقرة، الآية 110.

⁵ ابن عاشور، مرجع سابق، ج. 1، ص. 672.

⁶ سورة ق، الآية 25.

⁷ سورة القلم، الآية 12.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

أخيه من الإسلام¹؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: "منّاع للخير أي للإسلام يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام يقول: لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا"². وثمة قول أنّ المراد بالخير هنا أداء الزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله³، لكن القول الأول أي الإسلام هو الراجح⁴.

ثانياً. الخير بمعنى الإيمان:

جاء الخير في القرآن الكريم بمعنى الإيمان في مواضع عدّة على غرار قوله تعالى: "وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ"⁵. إذ جاء في تأويل هذه الآية أنّ الله علم أنّه لا خير في هؤلاء المشركين، وحتّى لو أسمعهم مواضع القرآن وعبره ليعقلوا حججه وبراهينه منه هو ذاته فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولّوا عن الله وعن رسوله قصداً وأعرضوا عن الإيمان عناداً للحق بعد علمهم⁶. فتولي الكفار ثابت، والمعنى المقصود أنّ إيمانهم منتفٍ في جميع الأحوال حتى في هذه الحالة

¹ تفسير القرطبي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura50-aya26.html#qortobi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/20).

² تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura68-aya12.html#baghaw> (تاريخ المراجعة: 2025/09/20).

³ تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura50-aya25.html#baghaw> (تاريخ المراجعة: 2025/09/20).

⁴ عبد الوهاب الحياتي، مرجع سابق، ص 6.

⁵ سورة الأنفال، الآية 23.

⁶ . تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura8-aya23.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/20).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

التي شأنها ألا ينتفي عنها الإيمان وهي حالة الإسماع المخصوص أي إسماع الإفهام والقبول¹.

ويظهر المعنى ذاته في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ"². وتفسير الآية إن يعلم الله فيكم إيماناً يؤتكم أفضل مما أخذ منكم من الفداء ويغفر ذنوبكم³. وقد نزلت هذه الآية في أسرى بدر، وكان من بينهم العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فلما طُلب منهم الفداء ادّعوا الإسلام من قبل فأنزل الله تعالى هذه الآية ترغيباً لهم في الإسلام. فجاء المراد بالخير فيها محبة الإيمان والعزم عليه⁴.

كذلك، جاء في قوله تعالى: "وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ"⁵، نزلت الآية في أتباع نوح عليه السلام ممن آمنوا، والمعنى أن الله أعلم بما أودعه في أنفسهم من الإيمان، إذ وصف سادة الكافرين وكبرائهم من قوم نوح المؤمنين الذين اتبعوه بقولهم "هُمْ أَرَادُوا أَنَّا" و"لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا" أي إيماناً وتوفيقاً وأجراً. إلا أن الله وحده "أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ" من الخير أي الإيمان⁶.

¹ ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 9، ص. 310 - 311.

² سورة الأنفال، الآية 70.

³ تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura8-aya70.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/20).

⁴ ابن عاشور، المرجع نفسه، الجزء 10، ص. 80.

⁵ سورة هود، الآية 31.

⁶ تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura11-aya20.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

ثالثاً. الخير بمعنى الطاعة والعبادة والعمل الصالح:

جاء الخير بمعنى الطاعة والعبادة وما صلح من العمل في مواضع عديدة من آيات القرآن الكريم، نذكر منها قوله تعالى: "وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"¹. جاء لفظ الخير في هذا الموضع بصيغة الجمع "فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ" والمراد به "بادروا بالطاعات"² وسارعوا فيها. وقد وصف السَّعدي هذه الآية الشريفة بأنها جامعة نافعة كونها تُدرج ضمن الخيرات جميع أنواع العبادات من الفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد ونفع متعد وقاصر³. كما يستدل بهذه الآية على المبادرة بكل فضيلة يتصف بها العمل، كأداء الصلاة في أول وقتها، والتعجيل بإبراء الذمة من الحقوق كالصيام وإخراج الزكاة والحج والعمرة والالتزام بسنن العبادات وآدابها. فالآية وفقاً لابن عاشور تحضُّ على المبادرة بالعمل الصالح وبالطاعة قبل الفوت بالموت⁴ لأنَّ الجميع صائرون إلى الله ليجزئهم ثواب عملهم. وجاء مثله لفظاً ومعنى في قوله تعالى: "وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ"⁵. وكذا في: "أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ"⁶

¹ سورة البقرة، الآية 148.

² تفسير البغوي، المرجع نفسه، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura2-aya148.html#baghaw> (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

³ تفسير السعدي، المرجع نفسه، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/saadi/sura2-aya148.html#saadi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

⁴ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 2، ص. 44.

⁵ سورة الأنبياء، الآية 73.

⁶ سورة المؤمنون، الآية 61.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

أي أنهم يبادرون بالأعمال الصالحة وهم لأجلها سابقون الناس ابتغاء القرب عند الله بطاعته¹، ويكثر من منها ما استطاعوا وجلاً وخوفاً ألا يجدوا عند ربهم ما يجده غيرهم ممن يفوتهم في الصالحات².

وكذلك ورد الخير بمعنى العمل الصالح في قوله تعالى: "قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ" وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الشُّوْءُ³ أي لو كنت أعلم متى أموت لعملت عملاً صالحاً واجتبت ما يكون من الشر واتقيته⁴. وكذا قوله تعالى: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ"⁵ أي أن العبد يُجزى على العمل الصالح مهما صغر.

رابعاً. الخير بمعنى الأجر والثواب:

وقد ورد معنى الأجر والثواب كجزء من الخير الذي يفيضه الله تعالى على عباده المؤمنين وذلك بصيغة الجمع في قوله تعالى: "لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"⁶. ومعنى الآية أن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن صدقوه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم فأنفقوا في جهادهم

¹ تفسير الطبري السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura23-aya61.html#tabary>، (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

² ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 18، ص 77.

³ سورة الأعراف، الآية 188.

⁴ تفسير الطبري، المرجع نفسه، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura7-aya188.html#tabary>، (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

⁵ سورة الزلزلة، الآيتان 7-8.

⁶ سورة التوبة، الآية 88.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

أموالهم وأتعبوا في قتالهم أنفسهم فكان جزاؤهم الظفر بمنافع الدنيا من الأولاد والأموال والآخرة من نسائها وجناتها ونعيمها.¹ وجاء في تفسير الطبري: "وهي خيرات الآخرة، وذلك: نسائها، وجناتها، ونعيمها".² وقال البغوي: "الخيرات يعني الحسنات. وقيل: الجواري الحسان في الجنة كما في قوله تعالى: "فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ"³ جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه أي الحور العين، خيرات في الأخلاق حسان في الوجوه".⁴ وقيل: المراد خَيْرَات كثيرة حسنة في الجنة.⁵

وحُكي عن ابن عباس⁶: أن الخير لا يعلم معناه إلا الله كما قال جل ذكره: "قَلَّا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ"⁷.

كما جاء الخير بهذا الإطلاق في قوله أيضاً: "وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ"⁸. والمعنى أن الله أمر بقربان البدن من الإبل والبقر في الحج من عهد سيدنا إبراهيم

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 10، ص 291.

² تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura9-aya88.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

³ سورة الرحمن، الآية 70.

⁴ تفسير الطبري، المرجع نفسه، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura55-aya70.html#tabary>، (تاريخ المراجعة: 2025/09/14).

⁵ تفسير ابن كثير، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura55-aya70.html#katheer> (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

⁶ تفسير البغوي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura9-aya88.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

⁷ سورة السجدة، الآية 17.

⁸ سورة الحج، الآية 36.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

عليه السلام وجعلها جزاءً لرخص أعمال الحج، وأمر بالتطوع بها ووعد عليها بالثواب

الجزيل¹. قال الطبري: "لكم فيها خير: النفع في الدنيا والأجر في العقبى"².

تلك أبرز الإطلاقات التي تجلّى من خلالها مفهوم "الخير" في بعده القيمي في آيات القرآن

الكريم. ولكي تكتمل صورة الثنائية الضدية للخير والشر، ننتقل فيما يلي إلى عرض إطلاقات

لفظ 'الشر' ضمن المفهوم ذاته.

2.3.3.1.4. إطلاقات الشر بمفهوم البعد القيمي:

تستأثر عربية القرآن في هذا الوجه بإطلاقات للشر تدلّ على الأعمال والأفعال الإرادية

التي تستوجب لفاعلها العقاب في الآخرة، كالمعصية والكفر والإثم. ويتجلّى هذا المفهوم

القيمي للشر في الإطلاقات التالية:

أولاً. الشر بمعنى السيئات والعمل السيء:

جاء في قوله عزّ وجلّ: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

يَرَهُ (8)"³. تعدّ هذه الآية من جوامع الكلم فقد وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بالجامعة

الفائدة وقال ابن مسعود أحكم آية في القرآن⁴. وقد جاء في التفاسير أنّ الآية تفرع لقوله

تعالى في الآية التي سبقتها "لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ"⁵ عقب صدور الناس جماعات لتلقّي جزاء

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 17، ص 262.

² تفسير البغوي، المرجع نفسه، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/baghawy/sura22-aya36.html#baghaw>، (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

³ سورة الزلزلة، الآيتان 7-8.

⁴ ابن عاشور، المرجع نفسه، الجزء 30 ص 495.

⁵ سورة الزلزلة، الآية 6.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

الأعمال التي عملوها في الحياة الدنيا؛ فيقال لكل جماعة انظروا أعمالكم فيريهم الله ما عملوا من حسنات وسيئات وانظروا مآلكم فمن أحسن وعمل صالحاً ير ثوابه في الآخرة ومن أساء وعمل سوءاً ير عقابه في الآخرة مهما صغرت أو كبرت الحسنة أو السيئة¹. وفي ذلك دلالة على أنّ "الخير" و"الشر" في هذه الآية الكريمة يُقصد بهما الحسنات في مقابل السيئات. فالخير هو اجتراح الحسنات والشر هو ارتكاب السيئات، وكلاهما سيجازى به الإنسان مهما صَغُرًا أو كَبُرًا.

يتسع هذا المفهوم القيمي للشر بمعنى العمل السيء واجتراح السيئات في مواضع أخرى من القرآن الكريم ليرتبط بسياق الابتلاء في الدنيا، وهذا ما يتجلى في قوله تعالى: "وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً"². إذ جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله في هذه الآية: أي نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال. إذ يربط هذا التفسير بين البعد الدنيوي للخير كما تناولناه سابقاً في الوجه الأول (الشدة والرخاء، الصحة والسقم، الغنى والفقر) وبين البعد القيمي الأخروي كما رأيناه في الوجه الثالث (الطاعة والمعصية الموجبتان للحسنات والسيئات، الهدى والضلال) ضمن مفهوم الفتنة حيث تتجاوز ثنائية الخير (بمعنى الرخاء والغنى)

¹ انظر:

- ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 30، ص. 494 - 495.
- ابن كثير، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura99-aya8.html#katheer> (تاريخ المراجعة: 2025/09/22).

- التفسير الميسر، المرجع السابق، ص. 599.

² سورة الأنبياء، الآية 35.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

والشر (بمعنى الفقر والشدة) الحالة الدنيوية لتصبح ميدان اختبار وابتلاء للمآل في الآخرة أي 'خير' الطاعة والهدى وحسن العاقبة أو 'شر' المعصية والضلال وسوء العاقبة.

ثانياً. الشر بمعنى العذاب:

قال تعالى: "وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا"¹. أورد الطبري في تفسير هذه الآية "إِنَّ السماء لم تُحرس قطّ إلا على أحد أمرين: إمّا لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغتة، وإما نبيّ مرشد مصلح. فقوله: "وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا": يقول عزّ وجلّ مخبراً عن قول هؤلاء النفر من الجنّ: لا ندري أعذاباً أراد الله أن ينزله بأهل الأرض بمنعه إيانا السمع من السماء ورجمه من استمع منا فيها بالشهب، أم أراد بهم ربهم الهدى بأن يبعث منهم رسولاً مرشداً يرشدهم إلى الحق²، فإن أطاعوا هذا الرسول أرشدهم وإن عصوه أهلكهم.

ثالثاً. الشر بمعنى الجزاء والعقاب:

ويتجلّى لنا هذا المعنى للفظ 'الشر' في تفسير قوله تعالى: "يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا"³ بأنّ الأبرار قد وقّوا بالندور التي كانوا يندرونها في طاعة الله من صلاة وزكاة، وحجّ وعمره، وما افترض عليهم، وهم يخافون بتركهم الوفاء بندورهم عقاب الله

¹ سورة الجن، الآية 10

² تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura72-aya10.html#tabary>

(تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

³ سورة الإنسان، الآية 7.

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

المستطير أي الممتد الطويل والفاشي¹. فدلّ الشرّ في هذا الموضع من القرآن على العقاب. ومثل هذا المعنى ورد في قوله تعالى: "فَوَقَّاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا"². وجاء في التفسير الميسر لهذه الآية أنّ الله وقاهم من شدة ذلك اليوم وأعطاهم حسناً ونوراً في وجوههم وبهجة وفرحاً في قلوبهم وأثابهم على الطاعة جنة عظيمة³. وجاء في تفسير القرطبي على أنّ شرّ ذلك اليوم يعني "بأسه وشدته وعذابه"⁴. وقد ورد عن ابن عباس في سياق جزاء الأعمال التي يجترحها الناس قوله: "ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته. وأما الكافر فيردّ حسناته ويعذّبه بسيئاته"⁵؛ ويستدل بقوله على معنى الجزاء والعقاب الذي يلحق صاحبه جزاء الأعمال السيئة والمعاصي المرتكبة.

من خلال استقراء إطلاقات القرآن الكريم للخير والشر في هذا الوجه، يمكن القول إنّ المراد بهذه الثنائية يتجلّى في أمرين متكاملين منسجمين تمام الانسجام مع الأسلوب القرآني

¹ تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura76-aya7.html>، (تاريخ المراجعة: 2025/09/17).

² سورة الإنسان، الآية 11

³ التفسير الميسر، المرجع السابق، ص 579.

⁴ تفسير القرطبي، المرجع نفسه، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura76-aya11.html#qortobi> (تاريخ المراجعة: 2025/09/16).

⁵ تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura99-aya7.html> (تاريخ المراجعة: 2025/09/16).

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

العام في توظيف الثنائيات والذي يكرّس بنية نسقية تكاملية بين بيان الحال وبيان المآل كما تبين لنا في بداية هذا الفصل.

أمّا الأمر الأول، وهو ما يقابل بيان الحال، فيتمثّل في البعد الدنيوي للعمل، أي ما يؤدي إليه من آثار ونتائج حسنة أو سيئة على الفرد والمجتمع في الحياة الدنيا. وذلك لأن المقاصد القرآنية ترمي إلى تحقيق مصالح العباد في الدارين، بجلب المنافع ودرء المفساد في الدنيا، والفوز بالثواب والنجاة من العقاب في الآخرة.

وأمّا الأمر الثاني، وهو ما يقابل بيان المآل، ويتمثّل في البعد الأخروي للعمل أي ما سيؤول إليه يوم القيامة فإمّا ثواب أو عقاب تبعاً لما يتضمّنه من طاعة لله أو معصية له. ويتضح من هذه البنية النسقية أنّ عمل الخير هو ما يحقق صلاح الحال في الدنيا وفلاح المآل في الآخرة، بينما عمل الشر هو ما يسبب فساد الحال في الدنيا وسوء المآل في الآخرة. ويبدو لنا أنّ هذا الربط المنهجي بين البعدين الدنيوي والأخروي هو ما يميز المفهوم القيمي لثنائية الخير والشر في لسان القرآن عن دلالتها النفعيّة الدنيوية المتداولة في لسان العرب.

4.4. خلاصة الفصل:

وخلاصة القول، إنّ تحليل ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم لا يقتصر على كونه دراسة حالة لظاهرة بلاغية بل محاولة لإدراك الرؤية القرآنية لها. وقد تتبعنا مفهوم هذه الثنائية بداية بتعريف الإطار العام للثنائيات القرآنية ثم بالتمييز بين دلالتها في لسان العرب

الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم

وبين مفهومها الأوسع في لسان القرآن وصولاً إلى تفصيل إطلاقاتها في وجوه متميزة ثلاثة: الوجه النفعي الدنيوي ووجه المفاضلة ثم الوجه القيمي، ليتضح لنا في آخر المطاف عمق هذا المفهوم ودلالاته المتعددة.

ولا يعدّ الكشف عن هذه الأوجه المتعددة للخير والشر وفهم طبيعة العلاقة بينهما غايةً في حد ذاته بل نراه الأساس المنهجي الضروري لتقييم ترجمة ثنائية الخير والشر إلى اللغة الفرنسية واقتراح استراتيجيات ترجمية مناسبة في ضوء نظرية الملاءمة. إذ ستظل أي محاولة لترجمة هذه الثنائية، دون هذا الفهم المسبق، سطحيةً وعاجزةً عن نقل مجموع المعاني والآثار المعرفية المقصودة التي يحدثها النص القرآني الأصلي في متلقيه. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل التطبيقي التالي.



الفصل الخامس:

الدراسة التحليلية المقارنة في ضوء نظرية الملاءمة

0.5. تمهيد الفصل:

يُمثّل هذا الفصل انتقالاً من التأسيس النظري إلى التحليل التطبيقي. فبعد أن تناولنا في الفصول النظرية السابقة الإطار المفاهيمي لنظرية الملاءمة وتطبيقها في مجال الترجمة وإفادتها في الترجمة القرآنية وبيننا تجليات ثنائية 'الخير والشر' في القرآن الكريم، ننتقل في هذا الفصل إلى الشق التطبيقي من الدراسة والذي يسعى إلى قياس مدى نجاح الترجمات الفرنسية في تحقيق الملاءمة وقدرتها على إحداث تشابه تأويلي مع النصّ القرآني في نقلها لمعاني الثنائية محلّ الدراسة. وقد عمدنا فيه إلى توظيف المفاهيم الدّأوليّة المعرفيّة التي شكّلت أساس هذه الدراسة كأدوات إجرائية لاختبار الفرضية المحورية للبحث على أساس تحليليّ مقارنة من خلال تحليل عينة من الآيات القرآنية ذات الصلة بالخير والشر. وتحقيقاً لهذا المسعى، نستهل الفصل بعرض لأدوات الدراسة ومنهجيتها من خلال تحديد مدوّة التحليل (الجزء 1.5) والتي تتمثل في النصّ القرآني كمصدر وأربع ترجمات فرنسيّة تمثّل النصّ الهدف. وقد اخترنا هذه الترجمات لضمان التنوّع في خلفية المترجمين، وهي ترجمة محمد حميد الله¹، وجاك بيرك²، وزينب عبد العزيز³ ومالك شبل⁴ مما يتيح رصد مقاربات مختلفة تعكس مشارب متنوّعة: إسلامية، استشراقية، نسويّة وحدائيّة. أما المصدر

¹ Muhammad Hamidullah, **Le Saint Coran : Traduction Intégrale et Notes**, Club Français du livre, sans date.

² Jacques Berque, **Le Coran Essai de Traduction**, Editions Albin Michel, France, 2002.

³ Zeinab Abdelaziz, **Le Qur'ān : Traduction du sens de ses Versets**, Conveying Islamic Message Society, Egypte, 2009.

⁴ Malek Chebel, **Le Coran : nouvelle traduction**, Fayard, France, 2013.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

التفسيري الذي اعتمدناه فيتمثل في "تفسير التحرير والتنوير" لصاحبه محمد الطاهر بن عاشور. سننتقل بعدها في الجزء (2.5) إلى عرض منهجية الدراسة التي اتبعناها في التحليل والمقارنة بين النماذج القرآنية المنتقاة. أما الجزء (3.5) فقد خصصناه لتحليل النماذج المنتقاة ومقارنتها ونقدتها، ثم نختم في الجزء (4.5) بخلاصة جامعة تستعرض النتائج التي سنتوصل إليها في الدراسة التحليلية، وتجييب عن الإشكالية المحورية للبحث والتي تتعلق بمدى إفادة نظرية الملاءمة في الترجمة في التعامل مع هذه الثنائية القرآنية المحورية.

1.5. التعريف بالمدونة:

تتمثل المدونة التي اشتغلنا عليها في النص القرآني كمصدر وأربع ترجمات فرنسية له، نفصلها كما يلي:

1.1.5. المدونة القرآنية المختارة:

انتقينا مجموعة من الآيات القرآنية التي تتضمن بشكل صريح حضوراً دلاليّاً لثنائية "الخير والشر" في سياقات متنوعة. وقد استندنا في اختيارنا إلى معيارين أساسيين:

- يتمثل المعيار الأول في تغطية شاملة لوجوه المعنى حيث تعكس الآيات المختارة الأبعاد الرئيسة الثلاثة للتصنيف الذي أسسنا له في الإطار النظري لهذا البحث وهي: البعد الدنيوي وبُعد المفاضلة والبُعد الأخروي. ما يضمن تقييماً شاملاً لقدرة الترجمات على التعامل مع مختلف تجليات المفهوم وإطلاقاته.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- أمّا المعيار الثاني فيتمثّل في تحقيق التنوّع في تحدّيات الترجمة من خلال اختيار سياقات متنوعة حيث تقدّم كل آية تحدّياً مختلفاً يكشف عن استراتيجيات المترجمين المنتهجة. فهي إما تحدّيات معجمية أو لغوية أو بلاغية أو سياقية. وهذا المعيار يضمن تحليلاً عميقاً لما قد يواجه مترجم القرآن الكريم أثناء عملية بناء التأويل. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الهدف من هذا الاختيار ليس الإحصاء الشامل لجميع الآيات التي وردت فيها لفظتي "الخير والشر" وإنّما بناء عيّنة تمثيلية تُتيح دراسة الطريقة المتبعة في ترجمة البنية المعرفية "للخير والشر" إلى اللغة الفرنسية ما يسمح بإجراء تحليل مقارن معمّق بدلاً من مسح شامل قد يطيل البحث دون أن يخدم أهدافه بالقدر نفسه.

2.1.5. التعريف بالمترجمين:

أولاً. محمد حميد الله: Muhammad Hamidullah

فقيه وباحث ولد عام 1908 بحيدرآباد في الهند، وتوفّي عام 2002 بجاكسون فيل في الولايات المتحدة الأمريكية. جمع في تكوينه العلمي بين الدراسات الإسلامية والقانون، إذ حصل على شهادتي الماجستير فيهما من الجامعة العثمانية بحيدرآباد قبل أن ينتقل إلى ألمانيا حيث حصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة بون عام 1932، ثمّ دكتوراه في الآداب من جامعة السوربون بفرنسا عام 1935. تنقل بين عواصم عربية وغربية عديدة وجالس كبار مستشرقي عصره أمثال لويس ماسينيون Louis Massignon وهنري لاوست Henri Laoust. استقرّ في فرنسا عام 1948 إلى غاية العام 1996م حيث

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

عمل باحثاً في المركز القومي للبحوث العلميّة (CNRS) وساهم في تأسيس عدة مراكز دعوية إسلامية مثل المركز الثقافي الإسلامي بباريس عام 1952. وقد ترك إنتاجاً علمياً غزيراً بلغات متعدّدة.

صدرت ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية عام 1959م بمساعدة ميشال ليتورمي Michel Léturmy مع مقدّمة للويس ماسينيون عن الناشر حاج محمد نور الدين بن محمود كما يظهر على صفحة غلافها:

**LE SAINT CORAN, TRADUCTION INTEGRALE ET NOTES DE
MUHAMMAD HAMIDULLAH
Professeur à l'Université d'Istanbul
Avec la collaboration de Michel Léturmy
PREFACE DE**

Louis Massignon

Professeur au Collège de France

وقد تميّزت ترجمته بحرفيّتها اللّصيقة بالنص ولعلّ ذلك راجع لحرصها على تقديم فهم إسلامي أصيل في مقابل الترجمات الاستشراقية التي سادت آنذاك. وقد لاقت قبولاً واسعاً ورواجاً كبيراً في أوساط الجالية المسلمة في فرنسا بفضل السّمعة التي كان يتمتع بها، إذ نفدت 1200 نسخة منها في أوّل أسبوعين من صدورهما. وقد تولّى مجمع الملك فهد في المملكة العربيّة السعوديّة طباعتها وتوزيعها في جميع الدول الناطقة بالفرنسية بعد مراجعتها وإدخال تعديلات عليها، إذ حذفت الحواشي الأصليّة واستبدلت المقابلات ذات المرجعيّة المسيحيّة مثل «Office» بمصطلحات إسلامية منقّحة «as-salat» كما أضيفت الشروح

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

التفسيرية بين قوسين لتوضيح المعنى وجعله أكثر توجيهاً للقارئ المسلم¹. وتجدر الإشارة إلى أننا اعتمدنا الطبعة الأصلية في دراستنا لاعتبار أنها هي التي تعكس فكر المترجم وسياقه التاريخي بينما تُعبّر النسخة المنقّحة عن عمل مؤسساتي ما يرشحها لأن تكون نموذجاً لدراسة تطوّر مناهج ترجمة القرآن الكريم في ضوء تأثير السياق الإيديولوجي والمؤسساتي.

ثانياً. جاك بيرك: Jacques Berque

ولد جاك بيرك عام 1910 وهو من أبرز المستشرقين الفرنسيين المعاصرين الذين اهتموا بقضايا العالم العربي والإسلامي إذ جمع في مساره الأكاديمي بين تخصصات متعددة شملت التاريخ الاجتماعي والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية مع تركيز خاص على دراسة المجتمعات المغاربية. أصدر ترجمته الفرنسية لمعاني القرآن الكريم في عام 1990 وهي ترجمة محققة ومتبوعة بتعليقات ودراسة تفسيرية وسمّها بـ:

Le Coran: Essai de Traduction de l'Arabe, Annoté et suivi d'une étude exégétique

وقد نشرتها دار Sindbad في باريس. ويبدو أن بيرك قد اتبع في ترجمته منهجاً تفسيرياً فيلولوجياً يقوم على التحليل اللغوي العميق للنص العربي، مع السعي لإعادة إنتاج البعد

¹ يراجع في هذا الصدد:

- حسام سباط، *ترجمات معاني القرآن الكريم*، دار الكتب العلمية، ط. 1، لبنان، 2018، ص. 81-82.
- سيد عبد الماجد الغوري، *سفير الإسلام وأمين التراث الإسلامي في الغرب*، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 1، دمشق، سوريا، 2009، ص 91-93.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

البلاغي والروح الأدبية للقرآن الكريم في اللغة الفرنسية بدلاً من الاكتفاء بالترجمة الحرفية. وما يميّز ترجمته أنها مصحوبة بشروح وتعليقات تفسيرية تعكس قراءاته النقدية واللغوية للنص القرآني. ما جعلها تتدرج ضمن المحاولات التفسيرية الشارحة. وبالرغم من الإشادة بجهوده في السعي لبناء جسور الحوار بين الثقافة الإسلامية والغربية، فقد لقب بـ"رجل الضفتين" (l'homme des deux rives)، وبمنهجه متعدّد التخصصات إلا أنّ ترجمته واجهت انتقادات من باحثين متخصصين أشاروا إلى وجود أخطاء لغوية وترجميّة واختيارات مصطلحية مثيرة للجدل تأثرت بمرجعيات غير إسلامية ما أثر في دقة نقل بعض المعاني القرآنية. ما جعل عمله محلّ نقاش مستمر¹.

وقد اعتمدنا في عملنا هذا النسخة الصادرة عام 1995 عن دار Albin Michel والموسومة:

Le Coran : Essai de Traduction

ولعل تسمية العمل "محاولة ترجمة" دليل على وعي المترجم بأن أي ترجمة لمعاني القرآن ليست إلا محاولة وسعي إلى مقاربته قدر المستطاع.

ثالثاً. زينب عبد العزيز: Zeinab Abdelaziz

ولدت زينب مصطفى عبد العزيز سنة 1935 بالإسكندرية. وهي أستاذة الحضارة وتاريخ الفن بكلية الدراسات الإنسانية بالأزهر. ولعلّها من الشخصيات البارزة التي جمعت بين الخبرة الأكاديمية والنشاط التّرجمي والمساهمات الفكرية في القضايا الإسلامية

¹ حسن بن دريس عزوزي، ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك، د. ت. د. ط.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

المعاصرة. نالت شهادة الليسانس في الأدب الفرنسي من جامعة القاهرة عام 1962 ثم درجة الماجستير في الحضارة وتاريخ الفن عام 1967 فدرجة الدكتوراه في الآداب عام 1974 لأطروحتها الموسومة: "النزعة الإنسانية عند فان غوخ".

باشرت عبد العزيز مسيرتها العلمية مترجمةً بمركز تسجيل الآثار المصرية، ثم تقلدت عدة مناصب أكاديمية وإدارية وشاركت في لجان وهيئات إسلامية وعلمية رفيعة المستوى. وقد أثرت الحقل العلمي بإنتاج غزير جمع بين التأليف والترجمة شاملاً دراسات متخصصة في الفن الحديث وسير الفنانين والأدب الفرنسي إلى جانب ترجمات فكرية وأدبية معروفة كرواية "الريح" لكلود سيمون Claude Simon ودراسة "هيجل والمسيحية". كما نشرت بحوثاً فكرية متعدّدة وشاركت في مؤتمرات علمية ذات صلة بقضايا الحوار بين الحضارات والنقد الثقافي والموقف الغربي من الإسلام إذ تحتلّ كتبها في الدفاع عن الإسلام ونقد "التحييف الغربي" مكانة خاصة نذكر منها: "محاصرة وإبادة: موقف الغرب من الإسلام"، و"هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة" و"ترجمات القرآن إلى أين؟" و"الفاتيكان والإسلام" وغيرها¹.

أما مشروعها الأبرز فيتمثل في ترجمتها لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية عام 2001 تحت عنوان:

¹ مفيدة شنايت، أساليب التوجه الإيديولوجي في إعادة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية، أطروحة دكتوراه علوم في الترجمة، معهد الترجمة، جامعة أبو القاسم سعد الله، 2021، ص. ص. 182-184.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

Le Qur'ān

Traduction Du Sens De Ses Versets

Par ZEINAB ABDELAZIZ

Professeur émérite de civilization française

Université Al-AZHAR, Université Ménoufiya

وقد اشتغلنا على طبعة 2009 التي نشرتها ووزعتها مجاناً "جمعية تبليغ رسالة الإسلام" التي تتخذ من الإسكندرية مقراً لها.

جاءت ترجمة عبد العزيز لمعاني القرآن الكريم -حسب تصريحاتها - ردّاً على الانحرافات والتحريفات التي تضمنتها ترجمات المستشرقين وتصدياً لما عدّته غياباً للاحترام العلمي لقدسية النصّ القرآني وخصائصه كنصّ منزلٍ إلهيٍّ المصدر. وهذا ما ينمّ عن موقف صريح لحماية النصّ القرآني من التحريف والتشويه.

رابعاً. مالك شبل: Malek Chebel

مفكّر أنثروبولوجي جزائري متخصص في الأديان. ولد عام 1953م في سكيكدة وتوفّي بباريس عام 2016م. بعد تكوين أولي في علم النفس بالجزائر، انتقل إلى فرنسا حيث حصل على شهادات دكتوراه في علم النفس والأنثروبولوجيا والعلوم السياسيّة، وعمل أستاذاً للدراسات العربيّة والإسلاميّة بالجامعة الفرنسيّة. ويندرج مشروع شبل الترجمي في إطار الإسلام التنويري الداعي إلى إصلاح الفكر الإسلامي وتكييفه مع قيم الحداثة والذي حمل لواءه ودافع عنه في عديد من مؤلفاته التي سعت إلى تقديم الإسلام للقارئ الغربي بصورة تسهّل النقدية ما أثار جدلاً في الأوساط الإسلاميّة المحافظة.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وقد صدرت ترجمة شبل لمعاني القرآن الكريم عام 2009م تحت عنوان:

Le Coran

Nouvelle Traduction de

Malek Chebel

وتمثل هذه الترجمة الذروة التطبيقية لمشروعه الفكري، إذ يرسى موقفه الترجمي على نقد الترجمات السابقة التي يعتبرها قديمةً وغامضةً وموجهةً لنخبة من المثقفين مؤكّداً على هدفه المتمثل في تقديم ترجمة عصرية ومخفّفة يطبعها البساطة والوضوح حتى يفهمها الجميع. وبالرغم من أنّه يدعو إلى تأويل جديد للنص القرآني يأخذ بالحسبان التطور التاريخي ويستعين بالعلوم الإنسانية إلاّ أنه يرفض في الوقت ذاته حصر عمله في مجرد ترجمة المعاني معتبراً إياه نقلاً أميناً للأصل¹.

إلاّ أنّ هذا التوجه إلى التبسيط والتوضيح، وإن كان يهدف إلى تحقيق ملاءمة أفضل للقارئ الفرنسي المعاصر، فإنّه يفتح المجال لتحليل مدى تأثير هذه النزعة على دقّة نقل المقاصد القرآنية.

¹ يراجع في هذا الصدد:

- حسام سباط، مرجع سابق، ص. 92.

- محمّد باب الشيخ، تقويم ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ترجمتا مالك شبل وبوريما عبده داود لسورة البقرة" أنموذجاً، أطروحة دكتوراه العلوم في الترجمة، معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2020/2019.

3.1.5. المرجع التفسيري المعتمد:

اعتمدنا في تحديد السّياق المعرفي واستخلاص الآثار المعرفية لكل آية من آيات المدوّنة على تفسير الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور الموسوم بـ "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" والذي يعرف اختصاراً بـ "تفسير التحرير والتنوير".

أولاً. التعريف بالمفسّر:

الشيخ محمّد الطاهر بن محمّد الطاهر بن عاشور، إمام مجّد وأحد أبرز أعلام الفكر الإسلامي للقرن العشرين. ولد بالمرسى إحدى الضواحي الشمالية في تونس عام 1879م وتوفي بها عام 1973م. نشأ في بيت علم ونفوذ، فجده لأبيه هو القاضي والمفتي الطاهر بن عاشور وجده لأمه هو الوزير محمّد العزيز بوعتّور.

حفظ القرآن ثم المتون العلمية وتعلّم اللغة الفرنسيّة، ليتلقّى بعدها تكويناً أصيلاً في جامع الزيتونة حيث تخرّج عام 1899م¹. له مسيرة أكاديميّة وقضائية حافلة² فقد عيّن أستاذاً بالزيتونة عام 1905م، ثم تولّى مناصب رفيعة كالقضاء والإفتاء. كما عيّن شيخاً لجامع الزيتونة وفروعها مرّتين عام 1932م و1945م حيث قاد حركة إصلاحية واسعة تحديثاً لمناهج التعليم. ترك ابن عاشور إرثاً فكرياً وإصلاحياً عميقاً، ويبقى أعظم ما حرّر من جملة مؤلفاته تفسيره للقرآن الكريم الموسوم "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير

¹ محمّد النذير أوسالم، الاختيارات العلميّة للعلامة محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط. 1، بيروت، لبنان، 2009، ص. ص 17-19.

² محمّد النذير أوسالم، المرجع نفسه، ص. ص 34 - 41.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الكتاب المجيد" والمعروف اختصاراً "التحرير والتنوير". وقد استغرق إنجاز هذه الموسوعة التفسيرية كما أطلق عليها بعض الباحثين¹ قرابة أربعين عاماً وهو بمثابة مشروع فكري متكامل يدعو فيه ابن عاشور إلى تجديد الفكر الإسلامي بالاعتماد على منهج علمي وبلاغي يهدف إلى استخلاص مقاصد الشريعة العليا من النص القرآني ويعيد للتفسير بعده العقلي والتداولي.

ثانياً. أوجه التلاقي بين المرجع المعتمد ومبادئ نظرية الملاءمة:

ينبع اختيارنا للطاهر بن عاشور كمرجع تفسيري في دراستنا هذه من التوافق المنهجي بين المقدمات النظرية لهذا البحث، القائمة على التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة بالتحديد، وبين الملامح التداولية المعرفية البارزة في منهج ابن عاشور في التفسير الذي يبرز فهماً عميقاً لاشتغال النص القرآني اللغوي والمعرفي².

ويمكن رصد أوجه التلاقي الجوهرية بين منهج ابن عاشور ومبادئ نظرية الملاءمة أولاً في منطلقهما. فكلاهما يعتبر أنّ التواصل عملية استدلالية وليس مجرد فعل لغوي. إذ ترى النظرية أنّ فهم الكلام يقتضي تجاوز المعنى الحرفي للوصول إلى قصد المتكلم باعتماد السياق. كذلك، نجد أنّ ابن عاشور يجعل من تحديد مقاصد الكلام حجر الزاوية في تفسيره

¹ يراجع في هذا الصدد:

- أوسالم محمد النذير، المرجع السابق، ص45.

² دون التقليل من الجهود التفسيرية لمحمد رشيد رضا والرازي والزمخشري، حتى أنّ ابن عاشور ذاته يعتمد كثيراً على أقوال الزمخشري.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

فهو يرى أنّ المقصود من كلام الله هو ما ينبغي على المفسّر أن يتحرّاه ويبينه في تفسيره¹. وقد استخدم لفظ الاستدلال بالمعنى ذاته الذي جاءت به نظرية الملاءمة:

"الاستدلال على العواقب بالمبادئ"² أي الوصول إلى نتائج انطلاقاً من مقدّمات.

كما نجده قد عني ببناء سياقات الكلام المتعدّدة، حيث عبّر عن مدى اهتمامه بالسياق لبيان معاني الآيات القرآنية مرّات وكُرّات كقوله: "فإن اعتدّنا بالمقصد والسياق" وقوله "ينبئ عنه السّياق" وكذا قوله "لقرينة السياق"، حتى أن اهتمامه بقرينة السياق جعله يردّ بها بعض التفاسير فيقول أحياناً: "وسياق الآية بعيد عن هذا المعنى"³.

وتتوافق على نحو مماثل معادلة الجهد/أثر في نظرية الملاءمة مع بحث ابن عاشور الدؤوب عن النّكات البلاغيّة وأغراض العدول. فنجدّه يُبيّن، على سبيل المثال⁴، في تفسيره استخدام لفظ الماضي للتعبير عن المستقبل تنبيهاً على تحقق وقوعه. كما أنّه يكشف عن الغرض من العدول عن ذكر الفاعل في بعض المواضع القرآنيّة⁵ بأنّه جريّ على واجب الأدب مع الله تعالى. ويوضّح في كلا الموضعين أنّ الجهد الذهني الذي يبذله المتلقّي في تأمل هذا الاختيار الأسلوبي "يكافأ بأثر أعمق" – أو الأثر المعرفيّ كما تصطّح عليه نظرية الملاءمة – لا يحقّقه الأسلوب المباشر. وفي ذلك ما يمثّل – حسب رأينا – جوهر تحقيق الملاءمة.

¹ أوسالم، محمّد النذير، المرجع السابق، ص 115.

² ابن عاشور، المرجع نفسه، ج. 8، ب، ص. 67.

³ أوسالم، محمد النذير، المرجع نفسه، ص 157-158.

⁴ كما جاء في تفسيره لاستخدام فعل الماضي "كان" في الآية 7 من سورة الإنسان. يراجع: ابن عاشور، المرجع نفسه، ج. 29، ص 383.

⁵ كما جاء في تفسيره للآية 10 من سورة الجن. يراجع: ابن عاشور، المرجع السابق، ج. 29، ص 231.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وبما أنّ استقراء تفسير "التحرير والتنوير" يوحى بمنهج ابن عاشور الاستدلالي ما يضع أمام أعيننا الآثار المعرفية والمقاصد التواصلية التي يستثيرها النصّ القرآني في ذهن القارئ العربي وتحقق الملاءمة القصوى لديه؛ وبناءً عليه استندنا إلى تفسير ابن عاشور كأداة منهجية تربط الإطار النظري للبحث بشقّه التطبيقي وأرسينا عليه تحرّينا أيّ من الترجمات نجحت في إعادة نقل هذه المقاصد والآثار بدقّة وفعاليّة.

2.5 المنهجية المتبعة:

نظراً لاتساع المواضيع القرآنية التي ترد فيها لفظتا الخير والشر فإنّ الإحاطة بها جميعاً يتخطّى حدود الدراسة الحالية. إذ إنّ تتبّعنا لهذه المواضيع في 'المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم'¹ أفضى إلى ورود لفظة 'خير' وحدها في حوالي مائة وثمانية وثمانين موضع، فيما وردت لفظة 'شر' في ثلاثين موضع. وبناءً عليه، اعتمدنا منهج العينة إذ انتقينا مجموعة من الآيات النموذجية التي تمثّل بوضوح تجليات هذه الثنائية ضمن الوجوه الثلاثة المحددة في الفصل النظري الرابع بهدف إجراء التحليل والمقارنة التي تقتضيهما الدراسة بدلاً من مسح شامل لجميع المواضيع والشواهد.

ويقوم تحليل هذه النماذج المنتقاة على مقارنة مقارنة تقييمية تتغيّ قياص مدى ملاءمة الترجمات الأربع المختارة بالاستناد إلى الإطار التداولي المعرفي الذي بنيناه في الفصول

¹ محمّد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 2002. وقد تأكدنا من العدد من خلال إحصاء عدد مرات تكرّر اللفظتين في المصحف الشريف بصيغة Word.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

النظرية من هذا البحث أي إلى معياري الملاءمة: الجهد الذهني المبذول مقابل الأثر المعرفي المحقق. وأخذاً في الحسبان أنّ تحقيق الملاءمة في ترجمة معاني القرآن لا يعني تبسيط الفحوى على حساب المقاصد وتقليل الجهد على حساب تحقيق الأثر؛ لذلك، فإنّ تقييمنا للترجمات لن يقتصر على اعتبار تقليل الجهد المعرفي كغاية في حدّ ذاتها وإنّما سنراعي فيه هدفاً أسمى وهو الحفاظ على الأثر المعرفي الكامل للنص القرآني قدر المستطاع. ما يقتضي تحقيق توازن بين الدقة والوضوح والسلاسة. ومثل هذه المنهجية، التي تروم تقديم تحليل رصين يربط بين الإطار النظري والتطبيق العملي على نحو نسقي متماسك، هذه المنهجية تقتضي اتباع خطوات تحليلية متسلسلة ومنظمة لكل نموذج من النماذج المختارة وذلك وفق مرحلتين أساسيتين: تحليل النص المصدر ثمّ تحليل الترجمات الأربع وفقاً لنظرية الملاءمة في التواصل وفي الترجمة.

❖ المرحلة الأولى: تحليل النص المصدر وفقاً لنظرية الملاءمة في التواصل

نبدأ، كخطوة أولى، بتقديم الآية القرآنية المختارة مع ذكر رقمها والسورة التي وردت فيها ثمّ نعرض ترجماتها الأربعة مع ذكر رقم الصفحة، وهذا تسهيلاً للرجوع إلى الآيات المرقمة في المصحف وفي الترجمات.

ثمّ نستخلص، كخطوة ثانية، المعيار التأويلي من تفسير "التحرير والتنوير" حتّى نقيس عليه الترجمات الأربع، وذلك من خلال تحديد أربعة عناصر هي:

- السياق المعرفي للآية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- التصريحات أو المعاني المستدلّ عليها انطلاقاً من الملفوظ القرآني.
 - التضمنات والآثار السياقية التي تنتجها الآية.
 - وأخيراً الهدف التواصلّي أو المقصد القرآني الذي ترومه الآية.
- إذ تمثل هذه العناصر مجتمعةً الملاءمة التي يحقّقها النصّ الأصلي لدى القارئ العربي.

❖ المرحلة الثانية: تحليل الترجمات وفقاً لنظرية الملاءمة في الترجمة

نخضع كلّ ترجمة من الترجمات الأربعة (حميد الله، وبيرك وعبد العزيز وشبل) لتحليل منهجي منفصل يركز على خطوات نبيّنها فيما يلي:

▪ الخطوة الأولى:

ننظر فيها الخيارات المعجمية مع الاستعانة بالترجمة العكسية. إذ نتناول بالتحليل دقّة المقابلات الفرنسية التي اختارها كل مترجم للألفاظ القرآنية المفتاحية. وإذا اقتضى الأمر نقدّها وفقاً للمعاجم اللغوية ولما ورد في تفسير التحرير والتتوير مع مقارنة الخيارات ببعضها البعض باعتبار نهج الدراسة التحليلي المقارن الذي انتهجناه.

ونظراً لكون الملاءمة قائمة على التوازن بين متغيّرين أساسيين هما الأثر المعرفي والجهد الذهني، فسنبني تحليلنا وفقاً لذلك من خلال التركيز على ثلاثة مؤشرات مترابطة:

- الأثر المعرفي: نقيس من خلاله مدى نجاح الترجمة في إعادة إنتاج الآثار المعرفيّة والهدف التواصلّي للأصل، أي في إحداث التشابه التأويلي المطلوب مع النصّ القرآني.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الجهد الذهني: نقيّم من خلاله مقدار الجهد الاستدلالي الذي تفرضه الترجمة على القارئ الفرنسي باعتباره محكّ السهولة أو الصعوبة التي يواجهها للوصول إلى المعنى الصحيح وإدراكه؛ مع تقييم الاستراتيجيات التي يلجأ إليها المترجم لتيسير الفهم كالحواشي التوضيحية والهوامش مثلاً.

- درجة الملاءمة: وهي المعيار النهائي الذي نوازن من خلاله بين المؤشرين السابقين لتحديد الدرجة المحققة (ملاءمة عالية، متوسطة، منخفضة). فالترجمة الأكثر ملاءمة هي التي تنجح في تحقيق أثر معرفي كبير مقابل جهد ذهني منخفض قدر الإمكان.

■ **الخطوة الثانية:**

ولأغراض المنهجية والاتساق الذين تفرضهما أي دراسة تحليلية مقارنة، نُجمل ما توصّلنا إليه من تحليل النماذج باستنتاج نهائي مقارن نبرز فيه الترجمة التي نجحت في تحقيق التشابه التأويلي المطلوب ليس عبر الحرفية الجامدة ولكن عبر الحفاظ على جوهر الأثر القرآني بأكبر قدر مستطاع من الدقة والوضوح. ثم نلخص نتائج التحليل المتوصل إليها في جدول قالبه كالآتي:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الترجمة والتحليل	
الآية	
المترجم	الترجمة:
	الاختيار المعجمي: تحديد الخيارات المعجمية المعتمدة في الترجمة
	الأثر المعرفي: تقييم مدى نجاح الترجمة في تحقيق التشابه التأويلي وإعادة إنتاج الآثار المعرفية للآية.
	الجهد الذهني: تقييم الجهد المطلوب من القارئ الفرنسي لفهم المعنى
	درجة الملاءمة: خلاصة نهائية توازن بين الأثر المعرفي والجهد الذهني.

3.5. تحليل الترجمات ومقارنتها:

بعد التمعّن في الأمثلة التي استقيناه من المدونة ارتأينا أن نقسّمها، لغرض التحليل، وفقاً للتصنيف الذي أوردناه في الفصل الرابع من هذا البحث إلى وجوه ثلاثة: ثنائية "الخير والشر" بمفهومها الدنيوي، ثمّ "الخير والشر" بمفهوم المفاضلة، وأخيراً ثنائية "الخير والشر" بمفهومها الأخروي.

1.3.5. تحليل ترجمات ثنائية الخير والشر بمفهومها الدنيوي:

رأينا في الفصل السابق من هذا البحث أنّ ثنائية "الخير والشر" في بعدها الدنيوي تتجلى من جهة في كل ما هو طيب ومرغوب فيه ليشمل السعة والغنى والعافية والغنيمة في مقابل كل ما يُنفر منه من سوء وأذى وفقر ومصائب. سنتناول فيما يلي تحليل نماذج من ترجمات هذه الثنائية في هذا البعد من خلال نماذج تمثيلية Représentatifs من آيات القرآن الكريم.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

❖ النموذج الأول: الخير بمعنى المال

الآية	"وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" (8، سورة العاديات)
ترجمة حميد الله	« Certes oui, et il est fort en l'amour des richesses! ». (P. 712). <u>الترجمة العكسية:</u> قطعاً إنه ضليع في حبّ المال/الثروات!
ترجمة بريك	« Mais l'amour des biens le rend avide » (P. 693) <u>الترجمة العكسية:</u> لكنّ حبه المال يجعله جشعاً.
ترجمة عبد العزيز	« Et de l'amour des richesses, il est sûrement avide ! » (P. 758) <u>الترجمة العكسية:</u> ولحب المال/الثروات، فهو جشع بالتأكيد!
ترجمة شبل	« Car il aime trop les biens matériels ». (P. 512) <u>الترجمة العكسية:</u> لأنه يحب المتاع المادي حباً مبالغاً. لأنه يفرط في حبّ المتاع المادي.

- التحليل:

أ. تحليل النصّ المصدر وفقاً للملاءمة:

الآية: "وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ"¹.

- السياق المعرفي: يشير ابن عاشور إلى أنّ هذه الآية تصف طبعاً متأصلاً في

البشر وهو حبّ المال الذي يؤدّي إلى الشحّ والبخل. فلفظة "الخير" هنا كما يتضح من

التفسير لا تتضوي ضمن البعد الأخلاقي، وإنّما تحمل دلالة المال والمتاع الدنيوي. فيما

تشير لفظة "شديد" إلى البخل والتشدّد في الإنفاق. وفي الآية ذمّ لهذا الطبع الإنساني وهو

¹سورة العاديات، الآية 8.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

حب المال الحبّ الجَمّ المؤدي إلى الشَّح ومنع المعروف، وهو يناقض سلوكه الآخر المتمثل في الإسراف في مواطن السمعة والفخر¹.

← **التصريحات:** يتمثل المعنى التصريحي في أنّ حبّ الإنسان الشَّدِيد للمال يصيِّره بخيلاً ومتشَدِّداً في الانفاق؛ ويتَّضح من التفسير أن إطلاق الخير في هذا الموضع مفاده المال بما لا لبس فيه، وأنّ لفظ شديد تعني بخيل أو متشَدِّد في الإنفاق. إذ يقول ابن عاشور في معنى الآية إنّ في خُلُق الإنسان الشُّحّ لأجل حبّه المال أي الازدياد منه².

← **التضمنيات والآثار السياقية:**

• **ذم الطبيعة البشرية الجشعة:** فالآية لا تصف حالة محايدة وإنّما تذمّ طبعاً إنسانياً

يتمثل في حبّ المال المؤدي لا محالة إلى الشَّح ومنع المعروف.

• **حب المال سبب السلوكيات والأفعال المذمومة:** هذا ما يتبيّن من لام التعليل في

(لحبّ)، وهذه السلوكيات مذكورة في سياقات قرآنية أخرى مثل أكل مال اليتيم وعدم

إطعام المسكين.

• **طبع الإنسان المتناقض:** يضيف التفسير أثراً سياقياً مهماً وهو التناقض الحاصل

في طبع الإنسان والمتمثّل في بخله على الفقير والمحتاج مقابل إسرافه في مواطن

السمعة والفخر. ولئن كان هذا طبعاً جاهليّاً فإنّ يسري على الناس كافةً.

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 30، ص 505.

² ابن عاشور، المرجع نفسه.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← **الهدف التواصلی:** المقصد من الآية ليس مجرد الإخبار عن حبّ الإنسان للمال، وإنّما إحداث أثر قيمي في نفس المتلقي يدفعه إلى التفكير في حقيقة هذا الطبع السيئ والمذموم، وآخر تنبيهي يحذّره من مغبّة الانسياق وراء هذا الطبع كونه دافعاً لأعمال طالحة كالبلخ وجد نعم الله.

ب. تحليل الترجمات وفقاً لنظرية الملاءمة في الترجمة:

سنقوم بتقييم كل ترجمة بناءً على قدرتها على نقل هذه الآثار السياقية بالقياس إلى الجهد الذهني المطلوب من القارئ الفرنسي.

1. ترجمة حميد الله:

« Certes oui, et il est fort en l'amour des richesses! ».

- الترجمة العكسية:

قطعاً إنّه شديد حبّ الثروات/الأموال!

- التحليل:

▪ **الاختيار المعجمي:** اختار حميد الله لفظ Richesses كمقابل للفظ الخير في هذه الآية.

ولئن نظرنا في معنى هذه اللفظة الفرنسية في المعجم الفرنسي لتبيّن لنا أنّها تحيل إلى

معنيين، أولهما:

1. « **Richesse:** Abondance de biens, de moyens, de revenus; état, condition d'une personne qui possède des biens très importants, qui a beaucoup de

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ressources, de revenus. *Synon.* Fortune, opulence; *Anton.* Besoin, dénuement, misère, pauvreté »¹.

"غنى: وفرة في الأموال أو الموارد أو المداخل؛ وهي حالة أو وضع شخص يملك أموالاً معتبرة، أو يحوز موارد كثيرة ومداخل وفيرة. مرادفاتها: ثراء، رخاء وسعة. أضدادها: الحاجة والخصاصة، العوز، الفاقة، الفقر." (ترجمتنا)

وثانيهما، بصيغة الجمع:

2. « **Richesses** : Tout ce qui est susceptible de combler, de satisfaire les désirs, les besoins de l'homme »².

"أموال/ثروات/خيرات: كل ما من شأنه أن يحقق رغبات الإنسان وحاجاته ويشبعها.

(ترجمتنا)

تجدر الإشارة هنا إلى الفرق الدقيق والمهم بين اللفظتين الفرنسيتين والذي ينعكس لا محالة في الترجمة:

لفظ *Richesse* بصيغة المفرد مفهوم مجرد يصف حالة الثراء ذاتها، أي كون الشخص غنياً. أمّا *Richesses* بصيغة الجمع فهي مفهوم ملموس يصف كل ما هو ماديّ من مال وممتلكات وموارد ويعدّ قوام الثروة التي تجعل الشخص غنياً. هذا المعنى يتعزز بما أورده قاموس Le Robert في هذا الصدد:

« **Les richesses** : l'argent, les possessions matérielles. Accumuler les richesses.

¹ Voir : **Richesse**, In : Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales (CNRTL), <https://www.cnrtl.fr/lexicographie/richeesse>, (Consulté, le : 01/10/2025).

² Voir : **Richesses**, In: Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales (CNRTL), <https://www.cnrtl.fr/lexicographie/richeesse>, (Consulté, le: 01/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

Ressources (d'un pays, d'une collectivité). La répartition des richesses. Richesses naturelles d'une région »¹.

إذ يعرف لفظ "Les richesses" بأنه المال والممتلكات المادية التي يمكن للفرد تجميعها. كما يمتد معناه ليشمل الموارد الخاصة بكيانات أكبر كالبلدان أو الجماعات، كقولنا: "توزيع الثروات" أو "الخيرات الطبيعية" التي تزخر بها منطقة معينة.

ولئن عدنا إلى ترجمة الآية، يتبين لنا أنّ لفظة Richesses بصيغة الجمع هي الأنسب لترجمة الخير بمعنى المال. والعرب كما رأينا في الفصول السابقة تسمي المال خيراً إذا كثر ووفر. وقد وُفق حميد الله في اختياره للفظ Richesses لما تحيل إليه من معاني المال والمتاع وكل ذي قيمة مادية يسعى الإنسان إلى حيازته والازدياد منه. وحبّه المفرط المؤدي للبخل إنّما لهذا المتاع الملموس وليس لحال الغنى ذاتها.

■ **الأثر المعرفي:** وفق المترجم في تحديد المعنى السياقي للفظ "الخير" وهو (المال/الثروات) ممّا يثير في ذهن القارئ معنى النفع الدنيوي بطريقة مباشرة وواضحة. إلّا أن استعماله للتركيب البلاغي (être fort en ...) يوحي إلى أنّ الإنسان يحب المال وهو متفوق فيه لكنّه لا يعكس شدّة حب المال بما تنطوي عليه هذه الشدة من شحنة سلبية. لننظر في دلالة العبارة في المعجم الفرنسي:

¹ Voir : **Richesses**, In : Le dico Robert en ligne, <https://dictionnaire.lerobert.com/definition/richeesse> (Consulté, le : 01/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Qui atteint un haut niveau, excelle (dans un domaine, un art, une science, un sport »¹.

« Qui a des connaissances étendues, une grande habileté, une grande aptitude dans un domaine et, en particulier, qui surpasse les autres »²

يتجلى لنا أن العبارة تستخدم للدلالة على كل شخص له مستوى عال في مجال ما، فنّ أو علم أو رياضة، وتكون معارفه فيه واسعة ويظهر فيه مهارة وحذاً تجعلانه يتفوق ويتميز عن غيره فيه. وقد نضيف لها حتى معنى الشدة في الملمات كقول: (être fort face à l'adversité). وما يلاحظ في هذه العبارة أنّها تحمل شحنة إيجابية كما قد تكون محايدة قيمياً.

ولئن عدنا إلى استراتيجية المترجم في استخدامها، فلعله أراد تبيان أنّ حبّ المال لدى الإنسان طبع متأصل فيه وكأنّها - مجازاً - مهارة يتقنها تماماً. وعليه يستدل بهذه العبارة المترجمة على الأثر المعرفي الأساس للآية وهي حبّ الإنسان للمال وشدة تعلقه به. إلّا أن الحياد القيمي الذي يطغى على هذه العبارة يفقد الترجمة الأثر المعرفية الأخرى التي تثيرها لفظة "شديد" في السياق القرآني والمتمثل في استقباح المتلقي لهذا الطبع الذميم، الذي يدفع بالإنسان إلى سلوكات البخل والجود ومنع الحقوق، والتحذير منه.

¹ Voir : **Fort**, In: Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales (CNRTL), <https://www.cnrtl.fr/definition/fort>, (Consulté, le: 01/10/2025).

² Voir : Fort, in: Larousse: <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/fort/34684> (Consulté, le: 01/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وبذلك يتبين قصور العبارة المترجمة في نقل الشحنة السلبية ما أدى إلى ضياع بُعديها النقدي والتحذيري. فالترجمة تُخبر المتلقي بحقيقة حب الإنسان للمال ولكن لا تُحذره من نتيجته الذميمة.

وعليه، فإنّ ترجمة حميد الله بالرغم من دقتها في نقل لفظة الخير بمعناها السياقي إلا أنّها جانبت الصواب في تقديمها معنى محايداً وصفيّاً لآية مقصدها التواصلية قيمي (النقد والذم) وتنبهي (التحذير من السلوك المذموم) مكتفيةً بنقل المعاني التصريحية دون التضمينية ما حال دون تحقيق التشابه التأويلي المطلوب وإنتاج جميع الآثار المعرفية للأصل. لذلك يكون الأثر المعرفي المحقّق هاهنا متوسطاً لأنّ الترجمة قدّمت بعض الفائدة المعرفية لكنها فائدة منقوصة. ولعلّ ذلك ما دفع إلى تغيير التركيب في النسخة المعدّلة لترجمة حميد الله المعتمد لدى مجمّع الملك فهد إذا جاءت في حلّتها الجديدة على النحو التالي:

« Et pour l'amour des richesses, il est certes ardent »¹

■ **الجدد الذهني:** لن يجد القارئ الفرنسي صعوبة في معالجة العبارة Il est fort en l'amour des richesses! وفهمها. إذ إنّها مباشرة وواضحة وسلسة. وهي بذلك تحقق جهداً ذهنياً منخفضاً. إلا أنّ تقليل الجهد هنا جاء على حساب تحقيق الآثار المعرفية التي يثيرها الأصل تضميناً؛ فالمعنى المحايد الذي أوردته الترجمة أغفل المعاني العميقة للآية

¹ القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية، مشروع المصحف الإلكتروني لجامعة آل سعود، https://quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=100_1&m=warsh&qaree=husary&trans=fr_ha ، (تاريخ المراجعة: 2025/10/02).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ومقاصدها. وحبذا لو كان تحقيق الآثار المعرفية سابقاً وأولى من تقليل الجهد المعرفي حتى تكون الترجمة أكثر ملاءمة للأصل.

■ **درجة الملاءمة:** يتوصل القارئ الفرنسي في حال هذه الترجمة إلى فهم جزء فقط من المعاني المقصودة لكن دون عناء كبير في التأويل. وضياح جزء من الرسالة الأصلية يجعل الترجمة ملائمة إلى حد متوسط حتى وإن حققت معياري السلاسة والوضوح.

2. ترجمة بيرك:

« Mais l'amour des biens le rend avide ».

- الترجمة العكسية:

"لكن حب المال يجعله جشعاً"

- التحليل:

■ **الاختيار المعجمي:** اختار بيرك لفظة Biens كمقابل للفظ "الخير". وهو اختيار دلالي موفق يتناسب مع سياق المال والممتلكات المادية كما تشير إليه لفظة "الخير" في هذا الموضع القرآني. فمن معانيها في المعجم الفرنسي:

« Toute chose d'utilité pratique et de valeur financière »¹

"كل ذي قيمة مادية ومنفعة عملية" (ترجمتنا)

¹ Voir : **Biens**, In : Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales (CNRTL), <https://www.cnrtl.fr/lexicographie/biens>, (Consulté, le : 01/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

كما يورد قاموس المنهل في مدخل مفردة ¹ Biens المقابلات العربيّة التالية: خير، منفعة، مال، ثروة. هذه المعاني كلّها تفيد معنى الخيرية الماديّة التي تنطوي عليها المفردة القرآنية.

■ الأثر المعرفي: وفق المترجم في تحديد المعنى السياقي للفظّة "الخير" وهو (المال والثروة) ممّا يثير في ذهن القارئ الفرنسي معنى المنفعة المادية بطريقة مباشرة وواضحة.

فيما تحيل العبارة الفعلية (le rend avide) أي (تجعله جشعاً) كمقابل لمفردة "شديد" القرآنية إلى النتيجة السلوكية لحبّ المال وهي الجشع. ويبدو أنّ بترك أغفل أنّ الجشع والنهم بالمال هو، وفقاً للآية، طبع في الإنسان وليس نتيجة له. وبالتالي، فإنّ العلاقة السببية التي قدّمها لا تشبه تلك التي ترومها الآية، فالجشع لا يعدّ نتيجة لحب المال بل هو توصيف آخر لشدة هذا النهم، والنتيجة المذمومة له كما تقصدها الآية إنّما هي البخل والجحود.

ونلاحظ هنا غياب الأثر المعرفي المقصود. صحيح أنّ الترجمة تتقلّ البعد القيمي لحب المال بأنّه سلبي ومذموم لكنها توجهه نحو علاقة سببية قد لا تكون هي المقصودة في الآية. إذ يحقّز ذهن القارئ الفرنسي على فهم أنّ "حبّ المال" هو الذي يسبب الجشع. بينما الآية تقدّم حب الخير/المال الشديد - وهو ذاته صفة الجشع المذمومة - كسبب للبخل وهذه النتيجة لم يصرح بها القرآن بل يستدل عليها وتتدبّرها الأذهان من الدلائل التواصلية المبنوثة في الآية ومنها صفة "شديد" المقترنة بلام التوكيد. وهذا ما يؤثر على دقة الآثار المعرفيّة المقصودة ويقلل منها في الترجمة.

¹ يراجع: قاموس المنهل، فرنسي/عربي، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، لبنان، 1983، ص 115.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ **الجهد الذهني:** تبدو الصياغة سلسة وواضحة وسهلة الفهم، ما يقلل من جهد المعالجة. إلا أنّ هذه السهولة ذات إشكالية هنا لأنها تقدّم للمتلقّي الفرنسي كما تبين علاقة سببية لا تشبه في بعدها التأويلي ما جاء به الأصل.

■ **درجة الملاءمة:** تقتضي اعتبارات الملاءمة في الترجمة أن يكون كم الآثار المعرفيّة المحققة في الترجمة أولى من تقليل الجهد الذهني المبذول. وهذه الآثار في حالة ترجمة بيرك قد فُقدت في جزء كبير منها لأنّها وبالرغم من نيّتها التوضيحية لم تحقق التشابه التأويلي مع الأصل القرآني لابتعادها عن المعنى المعرفي الذي يرومه. وبالتالي فإنّ درجة الملاءمة الخاصة بها منخفضة.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Et de l'amour des richesses, il est sûrement avide ! » (P. 758)

- الترجمة العكسية:

ولحب المال/الثروة، فهو جشع بالتأكيد!

- التحليل:

■ **الاختيار المعجمي:** لقد وُفقت عبد العزيز في استخدامها لفظ Richesses

(المال/الثروة) كمقابل للفظ الخير. فيما اختارت، على غرار بيرك، صفة Avide (جشع)

كمقابل لكلمة شديد. إلا أنّها لم توظفه في مدخله المنطقي على النحو الذي وظفه بيرك.

فبينما قدّم بيرك تركيباً سببياً كما رأينا سابقاً (حب المال يسبب الجشع ويؤدي إليه) فإنّ

عبد العزيز تقدّمه كصفة تعكس طبعاً متأصلاً في الإنسان «Et de l'amour des richesses, il est sûrement avide !»

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

«! richesses, il est sûrement avide إذ تربط صفة الجشع في الإنسان بحبه للمال

من خلال نقلها لام التعليل في (حبّ) Et de l'amour des richesses (ولحبّ المال)

ما يحاكي تركيب "لام التعليل" في الآية الأصلية.

■ الأثر المعرفي: حالت هذه الدقة في التركيب النحوي دون وقوع الترجمة في

الخلط في العلاقة السببية التي وقعت فيها ترجمة بيريك. وسيدرك المتلقي الفرنسي أنّ

الجشع صفة ملازمة للإنسان وليست ناتجة عنه كرد فعل وإنّما هي مرتبطة بحبه للمال.

وهذا ما يحقق الأثر المعرفي المحوري للآية. ولكن، تبقى إشكالية لفظة (جشع) Avide

مطروحة، فهل يمكن عدّها المقابل الدقيق لكلمة شديد (بمعنى البخل Avare) كما ورد

في التفسير؟

رأينا أنّ الجشع توصيفٌ لشدة الحب والرغبة في التملك، بينما يعدّ البخل عمله

السلوكي المتمثل في منع الانفاق. وهذه الترجمة تستبدل النتيجة السلوكية أي البخل

بتوصيف للسبب أي الجشع؛ وهي بذلك تحافظ على الشحنة السلبية وتنقل البنية

المنطقية للأصل لكنها لا تصيب المعنى الدقيق للنتيجة السلوكية. لذلك، قد يبدو لنا

للوهلة الأولى أنّ الأثر المعرفي فيها كبيرٌ بالنسبة لترجمة بيريك ولكنه يبقى ناقصاً إن

اعتبرنا معنى (شديد)، هذا من جهة. من جهة أخرى، تعقّبنا أقوال المفسرين في لفظة

(شديد) وتبيّن أنّ عبد العزيز - لربّما على غرار بيريك - قد أخذت بقول أورده بعض

المفسرين بأنّ (لشديد) فيه مذهبان، أحدهما أنّه شديد المحبة للمال أي قويّ في حبه

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

له، والثاني أنّه شديد البخل إذ يقال للبخل: شديد ومتشدد، وكلاهما صحيح¹. والواقع أنّ المعنى الأول متضمنٌ للثاني، ويشهد له قوله تعالى: "كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا"²، فمن كان حبه قويًّا للمال فسيحمله طبعه ذلك على البخل أو التعدي على الحقوق³. وعليه، يتبين من وجهة النظر هذه أن اختيار عبد العزيز للفظ شامل Avide يستدلّ به على معنى البخل اختيار صائب من شأنه أن يحقق آثار معرفية أكبر مما يحققه لفظ البخل Avare.

■ **الجهد الذهني:** التركيب اللغوي في الترجمة واضح وسلس ومباشر ولا يتطلب جهداً كبيراً للاستيعاب. فيما يقتضي وصف Avide (جشع) جهداً استدلالياً متوسطاً لإدراك معنى البخل الذي يتضمنه. ولعلّ الجهد ذاته الذي قد يبذله القارئ العربي للآية في الأصل القرآني لإدراك هذا المعنى التضميني. ثم إنّ نظرية الملاءمة في الترجمة تعطي الأولوية لتحقيق الأثر المعرفي ولو تطلب ذلك جهداً إضافياً، وهذا ما حققته الترجمة في هذه الحالة.

¹ قال به ابن كثير في تفسيره. انظر: تفسير ابن كثير، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura100-aya8.html#katheer> (تاريخ المراجعة: 2025/10/02).

² سورة الفجر، الآيات 19/18/17.

³ انظر: محمّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الجزء 9، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1995، ص. 69.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- **درجة الملاءمة:** باعتبار الآثار المعرفية التي تحققها هذه الترجمة، يتبين أنها ملائمة إلى حد كبير مقارنة مع سابقتها حتى مع افتراض بذل جهد متوسط للاستدلال على هذه الآثار.

4. ترجمة شبل:

« Car il aime trop les biens matériels ».

- **الترجمة العكسية:**
- "لأنه يحب المتاع المادي حباً مبالغاً/ لأنه يفرط في حبّ المتاع المادي".
- **الاختيار المعجمي:** اختار شبل عبارة Les biens matériels (المتاع المادي) كمقابل للفظـة "الخير"، وهو اختيار ملائم في رأينا يعكس المعنى الذي أورده سياق الآية. وخصّ كلمة شديد بظرف الكمية والشدة Trop (بإفراط/أكثر من اللازم) الذي يفيد المبالغة.
- **الأثر المعرفي:** يثير ظرف الشدة (Trop) الشحنة السلبية التي تحملها لفظـة (شديد)، فالإفراط (aimer trop) غالباً ما يعدّ أمراً غير محمود. ولئن تجاوزت ترجمة شبل حيادية ترجمة حميد الله، إلّا أنها لا تصل إلى شدة الدلالة السلبية للفظـة (Avide). إذ يدرك القارئ الفرنسي مباشرة أنّه ثمة مبالغة في حبّ المال إلّا أنّ معاني الشح والبخل الناتجين عن هذا الحبّ لا يتجليان في ذهنه؛ ولئن حضر أثر الذم فإنه يبقى مخففاً.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ **الجهد الذهني:** لا يتطلب التركيب اللغوي المستعمل جهداً ذهنياً كبيراً لفهم معنى الخيرية المالية. إلا أن الآثار المعرفية الأخرى من ذم وتنبيه وتحذير غائبة. إذ ينبغي على القارئ الفرنسي بذل جهد ذهني كبير للاستدلال عليها وقد لا يتمكن من الوصول إليها. وتبدو لنا هنا حالة تخفيف الجهد الذهني على حساب تحقيق الآثار المعرفية المقصودة.

■ **درجة الملاءمة:** تحقق هذه الترجمة جهداً ذهنياً كبيراً مقابل جزءٍ فقط من الأثر المعرفي، لذلك تعتبر درجة ملاءمتها متوسطةً. ولئن كانت أكثر ملاءمة من ترجمة حميد الله لأنها تنقل الأثر القيمي السلبي إلا أنها تبقى أقل ملاءمة من ترجمة عبد العزيز كونها لا تنقل بوضوح كامل معاني البخل ومنع الحقوق.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يتضح لنا مما سبق أن الترجمات كلها وُفِّقت في ترجمة معنى الخيرية. إلا أن ترجمة عبد العزيز وبيرك كانتا أكثر نجاعة في نقل الشحنة القيمية السلبية التي تحملها لفظة شديد مقارنة بالحياد الذي طبع ترجمة حميد الله والتخفيف في ترجمة شبل. وقد أظهر التحليل أن ترجمة عبد العزيز كانت الأكثر ملاءمة لنجاحها في محاكاة العملية التأويلية التي يمرّ بها القارئ العربي وبالتالي تحقيق التشابه التأويلي مع الأصل. في المقابل غيرت ترجمة بيرك هذه العملية التأويلية لتقديمها بنية منطقية تتأى في تأويلها عن الأصل وتُضَيِّع جراء ذلك معانيه المقصودة. وعموماً، يمكن تلخيص ما توصلنا إليه في الجدول التالي:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية: "وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ"
حميد الله	« Certes oui, et il est fort en l'amour des richesses! »
	الاختيار المعجمي: Être fort en = خير / شديد = Richesse
	الأثر المعرفي: متوسط
	وفق في نقل المعنى الصريح لكنه لم يوفق في نقل الآثار التضمينية للآية بسبب الخيار المعجمي Être fort en.
	الجهد الذهني: منخفض
	لكن على حساب تحقيق الآثار المعرفية.
بيرك	درجة الملاءمة: متوسطة.
	التوازن محقق نسبياً. فالأثر المعرفي المنقوص لا يبرر تقليل الجهد الذهني.
	« Mais l'amour des biens le rend avide ».
	الاختيار المعجمي:
	le rend avide = الخير / شديد = Biens
	الأثر المعرفي: منخفض
بيرك	غياب الدقة للمعنى المنقول يقدم أثراً معرفياً مختلفاً عن الأثر الأصلي.
	الجهد الذهني: منخفض
	السلاسة ووضوح العبارة لكن على حساب الأثر.
	درجة الملاءمة: منخفضة
	لم تحقق الترجمة درجة التشابه التأويلي الملائم مع الأصل لابتعادها عن البنية المعرفية للأصل بالرغم من نيتها التوضيحية.
	« Et de l'amour des richesses, il est sûrement avide ! »
	الاختيار المعجمي: Richesses = الخير / شديد = avide
	الأثر المعرفي: كبير

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الاختيارات المعجمية حققت تشابهاً تأويلياً كبيراً مع الأصل ما أنتج جلّ الآثار المعرفية للآية.	عبد العزيز
<u>الجهد الذهني: متوسط</u> التركيب واضح لكن يتطلب بعض الجهد الاستدلالي يحاكي الجهد الذي يبذله القارئ العربي.	
<u>درجة الملاءمة: عالية</u> التوازن بين أكبر قدر من الأثر المعرفي وبعض الجهد الذهني محقق في الترجمة.	
« Car il aime trop les biens matériels ».	
<u>الاختيار المعجمي: الخير</u> = Bien matériel / شديد = Trop	
<u>الأثر المعرفي: متوسط</u> الاختيار المعجمي يخفف من كم الآثار المعرفية المقصودة.	شبل
<u>الجهد الذهني: كبير</u> يتطلب الوصول إلى الآثار المعرفية جهداً استدلالياً كبيراً سببه الاختيار المعجمي للفظه Trop الذي لا يساهم في إثارتها بوضوح وبصفة مباشرة.	
<u>درجة الملاءمة: متوسطة</u> وفقاً لمعادلة الأثر المعرفي/الجهد الذهني، تعدّ أكثر ملاءمة من ترجمتي حميد الله وبيرك لكنها أقل ملاءمة من ترجمة عبد العزيز.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

❖ النموذج الثاني: الخير بمعنى النعم والشر بمعنى المصائب

« وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ » (11، سورة يونس)	الآية
« Et si Dieu, pour les gens, hâtait le malheur avec autant de hâte qu'ils cherchent le bonheur, leur terme leur serait accompli*» (P. 219). *<i>Malheur...bonheur Littér. Mal...bien</i> <u>الترجمة العكسية:</u> ولو عجل الله، للناس، المصائب بقدر استعجالهم النعمى لقضى لهم أجلهم.	ترجمة حميد الله
« Si Dieu mettait à presser le malheur des hommes l'empressement de ces derniers au bonheur, leur terme serait déjà accompli » (P.217) <u>الترجمة العكسية:</u> لو سارع الله في تعجيل مصائب الناس مسارعة هؤلاء النعم، لكان أجلهم قد قُضى فعلاً.	ترجمة بريك
« Si Allah Hâtait le mal, à l'égard des hommes, comme ils hâtent le bien, leur terme leur serait échu ». (P. 273) <u>الترجمة العكسية:</u> لو عجل الله الشر للناس كما يعجلون بالخير لانقضى أجلهم.	ترجمة عبد العزيز
« Si Allah apportait le malheur aux gens à la vitesse à laquelle ceux-ci recherchent le bonheur, leur terme final serait déjà échu». (P.166) <u>الترجمة العكسية:</u> لو أنزل الله المصائب على الناس بالسرعة ذاتها التي ينشدون بها النعم لكان أجلهم قد انقضى فعلاً.	ترجمة شبل

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ"¹.

- **السياق المعرفي:** يقول ابن عاشور بخصوص هذه الآية إن من لطف الله وإحسانه بعباده أنه لا يستجيب لدعوات الناس بالشر والتي غالباً ما تكون في لحظة يأس أو جهل بنفس استجابته لدعائهم بالخير. ولو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه، وبأدرهم بالعقوبة عليه، كما يعجل لهم الثواب والخير إذا أتوا بأسبابه لهلكوا. فبيّنت الآية أن الرفق جعله الله مستمراً على عباده غير منقطع عنهم لأنه أقام عليه نظام العالم، وأنه لم يقدر توازي الشر بالخير رفقا منه حتى لا يبطل نظام الرحمة واللطف الذي وضع عليه العالم².

← **التصريحات:** تقدم الآية فرضية شرطية هي لو أن الله يستجيب لدعاء الناس على أنفسهم أو على غيرهم بالسوء بنفس السرعة التي يستجيب بها لدعائهم بالمنفعة، لانتهدت حياتهم فوراً.

← **التضمينات والآثار السياقية:** نجلها فيما يلي:

- **إظهار رحمة الله ولطفه:** فالأثر المحوري هو طمأننة العباد وإظهار قيام نظام الكون على الرحمة والرفق لا على العقاب الفوري، وأن الله لا يعامل الناس بجهلهم وعجلتهم.

¹ سورة يونس، الآية 11.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 11، ص 105-106.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- توضيح حكمة الله: بأنه عزّ وجلّ يدير الكون وفق نظامٍ محكمٍ وحكمة عليا لا كردّ مباشر لأمانيّ البشر المتقلّبة.

- دلالة الخير والشر: الخير هنا يُمثّل كل منفعة عاجلة يطلبها الإنسان ويرغب فيها من صحة ومال ونجاح تحقق له حالة من النُعمى. والشر هو المصائب وكل ما يدعو به الإنسان في لحظة غضب أو يأس من هلاك، ومرض، وخسارة¹.

← الهدف التواصلّي: ليس مجرد إخبار الناس بحقيقة بل إحداث أثر معرفي عميق في نفوسهم وهو الشعور بالامتنان للطف الله وإدراك قصور الطبيعة البشريّة الميالة للعجلة والجهل.

ب. تحليل الترجمات:

سنقوم بتقييم كل ترجمة بناءً على قدرتها على نقل هذه المعاني بأقل جهد ذهني ممكن على القارئ الفرنسي.

1. ترجمة حميد الله:

« Et si Dieu, pour les gens, hâtait **le malheur*** avec autant de hâte qu'ils cherchent **le bonheur**, leur terme leur serait accompli »

**Malheur...bonheur Littér. Mal...bien.*

¹ يورد الطبري في تفسير (ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) قول مجاهد: قول الرجل لولده إذا غضب عليه أو ماله: "اللهم لا تبارك فيه والعنه!" قال الله: (لقضي إليهم أجلهم) قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته. انظر: تفسير الطبري، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura10-aya11.html#tabary> (تاريخ المراجعة: 2025/10/01).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الترجمة العكسية:

ولو عَجَل الله، للنَّاس، المصائب بقدر استعجالهم طلب النُّعمى لقُضِيَ لهم أجلهم*.

* المصائب...النُّعمى. حرفيا: الشر...الخير.

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: استخدم حميد الله المقابل الفرنسي (malheur/bonheur).

ولو نظرنا في ترجمتها العربية لوجدنا لها كمقابل: (المصائب/النُّعمى)¹. وهذا

الاختيار يتجاوز الترجمة الحرفية لـ (Bien/Mal) كما أشار هو بنفسه إلى حرفيتها

من خلال الحاشية التي أضافها. ولعلّ في إضافته للحاشية رغبة في زيادة الأثر

المعرفي حيث تمنح القارئ المهتم طبقة إضافية من المعنى؛ كما تُظهر اتخاذ المترجم

قرارًا واعيًا بتحقيق تواصل أمثل معه.

■ الأثر المعرفي: يظهر لنا أنّ اختيار هذين المقابلين المعجميين ملائم للسياق الأصل.

ذلك أن كلمة Bonheur تعكس حالة النُّعمى التي يرغب الإنسان فيها، كما يتبين

من التعريف التالي:

« État essentiellement moral atteint généralement par l'homme lorsqu'il a obtenu tout ce qui lui paraît bon et qu'il a pu satisfaire pleinement ses désirs, accomplir totalement ses diverses aspirations »²

¹ انظر: قاموس المنجد العربي - الفرنسي/الفرنسي - العربي، المكتبة الشرقية، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 2008.

المداخل: - نُعمى، ص. 335/ 809 Malheur,

² Voir : **Bonheur**, In : Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/bonheur> (Consulté, le : 01/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

"حالة معنوية في الأساس، يبلغها الإنسان عادة عندما يحصل على كل ما يعدّه خيرًا نافعاً ويرضي رغباته تمام الإرضاء ويحقق مختلف تطلعاته كاملة".

فيما تعكس لفظة Malheur (المصائب) معنى السوء الذي يصيب الإنسان. إذ أنّها تشير في اللغة الفرنسية إلى أي حدث يترتب عنه عواقب سلبية تضرّ بالفرد أو الجماعة؛ وهو يتخذ معنيين: إذا كان حدثًا تلقائيًا فإنه يأخذ معنى الكارثة والمصيبة والمحنة. وإذا كان الحدث خاضعًا للتقدير الذاتي، فإنه يدلّ على الألم النفسي واللغة وسوء الطالع والهلاك¹.

■ **الجهد الذهني:** الجهد المطلوب من القارئ الفرنسي قليل لأنّ ثنائية (Malheur/bonheur) واضحة ومباشرة في الثقافة الفرنسية. ومن الأقوال الدائرة بين الناس (Le malheur des uns fait le bonheur des autres) أي مصائب 'قوم عند قوم فوائد'. فهذه الثنائية من شأنها أن تحفّز لدى القارئ الفرنسي الأثر المعرفي نفسه المقصود من الآية دون عناء كبير.

■ **درجة الملاءمة:** يتبيّن لنا من التحليل أعلاه أن الترجمة تحقق درجة عالية من الملاءمة، حيث نجحت في نقل المعنى المقصود والآثار المعرفية بأدنى جهد ذهني.

2. ترجمة جاك بيرك:

« Si Dieu mettait à presser le **malheur** des hommes l'empressement de ces derniers au **bonheur**, leur terme serait déjà accompli ».

¹ Voir : Malheur, In : Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales, <https://www.cnrtl.fr/definition/malheur> (Consulté, le : 01/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الترجمة العكسية:

"لو سارع الله في تعجيل مصائب الناس مسارعة هؤلاء النعم، لكان أجلهم قد قُضي فعلاً".

- التحليل:

▪ الاختيار المعجمي: استخدم بورك، على غرار حميد الله، الثنائية

(Malheur/bonheur).

▪ الأثر المعرفي: تحقق هذه الترجمة الأثر المعرفي نفسه الذي حققته ترجمة حميد

الله حيث تنقل بنجاعة مفهوم النعم المرغوب فيها مقابل المصائب النازلة.

▪ الجهد الذهني: صاغ المترجم المعنى بأسلوب واضح ومفهوم يمكن من استخلاص

الأثر المعرفي، حتى وإن بدى التركيب البلاغي (mettait à

presser...l'empressement) أكثر تعقيداً من صياغة حميد الله المباشرة، لكنها

تظل ضمن نطاق الجهد المعقول.

▪ درجة الملاءمة: يتبين من موازنة معياري الأثر المعرفي/الجهد الذهني أن ترجمة

بورك ملائمة وناجعة في نقل المعنى المقصود. وهي تتشابه مع ترجمة حميد الله في

جوهرها وإن اختلفت في الأسلوب البلاغي.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Si Allah Hâtait **le mal**, à l'égard des hommes, comme ils hâtent **le bien**, leur terme leur serait échu ».

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الترجمة العكسية:

"لو عَجَّلَ الله الشر للناس كما يعجلون بالخير لانقضى أجلهم".

- التحليل:

▪ الاختيار المعجمي: اتبعت المترجمة النهج الحرفي في ترجمة ثنائية الخير والشر

(le bien/le mal).

▪ الأثر المعرفي: تطرح لفظة Bien في الفرنسية إشكالاً في هذا الموضع لأنه - أي

le Bien - يعدّ المصطلح المعياري المباشر للتعبير عما هو صالح أخلاقياً¹، وقد توحى

بذلك إلى الخير بمفهومه القيمي أي الأعمال الصالحة أو الحسنات. كما قد تفهم كلمة Le

Mal على أنها الشر في بعده الأخلاقي أي الأعمال الطالحة أو السيئات².

وهذا الفهم يقلل من الأثر السياقي المقصود في الآية التي لا تتحدث عن استعجال

الناس لعمل الصالحات بقدر ما تتحدث عن لهفتهم لجلب المنافع والنعم الدنيوية. فهذا

الغموض الدلالي الذي ترتب عنه تقليل في الأثر المعرفي المقصود يضعف الملاءمة.

¹ Paul Clavier, Bien (GP), dans Maxime Kristanek (dir.), l'Encyclopédie philosophique, 2016, <https://encyclo-philo.fr/bien-gp>. (Consulté le 01/10/2025).

تورد الموسوعة الفلسفية معاني كلمة Bien واستخداماتها المتعددة في اللغة الفرنسية ملخصة في أربعة استخدامات رئيسة لكل منها معنى مختلف. وتشير حين ترد اسماً علماً مقروناً بأداة التعريف Le وبحرف استهلاكي كبير **Le Bien** إلى مفهوم الخير المطلق أو فكرة الخير الأسمى التي تعتبر أصل كل الأمور الجيدة. وهو ما يندرج ضمن المفهوم الفلسفي الذي ناقشه أفلاطون الذي يعتبر أن فكرة الخير هي النموذج الأصل لكل ما هو جيد وصحيح وعرفه أرسطو بأنه الغاية التي يسعى إليها كل واحد. فاللفظة تمثل الخير كفكرة فلسفية عليا ومطلقة.

2 الشر: Le mal في بعده المعنوي الأخلاقي هو وصف للأفعال السيئة والخبيثة والمؤذية. وباعتبارها أفعال مرتكبة غير مكتسبة فطرياً، فإن الشر هنا يتضمن تعمد الإثم والعمل الطالح. يراجع:

Paul Clavier, Mal (GP), dans Maxime Kristanek (dir.), l'Encyclopédie philosophique, <https://encyclo-philo.fr/mal-gp>. (Consulté le 01/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- **الجهد الذهني:** قد يضطر القارئ الفرنسي لبذل جهد إضافي للاستدلال على معنى المنفعة بدل الصلاح. وقد لا يصل الكثير من القراء إلى هذا التأويل ما يُضَيِّع عنهم جزءاً من المعنى المقصود في الآية.
- **درجة الملاءمة:** بالموازنة بين الأثر المعرفي المحقق والجهد الذهني المبذول يتبين أن الملاءمة منخفضة في هذه الترجمة بالرغم من أمانتها الحرفية. فقد ضحت بالأثر المعرفي المقصود وزادت على القارئ الفرنسي جهداً ذهنياً للوصول إلى المعنى الصحيح في هذا السياق.

4. ترجمة شبل:

« Si Allah apportait **le malheur** aux gens à la vitesse à laquelle ceux-ci recherchent **le bonheur**, leur terme final serait déjà échu ».

- الترجمة العكسية:

"لو أنزل الله المصائب على الناس بالسرعة ذاتها التي ينشدون بها النعم لكان أجلمهم قد انقضى فعلاً".

- التحليل:

- **الاختيار المعجمي:** اختار شبل ثنائية (malheur/bonheur) على غرار حميد الله وبيرك.
- **الأثر المعرفي:** تحقق هذه الترجمة أثراً معرفياً كبيراً ومباشراً حيث يفهم القارئ فوراً أنّ المقارنة قائمة بين استعجال الله إنزال المصائب ولهفة الناس تحصيل المنافع.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

▪ **الجهد الذهني:** التركيب المستخدم (à la vitesse à laquelle) مباشرة وواضحة

ما يبقي الجهد الذهني المطلوب لمعالجته في حدّه الأدنى.

▪ **درجة الملاءمة:** تحقّق الترجمة درجة عالية من الملاءمة. وتدلّ بدورها على أن

الابتعاد عن الحرفيّة اللفظيّة (mal/bien) واعتماد المعنى التّواصلي

(malheur/bonheur) يفضي إلى ترجمة ناجحة وأكثر نجاعة.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يتضح لنا مما سبق أنّ ترجمات حميد الله وبيرك وشبل كانت أكثر نجاعة من ترجمة عبد

العزیز لإدراكهم أنّ 'الخير والشر' في هذا السياق المعرفي لا يمثلان بعداً أخلاقياً مجرداً

بل يحيلان على المنافع في مقابل المصائب. وباختيارهم لثنائية (bonheur/malheur)

تمكنوا من إعادة إنتاج الآثار السياقية للآية القرآنية بأقل جهد استدلالي من القارئ، محققين

بذلك درجة عالية من الملاءمة. وعموماً، يمكن تلخيص ما توصلنا إليه من تحليل في

الجدول التالي:

الترجمة والتحليل	
الآية: وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ".	المترجم
« Et si Dieu, pour les gens, hâtait le malheur avec autant de hâte qu'ils cherchent le bonheur , leur terme leur serait accompli* » *Malheur...bonheur Littér. Mal...bien	حميد الله
الاختيار المعجمي: malheur / bonheur	
الأثر المعرفي: كبير	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ينقل بوضوح مفهوم المضرة مقابل المنفعة ما يحقق الأثر المعرفي المقصود: إدراك لطف الله ورحمته.	
<u>الجهد الذهني: قليل</u> الثنائية (مصائب/نعم) مباشرة ومفهومة. الحاشية المضافة تزيد من تقليل الجهد.	
<u>درجة الملاءمة: عالية</u> توازن مثالي بين تحقيق أكبر قدر ممكن من الآثار المعرفية بأقل جهد ذهني. استراتيجية الحاشية تعزز الملاءمة.	
« Si Dieu mettait à presser le malheur des hommes l'empressement de ces derniers au bonheur, leur terme serait déjà accompli »	بيرك
<u>الاختيار المعجمي: malheur / bonheur</u>	
<u>الأثر المعرفي: كبير</u> تحقق التشابه التأويلي بإنتاج الآثار المعرفية نفسها في الترجمة.	
<u>الجهد الذهني: قليل إلى متوسط</u> التركيب البلاغي يستلزم تركيزًا أكبر، مع بقاء المعنى واضحًا دون استدلال معقد.	
<u>درجة الملاءمة: عالية</u> توازن ملائم بين الأثر المعرفي المحقق والجهد الذهني المبذول.	
« Si Allah Hâtait le mal, à l'égard des hommes, comme ils hâtent le bien, leur terme leur serait échu ».	عبد العزيز
<u>الاختيار المعجمي: Le mal / le bien</u>	
<u>الأثر المعرفي: قليل</u> الحرفية في نقل الثنائية لا تحقق التشابه التأويلي بين الأصل والترجمة، ما يغيب الأثر ويقلل من دقة المعنى.	
<u>الجهد الذهني: كبير</u>	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

استلزام جهد استدلالي إضافي من القارئ لتجاوز المعنى الحرفي وإدراك أن المقصود هو المنفعة لا الصلاح، وقد لا ينجح في ذلك.	
درجة الملاءمة: منخفضة أثر معرفي قليل من أجل الأمانة الحرفية مقابل جهد ذهني كبير.	
« Si Allah apportait le malheur aux gens à la vitesse à laquelle ceux-ci recherchent le bonheur , leur terme final serait déjà échu ».	شبل
الاختيار المعجمي: malheur / bonheur	
الأثر المعرفي: كبير ينقل المعنى المقصود بنجاعة، من خلال التركيز على لهفة الإنسان تحصيل النعم مقابل لطف الله في عدم تعجيل المصائب.	
الجهد الذهني: قليل التركيب البلاغي (à la vitesse à laquelle) واضح ومباشر ما يجعل المعنى سهل الفهم بأقل جهد مبذول.	
درجة الملاءمة: عالية تحقق أثر معرفي كبير بأقل جهد ذهني.	

❖ النموذج الثالث: الخير بمعنى الخيل:

"فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ" (32، سورة ص)	الآية
Il dit alors « oui, j'ai aimé d'amour les biens, plus que le Rappel de mon Seigneur, jusqu'à ce que ceux-là eussent disparu derrière le voile. (P. 515) الترجمة العكسية: فقال "نعم، أحببتُ الخيرات حباً أكثر من التذكير بربي حتى اختفت وراء الحجاب".	ترجمة حميد الله

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

Moi je préfère d'aimer le bonheur, se disait-il, au Rappel de mon Seigneur », et cela jusqu'à ce qu'elles se déroberent sous le voile (de la nuit) . (P.489) <u>الترجمة العكسية:</u> " أنا أفضل حبّ النُّعمى، قال في نفسه، على ذكر ربي وذلك حتى اختفين تحت الحجاب (حجاب الليل)	ترجمة بيرك
Il dit: «J'ai préféré la passion des chevaux à la psalmodie de mon Seigneur, jusqu'à ce que le soleil s'éclipsât derrière l'horizon ! (P.558) <u>الترجمة العكسية:</u> قال: "لقد آثرت شغف/هوى الخيل على ترتيل (مزامير) ربي حتى غربت الشمس خلف الأفق".	ترجمة عبد العزيز
Il dit : J'ai préféré l'amour des biens à l'invocation du nom de mon Seigneur, et cela jusqu'au moment où le soleil s'est couché derrière le voile de la nuit. (P. 367) <u>الترجمة العكسية:</u> قال: لقد آثرتُ حبّ الخيرات على ذكر اسم ربي، وذلك حتى اللحظة التي غربت فيها الشمس خلف حجاب الليل".	ترجمة شبل

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ"¹.

- السِّياق المعرفي: يوضح ابن عاشور أنّ الآية تصف ندم وتحسّر نبيّ الله سليمان

عليه السلام بعد انشغاله بعرض الخيل الصافنات الجياد حتى غروب الشمس. فأدرك

أنّ هذا الانشغال قد ألهاه عن ذكر الله والأرجح أنّه صلاة العشيّ. ويؤكد التفسير

أن "الخير" هاهنا جاءت بمعنى (الخيل) كأحد أصناف المال النفيس. وليست الجملة

¹ سورة ص، الآية 32.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

في هذا المقام إقراراً بالحبِّ وإنّما هي تحسّر وندم سيدنا سليمان عليه السلام على حبه لهذا "الخير" الدنيوي الذي جاوز به الحدَّ وأغفله عن عبادة ربه. والفعل "أحببت عن" يحمل معنى "آثرت وتجاوزت" ما يبرز الإلهاء والغفلة¹.

← **التصريحات:** يتمثل المعنى التصريحي، وفقاً لتفسير ابن عاشور، في إقرار نبيّ الله عليه السلام أنّ حبه للخير، الذي جاء هنا بمعنى الخيل باعتبارها أنفسُ أموال العرب، قد شغله عن ذكر الله - وهو الصلاة - حتى غربت الشمس.

← **التضمينات والآثار السياقية:**

▪ **الخير بمعناه المادي:** يحمل لفظ خير في هذه الآية معنى مادياً للإشارة إلى "المال النفيس" وتحديداً "الخيل". هذا ما يضع اللفظة في هذا الموضع ضمن سياق المتاع الدنيوي الذي يشكل مصدر إلهاء.

▪ **الإلهاء والغفلة المتضمنّتين في فعل "أحببت":** يوضّح ابن عاشور أنّ الفعل "أحببت" يتضمّن معنى فعل آخر هو 'آثرت' أو 'تجاوزت' وهذا ما يبرر استخدام حرف الجر "عن" في قوله "عن ذكر ربّي". والمعنى ليس مجرد إخبار بحبّ الخيل وإنّما إثارة حبّ الخير على ذكر الله أي 'أحببت الخير حبّاً شغلني عن ذكر ربي'. وهذا هو المفتاح الدلالي للآية الذي يوضّح طبيعة الإلهاء والغفلة.

¹ ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 23، ص. 255 - 256.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ **التحسّر والندم:** أهم أثر ينتجه سياق الآية أنّ الأمر يدعو كونه تقريراً لواقع بل إخبار عن تحسّر وندم نبي الله سليمان عليه السلام عن أنّ حبّ هذا الخير الدنيوي ألهاه عن واجب أسمى. هذا ما يضع حب الخير في إطار سلبي في هذا الموضع المحدّد.

← **الهدف التواصلّي:** جوهر مقصد الآية هو إحداث أثر قيمّي في نفس المتلقي يجعله مدركاً لأثر الانغماس في حبّ المتاع الدنيوي لدرجة الغفلة عن ذكر الله والإلهاء عن عبادته.

ب. تحليل الترجمات:

بناءً على التحليل، سنرى فيما يلي كيف قدّمت الترجمات معنى الخير في هذه الآية للقارئ الفرنسي وهل حققت التشابه التأويلي المطلوب المفضي إلى إحداث الأثر المعرفي ذاته للأصل.

1. ترجمة حميد الله:

« Oui, j'ai aimé d'amour les biens, plus que le Rappel de mon Seigneur, jusqu'à ce que ceux-là eussent disparu derrière le voile ».

- الترجمة العكسية:

فقال "نعم، أحببتُ الخيرات حباً أكثر من التذكير بربي حتى اختفت هذه الأخيرة وراء الحجاب".

- التحليل:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

▪ **الاختيار المعجمي:** اختار حميد الله لفظ 'les biens' كمقابل للفظة الخير. وهو اختيار موفق ينجح في نقل الدلالة المادية والمتاع الدنيوي المقصود في الآية ويبعده عن أي دلالة قيمية. كما نقل المعنى التضميني لفعل "أحببت حبّ الخير" من خلال عبارة المقارنة 'plus que'. واختار عبارة 'aimer d'amour' كمقابل لجملة 'أحببت حبّ الخير'. فيما تشير عبارة ceux-là إلى العود على 'les biens'.

▪ **الأثر المعرفي:** يبدو لنا أنّ المترجم قد وُفق في نقل المعنى المادي للفظ الخير، وإن كان السياق القرآني أكثر تخصيصاً إذ أريد باللفظة معنى الخيل كما سبق. كما يوضح ظرف المفاضلة 'plus que' معنى الإيثار الوارد في الآية. إلّا أن الترجمة أخفقت في تحديد مرجع الضمير في فعل "توارت". فباستخدامها عبارة ceux-là جعلت الضمير يعود على les biens أو الخيل وليس على الشمس كما أولت التفسير من السياق الأصل. هذا ما يؤثر على الأثر المعرفي الناتج، حيث يفهم القارئ الفرنسي أنّ انشغال نبي الله استمر إلى حين تواري الخيل عن نظره وليس حتى فوات وقت الصلاة بغروب الشمس. وهذا ما يضيّع أثر التحسّر والنّدم على فوات وقت العبادة. وبذلك يكون كمّ الأثر المعرفي المحقق منخفضاً.

▪ **الجهد الذهني:** الترجمة واضحة ومباشرة، لكنّ هذا الوضوح يبدو مضللاً لأنّها لا تقضي للاستدلال على الآثار المعرفية للأصل. ولئن وصل القارئ الفرنسي إلى تحقيق

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

جزء منها باعتبار السياق الأكبر للآية - أي ما يسبقها وما يليها - فإن ذلك يتطلب منه بذل جهد ذهني كبير.

■ **درجة الملاءمة:** بالموازنة بين الآثار المعرفية التي قد تتحقق من الترجمة والجهد الذهني المبذول، يتبين أن الملاءمة في هذه الترجمة منخفضة مقارنة بالأصل. فبفقدان جزء مهم من الآثار المعرفية، وهو تقويت وقت العبادة، تكون الترجمة قد فشلت في الاقتراب من التأويل الأصل وبالتالي تضييع المعاني التي يثيرها.

2. ترجمة بيرك:

« Moi je préfère d'aimer le bonheur, se disait-il, au Rappel de mon Seigneur, et cela jusqu'à ce qu'elles se déroberent sous le voile (de la nuit) »

- الترجمة العكسية:

"أنا أفضل حبّ النعمى، قال في نفسه، على ذكر ربي"، وذلك حتى اختفين تحت الحجاب (حجاب الليل)". س

- التحليل:

■ **الاختيار المعجمي:** اختار بيرك لفظ Bonheur (النعمى) كمقابل للفظ 'الخير'. وقد رأينا في النموذج السابق أنّ كلمة Bonheur تشير إلى حالة معنوية وهو بذلك يحوّل طبيعة الخير في هذا الموضع باعتبارها متاعاً مادياً (الخيّل) إلى مفهوم معنوي (النعمى) وإن كان مفهومه يندرج ضمن البعد الدنيوي للخيرية إلاّ أنّه لا يعكس طبيعة الإلهاء الذي وقع فيه نبيّ الله سليمان.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ **الأثر المعرفي:** من شأن هذا الاختيار المعجمي أن يؤثر سلباً على إحداث الآثار المعرفية ذاتها التي يحدثها الأصل. فالقارئ الفرنسي لا يدرك أن الانشغال يكون بالأمور الماديّة كما تشير إليه رمزية الخيل للقوة والجمال المادي، بل قد يتبادر إلى ذهنه أول ما يتبادر أن انشغاله كان بتحقيق السعادة. حتى استخدام فعل *préférer* مقروناً بضمير المتكلم *moi* يوحي بأنّ نبيّ الله سليمان يقرّ بإيثاره للسعادة وتغليبها على ذكر الله من باب التفضيل لا من باب التحسّر والندم. وبذلك تكون الترجمة قد نأت تماماً عن الدلالة المادية المحوريّة للفظـة 'خير' في هذا الموضع ما يحول دون تحفيز آثار الملهيات المادية والغفلة كما تلغي أيضاً تحقيق آثار الحسرة والندم، جراء الانغماس فيما يليه عن ذكر الله وعبادته، والتحذير من مغبته. فالتشابه التأويلي في هذه الترجمة غير محقق والآثار المعرفية للأصل مغيبّة.

■ **الجهد الذهني:** مبنى الترجمة واضح إلّا أنّه يؤدّي إلى معنى بعيد عن معنى الأصل سواءً في طبيعة الخير أو في حدثي الغفلة والتحسّر، ما يتطلب بذل جهد جهيد للاستدلال عليه.

■ **درجة الملاءمة:** يتبين أن درجة هذه الترجمة منخفضة كثيراً لإخفاقها في نقل الآثار المعرفية المقصودة من الآية وتقديمها لسياق مغاير تماماً لها. ما يجعلها الأقل ملاءمة بين الترجمات.

1. ترجمة عبد العزيز:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Il dit: « J'ai préféré la passion des chevaux à la psalmodie de mon Seigneur, jusqu'à ce que le soleil s'éclipsât derrière l'horizon ! »

- الترجمة العكسية:

* قال: "لقد آثرت شغف/هوى الخيل على ترتيل (مزامير) ربي حتى غربت الشمس خلف الأفق".

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: اختارت عبد العزيز التصريح بدلالة "الخير" في هذا الموضع القرآني محدّدة بدقة طبيعته ومعناه (les chevaux) مع إظهار قوة الشعور تجاهه (passion) وهو الشغف بل حتى الهوى، وهذا الاختيار يتوافق تماماً مع المفهوم المادي للخير كما أشار إليه تفسير هذه الآية.

■ الأثر المعرفي: لقد نقلت الترجمة المفهوم المادي للفظه الخير بانتهاجها استراتيجية تصريحية لمعناه. كما حاولت نقل معاني الانغماس والانشغال بهذا المتاع المادي على حساب الذكر من خلال التركيب النحوي (j'ai préféré...à). وقد تقادت الوقوع في إشكالية ضمير العودة في (توارت) من خلال التصريح بأن المتواري هي الشمس (le soleil) وأنّ الحجاب هو الأفق (l'horizon). ولعلّ السؤال المطروح في هذا المقام لم لجأت المترجمة إلى استراتيجية التصريح (explicitation) في هذا الموضع؟ يبدو لنا أن مبرّر هذا الاستراتيجية هو تجنب سوء الفهم الذي وقع فيه المترجمان الأوليان وتحقيق

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

تشابه تأويلي مع الأصل يضمن استعادة القارئ الفرنسي للأثر المعرفي المتعلق بتقويت الصلاة بغروب الشمس. ويتجلى قصد المترجمة في تحقيق أكبر قدر ممكن من الآثار المعرفية كذلك من خلال استخدام كلمة (Psalmodie) مقابل لفظة 'ذكر'. وهذا الاختيار يضع القارئ الفرنسي في السياق التاريخي والديني لعبادة الذكر في شريعة أنبياء بني إسرائيل وتحديدًا سليمان عليه السلام، وهي على الأرجح ترتيل المزامير أو الزبور الذي ورثه عن أبيه داود عليه السلام. وهذا ما يضمن تحقيق الترجمة كمًّا كبيراً من الآثار المعرفية.

- **الجهد الذهني:** بفضل الاستراتيجية التصريحية التي انتهجتها المترجمة، يمكن للقارئ الفرنسي أن يقترب من المعنى الكامل للأصل بأقل جهد ذهني ممكن.
- **درجة الملاءمة:** تُحقق الترجمة توازناً مثالياً بين السعي إلى تحقيق أقصى أثر معرفي ممكن بأقل جهد ذهني مبذول. إذ نجحت الترجمة في نقل أهم المعاني التي أوردتها الآية بدءاً من مادية لفظة "الخير" إلى الانغماس والتلهية بهذه المادية ووصولاً إلى الندم والتحسر على فوات العبادة بسببها. ما يجعل من هذه الترجمة الأكثر ملاءمة في هذا السياق.

2. ترجمة شبل:

« Il dit : J'ai préféré l'amour des **biens** à l'invocation du nom de mon Seigneur, et cela jusqu'au moment où le soleil s'est couché derrière le voile de la nuit ».

- الترجمة العكسية:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

"قال: لقد آثرتُ حبَّ الخيرات على ذكر اسم ربي، وذلك حتى اللَّحظة التي غربت فيها الشمس خلف حجاب الليل".

- التحليل:

■ **الاختيار المعجمي:** ترجم شبل لفظة (الخير) بـ (Les biens) ، وهو اختيار موفق باعتبار أنَّه ينقل معنى النفع الدنيوي، وإن كان أقلَّ تحديداً من (les chevaux) إلاَّ أنه يبقى صائباً.

■ **الأثر المعرفي:** على غرار ترجمة عبد العزيز، وفقت ترجمة شبل في إعطاء معنى التفضيل والإيثار من خلال التركيب النحوي (j'ai préféré..à) وفي التصريح بالمتواري (الشمس)، ما من شأنه أن يحقق الأثر المعرفي المتعلق بفوات وقت الصلاة. ويتعرَّز هذا الأثر بترجمته للفظة (حجاب) بـ (Le voile de la nuit) فهذه الإضافة (la nuit) تزيد من الافتراضات التي يستدلُّ بها على الأثر المعرفي المقصود في الآية كما تضيف طابعاً بلاغياً على الترجمة ما يجعلها ذات أثر معرفي كبير.

■ **الجهد الذهني:** يمكن توظيف استراتيجية الإيضاح والإضافة القارئ الفرنسي من الوصول إلى الآثار المعرفية المقصودة في الأصل دون لبس بأقل جهد ذهني ممكن، لاسيما أنَّ التركيب اللغوي مباشر وواضح وإن فاق في طوله الأصل إلاَّ أنَّ المعنى أولى من تحقيق المبنى.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ **درجة الملاءمة:** تحقق هذه الترجمة درجة عالية من الملاءمة، فهي تنقل الآثار

المعرفية الأساسية بوضوح. ويمكن ترتيبها في مرتبة قريبة من ترجمة عبد العزيز

مع فارق أن هذه الأخيرة كانت أكثر تحديداً في ترجمة لفظة "الخير" فيما اكتفت

ترجمة شبل بمعنى النفع الدنيوي المادي.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يتضح لنا من التحليلات السابقة أن المترجمين جميعهم أولوا لفظ "الخير" في هذا السياق

بمعناه النفعي الدنيوي والمصلحة العاجلة، مع تفاوتهم في دقة الترجمة. فبينما عمد بيري

إلى استخدام معنى معنوي غير دقيق (Le bonheur)، جنح الآخرون إلى استخدام مقابلات

مادية أكثر دلالة (les biens, les chevaux). ولعلّ ترجمة عبد العزيز وشبل كانتا الأكثر

نجاعة في نقل الآثار المعرفية من خلال التصريح رفعا للبس. وقد تلقى هذه الاستراتيجية

انتقاداً في سياقات أخرى، لكنّها في هذا السياق بالذات تعدّ ضرورية لضمان وصول الأثر

المعرفي الأهم (تقويت وقت العبادة بسبب الانشغال بالمتاع الدنيوي) وتجنّب اللبس الذي

وقعت فيه ترجمتا حميد الله وبيري. وبذلك تكون ترجمة عبد العزيز وشبل قد حققتا درجة

ملاءمة عالية بتقديمهما أكبر قدر ممكن من الآثار المعرفية لدى القارئ الفرنسي بأقل جهد

ذهني ممكن. وفيما يلي، تلخيص التحليل الذي توصلنا إليه:

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية: "قَالَ إِنِّي أُحِبُّ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ" (32)، (سورة ص)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Oui, j'ai aimé d'amour les biens, plus que le Rappel de mon Seigneur, jusqu'à ce que ceux-là eussent disparu derrière le voile ».	حميد الله
الاختيار المعجمي: خير = Les biens	
الأثر المعرفي: منخفض وفق في نقل أثر الخيرية الدنيوية المادية وكذا أثر الإلهاء ولكنه يفوت أثر الغفلة والتحرّس على تقوية وقت العبادة.	
الجهد الذهني: كبير التركيب اللغوي مباشر وواضح فيما يخص معنى الخيرية. لكنه لا يحفّز الاستدلال الصحيح على المعاني المقصودة في الآية.	
درجة الملاءمة: منخفضة باعتبار كمّ الآثار المحققة والجهد الذهني المطلوب للفهم.	
« Moi je préfère d'aimer le bonheur, se disait-il, au Rappel de mon Seigneur, et cela jusqu'à ce qu'elles se déroberent sous le voile (de la nuit) ».	بيرك
الاختيار المعجمي: الخير = Le bonheur	
الأثر المعرفي: منخفض كثيراً لم توفّق الترجمة في نقل معنى الخيرية المادية ما غيّب الأثر المقصود منها. كما نأت عن الأصل كثيراً بإحلال أثر مغاير لآثار الغفلة والتحرّس والندم.	
الجهد الذهني: كبير بالرغم من وضوح التركيب اللغوي وسلاسته إلا أنّه مضلل لا يؤدي إلى الاستدلال على المعاني المقصودة.	
درجة الملاءمة: منخفضة كثيراً عدم تحقق التشابه التأويلي أفضل إلى تغييب الآثار لمعرفة، ما يجعل الملاءمة منخفضة جداً.	
« Il dit: « J'ai préféré la passion des chevaux à la psalmodie de mon Seigneur, jusqu'à ce que le soleil s'éclipsât derrière l'horizon ! »	
الاختيار المعجمي: الخير = les chevaux	
الأثر المعرفي: كبير	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

استراتيجية الإيضاح ساهمت في نقل أكبر قدر من الآثار المعرفية المقصودة.	عبد العزيز
<u>الجهد الذهني: منخفض</u>	
القارئ الفرنسي غير مضطر لبذل جهد للاستدلال على المعاني لوضوحها.	
<u>درجة الملاءمة: عالية كثيراً</u>	شبل
تعدّ هذه الترجمة الأكثر ملاءمةً باعتبار كم الآثار المعرفية مقابل القدر البسيط من الجهد الذهني المبذول لتحقيقها.	
« Il dit : j'ai préféré l'amour des biens à l'invocation du nom de mon Seigneur, et cela jusqu' au moment où le soleil s'est couché derrière le voile de la nuit ».	
<u>الاختيار المعجمي: الخير</u> = Les biens	
<u>الأثر المعرفي: كبير</u>	
وُفقت في نقل معنى الخيرية الدنيوية في بعدها المادي. كما شابته النص الأصلي من الجانب التأويلي في إثارة أثر الغفلة والإلهاء بما يفيد الحسرة والندم. وبذلك تكون قد حققت معظم الآثار المعرفية بوضوح.	
<u>الجهد الذهني: منخفض كثيراً</u>	
ساهمت استراتيجية الإيضاح والإضافة في تخفيض الجهد الذهني إلى أقصى درجة.	
<u>درجة الملاءمة: عالية</u>	
بالموازنة بين الأثر المعرفي المحقق مقابل الجهد الذهني المبذول.	

❖ النموذج الرابع: الخير بمعنى النعم جامعة

"فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" (32، سورة القصص)	الآية
« et dit « Vraiment, Seigneur, j'ai grand besoin du bien que Tu feras descendre vers moi » (P.433)	ترجمة حميد الله
<u>الترجمة العكسية:</u>	
"وقال « رَبِّي إِنِّي، حَقًّا، في حاجة ماسّة للخير الذي سَتُنْزِلُهُ إِلَيَّ".	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ترجمة بترك	« disant : « Seigneur, le moindre bien que Tu fasses descendre sur moi, j'en suis indigent ! » (P.414) <u>الترجمة العكسية:</u> "قائلاً: «يا رب، إن أدنى خير تُنْزله عليّ، أنا محتاج إليه!»"
ترجمة عبد العزيز	« et dit : « Mon Seigneur, j'ai grand besoin du bien que Tu vas faire descendre vers moi » (P. 478). <u>الترجمة العكسية:</u> "وقال: ربّي إنّي في حاجة ماسّة للخير الذي ستُنْزله إليّ."
ترجمة شبل	« et [il] dit : Seigneur, je suis en attente du moindre bien de Ta part » (P. 311). <u>الترجمة العكسية:</u> "وقال: يا رب، إنّي في انتظار أدنى خير من لدنك"

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"¹.

- **السياق المعرفي:** يبين ابن عاشور أنّ هذه المناجاة جاءت في لحظة سكون وتأمل عميقين. فبعد أن سقى نبيّ الله موسى عليه السّلام للمرأتين آل إلى الظل ليستريح، وكانت تلك لحظة اجتماع نعمة الراحة الحالية باستحضار النعم السابقة؛ وقد نتج عنها دعاء جامع بين الشكر والثناء والطلب. فقلوه "لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ" يعدّ إقراراً وشكراً على كل خير سابق أنزله الله عليه من النجاة من القتل وإيتائه الحكمة والعلم وهدايته إلى أرض

¹ سورة القصص، الآية 32.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

مدين. وأما في قوله "فَقِيرٌ" فإظهاراً لحاجته وافتقاره الشديد لخير لاحق؛ وأحسن ما يحتاجه الغريب هو المأوى والطعام والزوجة. وبناءً عليه، فإن كلمة خير هاهنا كلمة جامعة تشمل كل نفع مادي ومعنوي سابق ولاحق اقترنت بفعل الإنزال (لِمَا أُنْزِلَتْ) الذي أضفى عليها معاني الرفعة والعلو دلالة على أنه عطاء إلهي¹.

← **التصريحات:** يتمثل المعنى المباشر للآية في دعاء موسى عليه السلام ومناجاته الله وإقراره له عن فقره وحاجة الشديدة لأي صنف من أصناف الخير قد ينزله عليه.

← التضمينات والآثار السياقية:

- **الخير بمعناه الجامع:** لفظة "خير" هاهنا جامعة تشمل كل ما فيه نفع دنيوي ماديًا كان (الطعام، المأوى، الزوجة) أو معنويًا (الحكمة، العلم، النجاة).
- **شمول الطلب للشكر والثناء:** فالدعاء هنا ليس مجرد طلب وإنما يجمع بين الشكر على "الخير" الذي سبق نزوله، وهذا ما تدلّ عليه صيغة الماضي للفعل (أُنْزِلَتْ) وبين الثناء على الله مصدر الخيرات كلّها، وكذا تنويه بليغ بالحاجة إلى "خير" لاحق مستقبلي يستدلّ عليه من لفظ (فقير).
- **الإنزال ودلالة الرفعة:** يدلّ استخدام فعل "أُنْزِلَتْ" على الرفعة والعلو، فهذا الخير ليس أي نفع أرضي وإنما عطاء إلهي رفيع، كما قال ابن عاشور.

¹ . ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 20، ص. 102 - 103.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← الهدف التواصل: تعليم المؤمنين أدب الدعاء الجامع بين الشكر على ما مضى

من نعم والثناء على المنعم وإظهار الافتقار الكامل لله في طلب الآجل من النعم

والخير؛ فالملاذ الوحيد للناس أجمعين بما فيهم الأنبياء هو الله.

ب. تحليل الترجمات:

بعد أن أوردنا السياق المعرفي للآية وهدفها التواصل، ننتقل فيما يلي إلى تحليل الترجمات

وفقاً لنظرية الملاءمة.

1. ترجمة حميد الله:

« Et dit « Vraiment, Seigneur, j'ai grand besoin du bien que Tu feras
descendre vers moi ».

- الترجمة العكسية:

"وقال «ربّي إني، حقاً، في حاجة ماسة للخير الذي ستنزله إليّ".

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: اختار حميد الله لفظ 'bien' كمقابل للفظة الخير. وتجدر

الإشارة إلى أنّ هذا المقابل الفرنسي ينطوي على بعد الشموليّة. إذ تعني كلمة Bien

بالفرنسية¹:

¹ Voir :

- **Bien**, in : Larousse : <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/bien/9151>.

- Paul Clavier, Loc.cit.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

1. الخير بالمعنى الأخلاقي: ويمثّل كل ما تفرضه قاعدة أخلاقية ما في مقابل ما تدينه؛

أيّ سلوك متوافق مع ما تفرض قاعدة أخلاقية ما (مثال: تمييز الخير عن الشر).

ينطوي هذا التعريف على بعدٍ فلسفي وأخلاقي لمفردة ¹ bien وهو بمثابة القطب الإيجابي

في ثنائية "الخير والشر". إذ إنّهُ يدلّ، من جهة، على الخير كمبدأٍ يمثّل كل ما هو

صواب أو صالح أخلاقياً ويقف ضدّ الشرّ، ومن جهة أخرى كسلوكٍ يمثّل العمل الصالح

أو فعل الخير الملموس الذي يمارسه المرء تجاه الغير والذي يوافق مبدأ الخير².

2. الخير بمعنى المنفعة أو الفائدة: ويقصد به كل ما هو مفيد أو ضروري أو يُحقّق

منفعةً لشخص ما، أو للمجتمع (مثال: كان هذا الإجراء نافعاً لقطاع التجارة).

وفي هذا التعريف انتقل من المعنى الفلسفي الأخلاقي إلى النفع العملي والمصلحة؛

فكل ما يعود بالفائدة والربح والمنفعة على الفرد والجماعة يدخل ضمن فضاء

مفردة Le bien . ومن المرادفات التي يوردها قاموس لاروس Larousse بهذا

المعنى:

- Bienfait/faveur/félicité/grâce/ chance.

في مقابل:

- Désavantage/détriment/épreuve/infortune/malheur/préjudice.

¹ غالبا ما ترد بهذا المفهوم مقرونة بأداة التعريف *Le*.

² Paul Clavier, Loc .cit.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

3. الخير بمعنى النعمة: ويشمل كل ما كانت ملكيته وحيازته ميزةً وامتيازاً ثميناً (مثال:

الصحة أولى النعم).

يقترب هذا المعنى لمفردة Le bien من المعنى الثاني أعلاه لكنه يركز على قيمة الشيء المملوك وهو يشير إلى النعم والأشياء الثمينة في حياة الإنسان وليس بالضرورة الماديات فقط، فقد تكون الصحة أو الحرية أو الأمان¹.

4. الخير بمعنى المال والمتاع المادي: ويشير إلى كل ما يمتلكه المرء، أو كل ما تكون

له قيمة مادية ويكون محل ملكية. (مثال: تبرع بجميع ممتلكاته لجمعية خيرية).

يحيل هذا المعنى إلى المفهوم المادي البحت لمفردة Bien² أي المال والممتلكات التي يحوزها المرء. ومن مرادفاته كما يوردها قاموس لاروس:

- Argent/ avoir/ capital /domaine/ fortune/ possession/ propriété/ richesse.

يمكن أن نستشف، بناءً على التعريف أعلاه، أنّ كلمة Bien باعتبارها اسماً مذكراً تنطوي

على أربعة مفاهيم رئيسة:

1. مفهوم أخلاقي: الخير كمبدأ؛

2. مفهوم نفعي: ويعني المنفعة والفائدة؛

3. مفهوم قيمي: ويشير إلى معنى النعمة والامتياز الثمين؛

4. مفهوم مادي: ويشير إلى المال وكل متاع مادي قد يمتلكه المرء.

¹ Clavier, Paul, loc.cit.

² تجدر الإشارة إلى أنه غالباً ما ترد المفردة بهذا المفهوم بصيغة الجمع مقرونة بأداة التعريف.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ولعلّ هذا ما يبرّر اختيار حميد الله لهذه الترجمة كمقابل للفظة "الخير" القرآنية في هذا الموضوع، فهي جامعة لمعاني النعمة والمنفعة المادية والمعنوية. وهو اختيار موفق يحتفظ على شمولية اللفظ القرآني النفع الدنيوي المادي (الطعام، المأوى، الزوجة) والمعنوي (الحكمة، العلم، النجاة) كما قال به ابن عاشور.

ويلاحظ أنّه اختار كمقابل للفعل الماضي (أنزلت) فعلاً يؤدّي معنى الإنزال ولكنه جاء بصيغة المستقبل (que Tu feras descendre).

■ الأثر المعرفي:

حافظ حميد الله على الأثر المعرفي للخيرية بمعناها الجامع كما ورد في نصّ الآية القرآنية. كما نقل بوضوح أثر الإنزال والعطاء الإلهي كمصدر لهذا الخير. إلّا أنّ التحويل الزمني لصيغة الفعل من الماضي إلى المستقبل غير من بنية الدّعاء. فبدلاً من أن تجمع الترجمة بين الشكر على ما مضى من نعم وطلبٍ لنعم مستقبلية لاحقة تحوّلت إلى طلبٍ مباشرٍ وصريحٍ لما سيستقبل من خير، ما أضاع أثر الشكر على النعم السابقة. إذ إنّ القارئ الفرنسي سيفهم طلب النبي موسى عليه السلام لخير مستقبلٍ ولكنه لن يتوصّل إلى الاستدلال على أن هذا الطلب مبنيّ على إقرار وشكرٍ سابقٍ.

■ الجهد الذهني:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

لا يحتاج القارئ الفرنسي إلى بذل جهد كبير للاستدلال على معنى الخيرية في الترجمة. إلا أن أثر الشكر والإقرار لما سبق من خير سيتطلب منه جهداً كبيراً لإدراكه.

■ درجة الملاءمة:

نجحت الترجمة في نقل معنى الطلب إلا أنها لم توفق في نقل بُعد الثناء والشكر المبني على الماضي، وهو جزء من الآثار المعرفية المقصودة من الآية. وعليه، يمكن القول إن الترجمة حققت درجة متوسطة من الملاءمة.

3. ترجمة بيرك:

« Disant : « Seigneur, le moindre bien que Tu fasses descendre sur moi, j'en suis indigent ! »

- الترجمة العكسية:

"قائلاً: «يا رب، إن أدنى خير تُنْزله عليّ أنا محتاج إليه!»".

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: اختار بيرك لفظ bien كمقابل للفظ 'الخير' على غرار حميد الله.

وهو اختيار موفق كما تبين فيما سبق. وقد أقرنه بصيغة التفضيل superlatif (أدنى le

moindre) لغرض إبراز أقصى درجات الافتقار من خلال التشديد على 'الحد الأدنى'

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

من الخير. لاسيما أنه حصر معنى 'الفقر' في العوز المادي باستخدام لفظة ¹Indigent مقابل لفظة 'فقير' القرآنية.

■ **الأثر المعرفي:** نقلت الترجمة أثر الخيرية والطلب والافتقار الشديد لله. لكن إقران لفظ الخير بصيغة التفضيل (Le moindre bien) أضفى دلالة القلة (أدنى خير) التي لا نجد لها مرجعاً في الآية. فبينما أوردت الآية لفظ الخير بصيغة نكرة للدلالة على شمولية جميع أصناف الخير الموجبة للشكر، فإن صيغة التفضيل (Le moindre) أفقدت الترجمة هذا الأثر أي عظمة الخير الماضي الموجب للشكر والمطلوب حالياً وفيما سيأتي. لاسيما أن بيريك أبدل صيغة الفعل الماضي في (أنزلت) إلى صيغة الحاضر (fasse descendre).

■ **الجهد الذهني:** لا يحتاج القارئ الفرنسي جهداً جهيداً لإدراك معنى الخيرية في هذه الآية. لكنه في المقابل لن يدرك أثر الشكر على ما مضى من نعم. ولئن توصل فلن يكون بسهولة.

■ **درجة الملاءمة:** وُفقت الترجمة في إبراز أثر الخير والافتقار الشديد لله، لكنها على غرار ترجمة حميد الله لا تنقل أثر الدعاء الجامع للشكر على ما مضى وطلب ما سيكون في الحاضر والمستقبل. كما أن إضافة معنى "القلة" خفّض من الآثار المعرفية المبتغاة ما يجعل هذه الترجمة متوسطة الملاءمة.

¹ يعرفها قاموس لاروس كالتالي: «Qui manque des choses les plus nécessaires ; nécessaires». أي أنها تشير إلى من يفتقر إلى أبسط الضروريات. ويقابلها في اللغة العربية بالتالي مفردة: المحتاج أو المعوز.

3. ترجمة عبد العزيز:

« et dit : « Mon Seigneur, j'ai grand besoin du bien que Tu vas Faire
descendre vers moi »

- الترجمة العكسية:

"وقال: ربّي إنّي في حاجة ماسّة للخير الذي سُنْزله إليّ"

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: تكاد تكون هذه الترجمة مطابقةً لترجمة حميد الله. فقد استخدمت لفظة (Le bien) مقابل "الخير" وصيغة المستقبل القريب (Tu vas faire descendre) مقابل (أنزلت).

■ الأثر المعرفي: على غرار ترجمة حميد الله، حصرت هذه الترجمة الدعاء في الطلب المستقبلي بتحويلها زمن الفعل إلى المستقبل مغفلة بذلك أثر الشكر على النعم الماضية الذي يشير إليه فعل (أنزلت). وبالتالي لم يتحقق الأثر المعرفي الجامع للدعاء (الشكر والطلب).

■ الجهد الذهني: لا يحتاج قارئ الترجمة الفرنسية إلى بذل جهد للاستدلال على معنى الخيرية. إلاّ أنّه لن يدرك أثر الشكر والإقرار لما سبق من خير إلاّ ببذل جهد كبير.

■ درجة الملاءمة: نجحت الترجمة في نقل معنى الطلب إلاّ أنّها لم توفق في نقل بُعد الثناء والشكر على ما مضى من خير وهو جزء من الآثار المعرفية المقصودة من الآية. وعليه، تكون الترجمة قد حققت درجةً متوسطةً من الملاءمة.

4. ترجمة شبل:

« et [il] dit : Seigneur, je suis en attente du moindre bien de Ta part »

- الترجمة العكسيّة:

"وقال: يا رب، إنّي في انتظار أدنى خير من لديك".

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: استخدم شبل لفظة Bien كمقابل للفظّة "خير" القرآنية، وقد وفق

في خياره هذا على غرار سابقه. إلّا أنّه تخلّى تماماً عن جملة (لما أنزلت إليّ) واستبدلها بعبارة (de Ta part) أي (من عندك/من لديك) منتهجاً نهج الترجمة غير المباشرة ولعلّه سعى لتسهيل الفهم للقارئ الفرنسي. إلّا أنّ خياره هذا أبعدّه عن الأصل القرآني. كما أنّه أضاف صيغة التفضيل (moindre) كما فعل بريك تماماً للدلالة على شدّة الحاجة التي كان فيها النبي موسى عليه السلام.

■ الأثر المعرفي: ابتعد شبل عن نصّ الآية بانتهاجه نهج الترجمة غير المباشرة. إذ

جاءت ترجمته الأكثر تبسيطاً مقارنة بغيرها من الترجمات. ما أدّى إلى تحويل الدعاء القرآني البليغ والجامع إلى جملة طلبيّة بسيطة، وإلى تضييع جلّ الآثار المعرفية تقريباً: ضياع أثر الشكر على الخير الماضي، وضياع أثر الثناء على الله كمنزل للخير، وضياع دلالة الإنزال التي تشير إلى الرفعة وهذا راجع لحذف فعل (أنزلت). كما أنّه، على غرار بريك، قد قيّد شموليّة الخير كما جاءت في الأصل من خلال إضافة صيغة التفضيل، ما

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

جعل الترجمة لا تنتج سوى أثر الحاجة للخير وهو جزء قليل فقط من المعاني التي تثيرها الآية.

■ **الجهد الذهني:** حاول شبل تقليل الجهد الذهني على القارئ الفرنسي وقد وفق في ذلك. إلا أن سعيه ذاك جاء على حساب التشابه التأويلي بين الأصل والترجمة.

■ **درجة الملاءمة:** بالموازنة بين الآثار المعرفية المحققة والجهد المبذول يتبين أنّ سبيل التبسيط الذي انتهجه المترجم قد أدّى إلى تشابه تأويلي ضئيل وخفّض من درجة الملاءمة إلى حدّ كبير.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يتضح من تحليل الترجمات الأربع أنّ الآية شكّلت تحدياً للمترجمين. ففي حين نجحوا، جميعهم، في اختيار مقابل معجمي ملائم للفظة 'خير' (Le bien) إلا أنّهم أخفقوا في نقلهم للبنية الزمنية للفعل (أنزلت) التي جمعت بين الشكر على ما مضى والطلب للحاضر والمستقبل (فقير). فقد حوّل حميد الله وعبد العزيز زمن الفعل إلى المستقبل ما جعل من الدعاء طلباً صريحاً وأفقد النسخة الفرنسية بُعد الشكر والثناء. فيما أضاف بيرك وشبل صيغة التفضيل (moindre) التي أبرزت شدّة الافتقار من جهة، ولكنها حدّت من شمولية الخير وعظمته كما تشير إليه الآية. وقد نأى شبل عن الأصل حين حذف جملة بكاملها (لما أنزلت إليّ) ما أدّى إلى ضياع شبه تام للآثار المعرفيّة.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وبناء عليه، يمكن القول إنّ الترجمات لم توفّق في تحقيق درجة ملائمة عالية، كونها أخفقت في محاكاة العملية التأويلية التي يقوم بها القارئ العربي والتي تستوعب الجمع بين الشكر والطلب. فقد اختار المترجمون وضوح الطلب على حساب عمق الشكر، ما يوضح تحدّي نقل البلاغة القرآنية الجامعة في تراكيب لغوية مبسّطة. وفيما يلي جدول تلخيصي للتحليل الذي أوردناه:

الترجمة والتحليل	
« فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » (32، سورة القصص)	المترجم
« Et dit « Vraiment, Seigneur, j'ai grand besoin du bien que Tu feras descendre vers moi ».	حميد الله
الاختيار المعجمي: خير = le bien	
الأثر المعرفي: متوسط.	
نجح في نقل شمولية "الخير" والطلب، لكنّه حوّل الدعاء إلى طلب مستقبلي صريح ما أضاع بُعد الشكر على الماضي.	
الجهد الذهني: منخفض	
التركيب اللغوي مباشر وواضح فيما يخص معنى الخيرية. لكنه لا يحفّز الاستدلال الصحيح على المعاني المقصودة في الآية.	بيرك
درجة الملاءمة: متوسطة	
باعتبار كمّ الآثار المحققة والجهد الذهني المطلوب للفهم.	
« Disant : « Seigneur, le moindre bien que Tu fasses descendre sur moi, j'en suis indigent ! »	
الاختيار المعجمي: الخير = le bien	
الأثر المعرفي: متوسط	بيرك
يبرز شدة الافتقار، لكنه يغفل بُعد الشكر، ويضيف معنى "القلة" الذي يحد من شمولية الخير.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الجهد الذهني: متوسط بالرغم من وضوح التركيب اللغوي وسلاسته إلا أنّ الاستدلال على كل الآثار المعرفيّة يتطلب جهداً كبيراً.	
درجة الملاءمة: متوسطة بالموازنة بين الأثر المعرفي المحقق والجهد الذهني المبذول.	
« et dit : « Mon Seigneur, j'ai grand besoin du bien que Tu vas Faire descendre vers moi ».	عبد العزيز
الاختيار المعجمي: الخير = le bien	
الأثر المعرفي: متوسط. الترجمة مطابقة تقريباً لترجمة حميد الله؛ تحصر الدعاء في الطلب المستقبلي وتغفل بُعد الشكر على الماضي. الجهد الذهني: منخفض. درجة الملاءمة: متوسطة.	
الجهد الذهني: منخفض التركيب اللغوي مباشر وواضح فيما يخص معنى الخيرية. لكنه لا يحفز الاستدلال الصحيح على المعاني المقصودة في الآية.	
درجة الملاءمة: متوسطة باعتبار كمّ الآثار المحققة والجهد الذهني المطلوب للفهم.	
« et [il] dit : Seigneur, je suis en attente du moindre bien de Ta part »	شبل
الاختيار المعجمي: الخير = Le bien	
الأثر المعرفي: منخفض عدم تحقيق التشابه التأويلي أدى إلى تضييع معظم الآثار المعرفيّة.	
الجهد الذهني: منخفض جداً. ولكن على حساب الأثر المعرفي.	
درجة الملاءمة: عالية باعتبار ضآلة الأثر المحقق في مقابل.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

❖ النموذج الخامس: الخير بمعنى الغنيمة والظفر في المعارك:

الآية	"وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا " (25، سورة الأحزاب)
ترجمة حميد الله	« Et Dieu a renvoyé avec leur rage ceux qui mécroient, - lesquels jamais n'obtiendront le bien, - et Dieu a épargné aux croyants le combat. Cependant, Dieu demeure Fort, Puissant ». (P.470) <u>الترجمة العكسية:</u> ورد الله بغضبهم الذين يكفرون، - أولئك الذين لن يحصلوا على الخير أبداً، - ووفر الله على المؤمنين القتال. ومع ذلك، يبقى الله قوياً، مقتدراً.
ترجمة بريك	"Dieu a renvoyé les dénégateurs enragés de n'être arrivés à rien de bon. Les croyants, au combat, ont fait de Lui leur suffisance — Dieu est Fort, Tout-Puissant » (P.450) <u>الترجمة العكسية:</u> "رد الله المكذبين وهم حانقين لعدم تحقيقهم أي شيء جيد. وجعله (أي الله) المؤمنون، في القتال، كافياً لهم - إن الله قوي قدير"
ترجمة عبد العزيز	«Et Allah Repoussa ceux qui devinrent mécréants, avec leur rage, ils n'obtinrent aucun bien. Allah A Épargné le combat aux croyants. Allah A toujours Été Tout-Fort, Invincible. » (P. 515). <u>الترجمة العكسية:</u> "وصد الله الذين صاروا كفاراً، بغضبهم، لم ينالوا أي خير. وكفى الله المؤمنين القتال. وكان الله دائماً قديراً لا يُغلب"
ترجمة شبل	«Allah a repoussé les incroyants, toute rage bue ; ils n'obtiendront rien de bon, tandis qu'Il épargne aux croyants la guerre. Dieu est fort et puissant. » (P. 338). <u>الترجمة العكسية:</u> "صد الله الكافرين، وقد تجرعوا كل ألوان الغيظ، لن ينالوا أي شيء جيد. بينما يجنب (الله) المؤمنين الحرب. والله قوي مقتدر."

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا"¹.

- السياق المعرفي: يوضح ابن عاشور أن هذه الآية تصف نهاية غزوة الأحزاب أو الخندق، حيث ردّ الله جيوش الكفار المتحالفة والمتحزّبة ضدّ المسلمين خائبين إلى ديارهم. إذ إنهم جاءوا بأعداد هائلة للقضاء على المسلمين وفتح المدينة والاستيلاء على خيراتها؛ لكنهم عادوا دون تحقيق أي من أهدافهم، بل تجرعوا مرارة الهزيمة والخيبة². وفي هذا السياق الحربي المباشر، تكتسب كلمة "خير" دلالة محددة جداً، فهي لا تشير إلى الخير الأخلاقي المجرد أو النفع العام، بل إلى الهدف المادي المباشر الذي سعت إليه الأحزاب.

← التصريحات: تتمثل في أن الله أرجع الكفار إلى ديارهم والحنق يملؤهم لعدم تحقيقهم لأيّ خير من تحزّبهم ضدّ المسلمين الذين أغناهم الله بمقابل ذلك عن الخوض في معركة حاسمة معهم.

← التضمينات والآثار المعرفية:

■ "الخير" كغنيمة وظفر: يتمثل الأثر المحوري في هذه الآية في دلالة لفظة "خير" التي تعني أساساً الظفر في المعركة وما يترتب عنها من غنائم ماديّة (كالاستيلاء على

¹ سورة الأحزاب، الآية 25.

² ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 21، ص 309.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ثمارها) ونصر معنوي (إفناء المسلمين)¹. إلا أنّ الأحزاب عادوا خالي الوفاض، وهذا هو المعنى المستدل عليه من جملة "لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا".

■ **الخيبة الكاملة:** جملة "لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا" تتعدّى عدم تحقيق النصر إلى الخسارة والخيبة الكاملة. فقد أنفق الأحزاب الأموال وتجشّموا عناء الحصار ليعودوا في النهاية بخيبة وغيظ دون أي مكسب يُذكر، وهو ما يضاعف من أثر الهزيمة.

■ **المنّة الإلهية:** فجملة "وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ" تبرز المنّة الإلهية على المؤمنين، حيث تحقق لهم النصر دون الحاجة إلى خوض قتال مباشر كان سيكلفهم الكثير من الأرواح والعتاد، وهذا بحد ذاته "خير" عظيم للمؤمنين.

← **الهدف التواصلّي:** يتمثّل في إظهار قدرة الله المطلقة وعظيم منّته على المؤمنين، وكذا بيان الخيبة والهزيمة الكاملة التي لحقت بأعدائهم. فالله بقوته وعزته قادر على رد جيش عظيم دون قتال، وحرمانهم من "الخير" الذي كانوا يطمحون إليه.

ب. تحليل الترجمات:

نتطرق فيما يلي إلى تحليل الترجمات والنظر في مدى نجاحها في تحقيق التشابه التأويلي المطلوب مع الأصل القرآني.

1. ترجمة حميد الله:

¹ ابن عاشور، المرجع نفسه، الجزء 21، ص 310.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Et Dieu a renvoyé avec leur rage ceux qui mécroient, - lesquels jamais n'obtiendront **le bien**, - et Dieu a épargné aux croyants le combat. Cependant, Dieu demeure Fort, Puissant ».

- الترجمة العكسية:

"وردّ الله بغضبهم الذين يكفرون، - أولئك الذين لن يحصلوا على الخير أبداً، - ووفّر الله على المؤمنين القتال. ومع ذلك، يبقى الله قوياً، مقتدراً".

- التحليل:

■ **الاختيار المعجمي:** استخدم حميد الله لفظة (Le bien) كمقابل للفظه "خير" القرآنية. ونحسب أنّ هذا الاختيار، في خضمّ سياق القتال، اختياراً عامّاً قد يوحي، من جملة ما يوحي إليه، إلى الخير الأخلاقي أو النفع العام. فهي لا تحصر الذهن مباشرة في معنى الظفر والغنيمة كما ورد في التفسير. كما يلاحظ أنّه حوّر في زمن الأفعال، إذ جعل (الذين كفروا) في زمن الحاضر (ceux qui mécroient)؛ فيما بدّل (لم ينالوا خيراً) إلى المستقبل (ils n'obtiendront le bien).

■ **الأثر المعرفي:** وفقت الترجمة في نقل الفكرة الأساسية وهي أنّ الكفار لم يحققوا أيّ نفع. لكنها لا تثير قوّة الأثر المعرفي المحدّد بسياق القتال. فالقارئ الفرنسي قد لا يدرك فوراً أنّ "الخير" المفقود هو النصر والغنائم، بل قد يفهمه بمعنى أوسع. وهذا التعميم يضعف من دقة الصورة التي ترسمها الآية عن الخيبة في ميدان الوغى على وجه التحديد. فالتشابه

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

مع الآية غير متطابق تماماً، هذا ما يغيب جزءاً من الآثار المعرفية التي تنطوي عليها. زد أن تغييره لزمن الأفعال لربما يثير آثاراً لم ترد في الآية.

■ **الجهد الذهني:** الصياغة هاهنا واضحة والجهد الذي قد يبذله القارئ للترجمة يبدو منخفضاً. لكنّ الوضوح أتى على حساب الدقة السياقية، هذا من جهة. من جهة أخرى، قد يتحمّل القارئ الفرنسي عبئاً ذهنياً إضافياً غير ضروري جراء تغيير أزمنة الأفعال.

■ **درجة الملاءمة:** نجحت الترجمة في نقل الإطار العام، لكنّ اختيار لفظة (Le bien) المجردة أضعف من قدرتها على نقل الدلالة المحورية لمفردة "خير" في هذا السياق المعرفي. كما أنّ تغيير البنية الزمنية من شأنه أن يؤثر على الارتباط بالسياق التاريخي الأصلي ما يقلل من التشابه التأويلي ويجعل درجة الملاءمة فيها منخفضة.

2. ترجمة جاك بيرك:

"Dieu a renvoyé les dénégateurs enragés de n'être arrivés à rien de **bon**. Les croyants, au combat, ont fait de Lui leur suffisance — Dieu est Fort, Tout-Puissant»

- الترجمة العكسية:

"ردّ الله المكذّبين وهو حانقين لعدم تحقيقهم أيّ فائدة. واستكفى المؤمنون، في القتال، بالله (جعلوه كافياً لهم) - إنّ الله قويّ قدير".

- التحليل:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ **الاختيار المعجمي:** استخدم بيريك مفردة (bon) كمقابل للفظـة "خير" القرآنية. وأدرجها في عبارة (rien de bon). ولفظة (bon) تعني "ما يحقق المتعة والفائدة"¹، وهو بخياره هذا حدّد معنى الخير في عدم تحصيل الكفار لأي فائدة تذكر في سعي منه لنقل معنى الظفر والنصر في القتال. وهذه العبارة تعدّ أكثر تحديداً من لفظة (le bien) في هذا السياق.

■ **الأثر المعرفي:** تعدّ هذه الترجمة أكثر تحديداً من سابقتها، فعبارة (لعدم تحقيقهم أيّ فائدة) ترتبط ارتباطاً مباشراً بنتيجة التحالف ضدّ المسلمين. إذ إنّها تنقل فكرة الخيبة الكاملة في تحقيق أي مكسب ملموس من القتال. هذا ما يجعلها أقرب إلى معنى (لم ينالوا ظفراً أو غنيمة).

■ **الجهد الذهني:** الصياغة تفسيرية واضحة وسلسة، ما يجعل الجهد الذهني المبذول لفهمها منخفضاً.

■ **درجة الملاءمة:** تحقق هذه الترجمة، باعتبار خياراتها المعجمية وما تنثـره من استدلالات، تحقق درجة عالية من التشابه التأويلي مع الأصل ما يسهم في الحفاظ على الآثار المعرفية ذاتها تقريباً.

3. ترجمة عبد العزيز:

«Et Allah Repoussa ceux qui devinrent mécréants, avec leur rage, ils n'obtinrent aucun **bien**. Allah A Épargné le combat aux croyants. Allah A toujours Été Tout-Fort, Invincible » .

¹ Voir : **Bon** in : Dictionnaire Larousse, <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/bon/10103>, (consulté, le : 16/10/2025).

- الترجمة العكسية:

"وصدّ الله الذين صاروا كفاراً، بغضبهم، لم ينالوا أيّ خير. وكفى الله المؤمنين القتال. وكان الله دائماً قديراً لا يُغلب"

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: استخدمت عبد العزيز عبارة (aucun bien) كمقابل لـ (لم ينالوا

خيراً). جامعة بين لفظة (bien) كما استخدمها حميد الله وأداة النفي القاطعة (aucun).

وما يلاحظ في الترجمة أيضاً، استخدامهما لعبارة (ceux qui devinrent mécréants) في

حين أنّ الآية القرآنية تورد عبارة الَّذِينَ كَفَرُوا". فلم هذا التحوير من لدن المترجمة؟

ونقول في ذلك، إنّ خيارها من حيث الدقة والالتزام بالأصل القرآني ليس موفقاً باعتبار أنّ

"الَّذِينَ كَفَرُوا" فعل ماض يفيد تحقّق الصفة لا الصيرورة. من جهة أخرى، لربما اختيارها له

وجاهته من ناحية التأويل. فهو يضيف طبقة من المعنى مستنبطة من السياق التاريخي

للغزوة. فالآية تذكر الكفار من قبائل مختلفة الذين تحالفوا في هذه الغزوة بالذات وصاروا

جزءاً من جبهة الكفر التي تحرّبت ضدّ المسلمين. ففعل devenir هاهنا يشير إلى هذه

الصيرورة وهذا التحالف والتحوّل إلى الكفر في تلك اللحظة التاريخية بالذات. مع ذلك، لا

يعدّ خيارها ترجمة مباشرة للنص القرآني، ويبقى تأويلاً منها لم نجد له مرجعاً في التفسير

إلا إن غاب عنا.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ **الأثر المعرفي:** جاءت إضافة أداة النفي القاطعة (aucun) لتثير في ذهن القارئ للترجمة أثر تولي جيش الأحزاب خائباً وخالي الوفاض تماماً. وقد وفقت في ذلك. إلا أن تمسكها بحرفية مفردة "الخير" (bien)، على غرار ترجمة حميد الله، تقيد عموم المعنى أي النفع ولا تثير بشكل مباشر وقوي الأثر المعرفي المحوري المرتبط بسياق القتال وهو الظفر والغنيمه. فالقارئ الفرنسي يفهم أنهم لم ينالوا شيئاً نافعاً لكن ربطه ذلك مباشرة بالمكاسب العسكرية - المادية والمعنوية كما جاء في تفسير ابن عاشور - التي كانوا يطمحون إليها مُغَيَّب. وسيتطلب منه جهداً كبيراً للاستدلال على هذا الأثر المعرفي.

■ **الجهد الذهني:** الصياغة واضحة وسلسلة ولكن معنى الخيرية قد يتطلب جهداً ذهنياً إضافياً من القارئ للاستدلال عليه. كما أن إضافتها للفعل devinrent قد يثير في ذهن القارئ سلسلة من الاستدلالات التي تتطلب جهداً ذهنياً آخر نحسب أنه غير ضروري في هذا الموضع باعتبار عدم وروده في الآية القرآنية ولم تُشر إليه التفسير أصلاً. ولو أن المترجمة أشارت إلى هذه الإضافة بحاشية أو هامش لكان أفضل حتى يدرك القارئ الفرنسي أصل الزيادة التأويلية وما تنطوي عليه من أثر.

■ **درجة الملاءمة:** تحقق هذه الترجمة درجة متوسطة من الملاءمة. فبالرغم من أن استخدام النفي القاطع aucun المقرون بكلمة Bien يجعل ترجمة عبد العزيز أكثر دقة من ترجمة حميد الله، إلا أنها تشترك معها في القصور الأساسي وهو عدم تحديد طبيعة الخير بما يتناسب مع سياق الآية. فهي تنقل، من جهة، شعور الخيبة عامة لكن لا تنقل

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

طبيعة الخيرية المفقودة الموجبة لهذه الخيبة. ما يجعلها، من جهة أخرى، أقل ملاءمة من ترجمة بيريك التي ترتبط بشكل أوثق بنتيجة الفعل، لاسيما إن اعتبرنا الإضافة التأويلية لفعل الصيرورة والتي تنقص من التشابه التأويلي مع نص الآية.

4. ترجمة شبل:

«Allah a repoussé les incroyants, toute rage bue ; ils n'obtiendront rien de bon, tandis qu'Il épargne aux croyants la guerre. Dieu est fort et puissant. » (P. 338).

- الترجمة العكسية:

"صدّ الله الكافرين، وقد تجرعوا كلّ ألوان الغيظ، لن ينالوا أي شيء جيّد. بينما يجنّب (الله) المؤمنين الحرب. والله قوي مقتدر".

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: اختار شبل على غرار بيريك عبارة (rien de bon) كمقابل لـ(لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا). كما يلاحظ تحويله لأزمنة الأفعال. إذ ترجم (لَمْ يَنَالُوا) التي تفيد النفي في الماضي إلى نفي في المستقبل (Il n'obtiendront)، وترجم فعل الماضي (وَكَفَى) بصيغة الحاضر (épargne).

■ الأثر المعرفي: مع أنّ عبارة (rien de bon) في حدّ ذاتها موفقة في نقل معنى الخيبة. إلا أن الترجمة تقدم بنية زمنية تختلف عن النص المصدر، مما يؤثر على الأثر المعرفي. فبترجمته النفي في الماضي (لَمْ يَنَالُوا) بصيغة المستقبل يكون المترجم قد حوّل وصف نتيجة في لحظة تاريخية بعينها إلى ما قد يُفهم كنبوءة مستقبلية. فهذا التغيير الزمني

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

قد يوجه القارئ بعيداً عن السياق المحدّد للآية. كما أنّ نقل فعل الماضي (وَكَفَى) إلى صيغة الحاضر من شأنه أن يُضعف ارتباط مَنّة الله على المسلمين وكفايتهم لهم بهذا الحدث التاريخي بعينه أي غزوة الأحزاب، وقد تُقرأ كحقيقة عامة بدلاً من كونها وصفاً لهذا الحدث في تلك اللحظة الزمنية. وهذه التحويلات قد تؤدي إلى عدم تشابه في تسلسل الأحداث التي تصفها الآية ما يؤثر على فهم القارئ لها.

■ **الجهد الذهني:** منخفض من حيث فهم بناء الجملة. إلا أن محاولة التوفيق بين الأزمنة التي أوردتها والسياق التاريخي لأحداث الآية قد يزيد بما لا داعي له من الجهد المعرفي لدى القارئ لها.

■ **درجة الملاءمة:** باعتبار الآثار المعرفية التي تحققها هذه الترجمة مقابل الجهد الذهني غير الضروري المفروض على القارئ لها، فإنّ التشابه التأويلي بينها وبين الأصل ضئيل، ما يجعل من درجة ملاءمتها منخفضة.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يتضح ممّا سبق أن معنى الظفر والغنيمة الذي يحدّده سياق ورود لفظة "خير" كانت المحكّ الرئيسي في تقييم الترجمات. إذ يعتبر استخدام لفظة (Bien) مجرداً، كما فعل حميد الله وعبد العزيز، الخيار الأقل دقة لأنه يترك المعنى مفتوحاً ولا يثير بشكل مباشر دلالة المكاسب والظفر بعد القتال. ورغم أن ترجمة عبد العزيز كانت أقوى من ترجمة حميد الله بفضل استخدام أداة النفي القطعية (aucun)، إلا أنها ظلت تشترك معها في هذا القصور

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الدلالي الأساسي، بالإضافة إلى تقديمها إضافة تأويلية غير ضرورية من خلال فعل الصيرورة (devenir).

في المقابل، كانت الترجمات التي حددت طبيعة الخيرية التي لم تُنل أكثر نجاحًا. إذ عكس استخدام بيرك لعبارة (rien de bon) معنى الخيبة بدقة، محققًا بذلك درجة ملاءمة عالية. أما ترجمة شبل، ومع أنها استخدمت العبارة ذاتها، قدّمت بنية زمنيّة مغايرة لبنية الآية، وتحويلها أفعال الماضي إلى المستقبل والحاضر، أثر على تسلسل الأحداث وأضعف ارتباطها بالسياق التاريخي، وجعل درجة ملاءمتها منخفضة.

الترجمة والتحليل	المترجم
"وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا". (25، سورة الأحزاب).	الآية
« Et Dieu a renvoyé avec leur rage ceux qui mécroient, - lesquels jamais n'obtiendront le bien »	حميد الله
الاختيار المعجمي: خيراً = le bien	
الأثر المعرفي: منخفض	
اختيار معجمي عام لا يثير معنى "الظفر والغنيمة". تغيير أزمنة الأفعال يضيف عبئًا تأويليًا. تحقق تشابها تأويليا قليلاً مع الآية وتفتقد لأهم الآثار المعرفية لها.	
الجهد الذهني: متوسط إلى مرتفع	
التركيب اللغوي مباشر وواضح. لكنه يضيف عبئًا استدلاليا عند القارئ.	بيرك
درجة الملاءمة: منخفضة	
باعتبار الآثار المغيّبة والجهد الإضافي المطلوب للفهم.	
« Dieu a renvoyé les dénégateurs enragés de n'être arrivés à rien de bon ».	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

<u>الاختيار المعجمي</u>: خيراً = bon	
<u>الأثر المعرفي</u>: مرتفع نقلت معنى الخيبة الكاملة والنتيجة الصفرية، ما يعكس معنى الظفر والغنيمة.	
<u>الجهد الذهني</u>: منخفض لا يحتاج القارئ للترجمة إعمال جهد كبير للاستدلال على الآثار المعرفية.	
<u>درجة الملاءمة</u>: عالية تحقق أكبر قدر ممكن من الآثار بأقل جهد ذهني.	
«Et Allah Repoussa ceux qui devinrent mécréants, avec leur rage, ils n’obtinrent aucun bien»	عبد العزیز
<u>الاختيار المعجمي</u>: الخير = bien	
<u>الأثر المعرفي</u>: منخفض مع أنها تثير معنى الخيبة إلا أنها لا تنقل معنى الخيرية. زادت على الأصل آثاراً لم ترد فيه.	
<u>الجهد الذهني</u>: متوسط التركيب اللغوي مباشر وواضح. لكن عدم تحديد معنى الخيرية وكذا الإضافة التأويلية من شأنهما أن يزيدا من الجهد الذهني.	
<u>درجة الملاءمة</u>: منخفضة بالموازنة بين الأثر المعرفي المغيب والجهد الذهني المطلوب بذله.	
«Allah a repoussé les incroyants, toute rage bue ; ils n’obtiendront rien de bon »	شبل
<u>الاختيار المعجمي</u>: خيراً = bon	
<u>الأثر المعرفي</u>: متوسط على الرغم من نقله لأثر الخيرية إلا أن التحويلات الزمنية أبعدت الترجمة عن الأصل وفصلتها عن سياقها التاريخي.	
<u>الجهد الذهني</u>: متوسط إلى مرتفع	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

باعتبار سلاسة اللغة المستعملة ووضوحها لكن على حساب أحد المعاني.	
درجة الملاءمة: منخفضة	
بالموازنة بين الأثر المعرفي المحقق والجهد الذهني المبذول.	

❖ النموذج السادس: الشر بمعنى الفقر والعسر عكس الرخاء

الآية	"إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)" (سورة المعارج)
ترجمة حميد الله	" 19 Oui, l'homme a été créé avide ; 20 quand le malheur le touche, il est abattu, 21 et quand le bonheur le touche il est grand refuseur" (p. 662) <u>الترجمة العكسية:</u> 19 نعم، خلق الإنسان جشعا 20 عندما تمسه التعاسة/ المصائب ينهار 21 وعندما تمسه السعادة / النعم فهو كثير شديد الرفض.
ترجمة بريك	« 19 Oui, l'homme fut créé impressionnable 20 pusillanime dès que le mal le touche 21 inabordable dès que le touche le bien ! » (p.635) <u>الترجمة العكسية:</u> 19 نعم، خلق الإنسان سريع الانفعال. 20 فزيعاً بمجرد أن يمسه الشر. 21 منيعاً بمجرد أن يمسه الخير.
ترجمة عبد العزيز	«19 Certes, l'être humain a été créé de caractère inquiet : 20 quand le mal le touche, il est affolé, 21 et quand le bien le touche, il devient avare ; » (p.704) <u>الترجمة العكسية:</u> 19 حقاً، خلق الإنسان ذا طبع مضطرب: 20 عندما يمسه الشر، يُصاب بالفرع، 21 وعندما يمسه الخير، يصبح بخيلاً.
ترجمة شبل	« 19 – L'homme est une création versatile et changeante.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

20 – Timoré et recroquevillé lorsque le malheur l'atteint, 21 – irascible lorsque le bonheur se produit pour lui » (p. 471) <u>الترجمة العكسية:</u> 19 الإنسان مخلوق متقلب ومزاجي. 20 خائف ومنكمش على نفسه عندما تنتابه المصائب 21 سريع الغضب عندما تتحقق له النعم/السعادة	
---	--

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)"¹.

- السياق المعرفي: تصف الآية طبيعة بشرية شديدة التقلب جزاء الظروف المادية والمعيشية، وهي طبيعة الهلع. ويوضح ابن عاشور أنَّ الهلع هو قلة إمساك النفس حين يعتريها ما يحزنها أو ما يسرها. وفي هذا السياق المحدد، لا يُقصد بالشر والخير معناهما الأخلاقي المجرد بل دلالتهما المادية المباشرة. فلفظة الشر كما يشير التفسير صراحة تحيل في هذا الموضع إلى الفقر أيَّ الشدة والعسر وكل ظرف معاكس يضيق على الإنسان. وفي مقابل ذلك، تحيل لفظة الخير إلى نقيض ذلك وهو ما ينفع الإنسان ويلأئم رغباته مثل الغنى والرخاء واليسر. وعليه، فإنَّ الآيات تَدَمُّ الإنسان شديد الجزع والخوف عند مواجهة الشدة والفقر، وشديد البخل والمنع عند حصول الرخاء والغنى².

¹ سورة المعارج، الآية 20.

² ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 29، ص من 166 إلى 170.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← **التصريحات:** تخبر الآيات بأنَّ الإنسان خُلِق وفي طبعه الهلع، وهذا الطبع يظهر في حالتين متناقضتين؛ فهو يجزع ويفقد صبره عندما يصيبه الفقر والشدة وهو يمنع ويبخل عندما يصيبه الغنى والرخاء.

← التضمينات والآثار السياقية:

- **ذم الطبيعة البشرية المتقلبة:** تَدَمُّ الآيات طبع الهلع وتعتبره نقيصة وتلقي باللوم على الإنسان الذي لا يروض نفسه على مقاومتها.
- **التقلب والتناقض:** تبرز التناقض الصارخ في سلوك الإنسان الهلوع، فهو ينهار عند الشدة ويبخل عند الرخاء بدلاً من أن يصبر ويشكر.
- **التركيز على العلاقة بالجانب المالي:** ترتبط الآيات وخصوصاً "وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا" بسياق جمع المال وتكديسه، ما يعزّز كون الخير في هذا الموضع مرتبط بالثروة المادية.

← **الهدف التواصلية:** لا يتمثل في مجرد وصف الطبيعة البشرية بل في لوم وتنبيه وتحذير من مغبة الاستسلام لطبع الهلع، وحثَّ الإنسان على تهذيب نفسه بالصبر عند الشدة والشكر والبذل عند الرخاء.

ب. تحليل الترجمات:

نتطرق فيما يلي إلى تحليل الترجمات والنظر في مدى نجاحها في تحقيق التشابه التأويلي المطلوب مع الأصل القرآني.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

1. ترجمة حميد الله:

« 19 Oui, l'homme a été créé avide;
20 quand le malheur le touche, il est abattu,
21 et quand le bonheur le touche il est grand refuseur ».

- الترجمة العكسية:

19 نعم، خلق الإنسان جشعا.

20 عندما تمسه التعاسة/ المصائب ينهار.

21 وعندما تمسه السعادة / النعم فهو كثير شديد الرفض.

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: اختار حميد الله ثنائية (Malheur/Bonheur)، وكما أشرنا في التحليلات السابقة فإن هذه الثنائية عامة في دلالاتها. إذ تركز لفظة (Malheur) على المصائب و(Bonheur) على السعادة والنعمى وهي لا تنقل بدقة الدلالة المادية المحددة للشدة والفقر أي (Adversité) مقابل الرخاء والغنى (Prosperité). كما نلاحظ ابتكاره لعبارة (grand refuseur) محاكاةً للفظـة "منوعاً" القرآنية، وهي تحيل إلى كل إنسان ديدنه الرفض. ويبدو لنا أنّ الرفض غير المنع (empêcher, priver) المقصود في الآية أي حرمان مادي للخير أو المال عن الغير، ومثل هذه الترجمة الحرفية من شأنها أن تتجاهل المعنى المعرفي للمنع (أي البخل الشديد).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ الأثر المعرفي: تنقل الترجمة فكرة التقلب البشري وتناقضه، لكنّها تضيع الأثر المعرفي المحوري المرتبط بالظروف المادية. إذ إنّ القارئ الفرنسي يفهم تماماً أنّ الإنسان ينهار عند المصائب ويخل حين تمسّه النعم، لكنّ ربط ذلك مباشرة بحالتي الفقر والغنى يبدو ضعيفاً وغير مباشر. هذا من جهة. من جهة أخرى، استخدام صفة (grand) قبل اسم الفاعل (refuseur) طريقة فذّة في محاكاة صيغة المبالغة العربيّة (فَعُول)، إذ يدرك القارئ الفرنسي مباشرة أنّ الرفض هو طبع متأصل وسلوك متكرّر وليس مجرد رفض عارض، وهذا أثر معرفي حافظت عليه الترجمة. إلّا أنّها في المقابل لم توفّق في نقل الأثر المتعلّق بطبيعة المنع. فلفظة (refuseur) تحيل إلى وصف سلوك الرفض عامّة ولكنّها لا تحمل في طياتها المقصود من اللفظة القرآنية وهو البخل ومنع الخير المادي من مال وحقوق. كما أنّها تخاطر بخلق أثر معرفي مضلل وهو أنّ الطبيعة البشريّة ترفض السعادة وتجد صعوبة في تقبل النعم كما تحيل إليه قراءة أخرى محتملة للجملة (et quand le bonheur le touche il est grand refuseur). فقد تُثير في ذهن القارئ الفرنسي أنّ الإنسان شديد الرفض للنعمى والسعادة اللتان تمسّانه، وكأنّه يرفض أن يكون سعيداً ومنعمّاً. ومدعاة هذه القراءة القرب النحوي (Proximité syntaxique) للفاعل (il) الذي جاء مباشرة بعد جملة شرطية تتحدث عن le bonheur (السعادة/النعمى)؛ وأقرب مرجع لـ "الرفض" في ذهن القارئ هو هذه "السعادة" المذكورة للتو. فالصياغة توحى برابط مباشر بينهما، ثمّ إنّ غياب المفعول به المباشر - بما أن (grand refuseur) لا يحدد موضوع هذا الرفض

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- يجعل الذهن يميل تلقائياً لربطه بآخر مفهوم تم تقديمه في الجملة وهو (le bonheur). وهذا المعنى بعيد كل البعد عن المعنى القرآني المقصود.

■ **الجهد الذهني:** الصياغة واضحة واللغة سلسة وطبيعية، لكنّها تفرض على القارئ الفرنسي جهداً استدلالياً إضافياً لربط (المصائب/النعمى) بمفهوم (الفقر/الغنى) أي الاستدلال على المعنى الدقيق من جهة، ولتجنّب المعنى الخاطئ الذي يحيل إليه التركيب النحوي للجملة. فقد يضطر القارئ الواعي للتوقف والتساؤل هل الإنسان يرفض السعادة/النعمى ذاتها؟ وسيدرك أنّ هذا لا يتناسب مع سياق الآية، إذاً لابدّ أنّه يرفض أمراً آخر. ومثل هذا التساؤل والتدّارك الذاتي يعدّ عبئاً ذهنياً كبيراً من منظور الملاءمة.

■ **درجة الملاءمة:** تعدّ منخفضة إذا ما وازنا بين الأثر المعرفي المنخفض الذي تحققها هذه الترجمة والجهد الذهني المطلوب ليس للاستدلال على المعنى المرجعي الصحيح فحسب بل لتجاوز المعنى المضلل الذي توجي به الصياغة.

2. ترجمة جاك بيرك:

« 19 Oui, l'homme fut créé impressionnable
20 pusillanime dès que le mal le touche
21 inabordable dès que le touche le bien ! »

- الترجمة العكسية:

19 نعم، خُلق الإنسان سريع الانفعال.
20 فزيعاً/جباناً بمجرد أن يمسه الشر.
21 منيعاً بمجرد أن يمسه الخير.

- التحليل:

■ **الاختيار المعجمي:** استخدم بريك ثنائية (le mal/le bien) وهي ثنائية إجمالية وتعميمية تشمل إطلاقات الخير كلها. وهذا الاختيار يبتعد عن الدلالة المادية المحددة في التفسير (الفقر والشدة/الغنى والرخاء). كما أن ترجمته لـ "جزوعاً" بـ (pusillanime¹) أي فزيع أو هيّاب، ولـ "منوعاً" بـ (inabordable²) أي المنيع المنغلق الذي لا يمكن الاقتراب والوصول إليه - ربما لطبعه - وهي ترجمات تفسيرية تصف الحالة النفسية بدلاً من أفعال الجزع - أي فقدان الصبر - والمنع أي عدم البذل كما جاء في التفسير³. إذ تُحوّل هذه الاختيارات وصف السلوك (الجزع والمنع) إلى وصف للحالة الذهنية (الجبين والانغلاق).

■ **الأثر المعرفي:** على غرار ترجمة حميد الله، يغيب هذا الاختيار الحرفي الطبيعة المادية لثنائية الشر والخير. إذ يدرك القارئ الفرنسي أنّ الإنسان جبان عند الشر ومنيع عند الخير، لكن لا يصل إلى تحديد ماهية هذا "الشر" وهذا "الخير" فيظلّ المعنى مفتوحاً

¹ **Pusillanime :**

- « Qui manque d'audace, de courage », in : Dictionnaire LAROUSSE, <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/pusillanime/65176>, (consulté, le : 19/10/2025).

- « Qui est timide, qui craint le risque, les responsabilités ; qui manque d'audace, de courage, de fermeté », in : CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/pusillanime>, (consulté, le : 19/10/2025).

² **Inabordable :**

- « Qu'il est très difficile d'aborder ou d'approcher, en raison de sa qualité, de ses hautes fonctions ou de ses dispositions d'humeur », in : Dictionnaire LAROUSSE, <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/inabordable/42089>, (consulté, le : 19/10/2025).

- « Qui est d'un abord, d'un accès difficile », in : CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/inabordable>, (consulté, le : 19/10/2025).

³ ابن عاشور، مرجع سابق، ص 170.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

على جميع الاحتمالات (الشر والخير: المادي والمعنوي والأخلاقي) وأنّ الإنسان جبان في مواجهة الشرّ ومنغلق على نفسه عند حصول الخير بشكل عامّ. وهذا التعميم يفرغ الآيات من سياقها المحدّد المرتبط بالظروف المادية.

كما أنّ ترجمة "منوعاً" بـ *inabordable* تغير المعنى، إذ إنّ "المنوع" هو البخيل الذي يمنع خيره عن الآخرين (البخيل)، بينما *inabordable* تشير إلى من لا يمكن الوصول إليه أو الاقتراب منه لطبعٍ فيه، لربما يكون كبرياء أو انعزالاً نتيجة الغنى، لكنه يبقى بعيداً عن المعنى المباشر للبخل ومنع العطاء.

■ **الجهد الذهني:** يعتمد إدراك القارئ لمفهوم هذه الثنائية جهداً ذهنياً مرتفعاً وقدرة عالية للاستدلال عليه. ذلك أنّ الترجمة تظهر معاني عامة ومجرّدة (*mal/bien/pusillanime/inabordable*) كما أنّ سياقها العام مضللّ للعملية التأويلية؛ إذ إنّّه لا يركّز على الأفعال وإنّما على الجانب النفسي. وما سيدركه ذهن القارئ على الأرجح هو (إنسان جبان ومنعزل) بدلاً عن المعنى الذي ترومه الآية (إنسان يجزع من الفقر ويبخل بالمال).

■ **درجة الملاءمة:** بناءً على ما سبق، يتبيّن أن الملاءمة منخفضة في هذه الترجمة لأنّها تقدّم معنى مختلفاً عن الأصل إذ استبدلت الوصف السلوكي المرتبط بالظرف المادي بوصف نفسي وذهني مجرّدين؛ وهذا الابتعاد عن السياق المعرفي المحدّد للآيات يجعلها غير قادرة على تحقيق التشابه التأويلي المطلوب.

3. ترجمة عبد العزيز:

«19 Certes, l'être humain a été créé de caractère inquiet :

20 quand le mal le touche, il est affolé,

21 et quand le bien le touche, il devient avare »

- الترجمة العكسية:

22 حقاً، خُلِق الإنسان ذا طبع مضطرب:

20 عندما يمسه الشرّ، يُصاب بالفزع/الهلع،

21 وعندما يمسه الخير، يصبح بخيلاً.

- التحليل:

■ الاختيار المعجمي: استخدمت عبد العزيز ثنائية (le mal/le bien). وهي، كما بيّنا

في ترجمة بيرك، ذات طابع إجمالي وتعميمي قد تشمل مختلف إطلاقات الخير والشر ولا

تتصر الدلالة في البعد المادي المباشر (الفقر/الغنى) الذي أشار إليه التفسير. في المقابل،

جاءت ترجمتها لـ "جزوعاً" بـ (affolé) (أي يصاب بالفزع) وـ "منوعاً" بـ (avare) (أي بخيل)

ترجمة مباشرة تركز على السلوك. فلفظة (affolé) تصف رد فعل الهلع، ولفظة (avare)

تحدد بوضوح سلوك البخل ومنع العطاء.

■ الأثر المعرفي: من جهة، يبدو أنّ استخدام الثنائية العامة (le mal/le bien) يغيب،

كما في الترجمات الأخرى، الطبيعة المادية المحددة للشر والخير. إلّا أنّ استخدام لفظة

(avare) بالتحديد يجبر القارئ، من جهة أخرى، على تأويل كلمة (le bien) التي سبقتها

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وفهمها في سياق مادي. وبما أن البخل (avarice) يرتبط بالمال والممتلكات، بالتالي فإن القارئ سيستنتج مباشرة أن (le bien) أو الخير الذي يؤدي إلى البخل هو بالضرورة خير مادي ويحيل إلى الغنى والمال. ولئن بقيت لفظة (le mal) عامّة، فإن السياق الذي أنتجته لفظة (avare) يحثّه على فهمها كنقيض للغنى، أي الفقر والشدة. وبذلك تكون الترجمة قد حققت التشابه التأويلي المطلوب وحافظت على جلّ الآثار المعرفية للآية.

■ **الجهد الذهني:** في البداية، يواجه القارئ نفس الجهد المطلوب في الترجمات الأخرى لفهم الدلالة المادية للفظتي (le mal) و (le bien). لكنّ هذا الجهد سرعان ما ينخفض بشكل كبير عند الوصول إلى لفظة (avare) التي تضطلع هنا بدور مرساة دلالية توضح السياق وتعيد توجيه القارئ نحو التأويل الصحيح دون عناء كبير. فالجهد الذهني هنا ليس استدلالاً مفتوحاً بقدر ما هو عملية حصر للمعنى وتحديدده، حيث يوضّح الشرط الثاني من الجملة (il devient avare) غموض الشرط الأول منها (quand le bien le touche).

■ **درجة الملاءمة:** بناءً على ما سبق، يمكن القول إنّ درجة ملاءمة هذه الترجمة عالية. فعلى الرغم من استخدامها لمقابل عامّ لثنائية الخير والشرّ بدايةً، إلا أن الاختيار الدقيق لكلمة avare نجح في إعادة بناء السياق المعرفي الصحيح للآية وتوجيه العملية التأويلية نحو المعنى المقصود، ما ضمن تحقيق جزء كبير من التشابه التأويلي مع الآية الأصل.

■

4. ترجمة شبل:

"L'homme est une création versatile et changeante.
Timoré et recroquevillé lorsque le malheur l'atteint,
irascible lorsque le bonheur se produit pour lui »

- الترجمة العكسية:

"الإنسان مخلوق متقلب ومزاجي.

خائف ومنكمش على نفسه عندما تنتابه المصائب،
سريع الغضب عندما تتحقق له النعم/السعادة".

- التحليل:

- الاختيار المعجمي: على غرار ترجمة حميد الله، استخدم شبل ثنائية (le malheur/le bonheur) التي تركز على الحالة النفسانية (المصاب/السعادة) بدلاً من البعد المادي المباشر (الفقر/الغنى). أما ترجمته للفظ "جزوعاً" فجاءت وصفية (Timoré et recroquevillé) - خائف ومنكمش)، وهي تعطي صورة نفسية وجسدية لحالة الجزع. لكن الاختيار الأكثر تأثيراً في بنية المعنى هو ترجمته للفظ "منوعاً" بكلمة irascible (نزق/سريع الغضب).
- الأثر المعرفي: تغيب ثنائية (malheur/bonheur)، كما في الترجمات الأخرى، الدلالة المادية المحددة للشر والخير. لكن الإشكالية الأكبر تكمن في أن السياق اللاحق لا يساعد على توجيه التأويل وتصحيح هذا المعنى، بل يقوده إلى مسار مختلف تماماً. فترجمة "منوعاً" بـ irascible تستبدل بالكامل معنى "البخل ومنع العطاء" بمعنى "حدة

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الطبع وسرعة الغضب". وهذا يخلق أثراً معرفياً غير وارد في الأصل حسب التفسير. وما سيستنتجه القارئ للترجمة أن الإنسان عندما تتحقق له النعمى يصبح نزقاً وسريع الغضب لا بخيلاً يمنع العطاء. هذا التحوير في المعنى يناهى بالترجمة عن الهدف التواصلى للآية.

■ **الجهد الذهني:** يعتمد فهم القارئ على جهد استدلالى مرتفع ومضلل في آن. ففي حين أن الكلمات نفسها (malheur, bonheur, irascible) واضحة لغوياً، فإن الربط بينها ينتج معنى غير الذي تقترضه الآية. ولن يتمكن القارئ في ضوء سياق الترجمة استنتاج أن (bonheur) هنا تعني الغنى، لأن الفعل الناتج عنها ليس "البخل" بل "الغضب". وبالتالي، فإن السياق لا يصحح المعنى بل يؤسس لمعنى جديد ومختلف. وسيخرج القارئ على الأرجح بفهم مفاده أن الإنسان ينهار نفسياً عند المصيبة ويصبح سيء الطبع عند السعادة، وهو معنى يركز على الحالة النفسية والمزاجية بدلاً من السلوك المادي (الجزع من الفقر والبخل بالمال).

■ **درجة الملاءمة:** يتضح مما سبق أن هذه الترجمة لا تحقق الملاءمة إلا قليلاً. إذ قدّمت معنى مختلفاً عن المعنى المرجعي في التفسير، واستبدلت السلوك المادي (المنع والبخل) بوصف نفسي (النزق وسرعة الغضب). وهذا النأي عن السياق المحدّد للآيات، وعدم قدرتها على تحقيق التشابه التأويلي المطلوب يجعلها الأقل ملاءمة بين الترجمات التي تم تحليلها.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يُبين التحليل أعلاه للترجمات الأربع أن ترجمة عبد العزيز كانت الأكثر ملاءمة، فباستخدامها لكلمة *avare* (بخيل) نجحت في تحديد السلوك المادي للمنع، ووجهت ذهن القارئ نحو مفهوم ثنائية الخير والشر في هذه الآيات بأقل جهد ذهني. في المقابل، كانت الترجمات الأخرى أقل ملاءمة بدرجات متفاوتة. ففيما ركزت ترجمة بيرك على الحالة النفسية (*inabordable*) بدلاً من السلوك المادي، كانت ترجمة حميد الله (*grand refuseur*) غامضة وأنشأت معنى مضللاً. أما ترجمة مالك شبل فكانت الأبعد عن المعنى المرجعي لاستبدالها البخل بالغضب (*irascible*)، مما جعلها الأقل ملاءمة.

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)" (20، سورة المعارج)
حميد الله	«Oui, l'homme a été créé avide, quand le malheur le touche, il est abattu, et quand le bonheur le touche il est grand refuseur »
	الاختيار المعجمي: الشر = <i>malheur</i> ، الخير = <i>bonheur</i>
	الأثر المعرفي: منخفض
	أضاعت الترجمة الأثر المرتبط بالظروف المادية، وعبارة (<i>grand refuseur</i>) قد تنتج أثراً معرفياً مضللاً (رفض السعادة نفسها).
	الجهد الذهني: مرتفع
بيرك	الصياغة تفرض جهداً استدلالياً لتحديد المعنى الصحيح وتجنب المعنى المضلل.
	درجة الملاءمة: منخفضة
	بسبب الأثر المعرفي المنخفض والجهد الذهني المرتفع المطلوب لتجاوز المعنى المضلل.
	« pusillanime dès que le mal le touche, inabordable dès que le touche le bien »

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الاختيار المعجمي: الشر = le mal ، الخير = le bien الأثر المعرفي: منخفض غيبت الطبيعة المادية للخير والشر، وحولت وصف السلوك (الجزع والمنع) إلى وصف للحالة الذهنية (الجبين والانغلاق). الجهد الذهني: مرتفع المعاني عامة ومجردة، والسياق يوجه العملية التأويلية نحو الجانب النفسي بدلاً من السلوك المادي. درجة الملاءمة: منخفضة لأنها تقدم معنى مختلفاً عن الأصل ما يمنع تحقيق التشابه التأويلي.	
« quand le mal le touche, il est affolé ; et quand le bien le touche, il devient avare » الاختيار المعجمي: الشر = le mal ، الخير = le bien الأثر المعرفي: كبير رغم عمومية ثنائية (mal/bien)، فإن استخدام كلمة (avare) يجبر القارئ على فهم السياق المادي (الغنى والفقر)، ما يحقق جل الآثار المعرفية. الجهد الذهني: منخفض كلمة (avare) توضح غموض الشرط الأول وتوجه القارئ للتأويل الصحيح دون عناء كبير. درجة الملاءمة: عالية لنجاحها في إعادة بناء السياق المعرفي الصحيح وتحقيق تشابه تأويلي كبير بأقل جهد ذهني.	عبد العزیز
« Timoré et recroquevillé lorsque le malheur l'atteint, irascible lorsque le bonheur » الاختيار المعجمي: الشر = malheur ، الخير = bonheur الأثر المعرفي: منخفض جداً استبدلت معنى "البخل" بمعنى "سرعة الغضب"، ما أنتج أثاراً معرفية مختلفة تماماً عن الأصل.	شبل

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الجهد الذهني: مرتفع	السياق يؤسس لمعنى جديد ومختلف، ما يضلل القارئ حين الاستدلال.
درجة الملاءمة: منخفضة جدًا	الأقل ملاءمة لأنها عن المعنى الأصلي واستبدالها السلوك المادي بوصف نفسي مختلف، مما يجعلها الأقل قدرة على تحقيق التشابه التأويلي.

❖ النموذج السابع: الشرّ بمعنى الأذى والضّر:

الآية	"مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)" (الآيات من 2 إلى 5، سورة الفلق)
ترجمة حميد الله	« Contre le mal des êtres qu'Il a créé Contre le mal de l'obscurité * quand elle s'étend <i>*obscurité. Littér., l'obscurcissant</i> Et contre le mal de celles qui soufflent sur les nœuds**, <i>**Des sorcières qui nouaient des nœuds magiques sur lesquels elles soufflaient pour y attacher un sort.</i> Et contre le mal de l'envieux quand il envie*** » (p.720). <i>*** pénétrante observation que d'égaliser le mal provenant d'un envieux_ à qui on n'a pas fait le moindre mal – aux autres maux contre lesquels l'homme se sent impuissant. Le mal de l'envieux est le moins attendu, et parfois même de la part des bénéficiaires de nos bienfaits. Seule solution chercher protection de Dieux !</i> الترجمة العكسية: ضدّ شرّ الكائنات التي خلق ضدّ شرّ الظلمة * حين تنتشر وضدّ شرّ اللاتي ينفثن في العقّد **, وضدّ شرّ الحاسد حين يحسد. *الظلمة حرفيًا = الذي يكتفّ الظلام. **ساحرات كنّ يربطن عقداً سحرية وينفثن عليها لربط التعاويذ بها. *** ملاحظة ثابتة أن يُساوى الشرّ الصادر عن حاسدٍ — لم يلحقه أيّ أدّى منّا — بسائر الشرور التي يشعر الإنسان بالعجز أمامها. إنّ شرّ الحاسد هو الأقلّ توقّعاً، وأحياناً يصدر حتّى من أولئك الذين انتفعوا من إحساننا. الحلّ الوحيد: طلب الحماية من الله!

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Contre le ravage causé par Sa créature « Contre le ravage de l'heure où la nuit s'épaissit » « Contre le ravage de celles qui soufflent sur des nœuds » « Contre l'envie de l'envieux » (p. 706) <u>الترجمة العكسية:</u> » ضدّ الخراب/ الدمار الذي تُسبّبه مخلوقاته. ضدّ الخراب حين يشتدّ الليل. ضدّ الخراب الذي تُسبّبه اللاتي ينفثن في العُقد. ضدّ حسد الحاسد.	ترجمة بريك
« Contre la nuisance de ce qu'Il A Créé, Et contre la nuisance de la sombre obscurité quand elle plane, Et contre la nuisance des sorcières qui soufflent sur les nœuds, Et contre la nuisance de l'envieux quand il envie » (p. 767) <u>الترجمة العكسية:</u> ضدّ أذى ما خلّقه، وضدّ أذى الظلمة الداكنة حين تحلّ، وضدّ أذى السّاحرات اللّاتي ينفثن في العُقد، وضدّ أذى الحاسد عندما يحسد.	ترجمة عبد العزيز
« Contre le mal provenant de ce qu'Il a créé, Contre le mal de la nuit lorsqu'elle s'obscurcit, Contre le mal de celles qui soufflent sur les nœuds * Et contre le mal de l'envieux lorsqu'il sévit ». <i>*Allusion directe à la magie, l'ère préislamique étant réputée propice aux jeteurs de sorts et aux sorciers.</i> <u>الترجمة العكسية:</u> ضدّ الشرّ المتأتّي ممّا خلّق، ضدّ شرّ الليل عندما تشتدّ ظلمته. ضدّ شرّ اللّاتي ينفثن في العُقد *. وضدّ شرّ الحاسد حين يحتدم/يشتدّ حسده. * إشارة مباشرة إلى السحر، إذ اشتهر في الجاهليّة انتشار السحرة والعرافين الذين يُلقون التعاويذ.	ترجمة شبل

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآيات: "مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)"¹.

- السِّياق المعرفي: السورة تعليم إلهي لكيفية الاستعاذة واللجوء إلى الله من أنواع الشرور المختلفة، والأمر بـ "قُلْ" موجّه للنبي صلى الله عليه وسلّم ولأمّته. ما يجعل هذه الكلمات صيغة تعوذ مقيدة ومباركة. ويوضح ابن عاشور أن الاستعاذة بـ "رب الفلق" أي "الصباح" هي استعاذة بالقادر على إزالة الظلمة "الليل" التي هي مظنة وقوع الشرور، ليقينا الله من شرورها. ثم تفصل السورة أنواعاً من الشرور هي من أشد ما يقع في الليل أو ما يرتبط به، كالسحر والحسد².

← التصريحات: يتمثّل المعنى الصريح بالأمر بالاستعاذة بالله من أربعة أنواع من الشرور:

1. من الشر العام الموجود في كل ما خلقه الله،
2. من شر الليل شديد الظلمة عندما يحلّ ويسود،
3. من شر السّاحرات اللّاتي ينفثن في العقد،
4. من شر الإنسان الحاسد عندما يُظهر حسده ويعمل بمقتضاه.

¹ سورة الفلق، الآيات 2 إلى 5.

² ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 30، ص. 625 إلى 630.

← التضمينات والآثار السياقية:

• الشرّ بمعنى الأذى والضرر: الشرّ في هذه الآيات يحيل إلى مفهوم الأذى والضرر الفعلي والمحقق الذي قد يصيب الإنسان من مصادر مختلفة، سواء كانت ظواهر طبيعية (الليل)، أو أفعال بشرية خبيثة (السحر والحسد). إذ تبدأ السّورة بالاستعاذة من الشرّ العام (شرّ ما خلق)، ثم تنتقل لتخصيص ثلاثة من أخطر أنواع الشرور وأكثرها خفاءً، مما يؤكد على خطورتها وضرورة الاستعاذة منها تحديداً.

• ربط الشرور بالخفاء والظلام: هناك رابط قوي بين الشرور المذكورة والظلام. إذ إنّ "الغاسق" هو الليل المظلم؛ والسحر غالباً ما يُمارس في الخفاء وفي ظلمة الليل؛ كذلك فإنّ الحسد المبطنّ شعور داخلي خفيّ يتطور في الظلام النفسي للحاسد قبل أن يظهر كأذى. وبذلك تكون الاستعاذة برب "الفلق"، وهو الصبح بعد ظلمة ليل كما بيّن ابن عاشور¹، هي استعاذة بالنور من شرور الظلمات.

• التركيز على مصدر الشرّ: يشير ابن عاشور إلى أن الاستعاذة من "النّفاثات" أي الساحرات وليس من "النفث" نفسه، لأنّهنّ مصدر الشر المتكامل. فقد يلجأ لوسائل أذى أخرى غير النفث كالسموم. وكذلك الاستعاذة من "الحاسد" نفسه عندما يظهر حسده، لأنّه هو مصدر الأذى².

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص 626.

² ابن عاشور، المرجع نفسه، ص. 628-629.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← الهدف التواصل: يتمثل في تعليم المسلم كيفية اللجوء إلى الله ربّ النور لطلب الحماية من الأضرار والأذى، سواء أكانت عامّة أم خاصّة، ظاهرة أم خفيّة. إذ تمنح السورة المسلم شعورًا بالطمأنينة والأمان، وتمدّه بالزاد الروحي لمواجهة مخاوفه من الشرور غير المرئية التي لا سلطان له عليها.

ب. تحليل الترجمات:

سنحلل فيما يلي الترجمات الأربع ونرى مدى تحقيقها للملاءمة بالمقارنة مع الأصل:

1. ترجمة حميد الله:

« Contre le mal des êtres qu’Il a créé
Contre le mal de l’obscurité * quand elle s’étend
Et contre le mal de celles qui soufflent sur les nœuds**,
Et contre le mal de l’envieux quand il envie*** »

**obscurité. Littér. = l’obscurcissant*

***Des sorcières qui nouaient des nœuds magiques sur lesquels elles soufflaient pour y attacher un sort.*

****pénétrante observation que d’égaliser le mal provenant d’un envieux_ à qui on n’a pas fait le moindre mal – aux autres maux contre lesquels l’homme se sent impuissant. Le mal de l’envieux est le moins attendu, et parfois même de la part des bénéficiaires de nos bienfaits. Seule solution chercher protection de Dieux !*

- الترجمة العكسية:

ضدّ شرّ الكائنات التي خلق،
ضدّ شرّ الظلمة * حينَ تنتشر،
وضدّ شرّ اللاتي ينفثن في العُقد **،
وضدّ شرّ الحاسد حينَ يحسد ***.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

*الظلمة. حرفيًا = ما يكتف الظلام.

**ساحرات كنّ يربطن عقداً سحرية وينفثن عليها لربط التعاويذ بها.

*** ملاحظة ثابتة أن يساوى الشرّ الصادر عن حاسدٍ — لم يلحقه أيّ أدّى منّا — بسائر الشرور التي يشعر الإنسان بالعجز أمامها. إنّ شرّ الحاسد هو الأقلّ توقّعاً، وأحياناً يصدر حتّى من أولئك الذين انتفعوا من إحساننا. الحلّ الوحيد: طلب الحماية من الله!

■ **الاختيار المعجمي:** استخدم حميد الله كلمة (mal) كمقابل للفظّة "شر" القرآنية. وهذا

الاختيار، وإن كان صحيحاً معجمياً، إلا أنّ مفهومه عامّ فقد يشمل الشر الأخلاقي والسوء والألم كما قد يحيل إلى الشدّة والفاقة. ولعلّ إدراك المترجم قصور الترجمة الحرفيّة في نقل معنى الأذى والضرر، باعتباره الأثر المحوري في السّورة، هو تبرير إضافته لحواشي تفسيرية مهمة لفظتي "غاسق" و"النفاثات". فيما تقدّم الحاشية الثالثة (***) على وجه الخصوص تحليلاً لـ "شرّ الحاسد"، وتصفه بأنه الأقلّ توقّعاً فقد يتأتى حتّى من أولئك الذين نحسن إليهم، مبرزاً بذلك أنّ اللّجوء إلى الله هو الحل الوحيد.

■ **الأثر المعرفي:** يظهر الأثر ضعيفاً في النصّ الأساسي بسبب عمومية كلمة (le

mal). إلا أنّ الحواشي ترفع هذا الأثر بشكل كبير بتقليلها فجوة الافتراضات السياقية

المحتملة لدى القارئ غير المطلع. إذ إنّها لا تكتفي بتوضيح المعاني، كالساحرات، بل

تقدم آثاراً سياقية وتضمينات عميقة متعلّقة بشر الحاسد. وقد نجحت الحاشية الثالثة في

نقل أثر "خفاء وغدر شر الحاسد" باعتباره أذى غير متوقّع وهو من أهم الآثار السياقيّة

للآية. وهذا المسعى يبيّن نيّة المترجم لنقل الفهم العميق للآية لا معناها الحرفي فحسب.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

كما تحافظ الترجمة على الانتقال من عموم الشر (mal des êtres) إلى خصوصه في تفرعات الليل والساحرات والحاسد.

■ **الجهد الذهني**: يبقى الجهد الذهني مرتفعاً نسبياً، لأن القارئ مضطر لقراءة النص والحواشي معاً للحصول على الصورة الكاملة. إذ يبدو لنا أنّ هذه الاستراتيجية - أي اعتماد الحواشي - تكسر تدفق النص وتجعل الترجمة أقل بلاغة مقارنة بالترجمة التي تدمج المعنى في النص نفسه.

■ **درجة الملاءمة**: تُسهم الحواشي التي أدرجها المترجم على نقل الآثار المعرفية الهامة، لاسيما المتعلقة منها بالحسد كتعويض لعمومية الاختيار المعجمي في النص الأساسي. إذ تُظهر جهداً تفسيريّاً من لدن المترجم من أجل تحقيق التشابه التأويلي؛ وقد وُفق في إعادة إنتاج الأثر المعرفي للمقصد القرآني ما يجعل درجة ملاءمة ترجمته عاليةً.

2. ترجمة جاك بيرك:

- « Contre le **ravage** causé par Sa créature
- « Contre le **ravage** de l'heure où la nuit s'épaissit »
- « Contre le **ravage** de celles qui soufflent sur des nœuds »
- « Contre l'**envie** de l'envieux »

- الترجمة العكسية:

"ضدّ الضرر الجسيم الذي تُسبّبه مخلوقاته،

ضدّ الضرر الجسيم للسّاعة التي يشتدّ فيها الليل،

ضدّ الضرر الجسيم الذي تُسبّبه اللَّاتِي ينفثن في العُقد،

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ضدّ حسد الحاسد".

▪ الاختيار المعجمي: استخدم بيريك كلمة (ravage) أي (الضرر الجسيم) كمقابل

للفظة "شرّ" القرآنية. ولئن بحثنا عن معناها في القاموس الفرنسي لوجدنا أنها تعني:

« Dommage physique ou moral résultant de l'âge, des excès, des fléaux sociaux, de la maladie »¹.

أي: ما يلحق الإنسان من ضرر جسدي أو معنوي ناتج عن التقدّم في السنّ، أو

الممارسات المفرطة أو الآفات الاجتماعية أو عن المرض. (ترجمتتا)

« Effet désastreux de quelque chose sur quelqu'un, sur l'organisme, dans la société »²

أي: الأثر الوخيم الذي يحدثه أمر ما على الإنسان أو الجسم أو المجتمع. (ترجمتتا)

وبناءً عليه، يبدو اختيار (ravage) موفقاً باعتبار أنه ينقل معنى الضرر المادي الجسيم

والمحقق، وهو جوهر الشرّ في هذه السورة.

فيما نقلت الترجمة (شرّ حاسد إذا حسد) في الآية الأخيرة، " إلى (l'envie) (حسد الحاسد)،

مركزةً على الشعور نفسه ومحوّلة الاستعاذة من ضرر الحاسد إلى الاستعاذة من الحسد.

▪ الأثر المعرفي: يظهر الأثر المعرفي المتمثل في الأذى والضرر محققاً داخل النصّ

نفسه في الآيات الثلاث الأولى. كما تحقق أثر ربط الشر بالظلام من خلال التركيز على

¹ Ravage, in : CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/ravage>, (consulté, le : 21/10/2025).

² Dictionnaire LAROUSSE, <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/ravage/66691>, (consulté, le : 21/10/2025)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الساعة التي يشتدّ فيها الليل (l'heure où la nuit s'épaissit) . كما تركّز الترجمة على

مصدر الضرر (Le ravage de celles.../ le ravage causé par...).

فيما يبرز إسقاط ravage في الآية الأخيرة واستبداله بكلمة envie أن الحسد هو الضرر

الجسيم الكامن في النفس وهو أثر دقيق في إظهاره كشعور خفي.

■ **الجهد الذهني:** باعتبار التركيب البلاغي السلس والواضح في آن، لا يتطلب إدراك

الآثار المعرفية جهداً إضافياً من القارئ. وعليه تكون درجة الجهد الذهني في هذه الترجمة

منخفضة.

■ **درجة الملاءمة:** تحقق هذه الترجمة أثر معرفي كبير بأقل جهد ذهني ممكن عبر

دمج التفسير في صلب النص ما يجعلها ذات ملاءمة عالية.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Contre la nuisance de ce qu'Il A Créé,

Et contre la nuisance de la sombre obscurité quand elle plane,

Et contre la nuisance des sorcières qui soufflent sur les nœuds,

Et contre la nuisance de l'envieux quand il envie ».

- الترجمة العكسية:

ضدّ أذى ما خَلَقَ،

وضدّ أذى الظلمة الداكنة حينَ تحلّ،

وضدّ أذى السّاحرات اللّاتّي ينفثن في العُقد،

وضدّ أذى الحاسد عندما يحسد.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

▪ الاختيار المعجمي: استخدمت المترجمة لفظة (nuisance) كمقابل للفظه "شرّ"

القرآنية. ويبدو لنا أنّ هذا المقابل يحمل طيفاً من المعنى يتراوح بين الأذى المادي

والضرر النفسي، محافظة على معنى الضرر الفعلي المحقق.

كما ترجمت ظواهر الليل (sombre obscurité quand elle plane) والنفاثات (sorcières

qui soufflent sur les nœuds)، والحاسد (l'envieux quand il envie) بصيغ مباشرة

ومحدّدة الدلالة.

▪ الأثر المعرفي: نجحت الترجمة في نقل الأثر المحوري (الأذى والضرر) بشكل

واضح ومتكرر في جميع الآيات، مما يحقق التشابه التأويلي المطلوب مع الأصل.

كما أنّ إعادتها لبعد شرور الليل (حلول الظلمة الداكنة) والحضور الواضح "للساحرات" يربط

القارئ للترجمة بالسياق المعرفي للأصل ويتيح له الوصول إلى الآثار المعرفية الواردة فيه.

▪ الجهد الذهني: صياغة الترجمة واضحة ومباشرة ومناسبة للسياق تماماً، ما يسهّل

على القارئ فهم المعنى المقصود دون عناء.

▪ درجة الملاءمة: بالموازنة بين كم الآثار المعرفية المحققة والجهد المبذول من القارئ

للاستدلال عليها، يتبيّن أنّ الترجمة تحقق أحسن توازن بين الدقة في نقل المعنى (الأذى

والضرر) والوضوح وسهولة الفهم، مع الحفاظ على الاتساق عبر جميع الآيات المترجمة.

4. ترجمة شبل:

« Contre le mal provenant de ce qu'Il a créé,

Contre le mal de la nuit lorsqu'elle s'obscurcit,

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

Contre le mal de celles qui soufflent sur les nœuds *

Et contre le mal de l'envieux lorsqu'il sévit ».

**Allusion directe à la magie, l'ère préislamique étant réputée propice aux jeteurs de sorts et aux sorciers.*

- الترجمة العكسية:

ضد الشر المتأتي مما خلق.

ضد شر الليل حينما تشتد ظلمته،

ضد شر اللاتي ينفثن في العقد*.

و ضد شر الحاسد حين يشتد/يحتدم حسده.

* إشارة مباشرة إلى السحر، إذ اشتهر في الجاهلية انتشار السحرة والعرافين الذين يُلقون التعاويذ.

■ الاختيار المعجمي: استخدم شبل لفظة (le mal)، وهو الاختيار العام نفس الذي استخدمه

حميد الله. فيما ترجم "إذا حسد" بـ (lorsqu'il sévit) أي (حين يشتد/يحتدم). ويعتبر هذا

الاختيار موفقاً لتوضيحه المقصود أن الحسد هو الذي يتحول إلى فعل ضار.

■ الأثر المعرفي: باعتبار عمومية لفظة (mal) يكون الأثر المعرفي في معظم الآيات مغيباً

ولا يجسد الأذى والضرر المحققين بشكل مباشر كما جاء في الترجمتين السابقتين. لكنه

يرتفع بشكل ملحوظ في الآية الأخيرة جراء استخدام فعل "sévit" الذي ينقل أثر تحول

الحسد إلى أذى فعلي. فهو لا يترجم مجرد "الحسد" كشعور، بل يترجم لحظة تحول هذا

الشعور إلى فعل ضار ومدمر؛ ما يتوافق تماماً مع تفسير ابن عاشور القائل "إذا أظهر

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

حسده وعمل بمقتضاه¹. هذا الاختيار يزيد من الآثار المعرفية للترجمة التي بقيت محافظة على بنية الانتقال من العام إلى الخاص.

- **الجهد الذهني:** هو في هذه الترجمة منخفض لسلاسة العبارات ووضوحها. زد على ذلك إدراج الحاشية التوضيحية التي تثري السياق وتسهّل الفهم.
- **درجة الملاءمة:** متوسطة بسبب عمومية لفظة (le mal) التي غيّبت بعض الآثار المعرفية للأصل وحالت دون زيادة التشابه التأويلي بينهما.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

نستشفّ مما سبق أن التحدي الأكبر يكمن في ترجمة كلمة "شر" بما يحقّق أثرها المحوري المتمثل في الأذى والضرر الفعلي والمحقق. وفي هذا السياق، تبرز ترجمة عبد العزيز الأكثر ملاءمة لاستخدامها كلمة "nuisance" (أذى/ضرر) بشكل متسق ودقيق، فنجحت في تحقيق التشابه التأويلي الكامل مع الآيات المصدر بأقل جهد ذهني على القارئ. تأتي ترجمة جاك بيرك في مرتبة متقدمة بفضل اختيارها الموفق لكلمة "ravage" (خراب/ضرر جسيم) التي نقلت بفعالية معنى الضرر المادي، ما جعلها ذات ملاءمة عالية. أمّا ترجمة حميد الله، فعلى الرغم من عمومية اختيارها لكلمة (mal) إلا أنّها عوضت ذلك بحواشٍ تفسيرية عميقة نقلت الآثار المعرفية الهامة، ما رفع ملاءمتها إلى درجة عالية كذلك. وهذا يفيد بأنّ استراتيجية الحواشي، عند الاقتضاء، من شأنها أن تزيد من ملاءمة

¹ ابن عاشور، مرجع سابق، ص 629.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الترجمة. أخيراً، قدمت ترجمة شبل ملاءمة متوسطة. فبينما استخدمت كلمة (mal) العامة، إلا أنها تميزت بترجمتها الدقيقة لـ "إذا حسد" بالفعل (sévít)، ما أظهر إدراكاً للحظة تحول الحسد إلى فعل ضار. مع ذلك، حالت صفة العمومية التي طبعت باقي الترجمة دون تحقيق تشابه تأويلي أكبر مع الآيات الأصلية.

الترجمة والتحليل	
الآية	"مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) ... (الآيات من 2 إلى 5، سورة الفلق)
حميد الله	« Contre le mal des êtres qu'Il a créé... »
	الاختيار المعجمي: الشر = mal
	الأثر المعرفي: كبير
	تتقل الحواشي بنجاح الآثار السياقية الهامة ما يعوّض عن عمومية نص الترجمة.
	الجهد الذهني: متوسط إلى مرتفع، للحاجة إلى التنقل المستمر بين النص والحواشي لفهم المعنى الكامل.
بيرك	درجة الملاءمة: عالية.
	لتحقيقها التشابه التأويلي المطلوب مع الآيات الأصلية.
	« Contre le ravage causé par Sa créature... »
	الاختيار المعجمي: الشر = le ravage
	الأثر المعرفي: كبير.
	نجحت في نقل جل الآثار داخل النص ذاته.
	الجهد الذهني: منخفض
	بفضل التركيب البلاغي السلس والواضح.
	درجة الملاءمة: عالية
نجحت في تحقيق تشابه تأويلي مع النص الأصل.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Contre la nuisance de ce qu’Il A Créé...	عبد
الاختيار المعجمي: الشر = la nuisance	العزیز
الأثر المعرفي: أكبر ما يكون تكاد تحقق تشابها تأويلياً كاملاً بنقلها لكل الآثار المعرفية الواردة في الآيات بوضوح تام.	
الجهد الذهني: أخفض ما يكون التركيب واضح وسلس ومناسب تماماً للسياق	
درجة الملاءمة: مثلى لتحقيقها تشابها تأويلياً أقرب ما يكون للأصل ومحافظة على جل الآثار المعرفية بأقل جهد ممكن من القارئ الفرنسي.	
« Contre le mal provenant de ce qu’Il a créé...	شبل
الاختيار المعجمي: الشر = le mal	
الأثر المعرفي: متوسط. عمومية المقابل الفرنسي للشر تضعف المقصد في معظم الآيات، مع استدراك له في الآية الأخيرة.	
الجهد الذهني: منخفض بفضل سلاسة العبارات والحاشية المرفقة.	
درجة الملاءمة: متوسطة باعتبار كم الآثار المحققة في الترجمة ما يجعلها تبتعد من حيث التشابه التأويلي عن الأصل القرآني.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

1.3.5. ثنائية الخير والشر بمعنى الأفضلية والمفاضلة

رأينا في الفصل السابق أنّ الوجه الثاني الذي تتجلى فيه ثنائية «الخير والشر» يتمثل في معناها القائم على الأفضلية والمفاضلة، حيث لا يُقدّم «الخير» و«الشر» بوصفهما ضدّين مطلقين، بل باعتبارهما قيمتين متفاوتتين في الدرجة والرتبة. وبعبارة أخرى، يُحيل «الخير» إلى ما هو أرجح فضلاً وأسمى منزلةً وأكمل نفعاً: خيرٌ وأخير؛ في حين يدلّ «الشر» على ما هو أدنى رتبةً أو فاقد الاستقامة: شرٌّ وأشرّ. وسنتناول فيما يلي تحليل بعض النماذج من ترجمات هذه الثنائية في هذا الوجه تحديداً قصد تقييم مدى ملاءمتها المعرفية مع مقاصد الخطاب القرآني وتمثّلاته المفهومية.

❖ النموذج الأول: الخير بمعنى أخير وأفضل

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" (110، سورة آل عمران)	الآية
« Vous êtes la meilleure communauté, qu'on ait fait surgir pour les hommes. Vous ordonnez le convenable, et vous interdisez le blâmable et vous croyez en Dieu. Si les gens du Livre croyaient, ce serait meilleur pour eux ; il y en a qui sont croyants, mais la plupart d'entre eux sont des pervers ». (p.70) <u>الترجمة العكسية:</u> "أنتم أفضل جماعة أُبرزت/أُنشئت للناس. تأمرون بما هو صالح، وتنهون عما هو مستنكر، وتؤمنون بالله. لو آمن أهل الكتاب، لكان ذلك أفضل لهم؛ يوجد منهم مؤمنون، ولكن معظمهم فسقة".	ترجمة حميد الله
« Vous aurez été la meilleure communauté jamais produite aux hommes pour ordonner le convenable, proscrire le blâmable et croire en Dieu. Si les Gens du Livre étaient des croyants, mieux pour eux cela vaudrait. Or il en est qui croient. Mais la plupart sont des scélérats ». (p. 82).	ترجمة بيرك

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

<u>الترجمة العكسية:</u> كنتم قد شكّلتكم أفضل جماعة استحدثت للناس على الإطلاق لكي تأمروا بما هو صالح، وتحظروا ما هو منكر وتؤمنوا بالله. لو كان أهل الكتاب مؤمنين، لكان ذلك أنسب لهم. ولئن يوجد منهم من يؤمن إلا أنّ معظمهم أشرار/آثمين".	
« Vous étiez la meilleure Communauté produite pour les hommes: vous commandez le bon usage, vous interdisez le répréhensible et vous croyez en Allah. Et si les gens du Livre avaient eu foi, cela aurait été meilleur pour eux. Il est parmi eux des croyants, mais la plupart d'entre eux sont les perversis ». (p.123) <u>الترجمة العكسية:</u> "لقد كنتم أفضل جماعة استحدثت للناس: تأمرون بالعرف الحسن، وتنهون عما يستوجب الانكار وتؤمنون بالله. ولو كان أهل الكتاب ذوي إيمان، لكان ذلك أفضل لهم. يوجد بينهم مؤمنون، ولكن معظمهم المنحرفون".	ترجمة عبد العزیز
« Vous formez la meilleure communauté qu'on ait fait surgir auprès des hommes, vous appelez au bien et vous refusez le mal. Vous croyez en Dieu. Si les gens du Livre voulaient croire, cela serait mieux pour eux. Certains sont croyants, mais la plupart sont des pervers* ». (p.61) * <i>Fasiq : pervers.</i> <u>الترجمة العكسية:</u> "أنتم تشكّلون أفضل جماعة أُخْرِجَت بين الناس، تدعون إلى الخير وترفضون الشر. أنتم تؤمنون بالله. لو أراد أهل الكتاب أن يؤمنوا، لكان ذلك أفضل لهم. البعض مؤمنون، لكن معظمهم منحرفون*" *فاسق: منحرف.	ترجمة شبل

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ

وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" ¹

¹ سورة آل عمران، الآية 110.

- السياق المعرفي:

تأتي هذه الآية في سياق تعليل وتأكيد الأمر الإلهي الوارد في السورة نفسها الآية 104 منها، والذي يحث المسلمين على تكوين جماعة منهم تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر. إذ ترفع الآية من شأن هذه المهمة وتجعلها علّة لخيرية الأمة الإسلامية وسبب تفضيلها على سائر الأمم. وهذا الخطاب موجه للمسلمين - إمّا للصحابة تحديداً كأفضل جيل، أو للأمة الإسلامية ككل عبر العصور - ويضعهم في مفاضلة مباشرة مع الأمم الأخرى، خاصة أهل الكتاب الذين قصروا في هذه المهمة¹.

← **التصريحات:** يتمثل المعنى الصريح والمباشر للآية في إخبار المسلمين بأنهم أفضل أمة أوجدها الله وأظهرها للناس كافة. وتوضح الآية أن موجب هذه الخيرية يكمن في اضطلاعهم بأمور أساسية ثلاثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله. يلي هذا التوضيح تذكيرٌ بحقيقة شرطية وهي: أنه لو آمن أهل الكتاب الإيمان الصحيح لكان ذلك أفضل لهم، لتختم الآية ببيان أن قلة منهم فقط هم المؤمنون أي الذين أسلموا وأن غالبيتهم فاسقون.

← التضمينات والآثار السياقية:

- ربط الخيرية بالمسؤولية: وهذا هو الأثر المحوري للآية، ويتمثل في أنّ خيرية هذه الأمة ليست مجرد تشريف، بل هي نتيجة مباشرة لمسؤولية عظيمة تقوم بها، وهي الأمر

¹ ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 4، ص. 48 إلى 54.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا الأثر يحفز الأمة على التمسك بهذه المهمة لأنها سرّ تفوقها ووجودها كأفضل أمة.

• **تحديد معايير الأفضلية:** لا تترك الآية الأفضلية مفتوحة، بل تقيدها بمعايير واضحة تتمثل في:

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو المعيار الذي يميز المؤمنين بشكل خاص

عن أهل الكتاب الذين كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه.

2. الإيمان بالله: وهو المعيار الذي يميزهم عن المشركين الذين لا يساوون من آمن بالله رغم خدمتهم البيت الحرام.

• **الشمولية والمسؤولية العالمية:** تحمل جملة (أُخرجت للناس) أثرًا بأن رسالة هذه الأمة ومسؤوليتها ليست خاصة بها، بل هي موجهة للبشرية جمعاء. فخيريتها تكمن في نفعها للآخرين بإرشادهم إلى المعروف ونهيهم عن المنكر.

• **تعريض وتحفيز لأهل الكتاب:** تحمل جملة (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم) أثرين إثنين: أولهما تعريض بأنهم ليسوا على الخير الكامل ما داموا لم يؤمنوا بالإسلام، وثانيهما تحفيز لهم بأن باب تحصيل هذا الخير لا يزال مفتوحًا لهم إن هم آمنوا.

• **ضمان إلهي باستمرارية الخير:** كما أشار ابن عاشور، فإن وصف الأمة كلها بأنّها تأمر بالمعروف هو بمثابة ضمان إلهي بأن هذه المهمة لن تنقطع عن الأمة الإسلامية، وسيظل هناك دائمًا طائفة تتولى القيام بها.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← الهدف التواصل: يتمثل في ترسيخ هوية الأمة الإسلامية وتحديد مهمتها الحضارية

ورسالتها العالمية. إذ تتجلى مقاصد الآية في:

- تحفيز المسلمين من خلال حثهم على الاعتزاز بهويتهم والقيام بمسؤوليتهم في

إصلاح المجتمع البشري عبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- وتثبيتهم من خلال تأكيد مكانتهم وأفضليتهم المبنية على أسس عقدية وعملية

واضحة.

- ودعوة الآخرين لاسيما أهل الكتاب إلى الانضمام إلى هذا الخير عبر الإيمان

بالرسالة الخاتمة، وتوضيح أن التقصير في مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر كان سبباً في فقدانهم لهذه الخيرية.

ب. تحليل الترجمات:

بعد أن حدّدنا السّياق المعرفي والآثار السياقية للآية الكريمة، ننقل الآن إلى تحليل

الترجمات الأربع في ضوء نظرية الملاءمة. سننظر في مدى نجاح كل مترجم في نقل

المعاني الدقيقة والأهداف التواصلية للنص الأصلي، مع التركيز على تحقيق أكبر قدر من

التشابه التأويلي بأقل جهد ذهني ممكن على القارئ الفرنسي.

1. ترجمة حميد الله:

« Vous êtes la **meilleure** communauté, qu'on ait fait surgir pour les hommes.

Vous ordonnez le convenable, et vous interdisez le blâmable et vous croyez en

Dieu. Si les gens du Livre croyaient, ce serait **meilleur** pour eux ; il y en a qui

sont croyants, mais la plupart d'entre eux sont des pervers ».

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الترجمة العكسية:

"أنتم تشكّلون أفضل جماعة أبرزت/أنشئت للناس. تأمرون بما هو صالح، وتنهون عما هو مستكر، وتؤمنون بالله. لو آمن أهل الكتاب، لكان ذلك أفضل لهم؛ يوجد منهم مؤمنون، ولكن معظمهم فسقة".

- الاختيار المعجمي:

- كنتم خير أمة: (Vous êtes la meilleure communauté) أي أخير وأفضل جماعة. يعكس هذا المقابل المباشر بدقّة ووضوح معنى أفضلية الجماعة والطائفة المخاطبة بالآية. إلّا أنّ المترجم استخدم في مقابل الفعل الماضي (كنتم) الوارد في نص الآية صيغة الحاضر (Vous êtes) أي (أنتم تشكّلون). وهذا الاختيار يغيّر الزمن الذي تشير إليه (كان) في النص الأصلي. فهو يحوّل الإخبار عن حقيقة متحققة في الماضي ومستمرة إلى وصفٍ للحالة الراهنة. ولعل المترجم قد قصد باختياره هذا معالجة الإشكالية التفسيرية التي أشار إليها ابن عاشور ومفادها أنّ من المفسرين من التبس عليهم معنى الفعل "كنتم" وخافوا أن يفهم منه انقطاع الخيرية بانقضاء الماضي، فلجأوا إلى تأويلات متعدّدة تُثبت استمرار الصفة وديمومتها. فقال بعضهم إنّ الإخبار بالماضي يُفيد تحقق الخيرية في علم الله وقدره الأزلي؛ ونسب آخرون ثبوتها في اللوح المحفوظ. فيما جعلها

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

آخرون بمعنى "صار" للدلالة على التحوّل إلى مرتبة الخيرية بعد البعثة. كلّ ذلك في مسعى لتجاوز الحرفيّة الزمنيّة في الفعل وإثبات دوام الخيرية للأمة¹. ولربما قد وفق المترجم في تفادي مشكلة انقطاع الخيرية من خلال استخدام صيغة الحاضر؛ ولكنه في المقابل أغفل دلالة التحقق والثبوت في الماضي التي أشار إليها المفسرون.

• أُخرجت: (ait fait surgir)، وهي تعكس مفهوم الإيجاد والإظهار في عالم الدنيا كما قال به ابن عاشور².

• المعروف/المنكر: ترجم لفظة المعروف بـ (le convenable) ويعني به ما اتّفق على صلاحه من أعمال، والمنكر بـ (le blâmable) أي ما يستوجب الانكار من عمل. وقد وفق المترجم في نقل المعنى الاصطلاحي للفظتين القرآنيتين "المعروف والمنكر". إذ يعرف ابن عاشور "المعروف" بأنّه ما استقرّ قبوله في الفطرة والعقل والشرع، فهو ما يُعرف بالاستحسان ويُرضى به في ميزان الحقّ والصلاح. أما "المنكر" فمرتبطٌ في أصل لفظه بالجهل وعدم الألفة ويدلّ مجازاً عمّا يُكره ويُرفض في الجبلة والعقل السليمين، فهو ما استتكرته الفطرة السليمة وعدّته من قبيل الباطل والفساد³. وهذا التعريف يتوافق تماماً مع الاختيار المعجمي لحמיד الله.

¹ يراجع: ابن عاشور، مرجع سابق، ص 49-50.

² ابن عاشور، المرجع نفسه، ص 50.

³ ابن عاشور، المرجع نفسه، الجزء 4، ص 40.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

• خيراً لهم: (meilleur pour eux) لا غرو أنّ خيراً هنا يعني الأنسب والأفضل لهم بمعنى أنّ الإيمان أفضل من حيث القيمة ما يمنحهم منزلة أفضل من منزلتهم الحالية،

فالمفاضلة هاهنا قيمية أخلاقية. وهي تتسجم مع تعريف قاموس Le Littré:

¹ « Meilleur : qui convient mieux à, qui vaut mieux pour »

أي ما هو أنسب وأفضل وأرفع قيمة. وهو بذلك مقابل مباشر ويعكس بدقّة معنى الخير في هذا الموضع بالذات.

- **الأثر المعرفي**: وفّقت الترجمة في تحقيق جميع الآثار المعرفية المحورية للآية وذلك بفضل اختيار المقابلات المعجمية الدقيقة لنقل المفاهيم القرآنية في شقي الآية. فقد أعادت إنتاج الترجمة أثر خيرية الأمة وأفضليتها بوضوح من خلال جملة (meilleure communauté). كما حققت لفظتا convenable/blâmable بدقّة الأثر المتعلق بمعايير هذه الخيرية. فيما تنقل لفظة meilleur في الشق الثاني من الآية أثر التعريض لأهل الكتاب بأنهم ليسوا على الخير وفاقدوا الخيرية ما داموا غير مؤمنين. إلّا أنّ استخدام صيغة الحاضر يضاعف من أثر الثبوت التاريخي والديمومة الذي تحمله "كنتم" إذ يصبح الوصف أنياً أكثر منه حقيقةً ممتدة عبر الزمن.

- **الجهد الذهني**: الصياغة اللغوية واضحة وسلسة ولا تتطلب جهداً استدلالياً كبيراً لإدراك المعاني المكتتفة في الآية.

¹ Dictionnaire le Littré, <https://www.littre.org/definition/meilleur>, (consulté, le : 23/10/2025)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- **درجة الملاءمة:** باعتبار الكم الكبير للآثار المعرفية المحققة في الترجمة وانخفاض الجهد الذهني المطلوب للاستدلال عليها تكون الترجمة قد حققت درجة عالية من الملاءمة مع النص القرآني، ولولا التغيير الزمني من الماضي إلى المضارع لكان التشابه التأويلي تاماً مع الأصل.

2. ترجمة بيري:

« Vous aurez été la **meilleure** communauté jamais produite aux hommes pour ordonner le convenable, proscrire le blâmable et croire en Dieu. Si les Gens du Livre étaient des croyants, **mieux** pour eux **cela vaudrait**. Or il en est qui croient. Mais la plupart sont des scélérats ».

- الترجمة العكسية:

"كنتم قد شكّلتكم (عند من تقدمكم من الأمم)¹ أفضل جماعة استُحدثت للناس على الإطلاق كي تأمروا بما هو صالح، وتمنعوا ما هو مستنكر وتؤمنوا بالله. لو كان أهل الكتاب مؤمنين، لكان ذلك أنسب لهم. ولئن يوجد منهم من يؤمن إلا أنّ معظمهم أشرار/آثمين".

- الاختيار المعجمي: ثمة أربعة اختيارات فارقة في ترجمة بيري نجملها فيما يلي:

¹ الإضافة من عندنا. إذ يبدو أنّ بيري في هذا الموضع قد أخذ بقول أورده القرطبي في تفسير زمن الفعل "وقيل: جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وأمته. فالمعنى كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتب خير أمة". يراجع: تفسير القوطبي، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura3-aya110.html#qortobi>، (تاريخ المراجعة: 2025/10/24).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

• كنتم خير أمة: (Vous aurez été la meilleure communauté) أي (كنتم قد شكلتم أفضل جماعة) عند من تقدمكم من أهل الكتاب. وقد استخدم بترك صيغة المستقبل التام (futur antérieur) كمقابل للفعل الماضي (كنتم). ولئن بدا هذا الاختيار معقداً نحوياً في هذا الموضع باعتبار أنه يفيد تأكيد حدثٍ يعتبر منتهياً ومكتملاً في المستقبل، يترأى لنا استناده المحتمل إلى تفسير القرطبي القائل إنّ (كنتم) تشير إلى البشارة المسبقة بالأمة في كتب السابقين. وقد لجأ إلى صيغة المستقبل التام للتعبير عن هذا المعنى المركب أي حدث مستقبلي - وهو ظهور الأمة - جاء التنبؤ به ووصفه في الماضي - أي في كتب السابقين - ويكون بذلك قد حوّل البشارة إلى بنية زمنية تتجاوز إشكالية الماضي المنقطع.

• أخرجت: (produite) أي (استحدثت/أنشئت) وهذه اللفظة توحى بالخلق والإنشاء والإظهار إلى الوجود كما يعرفها القاموس:

1. « Provoquer l'apparition de quelque chose, le créer »¹
2. « Faire exister, naturellement ou non, ce qui n'existe pas encore ; créer, faire apparaitre »²

وكأنّ لهذا المنتج المستحدث - أي الأمة - مواصفات محدّدة فصلت فيما تلى.

• تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر: (pour ordonner le convenable/

proscrire le blâmable) أضاف بترك أداة Pour (لكي) ما حوّل الجملة من مجرد

¹ Dictionnaire LAROUSSE, <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/produire/64134> (consulté, le : 23/10/2025)

² CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/produire>, (consulté, le : 23/10/2025)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وصف حال إلى بيان للعلة والغرض. وفي ذلك ربط للخيرية بالوظيفة التي تليها بشكل مباشر وصريح -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله - وتأكيّد بأن الوظيفة هي غاية وجود الأمة.

• خيراً لهم: (mieux pour eux cela vaudrait) أي الأنسب والأجدى نفعاً لهم. فهو يركز على جانب الجدوى من الخيرية. وهذا الاختيار أقل شمولية من مفردة meilleur باعتبار أنّ جوهر معنى "خيراً لهم" هو الأفضلية في القيمة والمرتبة كما قال به ابن عاشور وليس الجدوى النفعية بشكل أساسي.

- الأثر المعرفي: على غرار ترجمة حميد الله، تتجح ترجمة بيريك في تحقيق الأثر المتعلق بمعايير الخيرية لاستخدامها المقابلات ذاتها (convenable/blâmable)، كما تعزز أثر ربط الخيرية بالمسؤولية من خلال جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاية وعلة صريحة لوجود الأمة. لكنها تختلف عنها في باقي الآثار. إذ لا تقدم ترجمة بيريك أثر خيرية الأمة وأفضليتها كحقيقة ثابتة ومستمرة بل تعرضها كبشارة مسبقة في الماضي. وهذا الاختيار، المستند إلى قول وارد في تفسير القرطبي، قد يستدل به على أثر معرفي إضافي وهو النبوءة المتحققة والحجة على أهل الكتاب، لكنّه في المقابل يضعف أثر ثبوت الخيرية واستمرارها وعدم انقطاعها كما ورد في السياق المعرفي للأصل. كما يضعف استخدام (mieux vaudrait) في الشق الثاني من الآية من الأثر الشمولي

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

للخيرية كأفضلية عامة في التراتبية والقيمة ليخصّها بالجدوى، ما يعدّل من طبيعة أثر التعريض والتحفيز الموجه لأهل الكتاب.

- **الجهد الذهني:** يتطلب فهم ترجمة بيرك جهداً ذهنياً كبيراً من لدن القارئ، وذلك لسببين رئيسيين: أولهما استخدام صيغة زمنية معقّدة وهي المستقبل التام التي تتطلب قدرة على التحليل لفهم البعد الزمني المركب (البشارة في وقت سابق) الذي يقصده المترجم. أما السبب الثاني فيتمثل في غياب التوجيه الذي يزيد من هذا الجهد؛ فلو أنّ بيرك أرفق ترجمته بحاشية تفسيرية توضح استناده إلى قول محدّد لكان قد جنّب القارئ العادي جهد التخمين والبحث للوصول إلى مراد الترجمة. وعليه، فإن الجهد الذهني في هذه الترجمة يبدو مرتفعاً على نحو كبير.

- **درجة الملاءمة:** يعتمد تحديد درجة الملاءمة بشكل كبير على طبيعة القارئ المستهدف. فلئن كانت هذه الترجمة ذات ملاءمة عالية في السياق المعرفي لقارئ متخصص نظراً لمسندها التفسيري، فإنّها ستغدو ذات ملاءمة منخفضة لعموم القراء. إذ إنّ تعقيدها اللّغوي وغياب الحاشية التوضيحية يضعفان معيار الوضوح فيها ويجعلانها تخل بتوازن الملاءمة المطلوب؛ حيث أنّها تضحّي بآثار أساسية كثبوت الخيرية وديمومتها في سبيل تحقيق أثر نخبوي ما يجعل ملاءمتها العامة متوسطة في أفضل الأحوال.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Vous étiez la meilleure Communauté produite pour les hommes :
vous commandez le bon usage, vous interdisez le répréhensible et

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

vous croyez en Allah. Et si les gens du Livre avaient eu foi, cela aurait été meilleur pour eux. Il est parmi eux des croyants, mais la plupart d'entre eux sont les perversis ».

- الترجمة العكسية:

"لقد كنتم أفضل جماعة استُخْدِثَتْ/أُنشِئَتْ للنَّاسِ: تأمرون بالعرف الحسن، وتتهون عما يستوجب الانكار (هو مستكر) وتؤمنون بالله. ولو كان أهل الكتاب ذوي إيمان، لكان ذلك أفضل لهم. يوجد بينهم مؤمنون، ولكن معظمهم المنحرفون".

- الاختيار المعجمي:

- كنتم خير أمة: (Vous étiez la meilleure communauté) استخدمت المترجمة صيغة الماضي الناقص (Imparfait)، وهو اختيار موفق لأنّه ينقل معنى التحقق والثبوت في الماضي الذي يحمله فعل الكينونة القرآني (كنتم). كما أنّه يوحي بالاستمرارية وعدم الانقطاع باعتبار أنّ صيغة الماضي الناقص تستخدم للدلالة على حدث مستمر ومتكرّر. وبذلك تكون المترجمة قد وفّقت في تقديم حلّ للإشكالية التفسيرية التي أشار إليها ابن عاشور.
- أُخْرِجَتْ: (produite) على غرار بيريك، استخدمت المترجمة الفعل (produire) الذي يوحي بالإنشاء والإظهار إلى الوجود.
- المعروف: (le bon usage): أو العرف الحسن، ولعلّ هذا الاختيار يقترب من المعنى الذي أورده ابن عاشور بأنّ المعروف هو ما تعرفه الفطر السليمة وتستحسنه

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

العقول الراجحة وهو الحق والصالح¹. أي ذلك السلوك النابع من عُرف اجتماعي وأخلاقي سليم.

« Coutume établie et acceptée dans une société »²

وهذا السلوك يقتضي ألا يُتجاوز بل يُراعى ويُحترم.

« Les habitudes, les comportements qu'il convient de respecter, qui ne doivent pas être transgressés »³.

ويلاحظ هنا تركيز المترجمة على طبيعة الفعل الإيجابية والتي عززتها بإسنادها الصفة (bon) للفظة الرئيسية (usage) ما يجعل هذه الممارسة (أي العرف الحسن) مقبولة وحسنة وأساس بناء المجتمع الصالح.

• المنكر: (répréhensible) أي ما يستوجب الاستنكار والشجب من سلوك. وتركز المترجمة من خلال خيارها هذا على الحكم المترتب عن السلوك السيء وهو ما يجب أن يواجهه المجتمع الصالح بالرفض والإنكار. ويظهر مسعى المترجمة إلى عكس هذا الاختلاف بين المعروف والمنكر، إذ ترجمت الأول بما يدلّ على البناء الإيجابي والصالح، وترجمت الثاني بما يدلّ على رد الفعل اللازم لمواجهته. وهذا الوعي من لدنها يتجلى في عدم وقوعها في فخ إيجاد ضدّ لفظي بسيط. إذ إنّها لم تختار نقيضاً مباشراً لـ le bon usage، مثل le mauvais usage الذي قد يوحي بمجرد عادات أو سلوكات سيئة؛ بل

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 4، ص 40.

² Dictionnaire Rivoire, <https://dictionary.reverso.net/french-definition/usage>, (consulté, le : 23/10/2025)

³ CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/usage>, (consulté, le : 23/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

حاولت أن تعكس الحمل الدّيني والأخلاقي المتضمن في اللفظة القرآنية (المنكر) والذي يستوجب الإنكار. وهي بذلك تحدّد كلا المصطلحين وكأنها تقول إنّ المعروف هو كل ما يتعارف عليه الناس من ممارسات إيجابية ويمارسونه، وإنّ المنكر هو ما يستكره الناس من فعل سلبي ويشجبونه. فكلا المصطلحين وارد من منظور الجماعة البشرية وردّ فعلها، وهذا المنظور بالذات يتناسب مع سياق الآية (أُخْرِجَت لِلنَّاسِ).

يثبت لنا هذا الاختيار التعامل العميق للمترجمة مع النص ويظهر مسعاها لنقل الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية للمصطلحات القرآنية لا معانيها القاموسية المباشرة فقط.

• خيراً لهم: (meilleur pour eux) حذت المترجمة حذو حميد الله باستخدامها للمقابل المباشر الذي يركّز على الأفضلية في القيمة والمرتبة، ما يتوافق مع المعنى الأساسي الذي أورده ابن عاشور.

- الأثر المعرفي: وُفّقت هذه الترجمة، على غرار ترجمة حميد الله، في تحقيق جل الآثار المعرفية المحورية للآية بدقة ووضوح. فقد أعادت إنتاج أثر ثبوت واستمرار خيرية الأمة وأفضليتها. كما حققت بفضل اختياراتها المعجمية الأخرى (le bon usage, le répréhensible) الأثر المتعلق بمعايير هذه الخيرية. وتنقل لفظة meilleure في الشق الثاني من الآية التعريض والتحفيز الموجه لأهل الكتاب. أضف إلى ذلك استخدام علامة الترقيم (: بعد Hommes مقدمة ما يلي بعد العلامة كتفسير وتعليل لما قبلها. وهذا ما يعزّز أثر ربط هذه الخيرية بالمسؤولية بشكل واضح ومباشر.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الجهد الذهني: منخفض باعتبار الصياغة الواضحة والمباشرة وسلاسة اللغة. إذ

إنّ استخدام الماضي الناقص (étiez) سيبدو لدى القارئ الفرنسي بديهياً ومفهوماً، كما أنّ التركيب النحوي للجملة يجعل العلاقة بين أجزائها سهلة الفهم دون الحاجة إلى جهد استدلالٍ معتبر.

- درجة الملاءمة: تحقق هذه الترجمة تشابهاً تأويلياً كبيراً مع النص الأصل حيث

أنّها أعادت نقل كمّ كبير من الآثار المعرفية مع مراعاة الدقة في الاختيارات المعجمية مقابل جهد ذهني منخفض. وبناءً عليه تحقق هذه الترجمة درجة ملاءمة عالية وهي بذلك تقف إلى جانب ترجمة حميد الله كنموذج للترجمة المؤازرة بين الدقة في نقل المعنى والوضوح في الصياغة.

4. ترجمة شبل:

« Vous formez la **meilleure** communauté qu'on ait fait surgir auprès des hommes, vous appelez au bien et vous refusez le mal. Vous croyez en Dieu. Si les gens du Livre voulaient croire, cela serait **mieux** pour eux. Certains sont croyants, mais la plupart sont des pervers* ».

- الترجمة العكسية:

"أنتم تشكّلون أفضل جماعة أُنشئت بين الناس، تدعون إلى الخير وترفضون الشر. أنتم تؤمنون بالله. لو أراد أهل الكتاب أن يؤمنوا، لكان ذلك أفضل لهم. البعض مؤمنون، لكن معظمهم منحرفون*".

*فاسق: منحرف.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الاختيار المعجمي:

• كنتم خير أمة: (vous formez la meilleure communauté) نلاحظ هنا استخدام المترجم صيغة الحاضر (أنتم تشكّلون أفضل جماعة). وهذا الاختيار يغيّر الزمن المشار إليه بالماضي (كنتم) في الآية ويجعل الخيرية وصفاً للحالة الراهنة. ولعلّ المترجم قصد باستخدامه ذاك جعل الخيرية وصفاً لحالة دائمة لكنه في مقابل ذلك يضعف من دلالة تحققها وثبوتها في الماضي كما ناقش المفسرون وهو يحذو بذلك حذو حميد الله.

• أُخرجت للناس: (ait fait surgir auprès des hommes) استخدم شبل على غرار حميد الله فعل surgir للدلالة على الإظهار والوجود في عالم الدنيا. إلاّ أنّه وضع كمقابل (لنّاس) عبارة (auprès des hommes) لدى/بين الناس. وهذا ما يحور معنى المسؤولية العالمية. إذ إنّ (أُخرجت للنّاس) تعني لأجل نفع الناس¹، بينما (أُخرجت بين النّاس) فتركّز أكثر على مجرد الظهور وسطهم.

• تأمرّون بالمعروف وتنهون عن المنكر (vous appelez au bien et vous refusez le mal). ولعلّ هذا الاختيار هو الأكثر جدلاً، إذ إنّ عبارة (appelez au bien) أي (تدعون إلى الخير) تضعف قوة الأمر وتحوّله إلى مجرد دعوة. كما أن (refusez

¹ قال البخاري عن أبي هريرة: (كنتم خير أمة أُخرجت للناس) قال: خير الناس للناس. انظر: تفسير ابن كثير، المرجع السابق، <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura3-aya110.html#katheer>، (تاريخ المراجعة: 2025/10/27).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

(le mal أي (ترفضون الشر) يغيّر المعنى بالكامل من "النهي" باعتباره فعل متعدّ

موجّه للآخر إلى "الرفض" الذي يعبر عن مجرد موقف شخصي.

• المعروف/المنكر: (le bien/le mal) لجأ المترجم إلى استخدام ثنائية يشير معناها

إلى العمومية ما يفقد الدقة الاصطلاحية للفظ القرآني.

• خيراً لهم: (mieux pour eux) استخدم لفظة mieux وهو مقابل يفى بالمعنى مع

تركيزه على الجدوى أكثر من الأفضلية؛ وقد حذا حذو بيرك في اختياره هذا ولكن

بتعبير أبسط من الذي استخدمه بيرك (mieux pour eux cela vaudrait).

- الأثر المعرفي: تضعف هذه الترجمة العديد من الآثار المعرفية المحورية للآية:

• أثر ربط الخيرية بالمسؤولية: ضعّفته بشكل ملحوظ من خلال ترجمة "الأمر/النهي"

بـ "الدعوة/الرفض" محوّل المسؤولية الإصلاحيّة الفاعلة إلى مجرد موقف شخصي

ودعوة غير ملزمة.

• أثر تحديد معايير الأفضلية: يكاد يكون غائباً بسبب استخدام الثنائية العامة

"الخير/الشر"، التي لا تنقل المعنى الاصطلاحي الدقيق للمصطلحين القرآنيين.

• أثر الثبوت والديمومة: يضيع بسبب استخدام صيغة الحاضر، التي لا تنقل معنى

التحقق في الماضي والاستمرارية كما قدّمها التفاسير وعالجتها الترجمات أعلاه.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- أثر التعريض والتحفيز لأهل الكتاب: نجحت الترجمة في نقل هذا الأثر بشكل عام، ولكن التضمينات التي غيبتها في ترجمة الجزء الأول من الآية تجعل الأثر الكلي للترجمة ضعيفاً.

وتجدر الإشارة إلى أن المترجم ضمّن نصه بحاشيةً تحدد المقابل العربي لكلمة pervers المستعملة وقد نسخها صوتياً (Fasiq: منحرف). إلا أنّ هذا المقابل يُنتج - حسب رأينا - أثراً معرفياً خاطئاً. فالفسق في السياق القرآني هو الخروج عن طاعة الله وأوامره وشرعه¹، لهذا لجأ المترجمون الثلاثة أعلاه إلى استخدام مقابلات تعزز هذا المفهوم (transgresseurs/pervertis/scélérats) بينما لفظة (pervers) في الفرنسية فتحمل دلالة الانحراف الأخلاقي. وكان من الأفضل استخدام كلمات مثل (transgresseurs) أو (désobéissants) أو حتى الاحتفاظ بالكلمة منسوخة صوتياً في النص مع شرحها في حاشية لا العكس.

- **الجهد الذهني:** منخفض لبساطة الصياغة اللغوية وسلاستها ووضوحها، إذ لا تتطلب الترجمة جهداً لفهمها. لكنها تبقى بساطة محققة على حساب الدقة والعمق، فالقارئ يصل بسهولة إلى معنى ظاهري ومختلف عن المعنى الأصلي.

¹ الفاسق: وفقاً لتفسير السعدي هو الخارج عن طاعة الله المعادي لأوليائه بأنواع العداوة.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- درجة الملاءمة: بالرغم من وضوح الترجمة لغوياً إلا أنها تبتعد عن الأصل تأويلياً في عدة جوانب جوهرية (الزمن، معنى الأمر والنهي، معنى المعروف والمنكر). ما يجعل ملاءمتها منخفضة.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يُظهر تحليل الترجمات الأربع للآية 110 من سورة آل عمران تبايناً في الاستراتيجيات المتبعة لتحقيق الملاءمة، خاصة في التعامل مع الإشكاليات التفسيرية المتعلقة بزمن الفعل "كنتم" والمعاني الاصطلاحية للفظتي "المعروف" و"المنكر".

وتبرز ترجمتا زينب عبد العزيز ومحمد حميد الله أعلى الترجمات ملاءمة. إذ نجحت عبد العزيز باستخدامها لصيغة الماضي الناقص (étiez) في نقل معنى الثبوت والاستمرارية معاً بطريقة سلسلة ومباشرة، وتميزت في اختيار مقابلات اصطلاحية (le bon usage/le répréhensible) تقترب من المفهوم القرآني. وبالمثل، وفقت ترجمة حميد الله، في نقل المصطلحات القرآنية (convenable/blâmable) وحافظت على وضوحها ما جعلها ذات ملاءمة عالية أيضاً، بالرغم من تغييرها للزمن إلى الحاضر (êtes).

وفي المقابل، تقدم ترجمة جاك بيرك مقارنة نخبوية وفلسفية باستخدامها للمستقبل التام (aurez été)، نجحت في نقل معنى تفسيري عميق (البشارة المسبقة)، لكن هذا المسعى جاء على حساب الجهد الذهني المرتفع وغياب الوضوح للقارئ العام، مما جعل ملاءمتها مشروطة بنوع القارئ وسياق التلقي.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

أما ترجمة مالك شبل، فتعتبر الأقل ملاءمة؛ فبالرغم من وضوح لغتها وسلاستها إلا أنها ضحت بالدقة بشكل ملحوظ. إذ غيرت زمن الفعل، وأضعفت معنى "الأمر والنهي" بجعلهما مجرد "دعوة ورفض"، كما استخدمت مقابلات عامة لمصطلحي "المعروف والمنكر"، ما أفضى إلى فقدان العديد من الآثار المعرفية المحورية للنص الأصلي.

الترجمة والتحليل	
المترجم الآية: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ". (سورة آل عمران، 110)	
« Vous êtes la meilleure communauté... / ce serait meilleur pour eux	حميد الله
<u>الاختيار المعجمي</u> : خير = meilleure، خيراً = meilleur	
<u>الأثر المعرفي</u> : كبير.	
حقق معظم الآثار المحورية.	
<u>الجهد الذهني</u> : منخفض	
الصياغة واضحة وسلسة ولا تحتاج جهداً إضافياً من القارئ الفرنسي.	بيرك
<u>درجة الملاءمة</u> : عالية	
توازن بين الدقة والوضوح، وتحقيق تشابه تأويلي كبير مع الآية.	
"Vous aurez été la meilleure communauté.../ mieux pour eux cela vaudrait	
<u>الاختيار المعجمي</u> : خير = meilleure / خيراً = mieux	
<u>الأثر المعرفي</u> : متوسط	بيرك
غياب بعض الآثار المعرفية المحورية، وغياب السياق المعرفي المشترك.	
<u>الجهد الذهني</u> : مرتفع جداً.	
لغة بلاغية. غياب المعرفة بالتفسير بالنسبة للقارئ العادي، وغياب الاستراتيجيات التوضيحية كالحواشي.	
<u>درجة الملاءمة</u> : مشروطة	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

متوسطة للقارئ المتخصص ومنخفضة للقارئ العام.	
Vous étiez la meilleure communauté .../ cela aurait été meilleur pour eux.	عبد العزیز
<u>الاختیار المعجمي</u> : خير = meilleure / خيراً = meilleur	
<u>الأثر المعرفي</u> : كبير نجحت في تحقيق جلّ الآثار المحوريّة للآية.	
<u>الجهد الذهني</u> : منخفض صياغة واضحة وسلسة ومفهومة دون عناء ذهني.	
<u>درجة الملاءمة</u> : عالية تعتبر النموذج الأكثر توازناً بين الدقة التفسيرية والوضوح اللغوي، والأكثر تحقيقاً للتشابه التأويلي مع الآية.	
« Vous formez la meilleure communauté /... cela serait mieux pour eux.	شبل
<u>الاختیار المعجمي</u> : خير = meilleure / خيراً = mieux	
<u>الأثر المعرفي</u> : منخفض أضاع العديد من الآثار المحوريّة	
<u>الجهد الذهني</u> : منخفض. الصياغة واضحة وسلسة لكنّها مختلفة عن الأصل.	
<u>درجة الملاءمة</u> : منخفضة. ضحى بالدقة والعمق في سبيل تحقيق السهولة وحقق تشابه تأويلي ضئيل مع الأصل.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

❖ النموذج الثاني: الشر بمعنى أسوأ وأدنى.

الآية	"قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ" (77، سورة يوسف)
ترجمة حميد الله	« Quelques-uns dirent « Si celui-ci est voleur, eh bien, il est certain qu'un frère à lui auparavant a volé aussi. » Mais Joseph cacha cela dans son cœur sans le leur divulguer, et dit « Vous êtes dans la pire* situation ! Et Dieu sait mieux ce que vous décrivez. » (P. 260). <i>*Littér. : les pires dans la situation.</i> <u>الترجمة العكسية:</u> "قال بعضهم "إن كان هذا سارقاً، فإن له أخاً قد سرق سابقاً هو أيضاً" لكن يوسف أخفى ذلك في قلبه دون أن يكشفه لهم، وقال «أنتم في أسوأ حالة! * والله أعلم بما تصفون/تسردون". * حرفياً: أنتم الأسوأ في هذه الحالة.
ترجمة بيرك	"Les frères dirent : « S'il vole présentement, c'est qu'un frère à lui a jadis volé ». Joseph contint son propos en lui-même, sans le leur révéler. « Vous êtes, leur dit-il, en pire posture que lui. Dieu a connaissance entière de ce que vous prétextez ». (P. 253) <u>الترجمة العكسية:</u> "قال الإخوة: «إذا سرق هو الآن، فذلك لأن أخاً له قد سرق ذات مرة». كتم يوسف كلامه في نفسه، دون أن يكشفه لهم. قال "أنتم في مكانة أسوأ منه. والله يعلم تمام العلم بما تدعون".
ترجمة عبد العزيز	Ils dirent : « S'il a volé, un frère à lui a déjà volé auparavant. » Alors Joseph la garda en lui-même, ne la leur démontra point, et dit : « Votre position en mal est pire ; Allah Est Plus-Scient de ce que vous décrivez » (P. 312) <u>الترجمة العكسية:</u> "قالوا: "إن كان قد سرق، فقد سرق أخ له من قبل "حينئذٍ أبقاها يوسف في نفسه، ولم يظهرها لهم أبداً، وقال: «مكانتكم في الشر أسوأ؛ والله هو الأعلم بما تصفون".
ترجمة شبل	« S'il a volé, son autre frère a volé avant lui, dirent les enfants de Jacob, mais Joseph garda cette attaque au fond de lui sans

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

rien laisser paraître. Vous êtes dans une mauvaise posture, dit-il.
Dieu est au courant de ce que vous dites ». (P. 193)

الترجمة العكسية:

قال أبناء يعقوب "إن سرق، فأخوه الآخر قد سرق قبله". لكن يوسف احتفظ هذا الهجوم في أعماقه دون أن يُظهر شيئاً. قال "أنتم في وضع سيء. الله على علم بما تقولون".

- التحليل :

ب. تحليل النص المصدر :

الآية: "قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ"¹.

- السياق المعرفي: تأتي هذه الآية لوصف مشهد التوتر بين سيدنا يوسف عليه السلام

وإخوته. إذ حاول إخوة يوسف تبرئة أنفسهم من تهمة السرقة عندما وُجد صواع الملك في رحل أخيه بنيامين؛ فادعوا كذباً وبهتاناً أن أحاً له - يقصدون يوسف - قد سرق من قبل مُعرّضين بأصل أخوتهم (يوسف وبنيامين) من جهة أمهما لإلقاء اللوم على نسبهما، متصّلين بذلك إلى العزيز من التشبه بهما نفيًا للتهمة عنهم. وفي خضم هذا الموقف، يسمع يوسف عليه السلام، وهو العزيز الحاكم، هذا الطعن المباشر في شخصه وفي مجلس حكمه. فيختار كتمان غيظه قائلاً في نفسه: "أنتم شرُّ مكاناً" قاصداً، كما بيّن ابن

¹ سورة يوسف، الآية 77.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

عاشور، أنّ حالهم الآن بالكذب والبهتان هو أشدّ سوءاً وشرّاً من حال من يتهمونهم بسرقة مزعومة بلا دليل¹.

← **التصريحات:** تخبرنا الآية بشكل صريح أنّ إخوة يوسف في محاولة تبرئة أنفسهم من تهمة السرقة، لجأوا إلى الكذب والبهتان في حقّ أخيه المفقود ما أنزلهم منزلة أدنى ممّا اتهموا به أخويهم وجعلهم في حالة أسوأ عند الله وأخبث مكاناً بما سلف من أفعالهم، والله أعلم أنّ ما يصفونه يوحى من تلقاء نفسه أنّه كذب².

← التضمينات والآثار السياقية:

- الشر بمعنى أسوأ وأدنى مكانة: لفظة شرّ في هذا الموضع تُقيد المقابلة بين حالتين: حالة سرقة مزعومة وغير مثبتة (ما نسب ليوسف)، وحالة كذب وبهتان. فالشر هنا يعني سوء الحال والمكانة في هذا الموقف المحدّد؛ أي أنتم في موقف أسوأ وأدنى من الذي تقولونه كذباً وبهتاناً.
- تُحدث الآية تعديلاً معرفياً لدى المتلقي يتمثل في إعادة تعريف مفهوم الشرّ، حيث لا يُقاس بالفعل الظاهر بل بجوهر النّية والموقف الأخلاقي. ويتجلى ذلك في رد

¹ ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 13، ص. ص. من 34 إلى 36.

² غلب استعمال كلمتي «تَصِف» و«تَصِفُونَ» في القرآن الكريم للكلام الذي يحمل معه دليل كذبه.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

يوسف عليه السلام الداخلي (أنتم شرّ مكاناً) الذي يميز بين الشرّ الظاهري (السرقه المزعومة) والشر المعنوي القائم على النية والسلوك (الكذب والبهتان).

• **تثبيت قيم كظم الغيظ والحلم:** الأثر المحوري في سلوك سيدنا يوسف هو كظم غيظه وعدم نزوعه للردّ على موقف الطعن المباشر في شخصه وبهتانه رغم تأثيره فيه وذلك لكي تأخذ الأمور مجراها¹، وهذا يعكس الصبر والحكمة إزاء الاستفزاز والمواقف المتأزمة.

• وفي الآية أثر تربوي قيمى يتمثل في تبيان خطورة الكذب والبهتان باعتبارهما شرّاً أخلاقياً يتجاوز ضرر الأفعال الماديّة.

• **تأكيد مرجعية علم الله المطلق:** في تسليم يوسف عليه السلام الحكم لله (والله أعلم بما تصفون) إبرازاً لمقابلة البهتان البشري بالصدق الإلهي والإيمان الكامل بعدالته.

← **الهدف التواصلى:** يتمثل الهدف التواصلى المحوري للآية في إحداث وعى قيمى ومعرفى لدى المتلقى حول الطبيعة الحقيقية للخير والشر. إذ إنّ الشرّ الحقيقى ليس بالضرورة الفعل المادى المزعوم بل هو أشدّ وأعرق ويتمثّل في الحال والمكانة الدنيا التي يضع الإنسان نفسه فيها من خلال الكذب والبهتان وسوء النية، وهي حقيقة لا تخفى على علم الله المحيط بكل شيء.

¹ يراجع: خواطر محمد متولي الشعراوي، المرجع السابق.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

1. ترجمة حميد الله:

« Quelques-uns dirent « Si celui-ci est voleur, eh bien, il est certain qu'un frère à lui auparavant a volé aussi. » Mais Joseph cacha cela dans son cœur sans le leur divulguer, et dit « Vous êtes dans la pire* situation ! Et Dieu sait mieux ce que vous décrivez. »

**Littér. : les pires dans la situation.*

- الترجمة العكسية:

"قال بعضهم "إن كان هذا سارقاً، فإنّ له أخاً قد سرق سابقاً هو أيضاً" لكن يوسف أخفى ذلك في قلبه دون أن يكشفه لهم، وقال «أنتم في أسوأ الحالة! * والله أعلم بما تصفون".

*حرفياً: أنتم الأسوأ في هذه الحالة.

- الاختيار المعجمي:

• "شَرَّ مكاناً": (la pire situation) استخدم حميد الله صفة (pire) للدلالة على المقابلة بين حالتين، محققاً بذلك معنى الشر بصيغة التفضيل السلبي العليا أي (الأسوأ حالة). إلا أنّ عبارة (dans la pire situation) تعدّ ترجمة حرفية تتأى عن المعنى القيمي للمفاضلة وتحوّلته إلى توصيف ظرفي مرتبط بالوضع الحالي بينما اللفظ القرآني "شَرَّ مكاناً" يعبر عن دلالة أعمق وهي مرتبة أخلاقية ومعنوية أدنى تتعلق بالحال والمقام لا بالظرف الخارجي. ولعلّ المترجم قد أدرك هذا الفرق الحاسم بين المقابل الفرنسي والعمق القيمي في الآية، لذا نجده قد أدرج حاشية (الأسوأ في هذه الحالة) ومع أنّها لا تغيّر المعنى المعجمي للنص لكنّها تسعى لتوضيح البعد التأويلي وتخفيف اللبس المحتمل بتوجيه ذهن

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

المتلقي إلى المقارنة في القيمة والمكانة، وهي محاولة لسد الفجوة الدلالية بين (pire situation) (الحالة/الوضع الأسوأ) و "شرّ مكاناً" (المكانة الأدنى)، ولكن ذلك لم يغيّر في الدلالة إلاّ نسبياً.

• "والله أعلم بما تصفون": ترجمها إلى (Et Dieu sait mieux ce que vous décrivez) وقد حافظ بذلك على فكرة علم الله، غير أن استعمال الفعل (décrire) أي يصف بمعنى "يسرد" يضفي طابعاً لغوياً محايداً في اللغة الفرنسية، في حين أن النصّ القرآني يوحى بتضمين قيمي أقوى وهو الكلام الذي يحمل دليل كذبه كما تبين لنا سابقاً.

- الأثر المعرفي: تحقق هذه الترجمة بعض الآثار المعرفية للآية، إذ حاولت نقل المقابلة التفضيلية بين موقفَي يوسف وإخوته وعزّزتها بالhashية بغرض إحداث تعديل معرفي متمثل في استدعاء المقارنة الذهنيّة لدى المتلقي الفرنسي بين فعل السرقة المزعوم والكذب الفعلي المرتكب، في مسعى لانزال الإخوة منزلة القيمة الأدنى. لكنّها لم توفق في ذلك إلاّ نسبياً.

وحافظت الترجمة على الأثر النفسي في مشهد كتمان يوسف عليه السلام لمشاعره (cacha cela dans son cœur) بما يُبرز قيمة الحلم وكظم الغيظ، في مقابل تبيان سوء الكذب والبهتان بفضل توجيه الحاشية الذي يسهّل على القارئ ربط "الوضع/الحالة الأسوأ" بالكذب والبهتان ذاته، ما يعزّز الأثر القيمي التربوي. وقد أكدت الترجمة أثر الإيمان بعلم الله ومرجعياته من خلال عبارة (Et Dieu sait mieux ce que vous décrivez) وإن جاء الفعل

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

(décrire) هنا محايداً يقلل شدة التعريض الأخلاقي للأصل ويفقده التضمين القيمي القوي الذي يوحي بأن "وصفهم" كذب وبهتان. وبناءً عليه، تكون الترجمة قد حافظت على بعض الآثار المعرفية فيما ضيعت بعضها الآخر بسبب الحرفية للأصل.

- الجهد الذهني: تتسم الترجمة بالسلاسة والوضوح، ولا تتطلب من المتلقي مجهوداً استدلالياً كبيراً لاستيعاب المعاني المحورية الواردة في الآية. ومع ذلك، يبقى إدراك البعد القيمي العميق لعبارة "شرّ مكاناً" يقتضي جهداً ذهنياً إضافياً، نظراً لكون المقابل الفرنسي (la pire situation) يوحي بموقف واقعي أكثر من كونه حكماً أخلاقياً. ولعلّ الحاشية التوضيحية المضافة تسهم في تقليص هذا الجهد، إذ توجّه القارئ إلى المقارنة القيمية المقصودة دون حاجة لاستدلال طويل. وبذلك يكون الجهد الذهني منخفضاً بفضل الحاشية التوجيهية.

- درجة الملاءمة: باستحضار العلاقة بين الكمّ المتوسط للآثار المعرفية المتحققة في الترجمة مقابل انخفاض الجهد الذهني المطلوب لاستيعابها (نص واضح + حاشية موجّهة)، يمكن القول إنّ ترجمة حميد الله بلغت درجة متوسطة من الملاءمة مع النص القرآني. فقد أعادت بناء الرسالة الأخلاقية للآية عامة وحاولت الاحتفاظ بمعظم أبعادها المعرفية. إلا أن الحرفية قلّصت نسبياً من الشحنة القيميّة للتفضيل، مما حال دون تحقيق تشابه التأويلي الكامل مع الأصل.

2. ترجمة بيري:

Les frères dirent : « S'il vole présentement, c'est qu'un frère à lui a jadis volé ». Joseph contint son propos en lui-même, sans le leur révéler. « Vous êtes, leur dit-il, en **pire** posture que lui. Dieu a connaissance entière de ce que vous prétextez ».

- الترجمة العكسية:

"قال الإخوة: "إذا سرق هو الآن، فذلك لأنّ أخاً له قد سرق ذات مرّة". كتم يوسف كلامه في نفسه، دون أن يكشفه لهم. قال "أنتم في مكانة أسوأ منه. والله يعلم تمام العلم بما تدّعون".

- الاختيار المعجمي:

• "شرّ مكاناً" (en pire posture que lui) : على غرار حميد الله، استخدم بيريك صفة (pire) أي أسوأ لنقل معنى التفضيل السلبي. لكنه اختار لفظة posture (مكانة/وضعية) بدلاً من مجرد (situation) ويمكن القول إنّ هذا الاختيار أكثر دقة لأن posture في الفرنسية تحمل معنى المكانة أو الموقف الأخلاقي وهو مرادف للسلوك:

« Attitude morale de quelqu'un. Synon. Comportement, (ligne de) conduite »¹

وبهذا، تنجح في الاقتراب أكثر من الدلالة القيمية لكلمة "مكاناً" (المكانة/المرتبة) وتتجاوز الظرفية المادية التي توحى بها لفظة situation كما أن إضافة عبارة (que lui) (منه) تجعل المقارنة صريحة ومباشرة بين حال الإخوة وحال أخيه المتهّم.

¹ CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/posture>, (consulté, le : 28/10/2025)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

• فأسرّها... ولم يبدها لهم: ترجمها بـ (Joseph contient son propos en lui-même, sans le leur révéler) (كتم يوسف كلامه في نفسه). واستخدام الفعل contenir son propos أي 'كتم كلامه' هو اختيار تفسيري دقيق، فهو يحدّد أن ما أسره يوسف في نفسه هو "الكلام" الذي سيقوله لاحقاً، ما يتوافق مع أحد وجهي التفسير الذي أشار إليه ابن عاشور أنّ "أسرّها" تعود على جملة "أنتم شر مكاناً"¹.

• "والله أعلم بما تصفون": ترجمها (Dieu a connaissance entière de ce que vous prétextez). ويبدو هذا الاختيار موفقاً لاعتبار أنّ عبارة (connaissance entière) "يعلم تمام العلم" تُعزّز معنى الإحاطة المطلقة لعلم الله. والأهم من ذلك، أن استخدام الفعل «prétexter» (أي يتذرع ويزعم ويدّعي كذباً) بدلاً من مجرد السرد والوصف الذي يشير إليه فعل «décrire» يعدّ نقلاً مباشراً للتضمنين القيمي في الآية، إذ يكشف أن "وصفهم" ذريعة كاذبة ليس مجرد وصف.

- الأثر المعرفي: وفقت هذه الترجمة في تحقيق العديد من الآثار المعرفية:

• إعادة تعريف مفهوم الشر: بفضل استخدام عبارة (en pire posture que lui) والذي يعدّ أثراً محورياً في هذه الآية. إذ توجه العبارة القارئ مباشرة إلى أنّ المقارنة في الحالة والمكانة الأخلاقية، ما يحقق التعديل المعرفي المطلوب بتمييز الشر المعنوي (الكذب) عن الشر المادي المزعوم (السّرقَة).

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص. 35.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- تثبیت قیم الحلم وكظم الغیظ: من خلال عبارة (contint son propos en lui-même) التي تنقل معنى الكتمان والتحكم بالنفس بوضوح.

- تبیان خطورة الكذب والبهتان: وتعزيز الأثر التربوي القيمي من خلال استخدام الفعل (prétexter) الذي لا يترك مجالاً للشكّ في أنّ فعل الإخوة كذب وبهتان ويبرز خطورته الأخلاقية.

- تأكيد مرجعية علم الله: من خلال عبارة (connaissance entière de ce que vous prétextez) التي توضّح أن علم الله محيط بحقيقة ذرائعهم الملفة.

- الجهد الذهني: تتضح سلاسة الترجمة وسهولة فهمها من خلال سعيها الحثيث لتحقيق الدقة عن طريق الاختيارات المعجمية المقرونة بصياغة بيانية واضحة توجّه ذهن القارئ إلى المعنى دون حاجة إلى حواشي أو جهد استدلالي إضافي، ما يبقي الجهد الذهني لمعالجتها منخفضاً.

- درجة الملاءمة: تحقق هذه الترجمة تشابهاً تأويلياً كبيراً مع النص المصدر ما يجعلها ذات ملاءمة عالية. فقد نجحت في نقل جل الآثار المعرفية المحورية القيمة للآية بأقل جهد ذهني ممكن من القارئ. كما أنّ دمجها للمعنى التفسيري في صلب النص (prétextez/posture) يجعلها نموذجاً للترجمة البلاغية التي توازن بين الدقة والوضوح والجمالية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

3. ترجمة عبد العزيز:

Ils dirent : « S'il a volé, un frère à lui a déjà volé auparavant. » Alors Joseph la garda en lui-même, ne la leur démontra point, et dit : « Votre position en mal est pire ; Allah Est Plus-Scient de ce que vous décrivez »

- الترجمة العكسية:

"قالوا: "إن كان قد سرق، فقد سرق أخ له من قبل". حينئذٍ أبقاها يوسف في نفسه، ولم يُظهرها لهم، وقال: «مكانتكم في الشر أسوأ؛ والله الأعلم بما تصفون».

- الاختيار المعجمي:

• أنتم شرٌّ مكاناً (votre position en mal est pire) : يروم هذا الاختيار محاولة الجمع بين المعنى القيمي والمعنى الظرفي في آن واحد، إذ تعبّر لفظة position عن المقام أو المكانة، بينما تزيد إضافة en mal عنصراً قيمياً سلبياً يعكس البعد الأخلاقي للشرّ، أي "مكانتكم من الشرّ" أو "موضعكم من السوء". وعلى غرار (posture) عند بيرك، تتجح كلمة (position) في تجاوز الظرفية الماديّة لكلمة (situation)، وتقترب من المعنى القيمي للمكانة والمرتبة. ولئن كان هذا التركيب واضحاً ومسعاه بيّناً فإنّه قد يبدو غريباً ومصطنعاً في اللسان الفرنسي، لأنّ العبارة (position en mal) ليست مألوفة اصطلاحاً وقد تُشعر القارئ بالترجمة الحرفية وتظهر الشرّ على أنّه مجال المقارنة بدلاً من المكانة عند الله. أمّا لفظة (pire) (أسوأ) فتحافظ على فكرة التفضيل السّلبى والتفاوت القيمي بالرغم من افتقار تركيب الجملة للسلاسة.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

• فأسرّها... ولم يبدها لهم": (Alors Joseph la garda en lui-même, ne la leur

démontra point). استخدام la garda en lui-même (أبقاها/حفظها في نفسه) ينقل

معنى الكتمان والحلم بنجاح، لكنه يبقى أقلّ دقة في هذا السياق من الفعل (montrer)

أو (révéler) كما جاء في ترجمة بيرك، لأنّ الفعل (démontrer) يستخدم بمعنى يُبرهن

ويُثبت ويُظهر بالأدلة:

1. « Fournir la preuve de; être la marque, le témoignage certain de; manifester »¹.

2. « Établir par un raisonnement évident et convaincant; Témoigner par des signes extérieurs »²

ويستشف من هذا أنّ المترجمة حاولت الحفاظ على مبنى الأصل ولكن المرونة الدلالية

غير كافية، ولئن بدا المعنى سليماً من حيث المضمون فإنّه يبقى ثقیلاً من حيث الصياغة.

• والله أعلم بما تصفون: (Allah Est Plus-Scient de ce que vous décrivez)

← أعلم: Le Plus-Scient أي الأكثر علماً/الأعلم وهو كلمة مستحدثة néologisme

تحاكي صيغة التفضيل "أعلم". ولئن كان دقيق القصد إلاّ أنّه يخرج عن اللسان الفرنسي

القياسي وقد يبدو مربكاً للقارئ.

← بما يصفون: يظل اختيار الفعل (décrivez) كمقابل لـ"يصفون" القرآنية، كما نقله

حميد الله، محايداً دلاليّاً مفتقراً للقوة القيمية المقصودة في الآية وهي الكذب والبهتان

¹ CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/d%C3%A9montrer>, (consulté, le : 28/10/2025)

² Dictionnaire le Littré, <https://www.littre.org/definition/d%C3%A9montrer>, (consulté, le : 28/10/2025)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

والمكتتفة في فعل (prétendre) مثلاً أي يزعم ويدّعي زوراً أو (prétexter) كما جاء عند بيرك. فبالرغم من وضوح الصياغة إلا أنّ هذا الاختيار محدود الأثر المعرفي لأنّه يفرغ الشق الأخير للآية من شحنته الأخلاقية التهذيبيّة.

- الأثر المعرفي:

- إعادة تعريف مفهوم الشر: وفقت الترجمة جزئياً في التعديل المعرفي لمفهوم الشر. فكلمة position توجه ذهن القارئ نحو المعنى القيمي، لكن إضافة en mal بشكل حرفي قد تخلق التباساً: هل الشر هو المجال الذي تتم فيه المقارنة؟ الصياغة المصطنعة قد تعيق وصول الأثر المعرفي المحوري بسلاسة، على عكس وضوح (pire posture) عند بيرك.
- تثبت قيم الحلم وكظم الغيظ: وفقت الترجمة في نقل الكتمان والتحكم في النفس بوضوح من خلال عبارة la garda en lui-même.
- تبيان خطورة الكذب والبهتان: يضعف الأثر الأخلاقي للآية وتنخفض شدة التعريض التي أرادها السياق القرآني لغياب فعل قوي كفعل (prétexter) أو (prétendre). ذلك أنّ فعل (décrire) يجعل الإخوة مجرد واصفين لا مدّعين وكاذبين.
- تأكيد مرجعية علم الله: وفقت الترجمة جزئياً في إبراز أثر مركزية الله في المشهد من خلال الاستحداث المعجمي للفظ (Le Plus-Scient) الذي يُلفت الانتباه إلى إحاطة علم الله، لكنه قد يشتت القارئ بسبب غرابته اللغوية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الجهد الذهني: تتسم الترجمة بوضوح عام وسهولة في القراءة، لكنها تتطلب جهداً ذهنياً إضافياً من القارئ لفهم تركيب *vous position en mal* غير المؤلف لديه واستيعاب المقارنة القيمية المقصودة منها. كذلك، فإن الاستحداث المعجمي *Le plus-Scient* قد يجبر القارئ للترجمة على تخمين معناه بناءً على السياق وهذا يشكل عبئاً ذهنياً إضافياً. مع ذلك، لا يُعدّ هذا الجهد عائقاً كبيراً أمام تحقيق بعض من الملاءمة نظراً لسلامة المعنى العام.

- درجة الملاءمة: أخذاً في الاعتبار كم الآثار المعرفية المحقّق مقابل الجهد الذهني الإضافي المطلوب من القارئ، يمكن تصنيف درجة ملاءمة هذه الترجمة بالمتوسطة نسبياً. إذ يظهر مسعى المترجمة لتحقيق الدقة في نقل المفاهيم القرآنية (عبر *position* و *Plus-Scient*)، إلا أنّ تمسكها بالترجمة الحرفية والتراكيب غير المؤلفّة قلّل من الأثر المعرفي للترجمة وأثقل الإدراك الذهني له. ويمكن القول إنّ هذه الترجمة تشكّل نموذج الترجمة الحرفيّة المؤثّرة على توازن الملاءمة. إلا أنّها تظل قريبة في روحها من النصّ القرآني من حيث حرصها على الأمانة المعنويّة، وإن جاءت أقل سلاسة من ترجمة بيرك وأقل وضوحاً من ترجمة حميد الله.

4. ترجمة شبل:

« S'il a volé, son autre frère a volé avant lui, dirent les enfants de Jacob, mais Joseph garda cette attaque au fond de lui sans rien laisser paraître. Vous êtes dans une mauvaise posture, dit-il. Dieu est au courant de ce que vous dites ».
(P. 193)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الترجمة العكسية:

قال أبناء يعقوب "إن سرق، فأخوه الآخر قد سرق قبله". لكن يوسف احتفظ بهذا الهجوم في أعماقه دون أن يُظهر شيئاً. قال "أنتم في مكانة /وضع سيء. الله على علم بما تقولون".

- الاختيار المعجمي:

• "أنتم شرُّ مكاناً": (Vous êtes dans une mauvaise posture): اختار المترجم عبارة (mauvaise posture) التي تعني حرفياً "مكانة أو وضع سيئ"؛ وهي صيغة أخفّ دلالة من (pire posture) إذ إنها تكتفي بمجرد الوصف السلبي للحالة وبأنّ مكانتهم "سيئة" دون أن تحمل بالضرورة بُعْد التفضيل والمقارنة القيمية (أسوأ من). ومع أنّ لفظة (posture) في حدّ ذاتها اختيار موفق لحفاظها على البعد الأخلاقي، إلّا أنّ إقرانها بلفظة (mauvaise) بدلاً من صيغة التفضيل (pire) يجعل الترجمة توصيفاً محايداً يفتقر للحكم القيمي.

• "فأسرّها... ولم يبدها لهم": (mais Joseph garda cette attaque au fond de lui sans rien laisser paraître)

يتّسم هذا الاختيار بإيضاح تصريحٍ للمقصد الدلالي. إذ أوّل المترجم ضمير العود في "فأسرّها" بـ (cette attaque) باعتبار أنه يعود على هذه الإساءة. ولئن نجح المترجم في نقل كلام الأخوة على أنّه طعن وهجوم شخصي ليوسف عليه السلام، إلّا أنّه يبدو أكثر صراحة ومباشرة ممّا توحى إليه الآية. كما أنّ عبارة (au fond de lui sans rien laisser

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

(paraître) تتقل بنجاح معنى الكتمان والإخفاء مُضفيةً بعداً نفسياً ما يجعل الترجمة أقرب إلى الوصف القصصي الحيّ.

- "والله أعلم بما تصفون": « Dieu est au courant de ce que vous dites »

اختار المترجم تعبيراً مباشراً وبسيطاً (est au courant de) أي (على علم/على دراية ب) والذي يفيد مجرد المعرفة والاطلاع ولا يعبر عن معنى (أعلم) التي تفيد الإحاطة المطلقة والعلم الإلهي الشامل (Allah Sait mieux/Allah a connaissance entière) كما جاء في نص الآية. كما أنّ استخدام الفعل (dire) في (ce que vous dites) أي (ما تقولون) يفرغ الشق الأخير من الآية من تضمينه القيمي ويجعل اختيار (ما يقولونه) بمعناه المحايد ضعيفاً من حيث نقل الشحنة البلاغية للكذب والبهتان الواردة في التعبير القرآني (بما تصفون). وهذه الاختيارات حسب رأينا تزح الترجمة عن مقصدها المعرفي - القيمي الأخلاقي في هذا الموضع - لتجعلها أقرب إلى قصة سردية واقعية.

- الأثر المعرفي: تحقق الترجمة أثراً معرفياً محدوداً مقارنة بالترجمات الأخرى:س

- أثر تعديل مفهوم الشر: يتضح من الاختيار المعجمي أعلاه أنّ إعادة تعريف مفهوم الشرّ من الفعل الظاهر (السّرقَة المزعومة) إلى الفعل الأخلاقي الباطن (الكذب والبهتان) مفقود في هذه الترجمة باعتبار أنها لا تقدّم أي مقارنة (mauvaise/pire posture) ما يحول دون إحداث التعديل المعرفي لدى القارئ الفرنسي حول طبيعة

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الشّر. إذ سيدرك أنّ وضع الإخوة 'سيئ' وليس 'أسوأ' من وضع أخيهما وهذا يغيّر من مقصد الآية.

• أثر تثبيت قيم الحلم وكظم الغيظ: وُفقت الترجمة في نقل هذا الأثر على وجه

التحديد وجعله أكثر صراحة من الأصل عبر إضافة كلمة (attaque) مقرونة بعبارة (garda au fond de lui).

• تبيان خطورة الكذب والبهتان: لا يتضح هذا الأثر في الترجمة بسبب غياب المقارنة

ما يضيّع الأثر القيمي التهذيبي. إذ لا يدرك القارئ أنّ ما جعل وضعهم "أسوأ" هو الكذب والبهتان.

• تأكيد مرجعية علم الله: ضيّعت استراتيجية تبسيط الألفاظ واستخدام تعابير مألوفة

مثل (dites 'est au courant 'mauvaise posture) أثر تأكيد علم الله المطلق. ولئن

نجحت هذه الاستراتيجية في تحويل التضمينات القرآنية إلى مشهد واقعي سهل الإدراك والفهم إلاّ أنّها تقلّل في المقابل من عمق معانيها وتغيّب ثراءها المعرفي.

- الجهد الذهني: تتسم الترجمة بقدر كبير من السهولة والوضوح، فلا تتطلب جهداً

ذهنياً من القارئ لاعتمادها لغة مباشرة وسلسة. إلاّ أنّ انخفاض الجهد الذهني يقابله

انخفاض في الأثر التأويلي، إذ لا يحتاج القارئ إلى بذل جهد معالجة فكرية لاستنباط

المقاصد من الشّر لأنّ المعنى المقدّم مباشر لا تعقيد دلالي أو بلاغي فيه. وعليه تغدو

الترجمة، رغم سلاستها ووضوحها، مفتقرةً للبعد التأملي الذي يثري النص ويعزز قيمته

المعرفيّة.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- درجة الملاءمة: بناءً على العلاقة بين الكمّ المحدود للآثار المعرفية المتحققة يمكن القول إنّ هذه الترجمة هي الأقلّ ملاءمة بين الترجمات الأربع. إذ نجحت في نقل المشهد القرآني العام لكنها أفرغته من قوّته القيمية والمعرفيّة التي تشكّل جوهر الآية. ويمكن اعتبار ترجمة شبل، باعتمادها نهج الترجمة غير المباشرة وفق منظور الملاءمة، أقرب ما تكون للتفسير الذي يقدّم النصّ للقارئ الفرنسي بشكل سهل ومبسّط ولكن على حساب تسطيح معانيه التداولية المعرفيّة العميقة.

← الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يُظهر تحليل الترجمات الأربع للآية (77) من سورة يوسف تباينًا واضحًا في استراتيجيات المترجمين المنتهجة لنقل الأبعاد المعرفيّة القرآنية وتحقيق الملاءمة للقارئ الفرنسي. إذ يتبيّن مسعى حميد الله إلى الحرفيّة (la pire situation) المقرونة بالحواشي، ما جعله يحتفظ بجزء من البعد القيمي وإن ظلّ تأثيره محدودًا بسبب حياد المقابل الفرنسي للفعل (décrire). أما ترجمة بيرك فقد كانت الأكثر ملاءمة حيث تميزت بدقّة اختياراتها المعجمية (posture, prétexter) ما مكّنها من تحقيق تشابه تأويلي بلغ أعلى درجات التوازن بين الأمانة والوضوح بأقل جهد ذهني ممكن. بينما أبدت عبد العزيز حرصًا لتحقيق الدقة والوفاء للنصّ المصدر القرآني. إلّا أنّ استخدامها لتراكيب حرفية غير مألوفة (position en mal / Le Plus-Scient) أثقل الترجمة وزاد من الجهد الذهني دون تحقيق مردود معرفي موازٍ، ما جعل ملاءمتها متوسطة. في المقابل، اعتمد

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

مالك شبل نهج الترجمة غير المباشرة القائم على تبسيط معنى التفضيل (mauvaise) بدلاً من (pire) وتسطيح معنى علم الله المحيط (est au courant)، محققاً الوضوح والسلاسة لكن على حساب الجوهر المعرفي للآية ما جعل ترجمته الأدنى ملائمة.

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية: "قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ" (77، سورة يوسف)
حميد الله	« Vous êtes dans la pire situation ! Et Dieu sait mieux ce que vous décrivez. »
	<u>الاختيار المعجمي</u> : شر مكانا = pire situation
	<u>الأثر المعرفي</u> : متوسط.
	حقّق بعض الآثار المعرفية لكنه أضعف الأثر المحوري (التعديل المعرفي لمفهوم الشر) وفقد التضمين القيمي للكذب والبهتان.
	<u>الجهد الذهني</u> : منخفض.
بيرك	اللغة سلسلة واضحة والحاشية المضافة تقلّل الجهد الاستدلالي المطلوب.
	<u>درجة الملاءمة</u> : متوسطة.
	أعاد بناء الرسالة الأخلاقية للآية جزئياً. الميل إلى الحرفية قلّل من الشحنة القيمية وحال دون تحقيق تشابه تأويلي أكبر.
	« Vous êtes en pire posture que lui. Dieu a connaissance entière de ce que vous prétextez. »
	<u>الاختيار المعجمي</u> : شر مكانا = pire posture
بيرك	<u>الأثر المعرفي</u> : كبير.
	أبرز بوضوح المقارنة الأخلاقية وأعاد تعريف مفهوم الشر ككذب وبهتان لا كفعل مادي. نقل جل الآثار المعرفية بدقة (تعديل معرفي لمفهوم الشر، خطورة الكذب، علم الله المحيط).
	<u>الجهد الذهني</u> : منخفض.
الصياغة بلاغية سلسلة وواضحة دون حاجة لاستدلال إضافي.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

درجة الملاءمة: عالية. ترجمة دقيقة تحقق توازناً بين الدقة والوضوح وتعيد الآثار المعرفية للآية بدقة.	
« Votre position en mal est pire ; Allah Est Plus-Scient de ce que vous décrivez.	عبد العزيز
الاختيار المعجمي: شرّ مكانا = position en mal	
الأثر المعرفي: متوسط. حاولت الجمع بين المعنى القيمي والظرفي لكن الصياغة غير المألوفة في الاستعمال القياسي قللت من التشابه التأويلي مع الآية ما يعيق وصول الآثار المعرفية بسلاسة.	
الجهد الذهني: مرتفع نسبياً. التركييب غير المألوفة في الاستعمال القياسي (Plus-Scient 'en mal) والكلمات المستحدثة تتطلب جهداً ذهنياً إضافياً من القارئ.	
درجة الملاءمة: متوسطة السعي للدقة أدى إلى إثقال النص لغوياً وأثر على توازن الملاءمة.	
« Vous êtes dans une mauvaise posture. Dieu est au courant de ce que vous dites. »	شبل
الاختيار المعجمي: شرّ = mauvaise posture	
الأثر المعرفي: ضعيف. التبسيط وتسطيح المعنى أفقد الترجمة الأثر المحوري (التعديل المعرفي لمفهوم الشر) وجل الآثار القيمية الأخرى.	
الجهد الذهني: منخفض جداً لغة بسيطة وسلسة وسهلة القراءة لكنها مفرطة في التبسيط.	
درجة الملاءمة: منخفضة. ضحت بالدقة والتأويل العميق لصالح السهولة والتبسيط، فاقتربت من السرد الواقعي أكثر من الخطاب القيمي القرآني.	

3.3.5. ثنائية الخير والشر بمفهومها الأخروي:

تجلى الوجه الثالث من ثنائية «الخير والشر»، كما رأينا في الفصل الرابع من هذا البحث، في بعدها القيمي الذي ينتقل التصور القرآني من المجال الدنيوي والمفاضلة النسبية إلى أفقٍ أسمى يقوم على الغاية والمآل. فالخير لا يُقاس بمقدار النفع الآني أو الأفضلية النسبية، بل بما يُحقّقه من صلاح العمل واستقامته ومآله الأخروي. في حين يرتبط الشر بما يفضي إلى الانحراف عن الحق والخسران في العاقبة. ومن ثمة، تغدو الثنائية تعبيراً عن منظومة قيمية تتجاوز الظاهر إلى جوهر الفعل الإنساني وتحدّد مساره بين الفلاح والظّلاح. ما يجعل ترجمتها اختباراً لمدى تمثّل المترجم لمقاصد الخطاب القرآني وملاءمتها معرفياً. وسنتطرق فيما يلي من هذا المحور إلى تحليل نماذج من ترجمات هذا الوجه من الثنائية قصدَ تقييم مدى ملاءمتها المعرفية مع البعد القيمي للخطاب القرآني وتمثّلاته المقاصدية.

❖ النموذج الأول: الخير بمعنى العمل الصالح

الآية	"وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" (115، سورة آل عمران)
ترجمة حميد الله	« Et quelque bien qu'ils fassent, il ne leur sera pas dénié. Car Allah se connaît aux pieux ». (P.71) <u>الترجمة العكسية:</u> وأي خير يفعلونه فلن يُجحدوه لأنّ الله عليم بالأتقياء
ترجمة بيرك	« En ce qu'ils font de bien , ils ne seront point déniés — Dieu est Connaissant de ceux qui se prémunissent ». (P. 83) <u>الترجمة العكسية:</u> فيما يفعلونه من خير، لن يُجحدوا أبداً — الله عالم بـ/ يعرف الذين يقون أنفسهم

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ترجمة عبد العزيز	« Et ce qu'ils font de bien , ne leur sera point dénié. Allah Est Tout-Scient des pieux ». (P. 124) <u>الترجمة العكسية:</u> والذي يفعلونه من خير لن يجحدوه أبداً. الله عليم بالأتقياء.
ترجمة شبل	« Quelque bien qu'ils fassent, il ne sera pas nié. Car Allah est au courant de ceux qui Le craignent ». (P.61). <u>الترجمة العكسية:</u> مهما يفعلوا من خير فلن يُنفي. لأن الله على علم بالذين يخشونه

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر/الآية:

الآية: "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ" وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ¹.

- السّياق المعرفي: يوضح ابن عاشور أن هذه الآية جاءت تذييلاً للجمل المفتحة بقوله تعالى: "مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ"² إلى قوله "مِنَ الصَّالِحِينَ"³، ووعداً إلهياً للفئة المؤمنة من أهل الكتاب المذكورة في الآيات السابقة. فبعد وصف أعمالهم الصالحة من قيام ليل وتلاوة القرآن وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ومسارة في الخيرات عموماً، تأتي هذه الآية لتؤكد أن أي عمل صالح يقومون به هو بمثابة نعمة مقدمة لله، والله لا يجحد هذه النعمة (فَلَنْ يُكْفَرُوهُ)، بل سيشكرها ويجازي عليها بأوفر الجزاء. فكلمة "الخير" هنا محملة بالافتراضات السّياقية للأعمال الصالحة

¹ . سورة آل عمران، الآية 115.

² سورة آل عمران، الآية 113.

³ سورة آل عمران، الآية 114.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

المذكورة سابقاً، وهي ترتبط ارتباطاً مباشراً بمفهوم العمل الذي يستحق ثواباً مضموناً عند الله¹.

← **التصريحات:** يتمثل المعنى الصريح في أن أي عمل خير تفعله هذه الفئة المؤمنة قطعاً ستجزي به ولن يجده الله أو يُنكره.

← **التضمينات والآثار السياقية:**

• **ضمان الإثابة على العمل الصالح:** الأثر المحوري هو التأكيد على أن كل عمل صالح، مهما كان، له قيمة جزائية مضمونة عند الله. فالله لا يضيع أجر المحسنين.

• **شمولية "الخير":** استخدام "ما" الشرطية يفيد العموم والشمول، أي أن الوعد الإلهي يشمل كل أصناف العمل الصالح صغيره وكبيره.

• **الخير كحق مكتسب:** استخدام فعل "يُكْفَرُوهُ" (المبني للمجهول من الكفران، أي الجحود) يضيفي على "الخير" معنى "الحق" الذي يستوجب الجزاء قطعاً.

← **الهدف التواصلية:** يتمثل في طمأنة نفوس المؤمنين وتحفيزهم على المسارعة لفعل الخير، من خلال تقديم وعد إلهي قاطع بأن أجرهم محفوظ ومضمون، وأن الله سيجزيهم على أعمالهم الصالحة دون نقصان أو جحود.

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، الجزء 4، ص 59.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ب. تحليل الترجمات:

ينبغي للترجمة الملائمة أن تنقل بوضوح هذا الأثر السياقي وأن الخير هنا هو العمل الصالح الذي يجزي به الله صاحبه وأن هذا الثواب مضمون ولن يُجحد. فمحور الأثر هو ضمان الإثابة على العمل مهما كان، شريطة أن يقترن بالصالح والخير كما دلت عليه جملة الشرط المستهله بـ'ما' الشرطيّة. لننظر الآن مدى ملائمة الترجمات الأربع للآية موضوع الدراسة.

1. ترجمة حميد الله:

« Et quelque bien qu'ils fassent, il ne leur sera pas dénié. Car Allah se connaît aux pieux ».

- الترجمة العكسية:

"وأي خير يفعلونه فلن يُجحدوه لأن الله عليم بالأتقياء"

▪ **الاختيار المعجمي:** استخدم حميد الله لفظة Bien كمقابل للفظه "الخير"، وهو اختيار موفق ومناسب لنقل مفهوم العمل الصالح. كما اختار الفعل (dénier) أي (يجحد/ينكر حقًا) كمقابل لـ "يُكْفَرُوهُ". كما حافظ على التركيب الشرطي الشامل باستخدام (quelque bien (qu'ils fassent)).

▪ **الأثر المعرفي:** وفقت هذه الترجمة في تحقيق الآثار المعرفية. ولئن كانت المفردة الفرنسية لا تتطوي على المفهوم الإسلامي المكتنف في اللفظة العربية القرآنية، إلا أنها في سياقها وارتباطها بما قبلها وبعدها ما يُثير هذا في ذهن القارئ الفرنسي ويحفّز

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الافتراضات السياقية الخاصة بها فيؤولها التأويل الذي توصل إليه القارئ العربي للآية. ثم إنَّ استخدام فعل (dénier) يعزز مفهوم "الخير" كعمل له "حق" الثواب الذي لن يضيع عند الله. ما يكفل تحقيق الأثر المعرفي المطلوب الذي تعزز، من جهة أخرى، بالجانب التركيبي للعبارة (Et quelque bien qu'ils fassent). إذ إنها تعكس عموميّة "ما" الشرطية في الآية وشمولها بالوعد لكل الأعمال الصالحة (أيّ فعل خيرٍ يفعلونه مهما كان) التي فيها رضا لله. هذا من شأنه أن يوجه القارئ الفرنسي مباشرة إلى استخلاص الأثر المحوري المتمثل في ضمان الإثابة على كل عمل صالح مهما كان.

■ **الجهد الذهني:** تبدو الصياغة واضحة وسلسة. ولئن تطلب فهم الدلالات الخاصة بكلمة "خير"، والمتمثلة في الأعمال المذكورة في الآيات 113-114 قبلها، فهذا لا يُعدّ خطأً من المترجم بل هو من باب حدود الترجمة نفسها. إذ لا يمكن لكلمة واحدة أن تحمل كل هذا الثقل السياقي. ثم إنَّ القارئ العربي نفسه لربما يحتاج أن يبذل جهداً إضافياً وربطها بالسياق المعرفي للاستدلال على المعنى الذي تنطوي عليه لفظة الخير في هذا الموضع. فمن دواعي توصل القارئ الفرنسي إلى الأثر المعرفي الكامل إعمال جهدٍ ذهنيٍّ إضافيٍّ مشابه لما قد يُعمله القارئ العربي.

■ **درجة الملاءمة:** يتبيّن لنا من تحليل ترجمة حميد الله ومن ترجمتها العكسيّة أن التشابه التأويلي قد تحقّق إلى حدّ كبير. إذ أعادت الترجمة بناء سياق تواصلٍ مشابه للسياق القرآني كفيل بتوجيه القارئ الفرنسي إلى استخلاص جلّ الآثار المعرفيّة المقصودة

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

في الآية مع سعيها لتقليل الجهد الذهني ما أمكن. هذا التوازن المثالي بين تحقيق أقصى أثر معرفي بأقل جهد ذهني حقّق لهذه الترجمة درجة عالية من الملاءمة.

2. ترجمة بيرك:

« En ce qu'ils font de bien, ils ne seront point déniés— Dieu est Connaisseur de ceux qui se prémunissent ».

- الترجمة العكسيّة:

"فيما يفعلونه من خير، لن يُجحدوا أبداً — الله عالم بـ/ يعرف الذين يقون أنفسهم".

- الاختيار المعجمي: استخدم بيرك الاختيارات المعجمية ذاتها لحמיד الله، إذ نقل لفظة

"خير" بمقابلته الفرنسي (Bien). كما ترجم فعل الكفران (لن يكفروه) بالفعل الفرنسي

(dénier) وقد وُفق، على غرار حميد الله، في ترجمتهما. مع ذلك، نلاحظ أنه غير التركيب

الافتتاحي الشرطي للأصل (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) إلى تركيب إخباري (En ce qu'il font

.de bien)

- الأثر المعرفي: حافظ بيرك على دلالة الخيريّة وأثرها المقصود وهو العمل

الصالح. كما أنّ اختياره للفعل (dénier) من شأنه أن يحافظ على أثر ضمان الإثابة على

الأعمال الصالحة. إلّا أن إغفال الترجمة للدليل التواصلي المتمثّل في أداة الشرط 'ما' التي

جاء بها لتحقيق جملة من الوظائف التداولية والتأويلية؛ فهي لا تخبر عن فعل 'الأمة

القائمة' فحسب بل تضع شرطاً عاماً ومطلقاً وهو أنّ أي عمل خير يفعله الإنسان المتقي

ومهما كان قليلاً فإنّ الله يجزي عليه جزاءً وفيراً. ومعنى العموم والشمول الذي تحمله 'ما'

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الشرطية في الآية الأصلية غير وارد في ترجمة بيرك التي تعدّ صيغة إخبارية فاقدة للقوة والبلاغة المكتنفة في صياغة حميد الله التي حافظت على الدليل التواصلية الذي تفرضه الملاءمة. ما قلّ من الأثر المعرفي المنشود مقارنة بترجمة حميد الله.

- الجهد الذهني: الصياغة واضحة وسلسة. مع ذلك قد تتطلب، على غرار ترجمة حميد الله، بذل جهد إضافيٍّ مماثلٍ للجهد الذي يبذله القارئ العربي للاستدلال على المعنى الكامل للفظة الخير في هذا الموضع.

- درجة الملاءمة: تحقق هذه الترجمة، بالموازنة بين كمّ الآثار المعرفية المنتجة والجهد الذهني الذي يفترض أن يبذله القارئ لها، درجة ملاءمة متوسطة.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Et ce qu'ils font de bien, ne leur sera point dénié. Allah Est Tout-Scient des pieux ».

- الترجمة العكسية:

"والذي يفعلونه من خير لن يجحدوه أبداً. الله عليم بالأتقياء".

- الاختيار المعجمي: تتبع هذه الترجمة مسار حميد الله وبيرك في استخدام لفظتي

(Bien) و(dénier) في مقابل (خير) و (يكفروه) على التوالي. وهو اختيار موفق لنقل

مفهوم الخيرية المقصودة في الآية والثواب عليها.

- الأثر المعرفي: وتتبع من حيث الأثر مسار ترجمة بيرك، فالبرغم من دقتها في

اختيار المقابلات المعجمية إلا أنّها لم تحافظ على القوة التداولية للتركيب الشرطي وما

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

يفعلوا' كدليل تواصل يقرضه الملاءمة بالرغم من كونه غير مشحون دلاليًا بمحتوى قضوي في حد ذاته ولكنه يوجّه المتلقي الفرنسي إلى اختيار السياق الأمثل للتأويل واستنباط أثر شمولية أعمال الخير للوعد بالثواب. هذا الأثر غائب في ترجمة عبد العزيز ما يقلل من كم الآثار المعرفية التي حققتها مقارنة بترجمة حميد الله.

- الجهد الذهني: تبدو هذه الترجمة بدورها واضحة وسلسة. إذ لا تقتضي أن يبذل القارئ لها جهداً ذهنياً كبيراً لفهم المعنى العام.
- درجة الملاءمة: تعدّ درجة الملاءمة في هذه الترجمة، على غرار ترجمة بيرك، متوسطة باعتبار تغييبها لأحد الآثار المعرفية.

4. ترجمة شبل:

« Quelque bien qu'ils fassent, il ne sera pas nié. Car Allah est au courant de ceux qui Le craignent ».

- الترجمة العكسية:

- "مهما يفعلوا من خير فلن يُنفي/يُنكر. لأنّ الله على علم بالذين يخشونه"
- الاختيار المعجمي: وُقِّق شبل في اختيار مقابل (خير) بالفرنسية، كما وفق في الحفاظ على مفهوم التركيب الشرطي الشامل من خلال عبارة (Quelque bien qu'ils fassent). مع ذلك، نجده قد اختار كمقابل للفعل (يُكْفَرُوهُ) المقابل الفرنسي (nier) الذي يفيد مجرد نفي أمر ما وإنكار وجوده¹.

¹ Voir : **Nier**, Dictionnaire LAROUSSE, in : <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/nier/54580>, (consulté le : 14/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الأثر المعرفي: نلاحظ أنّ صياغة شبل الافتتاحية تعكس التعميم والشمول الذي تفيد به جملة الشرط وهو بذلك يحقق أثر شمول الأعمال الصالحة كلها بالوعد الوارد في الآية. ولكنّ اختياره لفعل (nier) الذي يفيد مجرد النفي يختلف عن المعنى الذي تورده الآية والذي يفترض معنى إضافياً وهو رفض الاعتراف بحق مستحق¹. وهذا المعنى يعبر عنه على نحو أدقّ الفعل (dénier) الذي يمثّل جوهر كفران العمل في الآية. وهذا الاختيار ينأى عن الأصل ويضعف التشابه التأويلي في الترجمة لعدم دقته في نقل معنى جحود حق الإثابة الوارد في الآية، ما يقلّل من الأثر المعرفي الذي ينبغي للترجمة أن تحقّقه لدى القارئ الفرنسي.

- الجهد الذهني: قلّل المترجم من الجهد الذي قد يبذله القارئ الفرنسي للاستدلال على معاني الآية من خلال إبقائه على الدليل التّواصلي "ما" والتزامه بالترجمة المباشرة واستعماله للغة واضحة وسلسة.

- درجة الملاءمة: لم توفّق هذه الترجمة في نقل دقة فعل الكفران للحق المشروع، ما أضعف من التشابه التأويلي مع الأصل وجعل ملاءمتها متوسطة.

¹ Voir : Nier, Dictionnaire LAROUSSE, in : <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/d%C3%A9nier/23573> (consulté le : 14/10/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يتضح من تحليل للترجمات الأربع إجماع المترجمين على استخدام لفظة (Bien) كمقابل لكلمة "خير"؛ وهو اختيار موفق لنقل مفهوم الخيرية في هذه الآية أي العمل الصالح. ومع ذلك، فإن التمايز في تحقيق الملاءمة يكمن في القدرة على نقل أثرين أساسيين هما شمولية الوعد وضمنان حق الإثابة. وفي هذا الصدد، تبرز ترجمة حميد الله الأكثر ملاءمة لنجاحها في الجمع بين الأثرين فقد استخدمت التركيب الشرطي (quelque... que) لنقل الشمولية، والفعل الدقيق (dénier) لتجسيد معنى (جحد الحق).

وتأتي ترجمتا بريك وعبد العزيز في المرتبة التالية، فبالرغم من استخدامهما الموفق للفعل (dénier) إلا أن اعتمادهما الصيغة الإخبارية أضعفت من بلاغة الشمول التي يحملها الشرط.

أما ترجمة شبل، وعلى الرغم من حفاظها على التركيب الشرطي، إلا أنها كانت الأقل دقة بسبب استخدامها للفعل (nier) الأضعف دلاليًا من فعل (dénier) مما قلل من أثر (ضمنان الحق) الذي يشكّل جوهر رسالة الآية. وفيما يلي تلخيص ما سبق:

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية: "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" (115، سورة آل عمران)
حميد الله	« Quelque bien qu'ils fassent, il ne leur sera pas dénié »
	الاختيار المعجمي: خير = bien
	الأثر المعرفي: كبير تحقق تشابها تأويليا كبيراً مع الآية وتحافظ على كل الآثار المعرفية للأصل.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الجهد الذهني: منخفض التركيب اللغوي مباشر وواضح فيما يخص معنى الخيرية. وما يعزز وضوحه الاختيار المعجمي الموفق لأجزاء التركيب. درجة الملاءمة: عالية/ ملاءمة مثلى باعتبار الكمّ الكبير للآثار المحققة مقارنة بالجهد الذهني المنخفض المطلوب لفهم.	
« En ce qu'ils font de bien, ils ne seront point déniés » الاختيار المعجمي: الخير = bien الأثر المعرفي: متوسط غياب الأثر المتعلق بشمولية الوعد. الجهد الذهني: منخفض التركيب اللغوي مباشر وواضح فيما يخص معنى الخيرية. درجة الملاءمة: متوسطة بالموازنة بين الأثر المعرفي المغيب والجهد الذهني المبذول.	بيرك
« Et ce qu'ils font de bien, ne leur sera point dénié » الاختيار المعجمي: الخير = bien الأثر المعرفي: متوسط. غياب الأثر المتعلق بشمولية الوعد. الجهد الذهني: منخفض التركيب اللغوي مباشر وواضح فيما يخص معنى الخيرية. درجة الملاءمة: متوسطة بالموازنة بين الأثر المعرفي المغيب والجهد الذهني المبذول	عبد العزيز
« Quelque bien qu'ils fassent, il ne sera pas nié » الاختيار المعجمي: الخير = bien	شبل

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الأثر المعرفي: متوسط
غيّبت الترجمة معنى جحود الحق المشروع ما قلّ من الأثر المطلوب.
الجهد الذهني: منخفض
باعتبار سلاسة اللغة المستعملة ووضوحها لكن على حساب أحد المعاني.
درجة الملاءمة: متوسطة إلى مقبولة.
بالموازنة بين الأثر المعرفي المغيّب والجهد الذهني المبذول.

❖ النموذج الثاني: الخير بمعنى الأجر والثواب

«وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ» (36، سورة الحج)	الآية
« Et quand aux bêtes de sacrifices, Nous vous les avons désignées comme des emblèmes de Dieu. Il y a là pour vous un bien ». (p.372)	ترجمة حميد الله
<u>الترجمة العكسية:</u> "وأما بهائم الأضحية، فقد جعلناها لكم من رموز الله. ثمّة فيها خير لكم".	
« De (chamelles) ventrues, Nous vous prescrivons (l'immolation) au titre d'observance de Dieu: elles vous seront bénéfiques » (P.355)	ترجمة بيرك
<u>الترجمة العكسية:</u> "من (الإبل) السّمان/ممتلئة البطن، نفرض عليكم (ذبحها) طاعة لله: ستكون لكم نافعة"	
« Et les chameaux, Nous les Prescrivîmes comme rites d'Allah, vous y avez du bien » (P. 418).	ترجمة عبد العزيز
<u>الترجمة العكسية:</u> "والجمال، فرضناها كشعائر لله، لكم فيها خير"	
« Les animaux ventrus que Nous vous avons destinés en vue d'être sacrifiés au nom d'Allah constituent un bien pour vous ». (P. 267).	ترجمة شبل
<u>الترجمة العكسية:</u> "الحيوانات السّمان/الممتلئة التي خصصناها لكم لتُحرر باسم الله تشكل خيراً لكم".	

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "وَالْبُذْنُ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ" ¹

- السياق المعرفي:

تأتي هذه الآية، وفقاً لابن عاشور، في سياق الحديث عن مناسك الحج وشعائره، وهي تفصيلٌ للآية السابقة لها "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا" ² التي تذكر أن الله جعل هذه الشعيرة في الأمم مظهراً من مظاهر القرب والتعبد منذ عهد إبراهيم عليه السلام. وتوضح الآية رمزية شعيرة "البُذْن"، وهي البعير عظيم البدن من الإبل خصوصاً والبقرة ³، كعلامة دينية تُذكر بعظمة الله وتُبين الحكمة والمنفعة من جعلها قرباناً. إذ يشير ابن عاشور إلى أن الله أمر بهذه الشعيرة ووعده بالثواب الجزيل عليها. ما يجعل السياق المعرفي لها مرتكزاً على معرفة دينية واجتماعية سابقة تصوّر للمتلقي العلاقة بين العبادة والثواب في ضوء المفهوم القرآني للخير ⁴.

← التصريحات:

يتمثل المعنى الصريح للآية في الإخبار عن شعيرة الهدي التي سنّها الله وجعل فيها خيراً للناس.

¹ سورة الحج، الآية 36.

² سورة الحج، الآية 35.

³ ابن عاشور، مرجع سابق، ج. 17، ص 263.

⁴ ابن عاشور، المرجع نفسه، ص. 262- 263.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← التضمينات والآثار السياقية:

- الخير بمعنى الأجر والثواب والمنفعة: ويُمثل الأثر المعرفي المحوري للآية. إذ إنّ

لفظة "خير" في هذا الموضع القرآني، كما يوضح ابن عاشور، جامعة شاملة لمنافع متعددة

لا تشير إلى مجرد "صلاح عام" بل هي نفع ملموس في الدّنيا والآخرة¹:

- أ. خير الآخرة: ويتمثل في الأجر والثواب الجزيل الذي يناله مُهدي البدن تقرباً إلى

الله. وهذا هو المعنى الأساسي للخير في هذا السياق.

- ب. خير الدنيا: ويشمل المنفعة المادّية أي الانتفاع بلحومها وجلودها حيث يأكل منها

المُهدي وأهله ويُطعم منها الفقراء والمحتاجين. وهذا الخير المادي هو تجلّ للبركة

التي جعلها الله في هذه الشعيرة.

- تعظيم شعائر الله: جعل البدن من شعائر الله يرفع من مكانتها إلى رمز ديني

يستوجب التعظيم والتّقديس. وفيه ترسيخ في نفس المسلم بأهمية تعظيم شعائر الدّين.

- المنة الإلهية والامتنان: استخدام كلمة "لكم" مرّتين (جعلناها لكم/ لكم فيها خير)

يؤكد أنّ هذه الشعيرة، مع أنّها عبادة لله، إلّا أنّ نفعها وخيرها يعودان على النّاس

أنفسهم، ما يُنتج أثراً بالامتنان لله² الذي شرع عبادات تعود بالخير على عباده في

آخرتهم ودنياهم.

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص. 263.

² ابن عاشور، المرجع نفسه، الجزء 17، ص. 262.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← الهدف التواصلي: يتمثل المقصد من الآية في ترسيخ مكانة شعيرة الهدى في

نفوس المسلمين وبيان الحكمة منها من خلال إبراز قيمتها المزدوجة كشعيرة تعبّدية

من جهة ومصدر للخير من جهة أخرى، وتحفيز المسلمين على تعظيمها لأنّ فيها

خيراً مضموناً، وإظهار رحمة الله بعباده وامتنانه عليهم بسنّ عبادات تعود عليهم بالنفع

المادي والروحي.

ب. تحليل الترجمات:

في ضوء ما استخلصناه من تحليل الآية، سننظر في مدى نجاح كل مترجم في تحقيق

التشابه التأويلي مع الأصل القرآني، وذلك عبر تقييم قدرة ترجمته على نقل الآثار المعرفية

المحورية التي حددناها، مع الأخذ في الاعتبار الجهد الذهني المطلوب من القارئ الفرنسي

للوصول إليها.

1. ترجمة حميد الله:

« Et quand aux bêtes de sacrifices, Nous vous les avons désignées comme des emblèmes de Dieu. Il y a là pour vous un **bien** ».

- الترجمة العكسية:

"وأما دوابّ الأضاحي، فقد جعلناها لكم من رموز الله. ثمّة فيها خيرٌ لكم".

- الاختيار المعجمي:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- البدن: استخدم حميد الله كمقابل للفظـة "بُدن" القرآنية عبارة (les bêtes de sacrifices) وفي هذا الاختيار تعميم "للابل والبقر عظيمة الجثة"¹ إلى مجرد (بهائم الأضحية) دون تخصيص. ولئن بدا هذا الاختيار ناجحاً في نقل معنى الأضحية إلا أنه يغيب الدلالة الخاصة بحجمها وعظم جثتها.
- شعائر الله: استخدم المترجم كمقابل لها العبارة (Emblèmes de Dieu) وهو اختيار يركّز كما يبدو على الجانب الرّمزي للشعيرة باعتبارها رموز وعلامات دينية، لكنه يفقد المصطلح القرآني معناه التعبدية كشعيرة دينية (rites).
- خير: يترأى لنا أن هذا الاختيار هو الأكثر إشكالية. فمفردة 'Bien' في اللسان الفرنسي، كما رأينا في نماذج سابقة، عامة ومحيدة دلاليّاً يمكن أن تشير إلى المنفعة أو المال أو كل ما فيه صلاح. لذلك، نجدها في هذا السياق بالتحديد لا تعكس مفهوم الخيرية المزدوجة كما تقدّمها الآية القرآنية الشاملة للأجر والثواب كما تشمل النفع الدنيوي. ما يدفع القارئ الفرنسي إلى فهمها كمنفعة دنيوية عامة دون بُعد الثواب، وهذا من شأنه أن يحدّ من عمق التضمن القيمي المقصود في الأصل القرآني.

- الأثر المعرفي:

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص 262.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- **الخير بمعنى الأجر والثواب والمنفعة:** نقلت الترجمة المعنى التشريعي العام بأن الله قد جعل الأضاحي من شعائره وأن فيها نفع. إلا أنها لم تنقل بدقة الأثر المعرفي الرئيس أي الخيرية كثواب جزيل لعموم لفظة (Bien)؛ فالقارئ الفرنسي يدرك أن فيها 'منفعة' لكنه لا يستحضر افتراض الأجر الأخروي. وبذلك يبقى المعنى مفتوحاً على تأويلات عامة وفضفاضة.
- **تعظيم شعائر الله:** وقّعت الترجمة في نقل افتراض الرّمزية الدينية لشعيرة البدن. إلا أن استخدام لفظة (emblèmes) حول الآية من دلالتها الشعائرية العميقة إلى توصيف رمزي، ما قلّ من الأثر التعبدي العملي للشعيرة.
- **المنة الإلهية والامتنان:** حفاظ الترجمة على تكرار لفظة (vous) يجعلها تحافظ على هذا الأثر، لكنّ عمومية لفظ (bien) وعبارة (désignées comme des emblèmes de Dieu) يقلّل من إدراك القارئ الفرنسي لحجم المنّة والنفع العائد من هذه الشعيرة.
- **الجهد الذهني:** تتسم الترجمة بالسهولة والوضوح اللغوي. إلا أنها سهولة ناتجة عن تبسيط دلالي أفقد الآية عمقها وأثرها المعرفي. إذ يمكن القول إنّ الجهد الذهني المطلوب من القارئ منخفض، لكنه لا يوجّهه إلى تأويل يحقّق الأثر القيمي الكامل الذي يقصده النصّ القرآني. وعلى النقيض من ذلك، فإنّ عموميّة كلمة (bien) قد تستدعي من القارئ جهداً ذهنياً إضافياً لتحديد المقصود بالخيرية وسيضطر للتساؤل

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

عن ماهية هذا الخير: أهو خيرٌ أخلاقي؟ أم مادّي؟ أم قيمي؟ وهو جهد استدلالِي قد لا يؤدّي بالضرورة إلى التأويل الصحيح المقصود في النص القرآني.

- درجة الملاءمة: باعتبار الأثر المعرفي المتوسط لهذه الترجمة التي نقلت معنى النفع دون معنى الثواب، ما يفقد الآية جزءاً كبيراً من هدفها التواصلِي المتمثل في تبيان الخيرية المزدوجة للشعيرة وتحفيز الناس على أدائها، يمكن اعتبار درجة ملاءمتها متوسطة لعدم تحقيقها التشابه التأويلي مع الأصل في جوهره.

2. ترجمة جاك بيرك:

« De (chamelles) ventrues, Nous vous prescrivons (l'immolation) au titre d'observance de Dieu : elles vous seront bénéfiques »

- الترجمة العكسية:

"من (الإبل) ممتلئة البطن/السّمان، نفرض عليكم (ذبحها) طاعةً لله: ستكون لكم نافعة".

- الاختيار المعجمي:

• البدن: استعمل بيرك عبارة (chamelles ventrues) أي "الإبل ممتلئة البطن" بمعنى "الإبل السّمان"، وهي تعتبر من حيث التخصيص عبارة دقيقة تنقل جنس البدن (chamelles) وهي الإبل وصفتها (ventrues) أي السمان. وهذا الاختيار يعبر بوضوح عن طبيعة هذه البدن كإبل عظيمة الجثة كما فصلها ابن عاشور. ما يبعد العبارة عن العمومية ويقربها من التوصيف القرآني. ونلاحظ هنا استخدام الأقواس للإشارة إلى أن ما داخلها إضافات تفسيرية من المترجم.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

• شعائر الله: ترجمها ب (au titre d'observance de Dieu) أي "في إطار طاعة الله"؛ وهو اختيار يغيّر، كما يبدو لنا، زاوية النظر من الرمزية الشعائرية إلى فعل التعبد. إذ إنّ تحويل الفعل القرآني "جعلناها" إلى "قروضنا" يبرز الأمر الإلهي في الشعيرة. كما أن إضافة اللفظة (immolation) بين قوسين أي "النحر" يحدّد طبيعة المنسك. وعليه، تدل العبارة ككل على غاية هذه الشعيرة، وهي طاعة الله، ما يحافظ على بُعدها العملي بدلاً من كونها رمزاً. مع ذلك، يبقى هذا الاختيار غير دقيق من جانب التعبير عن معنى (شعائر) بوصفها طقوس دينية مرئية (rites).

• خير: نقلها المترجم إلى (elles vous seront bénéfiques) أي "ستكون لكم نافعة" أو "مفيدة". وهي عبارة توجه القارئ مباشرة إلى النفع المادي الدنيوي باعتبار أنّ الفعل (bénéficier) في الفرنسية يدلّ على المنفعة والفائدة المحسوسة ولا يحمل في طياته معنى الأجر والثواب الأخروي. وبهذا تكون الترجمة قد اقتصرت على النفع الدنيوي وأهمّلت البعد القيمي والثوابي الذي ركّزت عليه الآية باعتباره الجزء الأهم من معنى الخير في هذا السياق.

- الأثر المعرفي:

• الخير بالمعنى الشامل للأجر والثواب والمنفعة: وفّقت الترجمة من خلال استخدام لفظة (bénéfiques) في نقل أثر الخير كمنفعة دنيويّة. لكنها في المقابل فشلت في نقل الأثر الأهم وهو خير الآخرة المتمثل في الأجر والثواب. فالقارئ الفرنسي سيدرك أن هذه

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الشعيرة نافعة له في دنياه، لكن دون استحضار لافتراض الجزاء الأخروي. وبذلك، تكون الترجمة قد نقلت نصف المعنى وأغفلت النصف الأهم.

- **تعظيم شعائر الله:** نجحت الترجمة جزئياً في نقل هذا الأثر من خلال عبارة (au titre d'observance de Dieu) إذ تربط الفعل (نحر البدن) مباشرة بطاعة الله، وفيه تعظيم له. لكنّها في المقابل تفقد الأثر الذي توحى به لفظة 'شعائر' القرآنية كرمز مرئيّ وعلامة دينية ظاهرة.

- **المنة الإلهية والامتنان:** حافظت الترجمة على أثر المنة الإلهية والامتنان من خلال عبارة (nous vous prescrivons) التي توحى بمصدر التشريع الإلهي. كذلك، تنقل عبارة (elles vous seront bénéfiques) بوضوح أنّ النفع يعود على الناس مع أنّ الامتنان يبقى غير مكتمل لتغيب أثر الخير الجامع بين نفع الدنيا والآخرة.

- **الجهد الذهني:** تتسم الترجمة بالوضوح والانسجام اللغوي، إذ لا تستلزم من القارئ جهداً كبيراً للاستدلال على المقاصد العامة للآية. غير أنّ هذا الوضوح يأتي على حساب عمق التأويل. فالمتلقي الفرنسي لن يحتاج إلى استدلال كبير لاستيعاب المعنى النفعي المباشر من لفظة خير، لكنّ ذهنه لن يُستحثّ نحو البحث في المعاني القيمية أو الأخروية. فلئن كان الجهد الذهني منخفضاً، إلّا أنّه من الجانب المعرفي غير منتج.
- **درجة الملاءمة:** تفوقت هذه الترجمة على ترجمة حميد الله في تحديد معنى "الخير" كنفع ملموس بدلاً من تركه فضفاضاً، لكنّها فشلت بدورها في نقل المقصد القيمي

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الأخروي للخير المتمثل في الأجر والثواب، وهو جوهر الآية. وباعتبار أنها حققت أثراً معرفياً جزئياً مقابل جهد ذهني منخفض، يمكن القول إنَّ درجة ملاءمتها متوسطة تميل إلى الانخفاض قياساً بمعنى الخير في هذا الموضع القرآني.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Et les chameaux, Nous les Prescrivîmes comme rites d'Allah, vous y avez du bien ».

- الترجمة العكسية:

"والجمال، فرضناها كشعائر لله، لكم فيها خير"

- الاختيار المعجمي:

• البدن: (les chameaux) باعتبار أنَّ البدن مرجعها عموماً الإبل العظيمة في نصّ الآية، خصّصت المترجمة نوعها على غرار بيريك، وهو اختيار ينأى عن التعميم الذي استخدمه حميد الله ويقارب المعنى القرآني للمصطلح.

• جعلناها لكم: (Nous les prescrivîmes) حولت المترجمة الفعل القرآني 'جعلنا' إلى (prescrire) أي 'فرضنا' مبرزةً، مثلها في ذلك مثل بيريك، افتراض التشريع والأمر الإلهي.

• من شعائر لله: (comme rites d'Allah). وقّعت الترجمة في جعل لفظة (rites) مقابلاً لللفظة القرآنية 'شعائر' كونها المقابل المباشر والأكثر دقة لأنها تنقل المعنى التعبدي لكلمة (observance) التي استخدمها بيريك وتتجاوز مجرد الرمز أو العلامة أو الطقوس

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

(emblèmes) التي أوردها حميد الله. إذ إنّها تحتفظ بالبعدين التعبدي والرمزي معاً وبوضوح باعتبارها ممارسات ذات طابع مقدّس أو رمزي مضبوطة بقواعد محدّدة، كما يعرفها اللسان الفرنسي:

« Pratiques réglées de caractère sacré ou symbolique »¹

• خير (du bien): تعود الترجمة هنا إلى الاختيار الإشكالي ذاته الذي استخدمه حميد الله، فكلمة (bien) هي كلمة عامة تترك المعنى مفتوحاً على تأويلات عدّة بدلاً من توجيه ذهن القارئ نحو النفع الملموس في الدنيا ولاسيما في الآخرة.

- الأثر المعرفي: وفّقت الترجمة في نقل معنى الفرض الإلهي والتشريع التعبدي بوضوح من خلال الفعل (Nous les Prescrivîmes) بما ينسجم مع تفسير ابن عاشور في كون "البدن" من الشعائر التي جعلها الله قرباناً للتقرّب إليه.

• الخير الشامل للأجر والثواب والمنفعة: تُضيع ترجمة عبد العزيز الأثر المزدوج للخير (المنفعة والثواب الجزيل) بسبب عمومية مفردة (bien) وحيادها دلاليّاً، فقد تُختزل في معنى النفع والصالح عامة دون استحضار البعد الإيماني المرتبط بمعنى الأجر والثواب الأخروي.

• تعظيم شعائر الله: وفّقت الترجمة في إعادة المعنى الأصلي للفظ "شعائر" باعتبارها ممارسة تعبدية مقدّسة من خلال لفظة (rites) ما يوجه ذهن القارئ الفرنسي إلى الاستدلال على أثر تعظيم الشعائر بشكل مباشر وغير منقوص.

¹ CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/rites>, (consulté, le : 01/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

• المنة الإلهية والامتنان: يمكن القول إنّ هذه الترجمة لم تحقق تشابهاً تأويلياً كاملاً

مع الآية القرآنية في إيصال رسالة الامتنان الإلهي بسبب عبارة (vous y avez du bien) (لكم فيها خير) التي تحافظ جزئياً على هذا الأثر لكنها تقلل من إدراك حجم المنة والعطاء الإلهي العائد منه للحياة الدلالي الذي تتطوي عليه مفردة (bien). زد أنّها أغفلت الدليل التواصلي الناتجة عن تكرار الضمير (لكم) الذي يشير إلى النفع الجزيل المُتَقَضَّل على الناس الموجب للامتنان والشكر.

- **الجهد الذهني:** تتميز الترجمة بالوضوح اللغوي والسلاسة التركيبية، فلا تتطلب من القارئ جهداً ذهنياً كبيراً لفهم معناها العام. لكنّ عموميّة كلمة (bien) تفرض على القارئ بذل جهدٍ إضافيٍّ لتحديد المقصود واستنتاج ماهية هذا الخير وطبيعته، وهو جهد استدلالي مرتفع نسبياً وقد لا يؤدي بالضرورة إلى التأويل الصحيح على جوهر الآية أي المعنى المزدوج للخيرية الدنيوية والأخروية.

- **درجة الملاءمة:** نستنتج في ضوء التحليل أعلاه أنّ ترجمة عبد العزيز تفوق ترجمتي حميد الله وبيرك في حفاظها على الأثر التعبدي للشعيرة من خلال مفردة (rites) لكنها تخفق في نقل الأثر المحوري واستحضار الخيرية المزدوجة، ما يغيب الحكمة التشريعية المتمثلة في الهدف التواصلي وفقاً للاصطلاح التداولي المعرفي. وباعتبار توفيقها من الجانب التشريعي وإخفاقها في الجانب القيمي يكون تشابهها مع الأصل من حيث التأويل تشابهاً جزئياً ما يعطي ملاءمتها درجةً متوسطة.

4. ترجمة شبل:

« Les animaux ventrus que Nous vous avons destinés en vue d'être sacrifiés au nom d'Allah constituent un bien pour vous ».

- الترجمة العكسية:

"الحيوانات السمان/الملتئة التي خصصناها لكم لتُحر باسم الله تشكل خيرًا لكم".

- الاختيار المعجمي:

• البدن (les animaux ventrus): يشبه هذا الاختيار التفسيري اختيار برك حيث تشير مفردة (ventrues) أي (الملتئة/السمنة) لمعنى البدانة وحجم الجثة الذي تنطوي عليه لفظة "البدن" القرآنية. إلا أنّ تعميمها بكلمة 'حيوانات' (les animaux) يجعلها أقل دقة من ترجمة برك أو عبد العزيز اللتين حدّدتا نوع هذه البدن (chamelles/chameaux).

• جعلناها لكم من شعائر الله: عمّد شبل إلى تفكيك هذه العبارة بالكامل وترجمتها ترجمة تفسيرية (que Nous vous avons destinés en vue d'être sacrifiés au nom d'Allah)، ويمكن تفصيلها قصد التحليل كالتالي:

- Que Nous vous avons destinés: أي 'التي خصصناها/هيئناها لكم'، وفي هذا الاختيار المعجمي نقل لمعنى التعيين الإلهي لهذه الأنعام كأضاحي. إلا أنه لا ينقل بدقة بُعد التشريع الذي تحمله لفظة 'جعلناها' القرآنية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- En vue d'être sacrifiés au nom d'Allah : عَمَد المترجم من خلال هذه الترجمة

إلى شرح معنى "شعائر الله" شرحاً كاملاً بدلاً من استخدام مقابل معجمي واحد (rites مثلا). وهو يفسر الشعيرة من خلال تبيان الغاية منها (لتنحر باسم الله)، لكنّه في المقابل يغيب البعد الرمزي للشعيرة كممارسة مقدّسة. وعليه وفقت الترجمة في توضيح المقصد العملي لكن دون أن تنقل القيمة التعبدية والرمزية لكلمة "شعائر".

• خير (bien) على غرار سابقه حميد الله وعبد العزيز، يعود شبل هنا إلى الاختيار الإشكالي. وكما رأينا في التحليل أعلاه فإنّ كلمة Bien اختيار عام وفضفاض، لا يحدد طبيعة الخير المقصود، ويفشل في نقل المعنى المزدوج "المنفعة المادية والأجر الأخروي" الذي يعدّ جوهر الآية.

- الأثر المعرفي:

• **الخير بالمعنى الشامل للأجر والثواب والمنفعة**: لم توفّق الترجمة في نقل هذا الأثر لأنّ لفظة (un bien) تُختزل في معنى النفع العام دون الإشارة إلى البعد الأخروي أي الأجر والثواب. كما أن غياب السياق الشعائري الواضح يجعل الخير يبدو نفعاً دنيوياً فحسب. وبذلك تفقد الترجمة أهم أثر معرفي أوردته لفظة الآية، وهو الربط بين العبادة والنفع الأخروي.

• **تعظيم شعائر الله**: لم يستخدم شبل مقابلاً مباشراً للفظ شعائر كما رأينا، وبدلاً من ذلك فكّك المفهوم وشرحه مع الاكتفاء بذكر الغاية منه (en vue d'être sacrifiés) وما

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

سيفهمه القارئ الفرنسي أن الله خصّص هذه الأنعام للنحر، أي سيستحضر جوهر الشعيرة كفعل تعبدي (وهو الأضحية) والغاية منه (وهي لوجه الله). إلاّ أنّه لن يدرك أنّ النحر ذاته شعيرة مقدّسة من شعائر الله. وفي ذلك تضييع للأثر الأصلي للشعيرة كعلامة ظاهرة ورمز دينيٍّ معظّم، وهو المعنى الذي تحمله كلمة "شعائر" في الأصل.

• **المنّة الإلهية والامتنان:** حافظت الترجمة جزئياً على هذا الأثر عبر الفعل (destinés) الذي يوحي بأن الله خصص هذه النعمة لعباده وأنّ نفعها يعود عليهم. لكن غياب المعنى الشعائري وضعف دلالة الخير يضعفان من إدراك القارئ لحجم المنّة الإلهية الحقيقية والامتنان لن يكون بالقوة ذاتها لو فهم الخير على أنّه منفعة في الدنيا وثواب جزيل في الآخرة.

- **الجهد الذهني:** تتميز ترجمة شبل بكونها تفسيرية وشارحة تستخدم لغة واضحة وسهلة لا يتطلب فهمها جهداً ذهنياً كبيراً. إلاّ أنّ هذا الوضوح يتحقّق على حساب العمق التأويلي؛ فالنّص لا يثير لدى القارئ أي تساؤل حول مقاصده نتيجة التبسيط الذي أفقده معانيه المعرفيّة. إذ يقدّم المترجم من خلال تفكيك مفهوم "شعائر الله" إلى جملة مفصلة (en vue d'être sacrifiés au nom d'Allah) يقدّم المعنى الوظيفي للشعيرة بشكل مباشر بما لا يترك مساحةً للتأويل. أمّا عمومية مفردة (bien) فقد تفرض على القارئ جهداً استدلالياً إضافياً سعياً لتحديد ماهية هذا "الخير" وهو جهد لن يقوده بالضرورة إلى المعنى المزدوج كما جاء في الآية الكريمة.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- **درجة الملاءمة:** تتميز ترجمة مالك شبل من بيت الترجمات الأربع بكونها الأكثر تفسيراً ما يجعلها سهلةً للفهم لكن على حساب الدقة والملاءمة كما رأينا. فقد أضاعت الترجمة، بتفكيكها مفهوم "شعائر الله" وتحويله إلى وظيفة (النحر لوجه الله)، أضاعت الأثر المعرفي للشعيرة كرمز دينيٍّ معظّم. كما أنّها أخفقت في نقل المعنى المحوري للفظـة "خير" القرآنية، مكتفية بمقابل عام (un bien) يختزل المعنى في نفع دنيوي فضفاض. وبذلك، تكون الترجمة قد أخلّت بأهم هدفين توأصيليين في الآية: بيان الخير الشامل وتعظيم الشعائر. وعلى الرغم من وضوحها اللغوي، إلّا أنّ إفراغها للنص من أبعاده المعرفية العميقة يجعلها ذات ملاءمة منخفضة مع نصّ الآية.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

نستشف ممّا سبق أنّ التحدي الأكبر للمترجمين جميعهم يكمن في لفظـة "خير". فقد أخفقت ثلاث ترجمات من أصل أربع (حميد الله، عبد العزيز، شبل) في نقل ازدواجية الخيرية الشاملة للمنفعة المادية الدنيوية والأجر والثواب الأخروي الجزيل. وكان اختيارهم لكلمة (un bien/du bien) عامّاً وفضفاضاً، ما أفرغ الآية من أهم أثر معرفي وهدف توأصلي لها. أما ترجمة بيرك فقد نجحت، باستخدامها لكلمة *bénéfiques* (نافعة)، في تحديد الجانب المادي للخير لكنها في المقابل فشلت في الإشارة إلى بُعدـه الأخروي وهو الأهم. وعليه، لم تنجح أي من الترجمات الأربع في تحقيق ملاءمة كاملة في هذه النقطة الجوهرية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

أما فيما يتعلق بترجمة "شعائر الله"، فقد تباينت المعالجات بشكل كبير. إذ تتصدّر ترجمة عبد العزيز قائمة الدقة باستخدامها للمقابل المباشر (Rites)، كما حافظت على معنى التعظيم والرمزية الدينية بشكل كامل. أما بيريك وشبل، فقد انتهجا نهجاً تفسيريّاً، حيث عمداً إلى شرح وظيفة الشعيرة (الطاعة/ النحر كأضحية)، وهو ما أوضح المعنى العملي للشعيرة ولكن على حساب معناها الرمزي. وكانت ترجمة حميد الله (emblèmes) هي الأضعف، حيث اختزلت "الشعيرة" في مجرد "رمز"، مما أفقدها دلالتها التعبدية المعظمة.

أمّا من جانب الجهد الذهني مقابل الأثر المعرفي، فنستنتج من مقارنة الترجمات عن علاقة عكسية مثيرة للاهتمام. إذ إنّ الترجمات الأكثر بساطة وغموضاً (حميد الله، عبد العزيز) فرضت جهداً ذهنياً أعلى على القارئ لاستنتاج المعنى الصحيح لكلمة "خير"، وهو جهد غير مثمر في الغالب. وفي المقابل، فإنّ الترجمات الأكثر تفسيراً وشرحاً (بيريك، شبل) قلّلت من الجهد الذهني لكنّها فعلت ذلك على حساب العمق التأويلي، حيث قدمت للقارئ الفرنسي معنى مبسطاً لكنّه منقوص.

وإنّنا نرى إمكانية تدارك إخفاق الترجمات في نقل المعنى الشامل لكلمة "خير" باعتماد هامش تفسيري أو صياغة لفظية بديلة لكلمة (bien). إذ يمكن استخدام، على سبيل المثال، صيغة مثل (un grand bien et une récompense) (خير جزيل وثواب) أو bien — à la fois utilitaire et récompensateur (خيرٌ نفعي وثوابي في آن واحد):

- « ... vous y avez un grand bien et une récompense »
- « ... vous y avez du bien — utilitaire et récompensateur »

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

هاتان الصيغتان تُصَرَّحان ضمناً بأن الخير هنا مزدوج: منفعة دنيوية + ثواب جزيل، ما يحسّن نقل الأثر المعرفي بسلاسة ويحقق تشابه تأويلي أقرب ما يمكن من الآية القرآنية.

الترجمة والتحليل	
الآية: وَالْبُذْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ (36، سورة الحج)	المترجم
« Et quand aux bêtes de sacrifices, Nous vous les avons désignées comme des emblèmes de Dieu. Il y a là pour vous un bien ».	حميد الله
<u>الاختيار المعجمي</u> : خير : bien	
<u>الأثر المعرفي</u> : منخفض	
لم ينقل معنى الخيرية المزدوجة (منفعة وثواب جزيل) وأضعف معنى الشعيرة.	
<u>الجهد الذهني</u> : مرتفع نسبياً بسبب المعنى الفضفاض للفظي un bien و emblèmes.	
<u>درجة الملاءمة</u> : منخفضة، بسبب الغموض والحياد الدلالي الذي أفرغ الآية من مقاصدها.	بيرك
« De (chamelles) ventrues, Nous vous prescrivons (l'immolation) au titre d'observance de Dieu: elles vous seront bénéfiques ».	
<u>الاختيار المعجمي</u> : خير = bénéfiques	
<u>الأثر المعرفي</u> : متوسط	
نجح في نقل النفع المادي للخير، لكنه أغفل تماماً أجر الآخرة. كما نجح جزئياً في نقل أثر التعظيم.	
<u>الجهد الذهني</u> : منخفض.	عبد العزیز
الترجمة واضحة وسلسة ولا تحتاج جهداً استدلالياً إضافياً.	
<u>درجة الملاءمة</u> : متوسطة.	
وُفِّق في تحديد معنى النفع المادي لكنه أغفل المعنى المرتبط بالبعد الأخروي.	
« Et les chameaux, Nous les Prescrivîmes comme rites d'Allah, vous y avez du bien »	
<u>الاختيار المعجمي</u> : خير = un bien	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الأثر المعرفي: نجحت بامتياز في نقل معنى "الشعيرة" كطقس تعبدي معظّم، لكنها فشلت في نقل أثر ازدواجية الخيرية.	
الجهد الذهني: مرتفع نسبيًا بسبب المعنى الفضفاض للفظة un bien.	
درجة الملاءمة: متوسطة، لأنها تفوقت في جانب (الشعائر) وأخفقت في الجانب الأهم (الخير).	
« Les animaux ventrus que Nous vous avons destinés en vue d'être sacrifiés au nom d'Allah constituent un bien pour vous ».	شبل
الاختيار المعجمي: خير = un bien	
الأثر المعرفي: منخفض أضاع معنى "الشعيرة" كرمز ظاهر معظّم، وأخفق في نقل معنى "الخير" المزدوج.	
الجهد الذهني: منخفض بسبب نهج الترجمة الشارح، لكنّه لا يوجه إلى المعنى الدقيق.	
درجة الملاءمة: منخفضة. لأن التبسيط أفرغ النص من أهم آثاره المعرفية وحال دون تحقيق تشابه تأويلي مع الآية.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

❖ النموذج الثالث: الخير بمعنى الوحي والقرآن والنبوة:

الآية	"مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (سورة البقرة، 105)
ترجمة حميد الله	« Ni ceux des gens du Livre* qui ont mécréu, ni les faiseurs de dieux, n'aiment qu'on fasse descendre sur vous un bienfait de la part de votre Seigneur. Alors que Dieu réserve qui Il veut pour Sa miséricorde ! Et Dieu est détenteur de l'énorme grâce ». (P. 22) <i>*Les gens du Livre ce sont principalement les Juifs et les Chrétiens, et en général tous ceux qui se réclament de posséder un Livre révélé.</i> <u>الترجمة العكسية:</u> " لا أولئك الذين كفروا من أهل الكتاب*، ولا صانعو الآلهة، يحبون أن ينزل عليكم منة/نعمة من عند ربكم. بينما الله يخص من يشاء لرحمته! والله مالك الفضل العظيم". * * أهل الكتاب أساساً هم اليهود والمسيحيون، وعموماً هم كل أولئك الذين يزعمون امتلاك كتاب منزل.
ترجمة بريك	« Les dénégateurs, parmi les Gens du Livre, non plus que les associants n'aiment que rien de bon ne descende sur vous de votre Seigneur. Or Dieu privilégie de Sa miséricorde qui Il veut. Dieu est Maître de la grâce grandiose ». (P.41) <u>الترجمة العكسية:</u> "لا يحب المنكرون من أهل الكتاب، ولا المشركون، أن ينزل عليكم أي شيء جيد من ربكم. ولكن الله يخص برحمته من يشاء، والله صاحب النعمة العظيمة".
ترجمة عبد العزيز	« Ni ceux qui devinrent mécréants, des gens du Livre, ni les polythéistes, ne souhaitent que quelque bien vous soit octroyé de votre Seigneur, mais Allah Privilégie de sa Miséricorde qui Il Veut. Allah possède la Munificence immense ». (P.74) <u>الترجمة العكسية:</u>

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

"لا يرجو أولئك الذين صاروا كفاراً، من أهل الكتاب، ولا المشركون أن تُمنحوا/تُؤتوا شيئاً من الخير من ربكم، غير أن الله يخصّ برحمته من يشاء. والله ذو الجود العظيم".	
« Ceux qui, parmi les adeptes du Livre, sont des incroyants ou des polythéistes* ne veulent aucunement que Dieu déverse sur vous Ses biens. Mais Allah réserve Sa grâce à qui Il veut, car Il détient la plus grande des faveurs ». (P. 28) * <i>Mûshriqin</i> الترجمة العكسية: "الذين هم من الكفار/غير المؤمنين أو المشركين، من أتباع الكتاب، لا يريدون البتّة أن يُفيض الله عليكم خيراته. ولكن الله يخصّ نعمته لمن يشاء، لأنّه مالك أعظم النعم".	ترجمة شبل

■ التحليل:

أ. تحليل النصّ المصدر:

الآية: "مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"¹.

- **السياق المعرفي:** تأتي الآية، بناءً على تفسير ابن عاشور²، في سياق كشف حسد

أهل الكتاب والمشركين للمسلمين وبيان أن هذا الحسد هو السبب الحقيقي لرفضهم الإيمان، وليس تمسكهم بدينهم كما يزعمون. إذ تخاطب الآية المسلمين قصد توعيتهم بخوارج أعدائهم وكذا تثبيتاً لقلوبهم. وقد ورد فيها مصطلحات مفتاحية نجلها فيما يلي:

¹ سورة البقرة، الآية 105.

² ابن عاشور، مرجع سابق، ج 1، ص 651 إلى 654.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- **الخير:** يوضح ابن عاشور أن "الخير" في هذا الموضع من القرآن هو "النبوة وما أيدها من الوحي والقرآن والنصر"¹: إنه خير محدّد، روحي ومعنوي، وهو أصل الرّسالة الإسلاميّة.
- **الرّحمة:** مرادفة للخير في هذا السياق². فقوله تعالى "يَخْنِصُ بِرَحْمَتِهِ" إعادة صياغة لـ "يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ"، وفيه تأكيد أنّ هذا الخير - أي الوحي والقرآن - هو رحمة إلهيّة.
- **يُنَزَّلُ/ يُنَزَّل:** أشار ابن عاشور إلى وجود قراءتين للفعل، ولكل منهما دلالة دقيقة³:
 - **يُنَزَّل:** بالتشديد وهي قراءة الجمهور، تدلّ على نزول القرآن منجّماً؛ وهذه القراءة تُبرز أن حسد الكفار كان يتجدد مع كل آية أو سورة تنزل.
 - **يُنَزَّل:** بالتخفيف وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو، تدلّ على مطلق الإنزال، سواء كان دفعة واحدة أو على دفعات؛ وهذه القراءة تركز على رفض الكفار مبدأ نزول الوحي على المسلمين من الأساس.
- **الأثر على الترجمة:** هذا الاختلاف قد ينعكس على الاختيارات المعجميّة للمترجمين⁴.

¹ ابن عاشور، المرجع نفسه، ص 653.

² ابن عاشور، المرجع نفسه.

³ ابن عاشور، المرجع نفسه.

⁴ تتلخص آراء العلماء في صيغتي الفعل "أنزل" و"نزل" في القرآن الكريم في أربعة اتجاهات رئيسية: يرى الرأي الأول أن "نزل" تدلّ على النزول التدريجي الخاص بالقرآن، بينما "أنزل" تدلّ على النزول دفعة واحدة. والثاني يركز على قوة المعنى، معتبراً أن التضعيف في "نزل" يفيد التقوية والتعظيم لشأن القرآن. أمّا الثالث فيجمع بين الرأيين، حيث يستخدم القرآن

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← التصريحات: تتجلى المعاني الصريحة للآية في:

- كراهة كفار أهل الكتاب والمشركون أن ينزل الله الخير على عباده المسلمين.
- الله يختص من يشاء من عباده برحمته.
- الله صاحب الفضل العظيم.

← التضمينات والآثار السياقية:

- **الخير بمعنى الوحي والقرآن:** الأثر الأهم الذي يجب أن يستدل عليه القارئ هو أن "الخير" الذي يَحْسُدُ الكفارَ المسلمينَ عليه ليس خيراً مادياً أو دنيوياً وإنّما هو الوحي والقرآن وهو أعظم خير يمكن أن يُنزل على الأمة.
- **الدافع لرفض للإسلام** ليس قناعات دينية، وإنّما هو الحسد والكرهية لرؤية النبوة والرسالة تنتقل إلى أمة أخرى.
- **الاصطفاء الإلهي:** إنزال الوحي هو اختيار إلهي محض قائم على حكمته وعلمه بمن هو أهل لهذه الرحمة، وليس أمراً خاضعاً لرغبات البشر أو حسدهم.

الفعلين للإشارة إلى نزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثم منجماً على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم. أما الرأي الرابع فيذهب إلى أن الفعلين مترادفان وأن التغاير من باب التقنن اللفظي. وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض كبار المفسرين كالطبري وابن كثير لم يتطرقوا لهذا الفرق، وما يستنتج هو أن هذه الآراء تبقى رؤى اجتهادية قيمة لفهم ثراء النص القرآني، قد يتفق معها القارئ أو يخالفها ولكنها تظلّ اجتهادات تستحق التقدير. **يراجع في هذا الصدد:** لطائف حول (نزل) و(أنزل) في القرآن، موقع إسلام

<https://www.islamweb.net/ar/article/150004/%D9%84%D8%B7%D8%A7%D8%A6%D9%81%D8%AD%D9%88%D9%84%D9%86%D8%B2%D9%84%D9%88%D8%A3%D9%86%D8%B2%D9%84%D9%81%D9%86%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86#>, (تاريخ المراجعة: 2025/11/07).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ الامتنان والتثبيت: على المسلمين إدراك حجم النعمة - الخير والرحمة - التي

خصهم الله بها، والثبات عليها، وعدم الالتفات إلى كراهية الكافرين.

← الهدف التواصل: يتمثل مقصد الآية في تثبيت المؤمنين من خلال كشف حقيقة

حسد أعدائهم، وتعظيم شأن نعمة الوحي والقرآن المنزلة عليهم، والتأكيد على أن هذا

الاصطفاء فضل إلهي مطلق لا يخضع لأهواء البشر.

ب. تحليل الترجمات:

بعد أن حدّدنا الأبعاد المعرفية والتواصلية للآية الكريمة، ننتقل فيما يلي إلى تحليل

الترجمات الأربع المقترحة لتقييم درجة ملاءمتها في تحقيق تشابه تأويلي مع النص القرآني

مع التركيز على تحدّيتين رئيسيتين يواجهان المترجم في هذه الآية:

- ترجمة لفظة "خير": حيث سننظر في قدرة كل مترجم على تجاوز المعنى العام للكلمة

ونقل دلالتها السياقية المحددة وهي "الوحي والقرآن".

- ترجمة الفعل "يُنزَّلُ": سنحلل اختيار كل مترجم في ضوء القراءتين القرآنيتين، ومدى

نجاحه في التعبير عن معنى الإنزال المطلق الذي تفيده قراءة التخفيف أو معنى

التنزيل التدريجي والمنجّم الذي تفيده قراءة الجمهور بالتشديد.

1. ترجمة حميد الله:

« Ni ceux des gens du Livre* qui ont mécré, ni les faiseurs de dieux, n'aiment qu'on fasse descendre sur vous un bienfait de la part de votre Seigneur. Alors que Dieu réserve qui Il veut pour Sa miséricorde ! Et Dieu est détenteur de l'énorme grâce ».

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

**Les gens du Livre ce sont principalement les Juifs et les Chrétiens, et en général tous ceux qui se réclament de posséder un Livre révélé.*

- الترجمة العكسية:

"لا أولئك الذين كفروا من أهل الكتاب*، ولا صانعو الآلهة، يحبون أن يُنزل عليكم منة/نعمة من عند ربكم. بينما الله يَخَصُّ من يشاء لرحمته! والله مالك الفضل العظيم".

*أهل الكتاب أساساً هم اليهود والمسيحيون، وعموماً هم كل أولئك الذين يزعمون امتلاك كتابٍ مُنزل.

- الاختيار المعجمي:

• خير: نقلها حميد الله إلى الفرنسية باستخدام لفظة (Bienfait) والتي تشير إلى النعمة والمنة والفضل. ويلاحظ أنّ هذا المقابل الفرنسي المستخدم لا يفي بالمعنى السياقي المحدّد للخير في هذه الآية. إذ إنّهُ مقابل عامّ قد يفهمه القارئ الفرنسي على أنّه أيّ نعمةٍ مادية من صحة أو مال أو فضل معنويّ عام. وهذا الاختيار يفشل في توجيه القارئ نحو المعنى المقصود.

• المشركين: ترجمها حميد الله بـ (les faiseurs de dieux) أي "صانعو الآلهة" و"عبدة الأوثان" ما يجعلها ترجمةً وصفية لافتة. ولعلّه يقصد بها تحقير فعل الشرك وإظهار تفاوته لما في عبارة "صانعو الآلهة" من نبرة تهكميّة واضحة. إذ لا يعقل أن يصنع الإنسان إلهه وخالقه. ثمّ إنّ هذه الآلهة المزعومة مجرد مصنوعات ما ينزع عنها صفة القداسة. وفي كل ما ذكر تناقض سخيف يبرز بطلان الشرك، والهدف هو إثارة شعور بالازدراء لدى القارئ تجاه فكرة الشرك. ومع ذلك، يبقى هذا الاختيار محفوفاً بالمخاطر من الناحية

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الترجمية، ونرى أنه غريبٌ على القارئ الفرنسي باعتبار أنه يضحى بالدقة الاصطلاحية في سبيل تحقيق أثر انفعالي وهو غير موفق لاسيما أنه يوجد من المقابلات الفرنسية ما هو أكثر شيوعاً وملاءمة مثل *associateurs* أو *polythéistes*.

• يُنَزَّلُ: (qu'on fasse descendre sur vous) هذا الاختيار يتوافق مع قراءة التخفيف (يُنَزَّلُ) التي تفيد مطلق الإنزال. وهي تفيد رفض الكفار نزول الوحي على المسلمين. لكنّها في المقابل لا توحى بالدلالة الإضافية لقراءة الجمهور بالتشديد والتي تشير إلى النزول المنجم تسهياً للحفظ والفهم والكتابة وتيسيراً على المكلفين في شرع الأحكام تدريجياً. وهذا الاختيار يضيق فرصة إبراز تجدد حسد الكفار مع كل وحي جديد، وهو أثر معرفي مهم.

• استخدام الحاشية: استخدم حميد الله حاشيةً شارحةً لمفردة (Gens du livre) أي "أهل الكتاب"، وفي ذلك إقرار ضمني بأنّ القارئ للترجمة قد يغمض عليه فهمها. فهي من جهة تقلل من الجهد الذهني لديه، لكنّها في المقابل تضعف من انسيابية النص وتظهر عدم اكتفاء الترجمة بذاتها مع أن المفردة ليست غريبة تماماً عن القارئ الفرنسي. ونرى أنّه من الأجدى وضع حاشية تشير إلى وجود قراءة ثانية للفعل "يُنَزَّلُ" تُتيح للقارئ الفرنسي فهم طبقات المعنى الإضافية التي توجهه نحو التدبر في أثر تجدد حسد الكفار عند كل تنزيل، وهو أثر معرفي جوهري أهملته الترجمة في شكلها الحالي. لقد استخدم المترجم

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الحاشية للتعامل مع تحدٍ بسيط، وأغفل استخدامها للتعامل مع التحدي المعرفي الأكبر في الآية.

• والله يختصّ: (Dieu réserve qui Il veut) تبرز هذه العبارة الإرادة الإلهية المطلقة في مقابل حسد الكفار وكرههم لهذا الاصطفاء الإلهي، وهذا المعنى يتعزز بعلامة التعجب التي تضيف نبرة تأكيدية للجملة.

■ الأثر المعرفي:

• الخير بمعنى الوحي والقرآن: استخدام لفظة (bienfait) لا يظهر معنى الخيرية المقصودة من الآية. فالقارئ الفرنسي لن يستنتج أن 'الخير' المذكور هو الوحي والنبوة، بل سيفهمه كنعمة عامة، مما يفقد الآية أثرها المحوري.

• الحسد كدافع: تنجح الترجمة جزئياً في تحقيق هذا الأثر. إذ إنّ القارئ الفرنسي سيفهم أنّ النعمة التي يختصّ بها الله من يشاء من عباده يحسدون عليها، لكنه لن يدرك أن مصبّ هذا الحسد هو أصل الرسالة نفسها.

• الاصطفاء الإلهي: تنجح الترجمة في تحقيق هذا الأثر بفضل الاستخدام الموفق لعبارة « Dieu réserve qui Il veut pour Sa miséricorde! » التي تنقل بوضوح فكرة الاختصاص الإلهي في مقابل الرّفص والحسد البشري.

- الجهد الذهني: غموض مفردة « bienfait » يفرض على قارئ الترجمة جهداً استدلالياً عالياً لتحديد ماهية النعمة المحسودة من الكفار. كما أنّ عبارة « faiseurs de

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« dieux » قد تتطلب جهداً لفهمها في هذا سياقها المقصود. من ناحية أخرى، قد تسهم الحاشية في إدراك معنى مصطلح "أهل الكتاب". هذا ما يصنف الجهد الذهني في مستوى متوسط.

- درجة الملاءمة: على الرغم من نجاح هذه الترجمة في نقل أثر المقابلة والاصطفاء الإلهي، يمكن القول إنها تحقق درجة منخفضة من الملاءمة لإخفاها في أهم نقطتين محوريّتين:

- تحديد طبيعة الخيريّة على أنها الوحي والقرآن ما أدى إلى ضياع الهدف التواصلية الأسمى للآية.

- إهمالها للدلالة الإضافية لقراءة الجمهور (التنزيل المنجم للقرآن).

2. ترجمة جاك بيرك:

« Les dénégateurs, parmi les Gens du Livre, non plus que les associants n'aiment que rien de bon ne descende sur vous de votre Seigneur. Or Dieu privilégie de Sa miséricorde qui Il veut. Dieu est Maître de la grâce grandiose »

- الترجمة العكسية:

"لا يحبّ المنكرون من أهل الكتاب، ولا المشركون، أن ينزل عليكم أيّ شيء جيّد من ربّكم. ولكن الله يخصّ برحمته من يشاء، والله صاحب النعمة العظيمة".

- الاختيار المعجمي:

• خير: استخدم بيريك عبارة (rien de bon) في مقابل لفظة "خير" القرآنية. وهذه العبارة تحمل من العمومية ما يفوق لفظة (bienfait) التي استخدمها حميد الله. إذ إنها محايدة ومبسطة تحيل إلى معنى مباشر (لا شيء جيد) تعوزه الشحنة الرمزية وتحصره في نعم ومنافع دنيوية ومباشرة. وهذا الاختيار لا ينجح في تحديد طبيعة الخيرية المقصود في الآية أي الوحي والقرآن.

• الذين كفروا: ترجمها بكلمة مستحدثة (les dénégateurs)، وهي تعني في القاموس الفرنسي:

« *Néologisme. Celui qui nie* »¹.

« *Personne qui refuse d'admettre, de reconnaître quelque chose comme vrai* »².

أي المنكرون. وهي مشتقة من مفردة 'Dénégation'

« *Action de refuser l'existence ou la vérité d'un fait* »³

والتي تفيد إنكار حقيقة ما ونفيها ورفض الاعتراف بصحتها. فالمفردة تحمل معنى الإنكار والوجود بعد المعرفة. وهذا ما يتناسب مع المعنى القرآني وحالة أهل الكتاب الذين عرفوا الحق لكنهم أنكروه حسداً من أنفسهم.

¹ Dictionnaire Littré, <https://www.littre.org/definition/d%C3%A9n%C3%A9gateur>, (Consulté, le 09/11/2025).

² Dénégateur, La Langue Française, <https://www.lalanguefrancaise.com/dictionnaire/definition/denegateur>, (Consulté, le 09/11/2025).

³ Dénégation, La Langue Française, <https://www.lalanguefrancaise.com/dictionnaire/definition/denegation>, (Consulté, le 09/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

• المشركين: (les associants) يعدّ هذا الاختيار موفقاً كونه المقابل المباشر والدقيق للفظة القرآنية. إذ إنّها مشتقة من الفعل Associer والذي يفيد الاشراك، ويقصد بها بترك هنا إشراك العبادة مع الله. وهذا ما يتوافق مع المفهوم القرآني للشرك الذي لا يقتصر على الاعتقاد بتعدّد الآلهة كما توحى بذلك لفظة polythéiste¹، بل يعني اعتقاد شريك لله في ألوهيته وفي الفعل².

• يُنزَّل: استخدم بترك فعل (descende) وهذا الاختيار، كما في حالة حميد الله، يتوافق مع قراءة التخفيف التي تفيد مطلق الإنزال. وهو مثل حميد الله لم يشر إلى قراءة الجمهور بالتشديد. ما يضيّع الإشارة إلى النزول المنجم للوحي ويغيّب أثر تجدد الحسد مع كل وحي جديد.

• والله يختص: (or Dieu privilégie) تنقل هذه الترجمة معنى الاستدراك والمقابلة بين حسد الكفار للمسلمين واصطفاء الله لهم من خلال الرابط (Or). كما أن فعل (privilégier) بمعنى فضّله ومازه ومنحه امتيازاً خاصاً³ هو مقابل ينقل بوضوح معنى الاختصاص والاصطفاء الإلهي.

¹ Polythéisme, Dictionnaire CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/polythisme>, (Consulté, le : 09/11/2025).

² انظر تعريف الشرك في: الموسوعة العقدية، <https://dorar.net/aqeeda/2975>، (تاريخ المراجعة: 2025/11/09).

³ يراجع قاموس المعاني، <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-fr/privil%C3%A9gier>، (تاريخ المراجعة: 2025/11/09).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الأثر المعرفي:

- الخير بمعنى الوحي والقرآن: أدى استخدام عبارة (Rien de bon) المبسطة والمحايدة إلى تغييب هذا الأثر المعرفي المحوري في الترجمة. فهي لا تزود القارئ الفرنسي بأيّ قرينة لربط هذا "الخير" بالوحي والقرآن، وسيؤوله على أنّه أيّ منفعة دنيوية عامة كنصر أو غنيمة، ما يضيع مقصد الآية وجوهر الرسالة.
 - الحسد كدافع: نجحت الترجمة في نقل أثر الحسد الذي يظهره الكفار والمشركون بشكل سطحيّ لأنّها لم تعيّن الأمر المحسود والمتمثّل في أصل الرسالة السماوية أي القرآن والوحي، إذ يبدو حسداً على منافع مادية دنيوية.
 - الاصطفاء الإلهي: حققت الترجمة هذا الأثر ونقلت بوضوح فكرة الاختيار الإلهي القائم على الإرادة المطلقة في مقابل حسد البشر.
- الجهد الذهني: يعدّ منخفضاً كون الترجمة سلسلة لغوية واضحة من حيث التركيب. كما أنّ الاختيارات المعجمية (dénégateurs/ associants) تجعل النص مفهوماً ومألوفاً للقارئ الفرنسي. مع ذلك، يبقى هذا الوضوح سطحياً كونه تحقّق على حساب العمق التأويلي. فالقارئ لا يبذل جهداً ذهنياً لأنّه لم يُعطى مادّة يتدبّرها. فالنص بسيط ولا يثير أي تساؤل حول طبيعة "الخير" المقصود، بل يقدمه كمعنى دنيوي جاهز ومباشر.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- درجة الملاءمة: بالرغم من نجاح الترجمة في تحقيق تشابه تأويلي في بعض الآثار المعرفية، إلا أنّ اخفاقها في نقل الأثر المحوري للآية أدى إلى ضياع هدفها التواصلية. وعليه يمكن القول إن درجة ملاءمتها مع النص المصدر منخفضة.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Ni ceux qui devinrent mécréants, des gens du Livre, ni les polythéistes, ne souhaitent que quelque bien vous soit octroyé de votre Seigneur, mais Allah Privilège de sa Miséricorde qui Il Veut. Allah possède la Munificence immense ».

- الترجمة العكسية:

"لا يرجو أولئك الذين صاروا كفاراً، من أهل الكتاب، ولا المشركون أن تُمنحوا/تُؤتوا شيئاً من الخير من ربكم، غير أنّ الله يخصّ برحمته من يشاء. والله ذو الجود العظيم".

- الاختيار المعجمي:

• خير: استخدمت عبد العزيز عبارة (quelque biens) وهذا الاختيار بدوره عام وشامل لمعاني الخير ولا يحدّد المقصود به في هذا الموضع. ولعلّ أكثر ما يرتبط بهذا اللفظ والتعبير بالذات هو المنح الماديّة والعطاء الدنيوي، مما يبعد التأويل أكثر عن المعنى الروحي المقصود.

• الذين كفروا: ترجمتها بـ (ceux qui devinrent mécréants) أي (أولئك الذين صاروا كفاراً) وهذا ما يمكن اعتباره ترجمة تفسيرية شارحة. إذ يشير فعل (devenir) إلى التحول والصورورة (أصبح/صار) ما يعني أن كفرهم لم يكن حالتهم الأصلية وإنّما طرأ

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

عليهم بعد الإيمان وبعد معرفة الحق. وهو ما يتناسب مع حالة أهل الكتاب الذين كانوا على هدى لكنهم بحسدهم النبي صلى الله عليه وسلم على الوحي والمسلمين على القرآن صاروا إلى الكفر بما أمرت به كتبهم¹.

• المشركين: (les polythéistes) يعدّ المقابل الأكثر شيوعاً في الفرنسية لكلمة "المشركين". ورغم أنه مقبول ومفهوم على نطاق واسع إلا أنه، كما أشرنا سابقاً، قد يكون أقل دقة من كلمة (associants) التي استخدمها بيريك. فهي تركز كما تبين لنا من معناها المعجمي على الاعتقاد بتعدد الآلهة بينما المفهوم القرآني للشرك أوسع ويشمل أي شكل من أشكال "الإشراك" مع الله.

• يُنَزَّل: (vous soit octroyé) ويشير هذا الاختيار إلى معنى الإيتاء والعطاء والمنح. ولئن بدا دقيقاً في نقل نتيجة فعل الإنزال بأن سبب حسد الكفار متعلق بهذا العطاء الإلهي كما قال به ابن عاشور²، إلا أنه في المقابل لا يورد أي إشارة إلى حركة النزول من السماء، ما يضيّع الآثار الناشئة عنه.

• والله يختصّ: (Mais Allah privilégie) "غير أن الله يخصّ" هو اختيار جيد لنقل معنى الاستدراك والمقابلة بين عطاء الله وحسد الكفار. كما أن فعل privilégier (يخصّ/يفضّل) هو مقابل مناسب للفعل "يختصّ" وينقل بوضوح فكرة الاصطفاء الإلهي.

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص 653.

² "وذلك على أن نفي ودادتهم متعلّق بمطلق إنزال القرآن سواءً أكان دفعةً أو منجّماً"، يراجع: ابن عاشور، المرجع نفسه.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الأثر المعرفي:

• الخير بمعنى الوحي والقرآن: على غرار الترجمات السابقة، لا يزود استخدام عبارة عامة ومحيدة كعبارة (quelque bien) القارئ بمعنى "الخير" أنه الوحي والقرآن. كما أنّ اختيار الفعل (octroyer)، يغيب معنى النزول، يزيد من صعوبة تأويل المعنى المقصود من الخير، ويوجه الفهم نحو أي منحة دنيوية أو عطاء ماديّ.

• الحسد كدافع: تحقّق الترجمة هذا الأثر لكن سطحياً فقط. إذ سيفهم القارئ أنّ الكافر يحسد المسلم على "عطاء" أو "منح" أتاه الله إياها لكنّه لن يدرك أنّ هذا الحسد منصب على أصل الوحي والنبوة بل سيبدو له امتيازاً أو فضلاً مادياً.

• الاصطفاء الإلهي: يتحقّق هذا الأثر بوضوح من خلال عبارة (mais Allah Privilégie de sa Miséricorde qui Il Veut) التي تنقل فكرة الاختيار الإلهي في مقابل هوى البشر.

- الجهد الذهني: تعتبر هذه الترجمة واضحة من الناحية اللغوية، باعتبار اختياراتها المعجمية مثل (polythéistes)، سلسلة من الناحية التركيبية. إلّا أنّ هذا الوضوح قد تحقّق على حساب التأويل الصحيح. فالنص لا يثير لدى القارئ أي تساؤل حول طبيعة "الخير" لأنّه يُقدّمه كمنحة بصورة عامة. كما أنّ غياب الإشارة إلى معنى "النزول" يحمل القارئ على بذل جهد استدلالي إضافي الأغلب ألاّ يوصله إلى معنى الوحي والقرآن.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- درجة الملاءمة: بالرغم من نجاح الترجمة في تحقيق تشابه تأويلي في بعض الآثار المعرفية كالاصطفاء الإلهي إلا أن إخفاها في نقل الأثر المحوري للآية أدى إلى ضياع هدفها التواصل. فاستخدامها لعبارة تطبعها صفة العمومية (quelque bien) كمقابل للفظـة "خير" مقترنةً بفعل (octroyer) يغيب معنى النزول السماوي؛ ما من شأنه تغييب المعنى المقصود (الوحي والقرآن). وعليه، يمكن القول إن تحقيقها للتشابه التأويلي مع نص الآية ضعيف ما يجعل درجة ملاءمتها بالتالي منخفضة.

4. ترجمة شبل:

« Ceux qui, parmi les adeptes du Livre, sont des incroyants ou des polythéistes* ne veulent aucunement que Dieu déverse sur vous Ses biens. Mais Allah réserve Sa grâce à qui Il veut, car Il détient la plus grande des faveurs ».

* *Mûshriqin*

- الترجمة العكسية:

"الذين هم من الكفار/غير المؤمنين أو المشركين، من أتباع الكتاب، لا يريدون البتة أن يُفيض الله عليكم خيراته. ولكن الله يخص نعمته لمن يشاء، لأنه مالك أعظم النعم".

- الاختيار المعجمي:

• خير: (Ses biens) استخدم شبل عبارة (خيراته)، وهذا المقابل يشير إلى المعنى الدنيوي المادي للخير (أموال/منافع مادية/متاع) كما تبين لنا في تحليلات سابقة. وهذا الاختيار لا يوحي بالعمومية فحسب بل يوجه ذهن القارئ نحو تأويل مادي بحت، ويغيب أي ارتباط محتمل بالمعنى الروحي للوحي والقرآن.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

• من أهل الكتاب: (parmi les adeptes du Livre) استخدام شبل كلمة (adeptes) أي (أتباع أو مريدو) بدلاً من (gens) التي تشير إلى جماعة تتبع عقائدياً كتاباً سماوياً وفي هذا الاستخدام دلالة على ميله نحو الترجمة التفسيرية والشرح بدلاً من الالتزام بالمصطلح القرآني المباشر. كما أنّ وصفهم بـ "غير المؤمنين" (incroyants) يغيب جانب الإنكار والجحود الذي أثبتهم بيرك من خلال كلمة (dénégateurs).

• المشركين: (des polythéistes) اختار شبل المقابل الأكثر شيوعاً وهو عموماً مقبول ومفهوم لدى القارئ. لكنه كما ذكرنا، يركز على "الاعتقاد بتعدد الآلهة" وهو بذلك أقل دقة من كلمة (associants). واللافت في هذه الترجمة إضافة حاشية هي نقرة لكلمة مشركين (Mushriqin). ولربما يروم المترجم بها التنبيه إلى أنّ الكلمة الفرنسية لا تطابق المصطلح القرآني تماماً وإنّما هي تقريب له بحكم أنّه يشمل عبادة الله مع غيره وليس مجرد تعدّد آلهة مستقلة، كما يشمل صوراً من الشرك كالرياء واتخاذ الوسطاء وغيرها من الصور. ومثل هذه الحاشية من شأنها أن تحافظ على المفهوم الثقافي الخاص لمصطلح الشرك حيث توجه القارئ الباحث المتخصص إلى الرجوع إلى الجذر العربي في المعاجم والبحث في معناه ودلالاته. مع ذلك، نرى أنّ هذه الحاشية لا تُضيف قيمة تأويلية للقارئ العادي غير المتخصص.

• يُزَلّ: استعمل شبل في مقابل فعل التنزيل المقابل الفرنسي Déverser والذي يفيد، من جملة ما يفيد من دلالات، "الفيض" و"الصّب". وهو يحافظ بذلك على فكرة النزول

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

من الأعلى إلى الأسفل. كما يحمل معنى الغزارة والكثرة ما قد يوحي إلى عظم هذا الخير. مع ذلك، لا يُشير هذا الاختيار، كما في الترجمات السابقة، إلى اختلاف القراءات ولا إلى المعنى الإضافي الذي تورده قراءة التشديد وهو نزول القرآن منجماً وبالتدرّج.

- والله يختصّ: (Mais Allah réserve) استعمال الفعل (réserver) مقروناً بالرباط (mais) موفق لأنّه ينقل معنى الاستدراك والاصطفاء الإلهي. وهو ينحو نحو ترجمة حميد الله وعبد العزيز.

– الأثر المعرفي:

- الخير بمعنى الوحي والقرآن: توجّه الترجمة القارئ إلى تأويل معنى الخير تأويلاً مادياً ما يبعده عن معنى الوحي والقرآن. ما يضيّع تحقيق هذا الأثر المحوري في الآية.
- الحسد كدافع: يتحقق هذا الأثر لكن في ارتباطه بمحتوى الخير المادي. إذ سيفهم القارئ أن الكفار يحسدون المسلمين على الخيرات المادية التي يفيضها الله عليهم، وهو ما يجرد دافع الحسد من ارتباطه بالبعد الروحي أي الحسد على الوحي والنبوة والقرآن.
- الاصطفاء الإلهي: يتحقق هذا الأثر بوضوح من خلال عبارة (mais Allah réserve) (Sa Grâce à qui Il veut)، التي تنقل فكرة الاختيار الإلهي في مقابل هوى بعض البشر.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- **الجهد الذهني:** تبدو الترجمة سلسلة في لغتها واضحة في تراكيبها. ما يبقي الجهد الذهني للقارئ منخفضاً. لكنّ هذا الوضوح مضللّ لأنها تقدّم له معنى جاهزاً لا يحمله على الاستدلال على الخيرية المقصودة في هذا الموضع القرآني.

- **درجة الملاءمة:** تعدّ هذه الترجمة أكثر الترجمات الأربع ابتعاداً عن المعنى المحوري للآية. فبالرغم من نجاحها في نقل معنى الاصطفاء الإلهي، إلا أن اختيارها لمقابل مادي صريح (Ses biens) لمفردة "خير" القرآنية يُغيّب الأثر المعرفي الأهم ويوجّه القارئ نحو تأويل يتعارض مع الهدف التواصلية للآية، هذا من جهة. وإذا اعتبرنا، من جهة أخرى، إغفال الإشارة إلى قراءة الجمهور فإنّ درجة الملاءمة مع نصّ الآية تعدّ الأضعف بين الترجمات الأربع.

← الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

شكلت مفردة "خير" التحدّي الأكبر لجميع المترجمين. فقد أخفقت الترجمات الأربع في نقل معناها المحدد وهو "الوحي والقرآن والنبوة". إذ تباينت الاختيارات الترجميّة بين مقابلات عامة ومحايّدة كما عند حميد الله (Bienfait) وعامة مبسّطة (quelque bien/rien de bon) كما عند بيريك وعبد العزيز؛ ومقابل مادي صريح كما عند شبل (Biens). وقد أسفرت هذه الاختيارات المتباينة عن تغييب الأثر المعرفي المحوري للآية، وجعلت حسد الكفار يبدو كحسد على متاع ومنح دنيوية لا على العقيدة والاصطفاء الإلهي. وعليه، لم تتجح أي من الترجمات في تحقيق ملاءمة كاملة في هذا الجانب الجوهرية من الآية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

أما فيما يخص التحدي الثاني وهو ترجمة الفعل "يُنْزَل"، فقد أظهر التحليل إجماعاً - غير مقصود - بين المترجمين على اختيار مقابلات تتوافق مع قراءة التخفيف (يُنْزَل) التي تفيد مطلق الإنزال. ولئن كان هذا الاختيار في حد ذاته موفقاً إلا أنه كان من الأجدى الإشارة إلى وجود قراءة أخرى حتى يتمكن القارئ للترجمة من الإلمام بجميع طبقات المعنى التي توردها الآية. إذ إنَّ تغييب المعنى الإضافي الذي تحمله قراءة الجمهور بالتشديد يُغفل أثراً معرفياً مهماً كما أشار إليه تفسير ابن عاشور. وهو الأثر الذي أغفلته جميع الترجمات. ومع ذلك، يمكن ترتيب هذه الترجمات نسبياً حيث تأتي ترجمة جاك بيرك في المرتبة الأولى ضمن هذا التقييم المنخفض. فبالرغم من إخفاقها في ترجمة "خير" إلا أن دقتها العالية في ترجمة "الذين كفروا" و"المشركين" تمنحها أفضلية نسبية. تليها ترجمة محمد حميد الله، التي تتشابه مع ترجمة بيرك في الإخفاقات الرئيسية لكن اختيارها لكلمة *faiseurs de dieux* يقلل من دقتها الاصطلاحية. ونجد في المرتبة الثالثة ترجمة زينب عبد العزيز التي زادت من صعوبة الوصول للمعنى الصحيح باختيارها لفعل *octroyer* الذي يغيب فكرة النزول السماوي. وأخيراً، تعدّ ترجمة مالك شبل الأضعف والأكثر ابتعاداً عن مقصد الآية، حيث إنَّ اختيارها لمقابل مادي صريح لا يغيب المعنى فحسب بل يوجه القارئ نحو تأويل مغلوط، ما يجعلها الأدنى ملائمة ضمن الترجمات الأربع.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (105، سورة البقرة)
حميد الله	« Ni ceux des gens du Livre* qui ont mécru, ni les faiseurs de dieux, n'aiment qu'on fasse descendre sur vous un bienfait de la part de votre Seigneur. Alors que Dieu réserve qui Il veut pour Sa miséricorde ! Et Dieu est détenteur de l'énorme grâce ». <i>*Les gens du Livre ce sont principalement les Juifs et les Chrétiens, et en général tous ceux qui se réclament de posséder un Livre révélé.</i> <u>الاختيار المعجمي:</u> خير = Bienfait غير دقيق في نقل الخيرية بمفهومها الروحي. <u>الأثر المعرفي:</u> منخفض. لم يحقق أثر (الخير=الوحي) وهو الأثر المحوري، وحقق جزئياً أثر (الحسد كدافع)، بينما نجح في تحقيق أثر (الاصطفاء الإلهي). <u>الجهد الذهني:</u> متوسط، لغموض بعض الاختيارات المعجمية bienfait / faiseurs de dieux <u>درجة الملاءمة:</u> منخفضة، لإخفاقه في نقل الأثر المحوري وإهماله دلالة قراءة الجمهور .
بيرك	« Les dénégateurs, parmi les Gens du Livre, non plus que les associants n'aiment que rien de bon ne descende sur vous de votre Seigneur. Or Dieu privilégie de Sa miséricorde qui Il veut. Dieu est Maître de la grâce grandiose » <u>الاختيار المعجمي:</u> bon = خير <u>الأثر المعرفي:</u> منخفض. لم يحقق أثر (الخير=الوحي)، وحقق سطحياً أثر (الحسد كدافع)، بينما نجح في تحقيق أثر (الاصطفاء الإلهي). <u>الجهد الذهني:</u> منخفض (وضوح سطحي)، فالنص واضح ويقدم معنى دنيوياً جاهزاً دون إثارة أي افتراض إضافي. <u>درجة الملاءمة:</u> منخفضة. لكنها تبقى الأفضل نسبياً لدقتها في بعض المصطلحات dénégateurs و associants رغم إخفاقها في نقل الأثر المحوري.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Ni ceux qui devinrent mécréants, des gens du Livre, ni les polythéistes, ne souhaitent que quelque bien vous soit octroyé de votre Seigneur, mais Allah Privilégie de sa Miséricorde qui Il Veut. Allah possède la Munificence immense ».	عبد العزیز
<u>الاختیار المعجمي</u>: خير = quelque bien	
<u>الأثر المعرفي</u>: منخفض. لم تحقق أثر (الخير=الوحي)، كما غيّبت دلالة النزول السماوي، وحققت سطحياً أثر (الحسد كدافع)، بينما نجحت في تحقيق أثر (الاصطفاء الإلهي).	
<u>الجهد الذهني</u>: منخفض (وضوح سطحي)، فالتّص بسيط ويقدم معنى جاهزاً دون إثارة أي افتراض إضافي.	
<u>درجة الملاءمة</u>: منخفضة، لإخفاها في نقل الأثر المحوري وتغيبها لدلالة النزول السماوي.	
« Ceux qui, parmi les adeptes du Livre, sont des incroyants ou des polythéistes* ne veulent aucunement que Dieu déverse sur vous Ses biens. Mais Allah réserve Sa grâce à qui Il veut, car Il détient la plus grande des faveurs ». * <i>Mûshriqin</i>	شبل
<u>الاختیار المعجمي</u>: خير = biens	
<u>الأثر المعرفي</u>: منخفض. لم يحقق أثر (الخير=الوحي) بل وجّهه نحو تأويل مغاير، وحقق أثر (الحسد) بشكل مادي بحت، بينما نجح في تحقيق أثر (الاصطفاء الإلهي).	
<u>الجهد الذهني</u>: منخفض لوضوح النصّ لكنّه يبقى وضوحاً مضللاً لأنّه يقدم معنى مادياً مغايراً لا يحث على الاستدلال ولا التدبّر في المعنى الأصلي.	
<u>درجة الملاءمة</u>: منخفضة. ويمكن اعتبارها الأضعف لتوجيهها القارئ نحو تأويل خاطئ يتعارض مع جوهر الآية.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

❖ النموذج الرابع: الخير بمعنى الإيمان

الآية	"وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ" (31، سورة هود).
ترجمة حميد الله	« Et je ne dis pas aux gens que vos yeux méprisent que jamais Dieu ne leur accordera de bien ; Dieu Sait mieux ce qui est dans leurs esprits » (p. 183) <u>الترجمة العكسية:</u> "ولا أقول للناس الذين تحتقرهم أعينكم إن الله لن يمنحهم خيراً أبداً؛ الله أعلم بما في نفوسهم".
ترجمة بيرك	« Mais ceux que votre regard dédaigne, je ne leur dis pas non plus que Dieu ne leur accordera pas un bien car Dieu est le seul à connaître l'intime de leur âme ». (p.234) <u>الترجمة العكسية:</u> "ولكن أولئك الذين يزديهم نظركم، لا أقول لهم أيضاً إن الله لن يمنحهم خيراً لأن الله هو الوحيد الذي يعرف باطن أنفسهم".
ترجمة عبد العزيز	« Et je ne dis point, à ceux que vos yeux dédaignent, qu'Allah ne leur Accordera pas du bien ! Allah Est Plus-Scient de ce qui est dans leurs cœur » (p. 291) <u>الترجمة العكسية:</u> "ولا أقول البتة، لأولئك الذين تزديهم أعينكم، إن الله لن يمنحهم خيراً! الله هو الأعلم بما تكنه قلوبهم".
ترجمة شبل	« Je ne dis pas à ceux que vous méprisez que Dieu ne les comblera d'aucun bien, car Dieu est plus informé de ce que recèlent leurs âmes » (p. 178). <u>الترجمة العكسية:</u> "ولا أقول لأولئك الذين تحتقرون إن الله لن يغمرهم بأي خير، ذلك أن الله أكثر اطلاعاً على ما تخفيه أنفسهم".

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ"¹.

■ السياق المعرفي:

تأتي هذه الآية الكريمة في سياق الجدل بين نبي الله نوح عليه السلام والملأ من قومه، حيث يردّ على منطقهم المادي الذي يربط بين المظهر الدنيوي المتواضع لأتباعه المؤمنين واستحالة نيلهم لخير من الله مستقبلاً. إذ جاءت الآية لتدحض هذا المنطق وتؤسس لمبدأ مفاده أنّ الحكم على بواطن النفوس ومآلاتها هو من اختصاص علم الله وحده². ويرتكز سياق الآية المعرفي على ثلاثة عناصر لغوية وبلاغية محورية: أولها لفظة "خَيْرًا" التي تتخذ في هذا الموضع مفهوماً مغايراً لمفاهيم الخيرية السابقة. فهي تشير هنا إلى خير أخروي يتمثل في الإيمان وثمراته من ثواب وتوفيق وفضائل باطنية. وهو ما يصفه ابن عاشور بـ"الكَمالات النفسانية والعطايا الدّنية" في مقابل النظرة "الجثمانية الدنيوية" للكفار³. وثانيها عبارة "تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ" وهي مجاز عقلي بليغ أسند فيه فعل الازدراء وهو فعل نفسي إلى الأعين باعتبارها الأداة التي ترى المظاهر الماديّة الدنيوية فينشأ عنها هذا الازدراء والاحتقار. وأخيراً، يأتي استخدام أداة النفي في "لَنْ يُؤْتِيَهُمْ" لتفيد النفي في المستقبل، حيث

¹ سورة هود، الآية 31.

² ابن عاشور، مرجع سابق، ج. 12، ص. 58-59.

³ ابن عاشور، المرجع نفسه، ص. 59.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

يعكس نوح عليه السلام حكم قومه القاطع وينفي عن نفسه تبني قولهم (وَلَا أَقُولُ... لَن يُؤْتِيَهُمْ) مؤكداً بذلك محدودية علمه البشري¹.

← **التصريحات:** تتمثل المعاني الصريحة للآية في إعلان نبي الله نوح عليه السلام براءته من تبني الحكم الذي أطلقه قومه، حيث يصرح بأنه لا يقول عن المؤمنين الذين يحتقرونهم إن الله سيحرمهم من الخير بشكل قاطع في المستقبل. ويتبع هذا النفي مباشرةً بتصريح ثانٍ يعلل الموقف الأول، وهو أن الله وحده هو الأعلم بما تكنه أنفس متبعية من إيمان وإخلاص.

← **التضمينات والآثار السياقية:** تتمحور الآثار الضمنية في هذه الآية حول إعادة تعريف مفهوم "الخير" وتصحيح المنظور المادي الذي يتبناه الكفار:

- **الخير الحقيقي باطني وأخروي:** الأثر الأهم والمحوري الذي تقوم عليه الآية، فالخير الأسمى ليس ما تراه الأعين من متاع دنيوي وإنما ما تكنه الأنفس من إيمان وإخلاص وما سترتب عليه من جزاء إلهي في الآخرة، وهذا علمه عند الله.
- **بطلان الحكم بالمظاهر:** وهذا الأثر نتيجة مباشرة للأثر المحوري، إذ إن المظاهر الدنيوية من فقر وضعف معايير باطلة للحكم على قيمة الإنسان أو استحقاقه لخير الله.

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص. 59.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ التسليم لعلم الله: من آثار الآية الكريمة أدب رفيع يتحلى به الأنبياء وهو أدب التوقف عند حدود العلم البشري وإيكال علم الغيب والمستقبل إلى الله وحده العليم بالبواطن.

← الهدف التواصلّي:

يتمثّل الهدف التواصلّي للآية في إعادة تشكيل المنظور القيمي "للخير" من خلال ترسيخ قيمته الحقيقية المتمثلة في البواطن الإيمانية وما يترتب عليها من جزاء أخروي، والتأكيد على أنّ استحقاق هذا الخير ليس قائمًا على المظاهر الماديّة بل هو موكول لعلم الله المطلق بالنفوس وما فيها.

ب. تحليل الترجمات:

بعد تحديدنا الأبعاد المعرفية والتواصلية للآية الكريمة، ننتقل فيما يلي إلى تحليل الترجمات الأربع محل المقارنة لتقييم درجة ملاءمتها في تحقيق التشابه التأويلي مع نصّ الآية. وسنرى كيف واجه كل مترجم التحدي المحوري في هذه الآية، والمتمثل في نقل مفهوم "الخير" بمعناه الإيماني والأخروي وتجاوز المعنى المادي أو العام الذي قد يتبادر إلى الذهن.

1. ترجمة حميد الله:

« Et je ne dis pas aux gens que vos yeux méprisent que jamais Dieu ne leur accordera de bien ; Dieu Sait mieux ce qui est dans leurs esprits ».

- الترجمة العكسية:

"ولا أقول للناس الذين تحتقرهم أعينكم إن الله لن يمنحهم خيراً البتّة؛ الله أعلم ما في نفوسهم".

الاختيار المعجمي:

■ خيراً: ترجمها بمقابلها المباشر (Bien) وهو مقابل يتّسم بالعمومية كما تبين لنا في نماذج سابقة. ولئن كان هذا المقابل شاملاً لجميع إطلاقات الخير، إلاّ أنّه يفتقر للبعد الروحي والأخروي الذي يقتضيه السياق. وهو لا يوجّه ذهن القارئ على نحو كافٍ لإدراك أنّ المقصود من الخير هو الإيمان وثمراته الأخروية في مقابل النظرة المادية للكفار. ويحتمل أن يُفهم أنّ المراد به خير دنيوي أو معنوي عام.

■ تزدري أعينكم: ترجمها بعبارة (que vos yeux méprisent) أي (الذين تحتقرهم أعينكم) وهي ترجمة تكاد تكون حرفيّة نجحت في نقل المجاز العقلي بإسناد فعل الاحتقار (mépriser)، وهو من أفعال النفس كما أشار إليه ابن عاشور، أسنده إلى الأعين باعتبارها الجارحة التي تنتظر - ولكن دون إدراكٍ أو إحاطة فاهمة بالمنظور - ما حافظ على الصورة الحسيّة القرآنية وأثرها.

■ لن يؤتيهم: نقلها بعبارة (que jamais Dieu ne leur accordera de bien) ما حافظ في الترجمة على صيغة النفي في المستقبل (ne jamais) مع إعطائها صفة القوّة والقطعيّة من خلال كلمة "البتّة". كما نقل معنى المنح والإيتاء بوضوح من خلال استخدام الفعل (accorder).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ بما في أنفسهم: (ce qui est dans leurs esprits) أي (ما في أذهانهم/أرواحهم) لا اعتبار أنّ (esprits) تعني الأذهان أو العقول أو الأرواح. ونرى أنّ هذا المقابل ينجح نسبياً في نقل المعنى المقصود لاعتبار أنّ الأذهان والأرواح تحيل إلى بواطن الفكر والاعتقاد. مع ذلك، يبقى هذا الاختيار أقلّ دقة من مفردة (âmes) أي (الأنفس) أو (cœurs) أي (القلوب) التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبواطن الإيمانية بينما مفردة (esprits) تشير إلى 'الذهن' وما يدور فيه من أفكار أكثر من الإيمان والإخلاص الكامنين في النفس.

- الأثر المعرفي:

■ معنى الخير: لم تحقق الترجمة هذا الأثر المحوري لاستخدامها لفظة عامة (Bien) تغفل المعنى الباطني والأخروي للخير. ولم تورد الترجمة أي قرينة قد تحفّز ذهن القارئ لربط هذا الخير بالإيمان ومآلاته الأخروية. بل قد يتساءل عن طبيعة هذا الخير الذي نفى الكفار إمكانية حصوله.

■ بطلان الحكم بالمظاهر: يتبيّن هذا الأثر في الترجمة حيث يدرك القارئ بوضوح

أنّ نبي الله نوحاً يرفض منطق قومه القائم على الاحتقار الظاهري.

■ التسليم لعلم الله: يتحقق هذا الأثر بوضوح تام من خلال الجملة (Dieu Sait

mieux ce qui est dans leurs esprits) التي تنقل فكرة أنّ علم البواطن موكول لله.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الجهد الذهني: يعتبر متوسطاً. إذ تبدو الترجمة، من ناحية، واضحة وسلسة في تركيبها العام. لكنها تفرض على القارئ، من الناحية الأخرى، تفرض جهداً استدلالياً إضافياً لتحديد طبيعة الخير المقصود، وهو جهد قد لا يقوده بالضرورة إلى المعنى الأخرى العميق الذي ترمي إليه الآية محل الدراسة.

- درجة الملاءمة: تحقق الترجمة درجة ملاءمة متوسطة باعتبار كم الآثار المحققة في مقابل الجهد المبذول. فمن جهة، نجحت في نقل البنية العامة للآية والمجاز العقلي وفكرة التسليم لعلم الله. لكنها، من جهة أخرى، أخفقت جزئياً أخفقت في تحقيق الأثر المعرفي المحوري بسبب اختيارها لمقابل عام (bien) لكلمة "خير"، ما من شأنه أن يُضعف قدرة الترجمة على إعادة تشكيل المنظور القيمي للخير بالكامل، وهو الهدف التواصلية الأسمى للآية.

2. ترجمة بريك:

« Mais ceux que votre regard dédaigne, je ne leur dis pas non plus que Dieu ne leur accordera pas un bien car Dieu est le seul à connaître l'intime de leur âme ».

- الترجمة العكسية:

"ولكن أولئك الذين يزدريهم نظركم، لا أقول لهم أيضاً إنّ الله لن يمنحهم خيراً لأن الله هو الوحيد الذي يعرف باطن أنفسهم".

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الاختيار المعجمي:

■ خيراً: استخدم بيريك، على غرار حميد الله، مفردة (Bien) وهو مقابل عام لا ينجح في توجيه القارئ نحو معنى الخيرية المحدد في هذه الآية (ثمرة الإيمان والجزاء الأخروي). وبذلك، يظل المعنى غامضاً ومفتوحاً على التأويلات المادية أو الدنيوية العامة، ما من شأنه أن يضعف تحقيق الهدف التواصلية للآية.

■ تزدري أعينكم: ترجمها بيريك بعبارة (que votre regard dédaigne) أي (الذين يزدريهم نظركم/بصركم). وقد قام بيريك هنا بتبسيط المجاز العقلي، مسنداً فعل الاحتقار إلى النظر لا إلى "الأعين" (yeux). ورغم أن الأسلوب الفرنسي المعتاد في الكتابة (le génie de la langue française) يفضل استعمال مفردة (regard) لوصف مشاعر الاحتقار والازدراء ما يجعل اختيار بيريك هنا أكثر سلاسة مع بقاءه قريباً من المعنى العام لنص الآية، إلا أن هذا الاختيار يفقد الترجمة دقة الصورة الحسية القرآنية التي تركّز على (العين) كأداة للرؤية المادية التي ينشأ عنها الاحتقار. فالبلاغة القرآنية تعتمد في بعض المواضع على استخدام الأعضاء الجسدية (العين، اليد، الصدر) بغرض تحويل المعنى المجرد إلى صورة مادية تشارك فيها الجوارح حتى تثبت في الذهن¹ ما يحفظ للمشهد حيويته وحسيته اللتين قد تضيعان في الترجمات التي تميل إلى التجريد. وقد أوردت الآية

¹. يقول سيد قطب، في هذا الصدد، إن القرآن يعبر عن المعنى الذهني والحالة النفسية بالصورة الحسية لكي تصبح الصورة شاخصة أمام العين، لا مجرد فكرة في الأذهان. انظر التخييل الحسي والتجسيم في: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط16، القاهرة، 2002، ص 71-73.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

عبارة (تزدري أعينكم) وليس (نظركم) أو (أنفسكم) مثلاً، وهذا الإسناد له غرض بلاغي كما قال به ابن عاشور¹ وهو تصوير فعل الاحتقار كأنه يخرج مباشرة من جارحة (العين) التي لا ترى سوى المظاهر المادية الدنيوية. س

■ لَنْ يُؤْتِيَهُمْ: ترجمها بعبارة «Dieu ne leur accordera pas» وهذا الاختيار ينقل معنى النفي في المستقبل. إلا أن استعمال الظرف 'ne...pas' يشير إلى مجرد النفي ويفتقر إلى القوة القطعية التي تحملها أداة "لن"، والذي نجح حميد الله في نقلها باستعمال 'ne...jamais' الذي يفيد النفي المؤكد.

■ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ: ترجمها بعبارة (l'intime de leurs âme) أي (باطن/وصميم أنفسهم)، وقد وُفق بترك في اختياره هذا الذي يعدّ أكثر دقة من كلمة 'esprits' التي استعملها حميد الله. فكلية âme تفيد معنى الأنفس واقتربانها بصفة intime يقيم المعنى بدقة على البواطن والخفايا التي لا يعلمها إلا الله، ما يتناغم تماماً مع سياق الآية.

- الأثر المعرفي:

■ معنى الخير: لم يتحقق هذا الأثر المحوري إلا جزئياً وذلك لعمومية كلمة (un bien)، فكما في ترجمة حميد الله، فهي لا توجه ذهن القارئ إلى المعنى الإيماني والأخروي للخير.

¹ ابن عاشور، مرجع سابق نفسه.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ بطلان الحكم بالمظاهر: يتحقق هذا الأثر بشكل جيد في الترجمة حيث يفهم القارئ من الاختيارات المعجمية رفض نبي الله نوح لمنطق قومه القائم على الازدراء الظاهري.

■ التسليم لعلم الله: تحقق الترجمة، ولربما أفضل من ترجمة حميد الله، هذا الأثر بفضل الاستخدام الدقيق لعبارة (l'intime de leur âme) التي تحدد بوضوح أن بواطن النفوس الإيمانية علمها عند الله وحده.

- الجهد الذهني: يمكن اعتباره في ترجمة بيرك متوسطاً، إذ تبدو الترجمة واضحة من الجانب اللغوي، لكنّ عمومية كلمة 'un bien' تفرض على القارئ معالجة استدلالية إضافية لتحديد طبيعة هذا الخير. لذلك فإنّها من الجانب المعرفي تتطلب جهداً قد لا يفضي إلى التأويل الصحيح.

- درجة الملاءمة: تحقق ترجمة بيرك درجة ملاءمة متوسطة على غرار ترجمة حميد الله مع تفاوتٍ في نقاط الضعف والقوة. فمن ناحية، تعتبر ترجمة بيرك أكثر دقة في تحقيق أثر التسليم لعلم الله. لكنها من ناحية أخرى، تُعدّ أقل دقة في الحفاظ على المجاز العقلي وأضعف في نقل النفي القطعي الذي تحمله الأداة "لن". وبما أن كلتا الترجمتين أخفقتا في تحقيق الأثر المعرفي المحوري (أي معنى الخير) فإنّهما متساويتان في درجة الملاءمة.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Et je ne dis point, à ceux que vos yeux dédaignent, qu'Allah ne leur Accordera pas du bien! Allah Est Plus-Scient de ce qui est dans leurs cœur ».

- الترجمة العكسية:

"ولا أقول البتّة، لأولئك الذين تزديهم أعينكم، إنّ الله لن يمنحهم خيراً! الله هو الأعلم بما تكنّه قلوبهم".

- الاختيار المعجمي:

■ خيراً: استخدمت عبد العزيز، على غرار المترجمين السابقين، كلمة 'du bien' وهو مقابل عام وشامل لمعنى الخير ولا ينجح في توجيه القارئ نحو المعنى السياقي المحدّد للخير (الإيمان وجزاؤه الأخروي). وبذلك، يظل المعنى غامضاً ومفتوحاً على التأويلات الماديّة والدينيّة العامّة، ما ينأى بالترجمة عن الأصل القرآني من حيث التأويل.

■ تزدي أعينكم: ترجمتها عبد العزيز بعبارة (que vos yeux dédaignent) أي (لأولئك الذين تزديهم أعينكم) وهو اختيار موفق حافظ على بنية المجاز العقلي حرفياً. إذ أسندت فعل الازدراء إلى الأعين (les yeux) ما يحافظ على الصّورة البلاغيّة القرآنية والأثر المترتب عنها.

■ لن يؤتيهم: نقلتها من خلال عبارة (qu'Allah ne leur Accordera pas) وهذا الاختيار (إنّ الله لا يمنحهم خيراً!) ينقل معنى النفي في المستقبل فعلاً، لكنّه لا يحافظ

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

على قوة النفي القطعي الذي تحمله الأداة "لن" في العربيّة. ويمكن اعتبار علامة التعجّب التي أضافتها المترجمة محاولة لإضفاء نبرة استنكارية من شأنها أن تستعيد جزءاً من النفي القطعي المفقود.

■ بما في أنفسهم: اختارت عبد العزيز كمقابل لها العبارة (ce qui est dans leurs cœur) وقد وفقت في اختيارها لاعتبار أن كلمة 'cœur'، في السياق الديني، هي المقابل المباشر الأكثر ارتباطاً بمحل الإيمان، ما يسهم في نقل المعنى المقصود في الآية.

- الأثر المعرفي:

■ معنى الخير: لا تتجح الترجمة في توجيه القارئ نحو المعنى الإيماني والأخروي للخير كما جاء في الآية لعمومية عبارة 'du bien'.

■ بطلان الحكم بالمظاهر: يتحقق هذا الأثر بوضوح إذ يدرك القارئ بسهولة رفض نبيّ الله نوح لمنطق قومه القائم على الازدراء الظاهري.

■ التسليم لعلم الله: يتحقق هذا الأثر كاملاً بفضل الاستخدام الدقيق لكلمة 'cœur' التي تحيل بشكل مباشر وواضح إلى محلّ الإيمان وهو القلب الذي لا يعلم كنهه إلاّ الله.

- الجهد الذهني: على غرار ترجمي حميد الله وبيرك، تعدّ ترجمة عبد العزيز سلسلة

وواضحة. إلاّ أنّ إبقاءها على معنى الخير عامّاً يفرض على القارئ استدلالاً إضافياً

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

لتحديد طبيعته وماهيته. ولربما لن يفضي إلى تأويل صحيح. وعليه يكون الجهد الذهني في هذه الترجمة متوسطاً.

- درجة الملاءمة: تدرج ترجمة عبد العزيز في درجة الملاءمة ذاتها لترجمتي حميد الله وبيرك مع تفاوت في نقاط الضعف والقوة. ويعود تقييمها بالمتوسطة لنجاحها في تحقيق عدد من الآثار المعرفية؛ إذ حافظت على التشابه التأويلي فيما يخص المجاز العقلي لفعل الازدراء بالأعين كما وُفِّت في تحديد محلّ الإيمان. لكنّها في المقابل أخفقت في تحقيق الأثر المحوري لإدراجها مقابلًا عامًّا للفظّة "خير" القرآنية حال دون تحقيقها التشابه التأويلي مع الآية لمعنى الخيرية، ما يحول بدوره دون تحقيق الهدف التواصلية وهو إعادة تشكيل المنظور القيمي لدى القارئ.

4. ترجمة شبل:

« Je ne dis pas à ceux que vous méprisez que Dieu ne les comblera d'aucun bien, car Dieu est plus informé de ce que recèlent leurs âmes »

- الترجمة العكسية:

"ولا أقول لأولئك الذين تحتقرون إن الله لن يغمرهم بأيّ خير، ذلك أنّ الله أكثر اطلاعاً على ما تخفيه/تكنّه أنفسهم".

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الاختيار المعجمي:

■ خيراً: على غرار الترجمات السابقة، استخدم شبل عبارة 'aucun bien' وهو بدوره مقابل عام ومحيد لا ينقل معنى الخيرية المقصودة ولا يوجه القارئ للاستدلال عليها، ما يجعل معناها غامضاً في الترجمة ومفتوحاً على تأويلات عامة دنيوية ومادية.

■ تزدري أعينكم: (ceux que vous méprisez) أي (أولئك الذين تحتقرون). ونلاحظ أنّ شبل هنا قد حذف المجاز الوارد في الآية كاملاً وفضل انتهاج نهج الترجمة غير مباشرة كما جاءت بها الملاءمة وهي تقديم المعنى المبسط، ما أفقد الترجمة الصورة البلاغية القرآنية والأثر المقصود منها.

■ لن يؤتيهم: ترجمها بعبارة (Dieu ne les comblera d'aucun bien) أي (إن الله لن يغمرهم بأيّ خير). ونلاحظ هنا استخدام شبل للفعل combler (يغمر/يغدق) الذي يفيد الكثرة والوفرة:

¹ « Donner à quelqu'un, lui apporter à profusion quelque chose d'agréable »
ولربما أراد أن يبين أنّ خير الله وفير. لكنّ هذا المعنى غير وارد في الأصل وهو إضافة منه. كما نقل من خلال صيغة النفي (ne...aucun) النفي القطعي الوارد في الآية.

■ بما في أنفسهم: نجح شبل في ترجمته لهذه العبارة بـ (de ce que recèlent leurs âmes) لا اعتبار أنّ كلمة 'âmes' تفيد معنى الأنفس بوضوح لاسيما أنّه أسندها إلى فعل

¹ Combler, Dictionnaire LAROUSSE, <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/combler/17404>, (consulté, le : 11/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

'receler' أي (يكنّ/يخفي) الذي يركّز على الخفايا التي لا يعلمها إلاّ الله. وفي هذا الاستخدام تناغم مع سياق الآية وهو في دقته سواء مع اختيار بريك وعبد العزيز.

- الأثر المعرفي:

- معنى الخير: لا يوجه الاختيار المعجمي لبريك قارئه إلى المعنى الإيماني والأخروي للفظه خير القرآنية ما يغيب عن ترجمته الأثر المحوري في الآية.
- بطلان الحكم بالمظاهر: تحقق الترجمة هذا الأثر بوضوح، إذ يتجلى للقارئ رفض نبي الله نوح عليه السلام لمنطق قومه القائم على الاحتقار.
- التسليم لعلم الله: وهذا الأثر بدوره متحقّق في ترجمة شبل بفضل الاستخدام الدقيق لعبارة 'ce que recèlent leurs âmes' التي تحدّد بوضوح أن كنه الأنفس وخفاياها إنّما علمها عند الله.

- الجهد الذهني: متوسط كما في الترجمات السابقة للاعتبارات ذاتها. فالترجمة سلسلة وواضحة. إلاّ أنّ إبقاءها على معنى الخير عامّاً يفرض على القارئ استدلالاً إضافياً لتحديد طبيعته. ولربّما لن يصل إلى التأويل الصحيح لمعناه.

- درجة الملاءمة: تحقق ترجمة شبل درجة متوسطة من الملاءمة، وهي بذلك تتدرج في المستوى ذاته للترجمات الثلاث السابقة. إذ نجحت، من جهة، في نقل قوة النفي القطعي وإثبات أثر التسليم لعلم الله بدقة. لكنّها من جهة أخرى كانت الأضعف في الحفاظ على البلاغة القرآنية، حيث حذفت المجاز العقلي بالكامل. فيما أخفقت، كما الترجمات

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الأخرى، في تحقيق الأثر المعرفي المحوري للآية المرتبط بمعنى الخيرية، ما يحول دون تحقيقها درجة ملاءمة عالية ويضعها في النطاق التقييمي العام نفسه مع بقية الترجمات.

← الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يبين تحليل الترجمات الأربع للآية (31) من سورة هود عن تحقيقها جميعاً لدرجة ملاءمة متوسطة مع إخفاقاتها في نقل مفهوم "الخير" بدلالته الإيمانية والأخروية. فقد أدى اختيار المترجمين جميعهم لمقابل فرنسي عام (bien) إلى تغييب الأثر المعرفي المحوري للآية، وإضعاف هدفها التواصل.

وقد أظهرت الترجمات، بالرغم من هذا الإخفاق المشترك، تبايناً في جوانب أخرى. فبينما تعدّ ترجمتا حميد الله وعبد العزيز الأكثر دقة في الحفاظ على البلاغة القرآنية المتمثلة في المجاز العقلي، تعتبر ترجمتا بريك وشبل الأكثر دقة في تحديد محل علم الله بالبواطن. وبالمثل، تفوق حميد الله وشبل في نقل قطعية النفي الواردة في (لن)، بينما كانت ترجمتا بريك وعبد العزيز أضعف في هذا الجانب. ونظراً لهذا التفاوت حيث تتفوق الترجمة الواحدة في جانب وتخفق في آخر، مع إخفاقاتها جميعاً في تحقيق الأثر المحوري، نظراً لما سبق تبقى جميعها في المستوى التقييمي العام ذاته.

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية: "وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ" (31، سورة هود).
	« Et je ne dis pas aux gens que vos yeux méprisent que jamais Dieu ne leur accordera de bien ; Dieu Sait mieux ce qui est dans leurs esprits »

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

حميد الله	<u>الاختيار المعجمي</u>: خير = de bien ، عام يفتقر للمعنى القيمي الأخرى <u>الأثر المعرفي</u>: متوسط. حقق بعض الآثار المعرفية (بطلان الحكم بالمظاهر + التسليم لعلم الله) لكنه لم يوفق في نقل الأثر المحوري المتعلق بالخيرية. <u>الجهد الذهني</u>: متوسط. عمومية الاختيار المعجمي يستلزم من القارئ بذل جهد استدلالي إضافي. <u>درجة الملاءمة</u>: متوسطة، باعتبار كم الآثار المعرفية والتشابه التأويلي المحققين جزئياً.
بيرك	« Mais ceux que votre regard dédaigne, je ne leur dis pas non plus que Dieu ne leur accordera pas un bien car Dieu est le seul à connaître l'intime de leur âme ». <u>الاختيار المعجمي</u>: خير = un bien يفتقر للمعنى القيمي الأخرى <u>الأثر المعرفي</u>: متوسط. حقق بعض الآثار المعرفية (بطلان الحكم بالمظاهر + التسليم لعلم الله كاملاً وبجلاء) لكنه لم يوفق في نقل الأثر المحوري المتعلق بالخيرية. <u>الجهد الذهني</u>: متوسط. عمومية الاختيار المعجمي يستلزم من القارئ بذل جهد استدلالي إضافي. <u>درجة الملاءمة</u>: متوسطة، باعتبار كم الآثار المعرفية والتشابه التأويلي المحققين جزئياً.
عبد العزیز	« Et je ne dis point, à ceux que vos yeux dédaignent, qu'Allah ne leur Accordera pas du bien ! Allah Est Plus-Scient de ce qui est dans leurs cœur » <u>الاختيار المعجمي</u>: خير = du bien يفتقر للمعنى القيمي الأخرى <u>الأثر المعرفي</u>: متوسط. حققت بعض الآثار المعرفية (بطلان الحكم بالمظاهر + التسليم لعلم الله كاملاً وبجلاء) لكنها لم تُوفق في نقل الأثر المحوري المتعلق بالخيرية. <u>الجهد الذهني</u>: متوسط. عمومية الاختيار المعجمي يستلزم من القارئ بذل جهد استدلالي إضافي.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

درجة الملاءمة: متوسطة، باعتبار كم الآثار المعرفية والتشابه التأويلي المحققين جزئياً.	
« Je ne dis pas à ceux que vous méprisez que Dieu ne les comblera d'aucun bien, car Dieu est plus informé de ce que recèlent leurs âmes »	شبل
الاختيار المعجمي: خير = aucun bien يفنقر للمعنى القيمي الأخرى	
الأثر المعرفي: متوسط. حققت بعض الآثار المعرفية (بطلان الحكم بالمظاهر + التسليم لعلم الله كاملاً وبجلاء) لكنه لم يُوفق في نقل الأثر المحوري المتعلق بالخيرية.	
الجهد الذهني: متوسط. عمومية الاختيار المعجمي يستلزم من القارئ بذل جهد استدلالي إضافي.	
درجة الملاءمة: متوسطة، باعتبار كم الآثار المعرفية والتشابه التأويلي المحققين جزئياً.	

❖ النموذج الخامس: الشر بمعنى السيئات والعمل السيء

« وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (8، سورة الزلزلة)	الآية
« Et quiconque fait un mal du poids d'un atome, le verra » (p.712) الترجمة العكسية: "وكل من يعمل شراً بوزن ذرة، سيراه".	ترجمة حميد الله
« Qui aura fait un atome de mal le verra » (p.692) الترجمة العكسية: "من سيعمل ذرة شرّ سيراه".	ترجمة بيرك
« Et quiconque fait le poids d'un atome de mal le verra » (p.757) الترجمة العكسية: "وكل من يعمل وزن ذرة من شرّ سيراه"	ترجمة عبد العزيز
« Celui qui a commis une once de mal le verra » (p.511) الترجمة العكسية: "من اقترف مقداراً قليلاً/بذرة شرّ سيراه"	ترجمة شبل

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

الآية: "وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"¹.

- السياق المعرفي:

تأتي هذه الآية كقاعدة كلية في الجزء، مكملةً لقرينتها في الآية السابقة، ومركزة هنا على جانب التهيب والتحذير. بعد أن بينت السورة أهوال يوم القيامة وأنّ الناس سيرون أعمالهم، تفصل هذه الآية هذه الرؤية لتؤكد أنّ أصغر الأعمال السيئة وأحققها لن تُهمل. يذكر ابن عاشور أنّ مثل هذه الآيات نزلت لتردع من لا يبالي بصغائر الذنوب، ممّا يضعها في سياق تربوي يهدف إلى بناء رقابة ذاتية دقيقة لدى الإنسان².

ويمكن استخلاص عنصرين معرفيين أساسيين من تفسير ابن عاشور للآية:

1. مِثْقَال ذَرَّةٍ: ويعدّ التحديّ الدلالي الأكبر في الآية. إذ يوضح ابن عاشور أنّ المِثْقَال هو وحدة الوزن، والذرة هي النملة في بداية حياتها. وعبرة "مِثْقَال ذرة" تُضرب في أقلّ القلّة وأصغر الصغر. فهي تدلّ على أصغر وحدة وزن يمكن تخيلها تأكيداً على دقّة الميزان الإلهي الذي لا يُغفل عملاً مهماً بلغ من الصغر³.

¹ سورة الزلزلة، الآية 8.

² ابن عاشور، مرجع سابق، الجزء 30، ص 494 - 495.

³ ابن عاشور، المرجع نفسه، ص 494.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

2. شرّاً: معنى الشرّ في هذا الموضع من القرآن هو السيئات والعمل السيئ الذي يرتكبه الإنسان. وفي سياق الآية التي تركز على أصغر المقادير، فإنها تشمل بشكل خاص صغائر الذنوب ومحقراتها التي قد يستهين بها فاعلها.

← **التصريحات:** يتمثل المعنى الصريح الذي تعلنه الآية في وضع قاعدة مطلقة وجامعة؛ فكل من يرتكب أي عمل سيّء، مهما كان دقيقاً، سيلاقي جزاءه ويراه يوم القيامة.

← **التضمينات والآثار المعرفية:**

▪ **الدقة التامة للجزاء:** وهو الأثر الأهم الذي ينبغي أن يدركه القارئ ويتمثل في الإحساس بالدقة المطلقة للعدل الإلهي فيما يتعلق بالعقاب. فلا عمل سيّئ يضيع أو يُنسى مهما كان صغيراً وحقيقياً في عين مرتكبه. وهذا الأثر إنّما المقصد منه ترسيخ رقابة ذاتية دائمة في نفس الإنسان.

▪ **الترهيب من محقرات الذنوب:** إذ تتضمن الآية تحذيراً من الاستهانة بصغريات السيئات. فما قد يراه الإنسان "ذرة" هو عند الله محسوب وله جزاء.

← **الهدف التواصلية:** يتمثل في ترسيخ مبدأ العدل الإلهي المطلق في العقاب، وردع الإنسان عن الاستهانة بأي عمل سيّء مهما صغُر. إذ تروم الآية بناء ضمير مراقب لدى الفرد مدرك بأن كل عمل محسوب وسيلقى جزاءه، ما يحفّزه ويدفع به إلى الحذر والتقوى.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ب. تحليل الترجمات:

بعد التحليل المعرفي للنص الأصلي، ننتقل الآن إلى تحليل الترجمات الأربع لتقييم درجة ملاءمتها من خلال قياس مدى نجاحها في نقل الآثار المعرفية للآية وتحقيقها للتشابه التأويلي معها لاسيما فيما يتصل بمعنى "مثقال ذرة شر".

1. ترجمة حميد الله:

« Et quiconque fait un mal du poids d'un atome, le verra »

- الترجمة العكسيّة:

" وكل من يعمل شراً بوزن ذرة، سيراه".

- الاختيار المعجمي:

■ مثقال: (du poids) اختار حميد الله كلمة (وزن) للدلالة على معنى لفظة "مثقال" القرآنية. وهو اختيار مباشر على المستوى المعجمي وموفق على المستوى الدلالي لأنّه يعكس مفهوم المثقال كوحدة تقدير كمّي ما يعزّز فكرة الدقة المتناهية للميزان الإلهي.

■ ذرة: (un atome): لعلّ هذا الاختيار يصب في صميم الاستراتيجية الترجمية لحميد الله. فكما أنّ "النملة الصغيرة" هي أدقّ ما يمكن للعربي أن يتمثله وقت نزول القرآن، كذلك فإنّ الذرة هي أصغر ما يمكن أن يتمثله القارئ الفرنسي حالياً. فمن معاني كلمة (atome) في القاموس الفرنسي:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Particule infiniment petite... irréductible. Ex : Pas un atome de bon sens ! »¹

أي "جزيئة متناهية الصغر... غير قابلة للتجزئة. نحو: لا ذرة فطرة سليمة!".

وعليه، فإنّ هذا الاختيار يرسّخ في ذهن القارئ الفرنسي مبدأ الدقّة المطلقة للجزء الإلهي وينقل بنجاح ما تتطوي عليه بلاغة اللفظة القرآنية من دلالة.

▪ شراً: (un mal) استخدم حميد الله المقابل الفرنسي العام. وعلى اعتبار أنّه المقابل المعجمي المباشر لللفظة القرآنية (شراً) إلّا أنّه لا يعكس المعنى المحدد في هذا السياق بالضبط أي "السيئات" و"العمل السيء" ويبقيه مفتوحاً على كل أنواع الشرور ما يضعف إلى حدّ ما المعنى المحدّد الذي ترومه الآية. مع ذلك يبقى الاستدلال على هذا المعنى ممكناً من خلال السياق المعرفي.

- الأثر المعرفي:

▪ الدقّة التامة للجزء: وفقت الترجمة في نقل هذا الأثر من خلال الاختيار المعجمي atome الذي يوصل لذهن القارئ الفرنسي افتراض العدل الإلهي الدقيق الذي لا يفوته حساب أصغر جزء قد يتصوره وهو ما يمثل صميم هذه الآية.

▪ الترهيب من محقرات الذنوب: نرى أنّ هذا الأثر هو محصلة تحقق الأثر المحوري وهو الدقّة التامة للجزء. إذ يدرك القارئ أنّ الذرة من العمل السيئ لها حساب وعقاب، ما يرسخ لديه افتراض الحذر من الاستهانة بالسيئات.

¹ تعريف قاموس المركز الوطني للموارد النصية واللغوية بتصرّف منّا: Atome, <https://www.cnrtl.fr/definition/atome>, (consulté le 20/11/2025)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

▪ **معنى الشر:** أي العمل السيء. لم يتحقق هذا الأثر كاملاً لأن كلمة un mal العامة

تضعف المعنى التداولي للآية، وتترك انطباعاً عاماً عن الشر. إلا أنه بإمكان القارئ

أن يستدل على معناه ضمن السياق المعرفي.

- **الجهد الذهني:** باعتبار وضوح الترجمة وسلاسة لغتها وسهولتها، وحتى إن لم يتحدّد

معنى الشر فيها بدقة إلا أنّ السياق المعرفي يفضي إلى الاستدلال على الهدف التواصلية

للاية بسهولة. وعليه، يمكن القول إنّ الجهد الذي يتطلب فهم معانيها متوسط.

- **درجة الملاءمة:** بالرغم من أنّ الترجمة لم تحدد بدقة معنى الشر في هذا الموقع القرآني،

إلا أنها وفقت في نقل الأثر المحوري وهو ترسيخ مبدأ الدقة المطلقة للجزاء الإلهي

الكفيل بتحقيق تشابه تأويلي كبير مع الأصل. وباعتبار الموازنة بين التشابه المحقق

والجهد المبذول يمكن اعتبار ترجمة حميد الله عالية الملاءمة.

2. ترجمة بيري:

« Qui aura fait un atome de mal le verra »

- **الترجمة العكسية:**

"من سيعمل ذرة شرّ سيراه".

- **الاختيار المعجمي:**

▪ **مثقال:** حذف بيري كلمة "مثقال" بالكامل واكتفى ببنية لغوية موجزة (un

atome de mal أي (ذرة شرّ). ومع أنّه قد تصرف في الأصل وغيّر من تركيبه

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

اللغوي، إلا أن المعنى لم يتأثر، فعبرة "ذرة شر" يحقق المعنى نفسه للتركيب الكامل "شرّ بوزن ذرة".

■ ذرة: على غرار حميد الله، اختار بيرك كلمة (atome) التي تنقل كما رأينا سابقا لدى حميد الله البلاغة الكامنة للفظة القرآنية وتفيد معنى الدقة المتناهية في ذهن القارئ للترجمة.

■ شرّاً: (de mal) وبالمثل، استخدم المقابل العام المباشر للفظة شرّ (mal)، ما يضعف الدقة السياقية التي تفيد معنى "العمل السيء". مع ذلك يبقى الاستدلال على هذا المعنى ممكناً من خلال السياق المعرفي.

■ يعمل: (aura fait) استخدم بيرك هنا صيغة المستقبل القبلي (futur antérieur) للتعبير عن فعل سينجز في المستقبل (العمل في الدنيا) قبل فعل آخر سيقع بعده (رؤية الجزاء في الآخرة).

- الأثر المعرفي:

■ الدقة التامة للجزاء: تحقق الترجمة هذا الأثر بنجاح من خلال عبارة "ذرة شرّ" التي تنقل بوضوح تمثّل أن أدق وأصغر فعل "شرّ" محتسب عند الله ويجازي عليه.

■ الترهيب من محقرات الذنوب: كنتيجة مباشرة لتحقيق الأثر المحوري للآية، يمكن القول إن هذا الأثر قد تحقق أيضاً إذ يدرك القارئ للترجمة ألا شيء من أعمال "الشرّ"

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

التي يقتربها، مهما صغرت، ستضيع بل هي محسوبة عند الله. ما من شأنه أن يولد شعوراً بالرهبة والحذر لديه.

■ **معنى الشر:** صحيح أن هذا المعنى غير محقق بدقة نظراً للاختيار المعجمي mal ما يترك المعنى مفتوحاً، إلا أنه بإمكان القارئ أن يستدل على معناه بسهولة ضمن السياق المعرفي.

- **الجهد الذهني:** تبدو ترجمة بترك أكثر إيجازاً واقتصاداً من الناحية اللغوية. وبالرغم من قصر الجملة إلا أنها تنطوي على صفة المباشرة والقوة التي تجعلها سهلة الفهم وتمكنها من تحقيق الهدف التواصلية بأقل جهد ممكن. مع ذلك، يحتاج القارئ بذل جهد إضافي للاستدلال على معنى الشر المقصود من الآية. وعليه يكون جهد المعالجة الذهنية في هذه الترجمة متوسطاً.

- **درجة الملاءمة:** على غرار ترجمة حميد الله، نجح بترك في تحقيق الأثر المحوري للآية بفعالية. وتحقيقها لتشابه تأويلي كبير مع الآية الأصل يمكن الاستدلال على الهدف التواصلية بسهولة ما يجعل ملاءمتها عالية.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Et quiconque fait le poids d'un atome de mal le verra »

- **الترجمة العكسية:**

"وكل من يعمل وزن ذرة من شرّ سيراه"

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الاختيار المعجمي:

- مثقال: (le poids) اختيار عبد العزيز كلمة (وزن) للدلالة على معنى "مثقال" القرآنية موفق على المستوى المعجمي والدلالي لاعتبار أنه يعكس مفهوم المثقال كوحدة تقدير كمّي ما يعزّز فكرة الدقة المتناهية للميزان الإلهي.
- ذرة: كذلك، فإنّ اختيارها لهذا المقابل، كما فعل حميد الله، يرسّخ في ذهن القارئ الفرنسي مبدأ الدقة المطلقة للجزء الإلهي وينقل بنجاح ما تتطوي عليه بلاغة اللفظة القرآنية من دلالة.
- شرّاً: على غرار حميد الله وبيرك، استخدمت عبد العزيز المقابل المباشر للفظّة "شرّ" بما تتطوي عليه من معنى عام وشامل لضروب الشرور، ما يضعف الدقة السياقية التي تفيد معنى "العمل السيء". لكن الاستدلال المعرفي كافٍ لإزالة هذا الإشكال في الترجمة، إذ يمكن للقارئ أن يدرك بسهولة أنّ المعنى المقصود هو الأعمال السيئة، ذلك أنّها حافظت على جل الأدلة التواصلية للآية وإن بدت بنيتها اللغوية (le poids d'un atome de mal) حرفيّة وأقل سلاسة من ترجمتي حميد الله وبيرك.

- الأثر المعرفي:

- الدقة التامة للجزء: وفقت الترجمة في تحقيق ذا الأثر المحوري. إذ يمكن للقارئ أن يفهم بوضوح أنّ صغائر أعمال السوء لها وزن وحساب.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ **الترهيب من محقرات الذنوب:** كنتيجة مباشرة لتحقيق الأثر المحوري المتمثل في دقة الجزء، يمكن القول إنّ هذا الأثر قد تحقق بدوره إذ يدرك القارئ للترجمة ألا شيء من أعمال "الشر" التي يقترفها، مهما صغرت، ستضيع بل كلها محسوبة عند الله. وهذا ما يولّد لديه شعوراً بالرهبة والحذر.

■ **معنى الشر:** (العمل السيء) صحيح أنّ هذا المعنى بالتحديد لا تورده الترجمة صراحة، مع ذلك يبقى الاستدلال عليه متاحاً دون كثير عناء باعتبار السياق المعرفي.

- **الجهد الذهني:** ترجمة عبد العزيز واضحة ومباشرة ولا تتطلب جهداً ذهنياً كبيراً إلا فيما يخص الاستدلال على معنى الشر، وإن كان تركيبها اللغوي أقلّ سلاسة من سابقتها. وعليه يكون الجهد المبذول لفهم الترجمة فهماً ملائماً متوسطاً.

- **درجة الملاءمة:** تحقّق هذه الترجمة درجة عالية من الملاءمة لاعتبار نقلها جل الآثار المعرفية الواردة في الأصل وتحقيقها تشابهاً تأويلياً كبيراً معه. وهي لا تختلف عن ترجمتي برك وحמיד الله في تحقيقها للهدف التواصل.

4. ترجمة شيل:

« Celui qui a commis une once de mal le verra »

- **الترجمة العكسية:**

"من اقتترف مقداراً قليلاً/بذرة شرّ سيراه".

- **الاختيار المعجمي:**

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ يعمل: (a commis) اختيار شبل للفعل (commettre) موفق لأنه يشير إلى الشحنة السلبية التي يحملها ويعزّز بُعد العمل السيء لأنه يأتي في سياق ارتكاب الأخطاء واقتراف السيئات (commettre un péché). وهو بذلك أكثر تحديداً من مجرد 'يفعل' (faire) كما جاء عند باقي المترجمين.

■ مثقال ذرة: (une once) استخدم شبل المقابل الاصطلاحي للفظ ذرة وهي (once) التي تدلّ على القلة والكمية الصغيرة والمقدار الضئيل:

« Très petite quantité de quelque chose »¹

ورغم أنه يشير إلى القلة إلا أنه لا يوحي بأقل القلة والحد الأدنى المتناهي الصغر غير القابل للتجزئة كما جاء في اللفظة القرآنية، والتي تحققها كلمة (atome) على نحو أفضل.

■ شرّاً: على غرار باقي المترجمين استخدم بترك المقابل المباشر والعام لكلمة "شرّ".

ولقد تبين لنا فيما سبق أثر هذا الاختيار المعجمي على الترجمة.

- الأثر المعرفي:

■ الدقة التامة للجزء: يتحقق هذا الأثر المحوري في الترجمة ولكن ليس بالإحكام ذاته الذي تحققه كلمة (atome). فهو لا يشير إلى معاني التناهي التام في الصغر والدقة التامة. إذ يدرك القارئ للترجمة أن السيئات الصغيرة داخلة في الحساب ولكن سسيفوته مقدارها المضبوط بدقة التناهي وأصغر الصغائر.

¹ Once, <https://www.cnrtl.fr/definition/once>, (Consulté le 23/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- **الترهيب من محقرات الذنوب:** كذلك، وتبعاً للأثر المحوري الأول، يمكن القول إن هذا الأثر قد تحقق وإن عازره بعض الأحكام باعتبار الاختيارات المعجمية. فالقارئ يتلقى معنى التحذير من السيئات الصغيرة ولكن ليس من محقرات الأعمال السيئة.
- **معنى الشر:** تحقق هذا الأثر بشكل أفضل وذلك راجع لاستخدام فعل *commettre* الذي يعزز من أثر العمل السيء.

- **الجهد الذهني:** متوسط. إذ يفهم القارئ الترجمة بسهولة ووضوح ولا يحتاج للاستدلال على المعاني الواردة فيه إلا فيما يخص معنى الدقة المتناهية التي تنطوي عليها لفظة "ذرة". وحتى معنى العمل السيء سيتبادر إلى ذهنه بسهولة باعتبار الاختيار المعجمي الموفق للفعل (*commettre*).

- **درجة الملاءمة:** حققت الترجمة جل الآثار المعرفية للأصل خاصة في تحديد معنى الشر كعمل سيء. لكن بعض التشابه التأويلي فيما يتعلق بأثر الدقة المتناهية لهذا العمل منقوص كما رأينا سابقاً. ما يجعل ملاءمتها متوسطة مقارنة بالترجمات الأخرى.

- الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يبين التحليل المقارن لترجمات الآية (8) من سورة الزلزلة تبني المترجمين استراتيجيات متقاربة في نقل الآثار المعرفية مع تباين في نقل معنى "مثقال ذرة".

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وتبرز على ضوء ذلك ترجمات حميد الله وبيرك وعبد العزيز كترجمات عالية الملاءمة. إذ استخدموا ثلاثهم كلمة (atome) كمقابل للفظـة "ذرة" القرآنية. وقد رأينا أنّ هذا الاختيار ساهم في نقل الأثر المحوري للآية وهو الدقة المتناهية للجزاء الإلهي. ويمكن القول إنّ هذا الاختيار الموفق يشفع عدم تحديدهم معنى الشرّ على أنّه 'السيئات' و'العمل السيء'.

في المقابل، تأتي ترجمة شبل في مرتبة أدنى وبدرجة ملاءمة متوسطة. فبالرغم من أن اختياره المعجمي للفعل (commettre) يسهم في حصر معنى الشرّ حسب السياق المعرفي الذي ورد فيه. إلا أنّ اختياره لكلمة (once) كمقابل لـ"مثقال ذرة" يغيّب معنى التناهي في الصغر ما يحقق تشابهاً تأويلياً أقلّ مع الأصل مقارنة بالترجمات الثلاثة الأولى.

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية "وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (8، سورة الزلزلة)
حميد الله	« Et quiconque fait un mal du poids d'un atome, le verra »
	<u>الاختيار المعجمي</u> : شرّ = mal
	<u>الأثر المعرفي</u> : كبير
	حقق جل الآثار المعرفية. أمّا معنى العمل السيء فيمكن الاستدلال عليه بسهولة.
	<u>الجهد الذهني</u> : متوسط. لاعتبار بذل جهد إضافي للاستدلال على معنى الشرّ المحدد في الآية.
بيرك	<u>درجة الملاءمة</u> : عالية. لتحقيق الترجمة تشابهاً تأويلياً كبيراً مع الأصل ونجاحها في تحقيق الهدف التواصلية.
	« Qui aura fait un atome de mal le verra »
	<u>الاختيار المعجمي</u> : شرّ = mal
	<u>الأثر المعرفي</u> : كبير. حقق الآثار المحورية من خلال بنية لغوية موجزة وممتينة

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

<u>الجهد الذهني: متوسط.</u> لا اعتبار بذل جهد إضافي من القارئ للاستدلال على معنى الشر المحدد في الآية.	
<u>درجة الملاءمة: عالية.</u> لتحقيق الترجمة تشابهاً تأويلياً كبيراً مع الأصل ونجاحها في تحقيق الهدف التواصلية بفعالية وإيجاز.	
Et quiconque fait le poids d'un atome de mal le verra	عبد
<u>الاختيار المعجمي:</u> شرّ = mal	العزیز
<u>الأثر المعرفي: كبير.</u> لتحقيقها الآثار المحورية بنجاح رغم أن البنية اللغوية أقل سلاسة.	
<u>الجهد الذهني: متوسط.</u> لا اعتبار بذل جهد إضافي من القارئ للاستدلال على معنى الشر المحدد في الآية.	
<u>درجة الملاءمة: عالية.</u> لتحقيق الترجمة تشابهاً تأويلياً كبيراً مع الأصل.	
« Celui qui a commis une once de mal le verra »	شبل
<u>الاختيار المعجمي:</u> شرّ = mal	
<u>الأثر المعرفي: متوسط.</u> نجح في تحديد معنى العمل السيء لكنه أضعف من أثر الدقة المتناهية للميزان.	
<u>الجهد الذهني: متوسط.</u> قد يتطلب الاستدلال على معنى الدقة المتناهية للحساب وهذا زائداً من القارئ.	
<u>درجة الملاءمة: متوسطة.</u> لنقل الترجمة جلّ الآثار المعرفية مع إضعاف أثر محوري ما خفض من التشابه التأويلي مع الأصل.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

❖ النموذج السادس: الشر بمعنى العذاب

«وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا» (10، سورة الجن)	الآية
«Nous ne savions pas si on veut du mal* à ceux qui se trouvent sur la terre, ou si leur Seigneur leur veut droiture ». (p 667). <i>*on veut du mal à : Littér. : un mal a été voulu à... (ces djinns sont bien élevés : ils attribuent le bien directement à Dieu, cependant qu'ils parlent seulement des victimes du mal et non pas de son origine !)</i> - الترجمة العكسية: "لم نكن نعلم إذا ما كان يُراد شرٌّ * بمن هم في الأرض، أم إذا كان ربهم يريد لهم استقامة" *يُراد شرٌّ بـ: حرفياً: شرٌّ أريدَ بـ... (هؤلاء الجنّ مؤدّبون: فهم ينسبون الخير مباشرة إلى الله، بينما يتحدثون فقط عن ضحايا الشرّ وليس عن مصدره!)	ترجمة حميد الله
«Et nous ne savons si c'est du mal qu'on veut (ainsi) aux habitants de la terre, ou si leur Seigneur attend d'eux qu'ils marchent droit » (p. 640) - الترجمة العكسية: "ونحن لا نعلم ما إذا كان شرّاً هو ما يُراد (بذلك) لسكان الأرض، أم إذا كان ربّهم يتوقّع/يترقّب منهم أن يسيروا باستقامة".	ترجمة بيرك
« Et nous ne savons pas : a-t-on voulu du mal à ceux qui sont sur la terre ou bien leur Seigneur leur A-t-Il Voulu une droiture ? » (p.710) - الترجمة العكسية: ونحن لا نعلم: هل أُريدَ شرٌّ بمن هم في الأرض أم أنّ ربّهم أراد لهم استقامة؟	ترجمة عبد العزيز
«Nous ne savions pas exactement si nous voulions du mal à ceux qui sont sur terre ou si, au contraire, leur Dieu voulait les orienter sur le chemin de droiture » (p. 475). - الترجمة العكسية: لم نكن نعلم بالضبط ما إذا كنّا نريد شرّاً بمن هم في الأرض أو إذا، على العكس، كان ربّهم يريد توجيههم إلى طريق الاستقامة.	ترجمة شبل

- التحليل:

أ. تحليل النص المصدر:

- الآية: "وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا"¹.

- السياق المعرفي: تأتي الآية في سياق استماع الجنّ المؤمنين للقرآن واعترافهم وحيرتهم وتساؤلهم عن سبب التغيّر الكوني الهائل الذي شهده، والمتمثل في حراسة السماء بالشهب ومنعهم من استراق السمع. إذ تكشف الآية عن حالة الجهل التام، التي أصبح عليها الجن، بالمصير المستقبلي لأهل الأرض والذي لا يخرج عن أحد أمرين: إما شرٌّ عظيم سيحل بهم، أو رشدٌ وهداية ستُبعث إليهم².

ويمكن أن نستشف من تفسير ابن عاشور وجمهور المفسرين³ أهم عنصرين يرتكز عليهما السياق المعرفي، أحدهما دلالي والثاني بلاغي:

1. "شرٌّ" و "رشدًا": كما يوضح الطبري وجمهور المفسرين، فإن التقابل هنا يتجاوز

مفهومين عامّين إلى مصيريين محدّدين. إذ يقصد بالشرّ هنا العذاب الذي قد يُنزله الله تعالى على أهل الأرض عقابًا لهم. ويقصد بالرشد في مقابل ذلك الهدى وبعثة نبيّ مرشدٍ وهو الخير الأعظم الذي قد يريده الله بهم.

¹ سورة الجنّ، الآية 10.

² ابن عاشور، مرجع سابق، ج. 29، ص. 230-231.

³ انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري، والقرطبي وابن كثير لهذه الآية. وقد سبق الإشارة إلى ذلك في بحثنا هذا في الفصل الرابع في عنصر إطلاقات الشرّ في وجهه الثالث.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

2. 'أريد' وبنائه للمجهول: وهذه نقطة محورية في الآية، إذ جاء إسناد فعل إرادة الشر (العذاب) إلى المجهول (أشرُّ أريدَ بمن في الأرض). بينما أسند فعل إرادة الرشد (الهدى) إلى الله صراحةً (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ). ومثل هذا الاختلاف البلاغي، كما أشار ابن عاشور إليه، هو جريٌّ على واجب الأدب مع الله تعالى في تحاشي إسناد الشر إليه¹. أي أنه يفيد أدباً رفيعاً في الحديث عن الله.

← **التصريحات:** تتجلى المعاني الصريحة للآية في إقرار الجنّ المؤمنين بحقيقة واضحة كونهم لا يعلمون المصير المستقبليّ المقدّر لأهل الأرض بعد حراسة السماء بالشهب: أهو عذابٌ سيحلّ بهم أم هدى أرادَه الله لهم.

← التضمنات والآثار السياقية:

■ **معنى الشر:** ويتمثل في الأثر المحوري للآية الذي يجب على القارئ استنتاجه. فالشر هنا هو العذاب الذي قد يحلّ بأهل الأرض، والذي يقع في مقابل الهدى ببعثة نبي مرشد. وإدراك هذا التحديد الدلالي مفتاح فهم الموقف الذي يصفه الجنس.

■ **الأدب مع الله في نسبة الأفعال:** يتمثل الأثر الثاني في هذه الآية والذي يخدم الأثر المحوري في الأدب الرفيع في نسبة الأفعال إلى الله. فالخير والهدى يُنسبان إليه صراحةً (أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) ويضافان إليه عزّ وجلّ. بينما الشر والعذاب لا يُنسبان

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص 231.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

إليه تأدّباً وتنزيهاً، مع أن الكلّ واقعٌ بإرادته سبحانه. وهذا التفريق جوهريّ في فهم الآية وإدراك الهدف التواصلّي الوارد فيها.

■ انقطاع علم الغيب عن غير الله: تُضمّن الآية حقيقة عقديّة¹ جليّة تكمن في كون حراسة السّماء بالشّهب قد قطعت الطريق على الجن لمعرفة أي شيء من أمور الغيب، وأن علم المستقبل هو من اختصاص الله وحده.

← الهدف التواصلّي: يتمثّل في ترسيخ أدب إيماني رفيع في الحديث عن الله تعالى وهو تجنّب نسبة الشرّ والعذاب إليه - مباشرة - تأدّباً وتنزّهاً، ونسبة الخير والهدى إليه صراحةً. كما تهدف الآية إلى تأكيد حقيقة أنّ الغيب من علم الله وحده، والإشارة ضمناً إلى أن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي الرّشد الذي حسم التساؤل المحوري المطروح (هل الحدث العظيم مقدّمة لعذاب أو إيدان برحمة وهداية؟).

ب. تحليل الترجمات:

بعد تحليلنا لنصّ الآية (10) من سورة الجن وتحديد سياقها المعرفي، وتضميناتها السياقية، وهدفها التواصلّي، سنعرض فيما يلي تحليل الترجمات الأربع بهدف قياس مدى نجاح كل مترجم في إعادة إنتاج الآثار المعرفيّة المحدّدة في النصّ الأصلي. وسنركز بالتحديد على كيفية تعاملهم مع التحدّيّين الرئيسيين في هذه الآية: أولاً نقل المعنى المحدد للفظ "الشرّ" (العذاب) و"الرشد" (الهدى). وثانياً نقل الأثر البلاغي الناتج عن التقابل بين

¹ ابن عاشور، المرجع السابق، ص 230.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

صيغة المبني للمجهول (أُرِيدَ) وصيغة المبني للمعلوم (أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ). ومن خلال هذا التحليل المقارن، سنسعى إلى تقييم درجة الملاءمة لكل ترجمة وتحديد الاستراتيجيات المنتهجة والكشف عن مواطن النجاح والإخفاق في سعيهم لنقل هذه الآية القرآنية البليغة إلى اللغة الفرنسية.

1. ترجمة حميد الله:

« Nous ne savions pas si on veut du mal* à ceux qui se trouvent sur la terre, ou si leur Seigneur leur veut droiture ».

**on veut du mal à : Littér. : un mal a été voulu à... (ces djinns sont bien élevés : ils attribuent le bien directement à Dieu, cependant qu'ils parlent seulement des victimes du mal et non pas de son origine !)*

- الترجمة العكسية:

"لم نكن نعلم إذا ما كان يُراد شرٌّ * بمن هم في الأرض، أم إذا كان ربهم يريد لهم استقامة"

** يُراد شرٌّ بـ: حرفياً: شُرُّ أُريدَ بـ... (هؤلاء الجن مؤثّبون: فهم ينسبون الخير مباشرة إلى الله، بينما يتحدثون فقط عن ضحايا الشر وليس عن مصدره!).*

- الاختيار المعجمي:

■ أشّر: اختار حميد الله المقابل الفرنسي المباشر والعام للفظة 'شَرّ' القرآنية، وهو اختيار مقبول من الناحية المعجمية، لكنّه وحده لا ينقل الأثر المحوري المحدّد في السياق المعرفي للآية وهو أنّ الشرّ يعني "العذاب". ما يُغيّب عن القارئ الفرنسي جزءاً مهماً من المعنى المقصود في الأصل.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ رشدًا: ترجمها حميد الله بـ (droiture) أي الاستقامة. رغم أنها ترجمة مقبولة لكلمة "رشدًا" لاعتبار أنها تحمل معنى الصّلاح والاستقامة على الطريق القويم¹، إلا أنها لا تشير بوضوح إلى المعنى المقابل للعذاب في هذا السياق وهو "الهدى ببعثة نبي مرشد". وبناءً عليه، يفقد القارئ الفرنسي التقابل الذي تورده الآية بين مصيرين هامين (العذاب) ضد (الهدى)، فلا يصله من الترجمة إلا تقابل ضعيف تسمه العموميّة (أمر سيّء) ضدّ (استقامة).

■ "أريد" و"أراد": يكمن التحدي الذي يواجه المترجم في نقل هذين الفعلين في الحفاظ على وحدة الجذر (أراد) مع اختلاف البنية الصرفية (مبني للمجهول/مبني للمعلوم). وقد اختار حميد الله الفعل (vouloir) لكلا شقّي الآية. ونجح بذلك في الحفاظ على التوازي الدلالي، كما حافظ على التمييز البلاغي باستخدام صيغة الفاعل غير المحدّد (le pronom indéfini) في الشر (On veut du mal) وصيغة المبني للمعلوم في الرشد (leur rشد Seigneur leur veut droiture). ومعلوم أنّ صيغة الضمير الفاعل غير المحدّد يعدّ شائعاً لتجنب ذكر الفاعل وتقادي صيغة المبني للمجهول الطوية الثقيلة (un mal a été voulu)، إلا أنها ليست معادلاً دقيقاً للصيغة العربيّة "أريد" التي تزيل الفاعل تماماً من البنية اللغويّة تأدّباً. ولربّما إدراك المترجم لهذه المسألة هي التي دفعت به إلى إرفاق الترجمة بحاشية

¹ عرّفه ابن عاشور "الرشد إصابة المقصود النافع". انظر: ابن عاشور، المرجع السابق، ص. 231.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

توضيحية تنقل جوهر البلاغة القرآنية (التأدب مع الله) بعبارات صريحة ومباشرة (ces djinns sont bien élevés...) لتعويض ما عجزت الترجمة عن نقله.

- **الأثر المعرفي:** بناءً على الاختيارات المعجمية، فإن الآثار المعرفية التي تصل إلى القارئ الفرنسي هي:

■ **معنى الشر:** لم توفّق ترجمة حميد الله، باستخدامها لمفردتي 'mal' (شرّ عام) و 'droiture' (استقامة سلوكية)، في تحقيق هذا الأثر المعرفي المحدد. فالتقابل المصيري الموجود في الأصل يضيع، فلا يصل إلى ذهن القارئ الفرنسي إلاّ تقابل ضعيف وعام، ما يقلل من قوة الرسالة والحدث الجلل الذي يصفه الجنّ.

■ **الأدب مع الله في نسبة أفعال الخير والشر:** وُفّقت ترجمة حميد الله في نقل هذا الأثر لا من خلال متن الترجمة الذي غيّب البلاغة القرآنية كما رأينا بل من خلال حاشية توضيحية خارجية. ورغم أنّ المعنى قد نقل في نهاية المطاف إلا أنّ هذا الحل أضعف البلاغة القرآنية المباشرة وحولها إلى معلومة شارحة تتطلب جهداً إضافياً من القارئ.

■ **انقطاع علم الغيب عن غير الله:** وفق المترجم في نقل هذا الأثر المرتبط بالتصريح المباشر في الآية. فجملة «nous ne savions pas» (أي لم نكن ندري) تنقل بوضوح حالة الحيرة والجهل التي أقرّ بها الجنّ، وتعيد إنتاج أثر انقطاع علم المستقبل عنهم وأنّ الغيب من اختصاص الله وحده.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وعليه، وقّعت هذه الترجمة في نقل أثر الأدب مع الله بشكل غير مباشر باستخدام الحاشية، فيما نقلت أثر ارتباط علم الغيب بالله وحده بشكل مباشر. بينما أخفقت في نقل الأثر المحوري المتمثل في معنى الشر.

- **الجهد الذهني:** يعدّ متوسطاً نظراً لما تفرضه الحاشية من جهد إضافي من القارئ (التوقف عن القراءة ثمّ النزول إلى الحاشية ثم إعادة ربطها بالمتن). وهذا الجهد لم يكن مطلوباً لو كان الأثر البلاغيّ مدمجاً مباشرة في متن الترجمة ذاتها. مع ذلك، تبقى الحاشية حلاً يعكس أمانة المترجم وحرصه على عدم تضييع جوهر الرسالة القرآنية.

- **درجة الملاءمة:** إذا ما اعتبرنا المتن لوحده، تبدو لنا الترجمة منخفضة الملاءمة لإخفاها في نقل الآثار الدلالية (عذاب/هدى) والبلاغية (البناء للمجهول) الأساسية على نحو فعال. بيد أنّ تقييمها كوحدة متكاملة مع الحاشية الإضافية (متن + حاشية) يرفع درجة ملاءمتها لتصبح متوسطة. فبالرغم من زيادة الجهد الذهني والقصور في نقل بعض المعاني، إلّا أنّ نجاحه في توصيل الهدف التواصلّي الأهمّ (الأدب مع الله) عبر الحاشية يجعلها ترجمة ناجحة إلى حدّ ما وإن كان ذلك على حساب زيادة الجهد الذهني.

1. **ترجمة بيري:**

«Et nous ne savons si c'est du **mal** qu'on veut (ainsi) aux habitants de la terre, ou si leur Seigneur attend d'eux qu'ils marchent droit »

- **الترجمة العكسيّة:**

"ونحن لا نعلم ما إذا كان شراً هو ما يُراد (بذلك) لسكان الأرض، أم إذا كان ربّهم يتوقّع/يتربّع منهم أن يسيروا باستقامة/مستقيمين".

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الاختيار المعجمي:

- أشّر: على غرار حميد الله، استخدم بيرك المقابل المعجمي العام (mal) ما يفقد اللفظة القرآنية معناها المحوري وهو (العذاب).
- رشدًا: ترجم بيرك اسم المصدر (رشدًا) بجملة فعلية 'qu'ils marchent droit'. ونرى في هذا الاختيار تحويل من فعل الله إلى فعل البشر وتركيز على الفعل السلوكي البشري (أن يسيروا مستقيمين/باستقامة) أكثر من التركيز على الفعل الإلهي المتمثل في الهدى.
- "أريدَ" و "أرادَ": استخدم بيرك في الشق المتعلق بالشّر صيغة الفاعل غير المحدّد (qu'on veut d'eux) على غرار حميد الله لكن دون حاشية مرفقة مكتفياً بما جاء في المتن. وقد أقرن الضمير بفعل (vouloir) وهو اختيار موفق يفى بالمعنى المقصود. إلا أن الإشكال المطروح في ترجمته يخصّ الشق المتعلق بالرّشد. إذ أجرى بيرك تغييراً على المستوى المعجمي ما من شأنه أن يؤثّر على المعنى ولربما على العقيدة أيضاً. إذ ترجم فعل الإرادة في (أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) بالفعل (attendre) الذي يشير إلى التوقّع والترقّب (أم إذا كان ربّهم يتوقّع/يترقّب منهم). فإن بحثنا عن معانيه في القاموس الفرنسي لوجدنا أنّه يتضمّن معنى التوقّع لنتيجة أو فعل يصدر عن طرف آخر:

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

« Espérer la venue de quelqu'un, la survenance de quelque chose »¹

وفي هذا الاختيار المعجمي تغيير كلي للمعنى: ففي الأصل القرآني يشير الفعل "أراد" إلى فعل الله بإرادة الرّشد لعباده وتهيئة أسبابه لهم. بينما ترجمة بريك تضع الله في موضع التوقّع والترقب لسلوك البشر وهذا لا يليق بكمال الله العليم بكل شيء والفاعل لما يريد. وكأنّ الترجمة تنسب إلى الله صفة تليق بالإنسان² (التوقّع والانتظار).

- الأثر المعرفي:

▪ معنى الشر: على غرار ترجمة حميد الله، لم تنقل ترجمة شبل التقابل الدقيق بين "العذاب" و"الهدى ببعثة نبيّ مرشد". إذ لا ينقل الخيار المعجمي للمترجم سوى تقابل خافت بين شرّ عام غير محدّد وسلوك بشريّ قويم.

▪ الأدب مع الله في نسبة أفعال الخير والشر: غيّبت الترجمة جزئياً قوة البلاغة القرآنية في الشق المتعلّق بالشرّ باستخدامها صيغة الفاعل غير المحدّد بدل البناء للمجهول المباشر. إلّا أنّ الإشكال المعرفي يطرح في الشق الخاص بالرشّد حيث أنتجت الترجمة أثراً معرفياً سلبياً. فبدلاً من نسبة صفة الخير والهدى لله، أظهرت الترجمة، من خلال خيارها المعجمي 'attendre'، الله في صورة المترقب

¹ ATTENDRE, in : CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/attendre>, (Consulté le : 16/11/2025).

² ما يطلق عليه تسمية "الأنسنة" أو "التشبيه بين الله والإنسان" Anthropomorphisme وتعني النزعة التي تُسقط صفات بشريّة كالشكل والأفكار والدوافع على الذات الإلهيّة وتُقيم تشبيهاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق. انظر في هذا الصدد: حمو، فرعون، الأنثروبومرفيزم أو التشبيه بين الله والإنسان في عقائد ابن تيمية الحرّاني، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، المجلد 10، ع.01، 2021.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

والمنتظر لسلوك عباده. وفيه إخفاق تامّ في نقل الهدف التواصلية وتتاقض مع صفات القدرة والعلم المطلق لله.

■ انقطاع علم الغيب عن غير الله: يتحقّق هذا الأثر المعرفي بنجاح في الترجمة، ولعلّه الأثر الوحيد المحقّق فيها.

- الجهد الذهني: قياس الجهد المعرفي المبذول مختلف في هذه الترجمة. فلا يجد

القارئ الفرنسي أي صعوبة في فهم الترجمة باعتبار سلاسة اللغة وسهولتها ووضوحها. إلّا أنّ القارئ الملمّ بالخلفيّة المعرفية للنص القرآني والعقيدة الإسلاميّة سيبدّل جهداً ذهنياً كبيراً للتعامل مع التناقض العقدي الذي تثيره الآية والبحث عن الافتراض السياقي الصحيح والاستدلال على المعنى المقصود. فالجهد المبذول هنا ليس جهد فهم بل جهد تصحيح ومعالجة التناقض الذي أنتجته الترجمة.

- درجة الملاءمة: تتأى الترجمة عن تحقيق تشابه تأويلي مع الآية القرآنية من خلال تغييبها لجل الآثار المعرفية للأصل. كما أنّها تنتج آثاراً مضلّة فيما يتّصل بطبيعة الإرادة والفعل الإلهيين، ما يجعلها غير فعّالة من الجانب التواصلية.

2. ترجمة عبد العزيز:

« Et nous ne savons pas : a-t-on voulu du **mal** à ceux qui sont sur la terre ou bien leur Seigneur leur A-t-Il Voulu une droiture ? »

- الترجمة العكسيّة:

ونحن لا نعلم: هل أريد شرٌّ بمن هم في الأرض أم أنّ ربّهم أراد لهم استقامة؟

- الاختيار المعجمي:

- أشُرُّ/رشدًا: على غرار الترجمتين السابقتين، اختارت عبد العزيز مقابلين معجميين عامين (mal في مقابل الشرّ) و(droiture في مقابل الرشد) وهو ما يغيب في هذه الترجمة كذلك دلالة "العذاب" في مقابل "الهدى ببعثة النبي المرشد".
- "أريد" و "أراد": وفقت المترجمة من خلال اختيارها المقابل الفرنسي (vouloir) في الحفاظ على الجذر الدلالي للإرادة في كلا شقي الآية. إلا أن الابتكار الأبرز بالنسبة إلى عبد العزيز يكمن في التحوّل الأسلوبي إلى الاستفهام. إذ حوّلت الجملة الخبريّة المتضمّنة لحيرة الجنّ (لا ندري أشرّ...أم...) إلى جملة استفهامية مباشرة (a-t-on voulu...ou bien...A-t-Il Voulu...). ففي الشق المتعلّق بالشرّ، استخدمت صيغة الاستفهام مقرونا بضمير الفاعل غير المحدّد (On). وهذا التركيب يحافظ على الفاعل المجهول ولكنّه يغيّر من نبرة الجملة من إقرار الجهل إلى سؤال مباشر وصريح. كذلك، في الشق المتصل بالرشد، استخدمت عبد العزيز صيغة الاستفهام مع تقديمها للفاعل (leur Seigneur leur A-t-Il Voulu). كما لجأت إلى استراتيجية طباعية من خلال استخدام الحروف الاستهلاكية (A-t-Il-Voulu) في محاولة لزيادة تعظيم الذات الإلهية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الأثر المعرفي:

■ معنى الشر: لم توفّق هذه الترجمة، تماماً كما الترجمتين السابقتين، في نقل التقابل

الدقيق بين "العذاب" و"الهدى" بسبب الاختيارات المعجمية (Droiture/mal) ما

يغيّب المعنى المحوري للشر في هذا الموضع.

■ الأدب في نسبة أفعال الخير والشر لله: نجحت عبد العزيز في الحفاظ على تقابل

بين فاعل غير محدّد للشر وفاعل صريح للخير ما يحافظ على البنية البلاغية

للأصل. إلّا أنّ تحويل الجملة بأكملها إلى استفهام مباشر يغير من الأثر العام.

إذ إنّ الآية في الأصل تعبّر عن إقرار بالجهل واعتراف به (لا ندري)، بينما تحوّله

الترجمة إلى تساؤل واستفهام (هل أريد؟).

■ انقطاع علم الغيب عن غير الله: تنقل الترجمة معنى عدم الدراية بوضوح وبأسلوب

مباشر (et nous ne savons pas) وقد تحقق هذا الأثر بنجاح.

- الجهد الذهني: تبدو الترجمة واضحة وسلسة اللغة، لذا فالجهد المطلوب لفهمها

منخفض. حتى التغيير الأسلوبي إلى الاستفهام واستخدام الحروف الاستهلاكية لا يتطلب

جهداً إضافياً لمعالجته فهو يلفت الانتباه مباشرة إلى إضفاء التعظيم والتبجيل.

- درجة الملاءمة: نجحت الترجمة في تحقيق تشابه تأويلي من خلال نقل بعض

الآثار المعرفية كنسبة الخير إلى الله ونفي الشر عنه. كما سعت إلى تعزيز صفة التبجيل

والتعظيم من خلال استراتيجية طباعية. لكنّها فشلت في المقابل في نقل المعنى المحدد

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

للفظتي "الشر" و"الرشد" القرآنيّتين. كما أنها أجرت تغييراً أسلوبياً بتحويلها الأسلوب الخبري إلى أسلوب استفهامي مباشر أدّى إلى تغيير النبرة القرآنية من الإقرار بالجهل إلى طرح سؤال مباشر. وعليه وباعتبار ما سبق، تعتبر ترجمة عبد العزيز متوسطة الملاءمة.

3. ترجمة شبل:

« Nous ne savions pas exactement si nous voulions **du mal** à ceux qui sont sur terre ou si, au contraire, leur Dieu voulait les orienter sur le chemin de droiture ».

- الترجمة العكسيّة:

"لم نكن نعلم بالضبط ما إذا كنّا نريد شرّاً بمن هم في الأرض أو إذا، على العكس، كان ربّهم يريد توجيههم إلى طريق الاستقامة".

- الاختيار المعجمي:

■ أشُرُّ/رشدًا: اختار شبل المقابلات المعجمية العامة ذاتها لسابقه. وهذا الاختيار يغيب معنى "العذاب" في مقابل "الهدى ببعثة نبي مرشد". ما يضعف المعنى المحوري للآية؛ وهذا القصور يغدو مشتركاً بين الترجمات الأربع.

■ "أريد" وأراد: تُظهر الترجمة تبايناً بين شقيّ الآية. ولعلّ أهمّ تحدٍّ واجه المترجم هو هذه المسألة بالذات. ففي شقّ الرّشد (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)، كانت ترجمته صحيحة نحويّاً حيث حافظ على البناء للمعلوم وأسند الفعل إلى الفاعل الصحيح (notre Seigneur voulait) رغم قصوره في نقل الدلالة المحددة لكلمة "رشدًا". بيد أنّ الترجمة أخفقت في

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الشَّق المتعلّق بالشرّ (أَشَرُّ أُريدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ) على مستويين: نحويّ ودلاليّ. فقد ألغى شبل، على المستوى النحوي، البناء للمجهول في (أريد). فبدلاً من استخدام صيغة المبني للمجهول أو ضمير الفاعل غير المحدد (on) للشرّ كما فعل باقي المترجمين، استخدم ضمير جمع المتكلم نحن (Nous) العائد على (الجنّ) مسنداً بذلك، على المستوى الدلالي، إرادة الشرّ إلى الجنّ أنفسهم (nous voulions du mal). فبينما الآية تتحدّث عن حيرة الجنّ من فعل كوني لا يعلمونه بعد حراسة السماء وانقطاع علم الغيب عنهم، تجعل ترجمة شبل معشر الجنّ الفاعلَ والمسبّبَ لإرادة الشرّ، وهذا ما يتعارض مع سياق الآية التي تتحدّث عن مصير أهل الأرض الذي هو بيد الله. وبإلغاء هذا التقابل البلاغي بين البناء للمجهول فيما يتعلّق بالشرّ والبناء للمعلوم فيما يتّصل بالخير، تغيّب الترجمة بُعد الأدب مع الله وتجعل إرادة الجنّ بمقام إرادة الله، ما يغيّب بدوره الهدف التواصلي المقصود من الآية الكريمة.

- الأثر المعرفي:

- معنى الشر: لم توفّق الترجمة في نقل أثر التقابل بين شرّ "العذاب" ورشد "الهدى" نتيجة الاختيارات المعجميّة العامة (mal/droiture). فتغيّب معنى الشرّ في هذا الموضع القرآني من شأنه أن يقلّل من قوّة الهدف التواصلي.
- الأدب في نسبة أفعال الخير والشرّ لله: ينجرّ عن إسناد فاعل لفعل الإرادة القرآني إنتاج أثر معرفي مغلوط وتغييب الهدف التواصلي المتمثل في ترسيخ أدب إيماني

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

رفيع. فما يفهمه القارئ للترجمة أنّ الآية تتحدّث عن حيرة الجنّ بين إرادتهم هم للشر وإرادة الله للخير، بدلاً من أن تكون حيرة بين مصيرين كونيين صادرين - كلاهما - عن إرادة عليا. ما يلغي البنية البلاغية للأصل ويغيب أثر الأدب والتنزيه في نسبة الأفعال إلى الله (إسناد الخير لله صراحةً وإسناد الشر للمجهول تأدياً).

■ انقطاع علم الغيب عن غير الله: تنقل جملة (et nous ne savions pas

exactly) أي (لم نكن نعلم بالضبط) معنى عدم الدراية وجهل الجنّ بما يستقبل

من أحداث.

- الجهد الذهني: تبدو الترجمة واضحة وسلسة اللّغة، ما يتطلب من القارئ جهداً

منخفضاً لفهمها. لكن هذا الانخفاض في الجهد مضللّ. فالقارئ يتقبل دون عناء المعنى

المغلوّط ولن يلفت انتباهه التغيير النحوي والدلالي الذي يكسبه أثراً معرفياً خاطئاً بأقل

جهد ممكن. ولعلّ الجهد الإضافي سيبيّله القارئ الفرنسي الملمّ بالخلفية القرآنية لتصحيح

المعنى المغلوّط.

- درجة الملاءمة: تعتبر ترجمة شبل منخفضة الملاءمة إلى حدّ كبير. فمن غير

الأثر المعرفي المتعلق بجهل الغيب، أخفقت في تحقيق أي تشابه تأويلي مع نصّ الآية

في مسألة بلاغية وعقدية غاية في الأهمية وغيّرت المعنى الأصلي بإسناد إرادة الشر

لفاعل محدّد بدلاً من إبقائه مجهولاً إشارة إلى القدر الإلهي، ما غيّب الهدف التواصلية

للآية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يُظهر التحليل المقارن لترجمات الآية (10) من سورة الجن تباينًا كبيرًا في درجة ملاءمتها لنقل الهدف التواصلية للآية. إذ تبين لنا إخفاق الترجمات في نقل التقابل المصيري بين "الشر" كعذاب و"الرشد" كهدي ببعثة نبي مُرشد، وذلك لاكتفائها بمقابلات معجمية عامة أضعفت المعنى المحوري. أمّا التمايز بينها فيتجلّى في تعاملها مع بلاغة الأدب مع الله في نسبة الخير إليه وتنزيه الشر عنه. في هذا الصدد، تعتبر ترجمة حميد الله الأعلى ملاءمة نسبيًا، إذ نجحت في نقل هذا الهدف التواصلية عبر استراتيجية تعويضية تمثلت في استخدام الحاشية لشرح البلاغة القرآنية التي عجز المتن عن نقلها. في المقابل، جاءت ترجمة عبد العزيز متوسطة الدرجة، حيث حافظت على التقابل البلاغي الأصلي، لكنّها غيرت نبرة الآية الأصلية بتحويلها من الإقرار بالجهل إلى الاستفهام المباشر. أما ترجمتا بريك وشبل فتعتبران الأدنى ملاءمة؛ فترجمة بريك أنتجت أثرًا معرفيًا مُضللًا بإسناد الفعل (attendre) إلى الله. بينما انطوت ترجمة شبل على تغيير نحويّ ودلاليّ جوهري بنسبة إرادة الشرّ إلى الجن أنفسهم (nous voulions) ما غيّر من سياق الآية المعرفي وهدفها التواصلية.

الترجمة والتحليل	
المترجم	الآية: "وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا" (10، سورة الجن)
	« Nous ne savions pas si on veut du mal* à ceux qui se trouvent sur la terre, ou si leur Seigneur leur veut droiture ». *on veut du mal à : Littér. : un mal a été voulu à... (ces djinns sont bien élevés : ils attribuent le bien directement à Dieu, cependant qu'ils parlent seulement des victimes du mal et non pas de son origine !)

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الاختيار المعجمي: شر = mal	حميد
الأثر المعرفي: متوسط نجح في نقل أثر الأدب مع الله عبر الحاشية. لكنه أخفق في نقل الأثر المحوري (عذاب/هدى).	الله
الجهد الذهني: متوسط يتطلب جهداً إضافياً لقراءة الحاشية وربطها بالمتن لتعويض قصور الترجمة.	
درجة الملاءمة: متوسطة نجاحها في توصيل الهدف التواصل الأهم عبر الحاشية يرفع من ملاءمتها رغم ضعفها في المتن وحده.	
«Et nous ne savons si c'est du mal qu'on veut (ainsi) aux habitants de la terre, ou si leur Seigneur attend d'eux qu'ils marchent droit »	بيرك
الاختيار المعجمي: شر = du mal	
الأثر المعرفي: منخفض أخفق في نقل معنى (عذاب/هدى)، وأنتج أثراً معرفياً سلبياً مضللاً عن الفعل الإلهي (attendre).	
الجهد الذهني: منخفض فالترجمة سهلة وسلسة. لكنها تتطوي على تناقض عقديّ يتطلب جهداً كبيراً لتصحيحه.	
درجة الملاءمة: منخفضة جداً تنتج أثراً مضللاً فيما يتصل بالفعل الإلهي وتغيب الهدف التواصل من الآية.	
« Et nous ne savons pas : a-t-on voulu du mal à ceux qui sont sur la terre ou bien leur Seigneur leur A-t-Il Voulu une droiture ? »	عبد العزيز
الاختيار المعجمي: شر = du mal	
الأثر المعرفي: متوسط حافظت على بلاغة الأدب في نسبة الأفعال إلى الله، لكنها غيرت الأسلوب إلى استفهام وأخفقت في نقل معنى (عذاب/هدى).	
الجهد الذهني: منخفض	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

اللغة واضحة والأسلوب الاستقهامي مباشر ولا يتطلب جهداً إضافياً. درجة الملاءمة: متوسطة حققت تشابهاً تأويلياً جزئياً لكنها غيرت النبرة القرآنية وأخفقت في نقل الدلالة المحورية.	
«Nous ne savions pas exactement si nous voulions du mal à ceux qui sont sur terre ou si, au contraire, leur Dieu voulait les orienter sur le chemin de droiture ».	شبل
الاختيار المعجمي: شرّ = du mal	
الأثر المعرفي: أخفق في نقل معنى (عذاب/هدى)، وأنتج أثراً مغلوطاً بإسناد إرادة الشرّ للجن، مما غيّب الصورة البلاغية والهدف التواصلية.	
الجهد الذهني: منخفض السّهولة الظاهرية مضلّة وتوصل معنى خاطئاً يتطلب تصحيحاً وبالتالي جهداً استدلالياً إضافياً.	
درجة الملاءمة: منخفضة جداً غيّرت المعنى الأصلي بشكل جوهري وأخفقت في تحقيق أي تشابه تأويلي فيما يخصّ المسألة البلاغية والعقدية المحورية للآية.	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

❖ النموذج السابع: الشر بمعنى الجزاء والعقاب

الآية	"يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا" (07، سورة الإنسان)
ترجمة حميد الله	« Ceux qui accomplissent le vœu pieux et redoutent un Jour dont le mal plane ». (p. 677) الترجمة العكسية: "أولئك الذين يحققون أمانِيّ مستحيلة ويخشون يوماً شرّه حائم" .
ترجمة بيرك	« En s'acquittant des vœux, en redoutant le Jour où la douleur éploiera son vol » (p. 651) الترجمة العكسية: "بالوفاء بالنذر، وبخشية اليوم الذي سيحلق فيه الألم".
ترجمة عبد العزيز	« Ils accomplissent leurs vœux et appréhendent un Jour où le mal sera de tout côté » (p. 719) الترجمة العكسية: "يوفون بنذورهم ويخشون يوماً سيحيط فيه الشر من كلّ جانب"
ترجمة شبل	« Ils ont honoré les vœux qu'ils s'étaient donnés, et ils ont craint l'imminence d'un jour funeste ». (p. 484) الترجمة العكسية: "وقّوا النذور التي قطعوها على أنفسهم، وخافوا حلول يوم مشؤوم وشيك".

- التحليل:

أ. تحليل النصّ المصدر:

الآية: "يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا"¹

← السياق المعرفي:

تصف الآية، وفقاً لابن عاشور²، حالة الأبرار في الدنيا بجمعها بين مظهرين متكاملين من صلاحهم: العمل الظاهر المتمثل في الوفاء بالالتزامات (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ)، والدافع القلبي

¹ سورة الإنسان، الآية 7.

² ابن عاشور، مرجع سابق، ج. 29، ص. 382 - 383.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

الباطن الذي يضمن إخلاص هذا العمل، وهو الخوف من يوم القيامة (وَيَخَافُونَ يَوْمًا) وُصف شره بصفة بلاغية بالغة الدقة والقوة: "مستطيراً".

ويوضح ابن عاشور أنّ هذا الخوف هو الضامن لإخلاصهم في أعمالهم. فهم لا يعملون صالحاً رياءً، بل دافعهم هو النجاة من شرّ ذلك اليوم. وعليه، فالخوف المذكور في الآية الكريمة ليس خوفاً في الآخرة لأنّ الأبرار فيها من الآمنين بل هو خوفهم في الدنيا الذي يحثّهم على العمل الصالح. وبناءً عليه، يمكن الاستدلال على عنصرين معرفيين أساسيين من تفسير الآية "وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً":

1. شره: يوضح ابن عاشور أنّ الشرّ في هذا الموضع ليس شرّاً عاماً وإنّما هو الحساب

والجزاء على الأعمال السيئة بالعقاب. وهذا التحديد الدلالي مهمّ هاهنا لأنّه يعدّل

من معنى الخوف من مجرد شعور نفسي إلى وعي تامّ بعواقب الأعمال السيئة.

← مُستطيراً: يعدّ تحديد دلالة هذه اللفظة القرآنية محورياً لوصف هذا الشرّ. إذ يوضح

ابن عاشور أنّ الكلمة مشتقة من فعل 'استطار' وهي مبالغة للفعل 'طار' استخدمت

مجازاً للدلالة على التفشي والانتشار الواسع والامتداد الشامل الذي لا يدعُ مجالاً للفرار.

وعليه لا ينحصر معنى "المستطير" على مجرد انتشار الشرّ بل يتجاوزه إلى الامتداد

والتفشي والشمول مالئاً السماوات والأرض: "كان شره فاشياً في السماوات فانشقت،

وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وفي الأرض نسفت الجبال وغارت المياه"¹.

¹ يراجع: تفسير الطبري والقرطبي، والبغوي، مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، مرجع سابق، https://quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=76_7، (تاريخ المراجعة: 2025/11/17).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

← التصريحات: يتمثل المعنى الصريح والمباشر الذي تعلنه الآية في أن إحدى صفات الأبرار الأساسية هي الخوف من يوم القيامة. وهذا الإخبار المباشر يربط بين صلاحهم الظاهر (الوفاء بالنذر) وحالتهم القلبية (الخوف).

← التضمينات والآثار السياقية:

▪ طبيعة الشر: يمثل الأثر الأهم في فهم طبيعة هذا اليوم المخيف، وما يجب أن يدركه القارئ هو الصورة المرعبة لهذا اليوم. فالشر هنا ليس شراً عاماً أو مجرد حدث سيء بل هو عقاب تعبر عنه كلمة "مستطير" بأنه شامل ومنتشر لا مفر منه يغطي كل مكان ويصيب الجميع ممن استحقوه. ففهم خوف الأبرار مرتبط بإدراك طبيعة هذا الشر.

▪ الخوف كدافع إيجابي: في الآية تضمين بأن الخوف من عقاب الله دافع إيجابي قوي نحو الإخلاص في الأعمال الصالحات وتجنب السيئات.

▪ يشير ابن عاشور إلى المقصد من استخدام صيغة الماضي (كان) وهو تحقق وقوع هذا اليوم وحتميته وكأنه حدث فعلاً لشدة اليقين به.

← الهدف التواصلية: يتمثل في رسم صورة حسية وبلاغية قوية لأهوال يوم القيامة ليس تخويفاً للقارئ بل لدفعه إلى الاقتداء بالأبرار الذين حوّلوا هذا الخوف إلى صلاح وإخلاص في العمل ما جعلهم أهلاً لنعيم الجنة والكرامة في الآخرة. فمن أراد أن ينال ما نالوا فليهتم بأن يفعل مثل ما فعلوا.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

ب. تحليل الترجمات:

بعد التحليل المعرفي للنص الأصلي، ننتقل الآن إلى تحليل الترجمات المقترحة بالتركيز على تقييم درجة ملاءمتها من خلال قياس مدى نجاحها في نقل الآثار المعرفية للآية وتحقيق التشابه التأويلي لاسيما فيما يتصل بمعنى الشر المستطير.

1. ترجمة حميد الله:

« Ceux qui accomplissent le vœu pieux et redoutent un Jour dont le mal plane ».

- الترجمة العكسية:

"أولئك الذين يحققون أمنيّ مستحيلة ويخشون يوماً شرّه حائم".

- الاختيار المعجمي:

■ النذر: يعرف ابن عاشور النذر بأنه "ما يعتزمه المرء ويعقد عليه نيّته"¹. والمراد بالنذر في هذه الآية ما عقد عليه الأبرار عليه عزمهم من الإيمان وفعل الخير تقريباً لله². وقد اختار حميد الله كمقابل لمفهوم النذر القرآني عبارة 'vœu pieux' ونراه اختياراً غير موفق. صحيح أن كلمة vœu تحيل إلى مفهوم النذر إذ يتجلى معناها في القاموس الفرنسي كالتالي³:

« Faire une promesse solennelle à Dieu pour obtenir une faveur ou en remerciement d'une demande exaucée ».

¹ ابن عاشور، مرجع سابق، ص 382.

² ابن عاشور، المرجع نفسه.

³ Vœu, <https://www.cnrtl.fr/definition/voeu>, (consulté, le : 17/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

أي قطع عهد جاد لله من أجل الحصول على فضل ما أو كشكر له على دعاء مستجاب. ويعزّز هذا التعريف معنى الالتزام والتعهد بالوفاء وهو ما يتوافق مع سلوك الأبرار. كما تشير كلمة pieux إلى التقى والورع اللذين يُعدّان من صفات الأبرار أيضاً. إلا أنّ إقرانهما معاً (vœu pieux) ينشئ عبارة اصطلاحية فرنسية شائعة المقصود بها أمنية غير واقعية ومستحيلة التحقق:

« Vœu pieux : Vœu qui ne saurait se réaliser »¹.

وما سيتبادر إلى ذهن القارئ للترجمة هو هذا المعنى الاصطلاحي السائد وسيفهم من (accomplissent le vœu pieux) أنهم يحققون أمانى مستحيلة وهو معنى لا يمت بصلة إلى المعنى القرآني بل يغيّره تماماً. ومع افتراض حسن نية المترجم في إعطاء معنى يحترم النص الأصلي إلا أنّ هذا الاختيار له أثر مزلّ على القارئ الفرنسي يتنافى مع معنى الوفاء بالعهد كما جاء في الآية.

■ شُرّه: اختار حميد الله المقابل الفرنسي المباشر والعام لكلمة شرّ 'le mal' وهذا الاختيار، كما رأينا في تحليلات سابقة، يفتقر إلى الدقة السياقية. فهو لا ينقل المعنى المحدد للشر في هذا الموضع من القرآن وهو العقاب والجزاء بالسوء كما أشار إليه ابن عاشور؛ بل يتركه مفتوحاً على أي ضرب من ضروب الشرّ. ما يضعف من قوة الصورة القرآنية.

¹ Vœu, CNRTL, <https://www.cnrtl.fr/definition/voeux>, (Consulté, le : 17/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ مُسْتَطِيرًا: لعلّ التحدي الأكبر الذي يواجه الترجمة هو نقل هذه اللفظة القرآنية. ويظهر أنّ اختيار حميد الله الفعل (planer) أي (يحوم ويخيم) كمقابل لها اختيارٌ يفترق لديناميكية الانتشار السريع والتفشي والشمولية كالحريق المتلاحق إذا استطار. كما أنه يفرغ المفردة القرآنية من قوّتها البلاغية وتأثيرها المرعب كما تجلّى لنا من السياق المعرفي للآية. ولئن نظرنا في القاموس الفرنسي لتبيّن لنا المعنى الحرفي للفعل 'planer' كالتالي:

¹ « Se soutenir et progresser en l'air sans mouvement d'ailes apparent »

أي التحليق والتقدم في الهواء دون أجنحة. أما معناه المجازي فيفيد الامتداد من فوق والسيطرة من علّ، والتهديد الكامن غير واضح المعالم²:

- « Dominer de haut, s'étendre sur »
- « Menacer de façon latente, imprécise »

وهذه المعاني جميعها تفيد الثبات والتحويم البطيء الذي يتعارض مع ديناميكية وقوة "مستطير". ولئن بدا مرتبطاً بفعل الطيران القريب من الأصل اللغوي (طار) فإنّ هذا الاختيار المعجمي يوحي في معناه المجازي بالخطر المحدق والتهديد غير الواضح، وهذا نقيض ما ترومه الآية من تصوّر شرّ واضحٍ ومحققٍ ومنتشر بقوة وشمولية.

¹ Planer, <https://www.cnrtl.fr/definition/planer>, (Consulté, le : 17/11/2025).

² Planer, op. cit.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الأثر المعرفي:

■ معنى الوفاء بالندر: يبدو هذا المعنى مضللاً في الترجمة بسبب استخدام العبارة الاصطلاحية الفرنسية (vœu pieux) التي لا توصل للقارئ معنى الوفاء بالندور، بل تتقل معنى "تحقيق أمني مستحيلة" وهو أثر معرفي خاطئ يقوّض أساس فهم سلوك الأبرار في الآية.

■ معنى الشر: لم تحقّق الترجمة هذا الأثر لاعتبار عمومية كلمة (le mal) التي توصل للقارئ الفرنسي مجرد معنى "السوء" أو "أمر سيئ" ولا تتقل المقصود في هذا السياق بالضبط وهو عقاب محدّد وبيّن.

■ طبيعة الشرّ (مستطير): أضعفت الترجمة هذا الأثر وأوهنته بشكل لافت. فبدلاً من نقل صورة العقاب المتقشّي والمنتشر الذي لا مفر منه، توصل لذهن القارئ الفرنسي صورة "شر حائم" أو "تهديد كامن وغير دقيق" وهي صورة أقلّ قوّة وإيقاعاً للرعب، وتفتقر لعنصر تحقّقه الحتمي والواضح.

- الجهد الذهني: الجهد الذهني المطلوب لفهم الترجمة منخفض، لأنّ الترجمة بسيطة وواضحة. بيد أنّها سهولة مضلّة تعرض على القارئ معنى مبسطاً وسطحياً مقارنة بالمعنى العميق والقوي للنص الأصلي، ولا تزوّده في مقابل ذلك بأدلة تواصلية تحفّزه لبذل جهد إضافي للاستدلال على الهدف التواصلية من الآية.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- درجة الملاءمة: تعدّ درجة الملاءمة في هذه الترجمة منخفضة إلى حدّ أدنى لإخفاها في تحقيق تشابه تأويلي مع الأصل. ولم يقتصر الإخفاق على تغييب الآثار المعرفية المحورية للآية (معنى الشر طبيعته)، بل تعداه إلى إنتاج أثر مضلل (تحقيق الأمان المستحيلة بدل الوفاء بالندر) ما يلغي العلاقة المنطقية بين العمل الصالح والخوف كدافع له. وهذا الإخفاق المزدوج يجعل الترجمة غير ناجعة من منظور تواصل.

2. ترجمة بيرك:

« En s'acquittant des vœux, en redoutant le Jour où la douleur éploiera son vol ».

- الترجمة العكسية:

"بالوفاء بالندور، وبخشية اليوم الذي سيخلق فيه الألم".

- الاختيار المعجمي:

■ الندر: استخدم بيرك كلمة (vœux) في صيغة الجمع، وهو مقابل مباشر لكلمة "الندر". وقد رأينا سابقاً دلالة هذه الكلمة في القاموس الفرنسي. وبذلك، يكون اختيار بيرك المعجمي موفّقاً في نقل معنى الوفاء بالالتزامات والعهود بوضوح.

■ شَرُّه: ترجم بيرك اللفظة القرآنية 'شَرٌّ' بـ (la douleur) وفي ترجمته هذه تحويل دلالي جليّ. إذ إنّ دلالة الألم والمعاناة التي توحى بها اللفظة الفرنسية بعيدة عن دلالة الشرّ عامّة (le mal). ولعلّه قصد بها نقل النتيجة الحسيّة لمعنى الشرّ وهي الألم؛ إلّا أنّ هذا الاختيار المعجمي لا يشير لا إلى معنى الشرّ عامّة ولا إلى معناه المحدّد

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

هنا وهو العقاب الإلهي بل يقتصر على الإحساس الشخصي الناتج عنه. ما يغيّر من طبيعة المفهوم القرآني للشر.

■ مستطيراً: نقل بترك اللفظة القرآنية بجملة (éploiera son vol) التي تصف بلغة أدبية فعل الانتشار الواسع والامتداد والاتساع.

¹ « Développer, étendre largement, Manifester dans toute son ampleur »

ولئن كان فعل 'éploier' يقترب من جوهر الفعل 'استطار' ويسعى إلى خلق صورة بيانية مؤثرة في الفرنسية إلا أنّ هذه الصورة تصف مفهوماً مغلوطاً للشر. فما "ينتشر ويمتدّ ويتسع" في ترجمة بترك هو "الأم" وليس "الشر" بمعناه القيمي الأخرى. وجمالية المبنى هنا لم تخدم معنى الشر القرآني بل جردته من قوّته المستمدّة من ارتباطه بفعل العقاب والجزاء الإلهي.

- الأثر المعرفي:

- معنى الوفاء بالنذر: تم تحقيق هذا الأثر بوضوح، إذ يفهم القارئ معنى الالتزام بما يقطعه الأبرار على أنفسهم ما يمكنه من الاستدلال على سلوكهم المقصود في الآية.
- معنى الشر: لم تحقّق الترجمة هذا المعنى، واستبدلته بمفهوم "الأم". وهو أثر مختلف كلياً. فلا يدرك القارئ أن الآية تتحدّث عن فعل "الجزاء" الإلهي وما يتبادر إلى ذهنه هو 'إحساس بالأم' مستشر ومنشّر، ما يغيب معنى الجزاء والعقاب الذي يشكّل صميم "شرّ" ذلك اليوم.

¹ Eploier, <https://www.cnrtl.fr/definition/%C3%A9ploier>, (consulté, le : 17/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ طبيعة الشر (مستطير): لم يتحقق هذا الأثر في الترجمة. فالألم الذي ينتشر ويتسع هي صورة بيانية تقتصر إلى الأثر المرعب الذي تخلقه الآية الأصلية. والخوف من العقاب الإلهي الممتد والفاشي الذي تحمله عبارة "شرّ مستطير" أشد هولاً ورعباً من الخوف من "الألم المنتشر".

- الجهد الذهني: يدرك القارئ الفرنسي الصورة البيانية الواردة في الترجمة بسهولة ويسر ولن يتطلب منه ذلك إلا جهداً يسيراً. لكن هذا اليسر سيقوده إلى إدراك جمالية المبنى على حساب المعنى الأصلي.

- درجة الملاءمة: لا تحقق الترجمة تشابهاً تأويلياً مع الأصل لتغييبها لجل الآثار المعرفية المحورية الواردة فيه. إذ أنتج بترك ترجمة أدبية تعطي الأولوية للشكل على حساب المضمون ما جعلها تخفق في نقل الهدف التواصلية للآية، فهي بذلك ذات ملاءمة دنيا.

3. ترجمة عبد العزيز:

« Ils accomplissent leurs vœux et appréhendent un Jour où le mal sera de tout côté ».

- الترجمة العكسية:

"يوفون بنذورهم ويخشون يوماً سيحيط فيه الشر من كلّ جانب".

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- الاختيار المعجمي:

■ النَّذر: (leurs vœux) على غرار بيرك، استخدمت عبد العزيز كلمة « vœux » وأقرنتها بضمير الملكية leurs وهو اختيار موفق يقارب معناه الوفاء بالالتزامات والعهود.

■ يخافون: اختارت عبد العزيز فعل «appréhender» بدلاً من «craindre» أو «redouter». وهو اختيار موفق باعتبار دلالاته المعجمية:

« Envisager avec une inquiétude mêlée de crainte quelque chose d'imminent et encore mal défini »¹.

فبالإضافة إلى معنى الخوف الذي يحمله، فإن دلالاته المعجمية كما جاء في القاموس تميل أكثر صوب الخشية من أمر وشيك ومجهول، وهذه الدلالة صائبة في سياق الخوف من يوم القيامة.

■ شرّ: استخدمت عبد العزيز المقابل المعجمي المباشر والعام للشرّ (mal) على غرار حميد الله. وهو اختيار يفتقد الدقة السياقية ولا ينقل المعنى المحدد للشر في هذا الموضع من القرآن (العقاب والجزاء). ما يضعف من قوّة الصورة القرآنية.

■ مستطيراً: نقلت عبد العزيز الصفة القرآنية بعبارة ظرفية مكانية (sera de tout côté). أي "سيحيط من كل جانب). ويبدو هذا الاختيار، من ناحية، ناجحاً في نقل أحد

¹ Appréhender, <https://www.cnrtl.fr/definition/appr%C3%A9hender>, (consulté, le : 17/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

أبعاد الاستطارة وهو الشمولية المكانية ودلالة الإحاطة تغطي بنجاح افتراض أن الشر الذي "يأتي من كل جانب" لا مفر منه ولا مهرب. إلا أنه، من ناحية أخرى، يفقد الديناميكية والقوة اللتين توحى بهما مفردة "مستطير" القرآنية وتغيّب معنى الانتشار والتفشي السريع وتعطي بدلاً من ذلك صورة مكانية ثابتة بعد أن أحاط الشر بكل شيء.

- الأثر المعرفي:

- معنى الوفاء بالندر: حققت الترجمة هذا الأثر بنجاح.
- معنى الشر: لم يتحقق هذا الأثر في الترجمة نتيجة الاختيار المعجمي العام الذي لا يوصل للقارئ الفرنسي أن المقصود هو "عقاب" محدد.
- طبيعة الشر (مستطير): تحقق هذا الأثر جزئياً حيث نجحت الترجمة في نقل أثر الشمولية والإحاطة فلا مفر من عقاب ذلك اليوم، إلا أنها أخفقت في نقل افتراض الانتشار والحركة القويّة التي تشكل صميم الصورة البلاغية للفظ "مستطير"، ما غيّب الصورة المخيفة لشر يتفشى وينتشر كانتشار النار مكتفية بصورة أقلّ فزعا لشر موجود بكل مكان.

- الجهد الذهني: ترجمة عبد العزيز واضحة ومباشرة وسلسة، لا تتطلب أي جهد استدلالي إضافي. إذ يدرك القارئ بسهولة افتراض الشر المحيط من كل صوب. مع ذلك، تأتي هذه السهولة على حساب تبسيط المعنى البلاغي القرآني العميق.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

- درجة الملاءمة: تعتبر ترجمة عبد العزيز متوسطة الملاءمة. إذ نجحت في نقل بعض الآثار المعرفية (الوفاء بالندر، شمولية الشر) وتجنبنا الآثار السلبية التي طبعت ترجمتي حميد الله وبيرك. لكنّها في المقابل، بسّطت الصورة القرآنية وغيّبت الأثر البلاغي وقوة كلمة مستطير. وعليه تكون قد حققت تشابهاً جزئياً مع الآية من الناحية التأويلية.

4. ترجمة شبل:

« Ils ont honoré les vœux qu'ils s'étaient donnés, et ils ont craint l'imminence d'un jour funeste ».

- الترجمة العكسية:

"وَقَوْا النَّذُورَ الَّتِي قَطَعُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَخَافُوا حُلُولَ يَوْمٍ مَشْؤُومٍ وَشَيْكَ".

- الاختيار المعجمي:

■ النَّذْر: (les vœux) استخدم شبل، على غرار بيرك وعبد العزيز، كلمة (vœux) وهو اختيار موفق كما رأينا. وقد أضاف إليها جملة (qu'ils s'étaient donnés) أي (التي قطعوها على أنفسهم) إضافة توضيحية لعله يريد بها تأكيد أنّ هذه النذور هي التزامات شخصيّة، وهو ما يتوافق مع سياق الآية.

■ يخافون يوماً: (ils ont craint l'imminence d'un jour) أي (خافوا حلول يوم وشيك). وفي استخدامه هذا تغيير لمحور الخوف، فبدلاً من أن يكون منصّباً على اليوم ذاته أصبح الخوف من وشوكة وقرب وقوعه. وكأنّه تغيير من طبيعة هذا اليوم وشرّه إلى ميقات حلوله.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وما يلاحظ هنا، أن شبل غيّر أيضاً من زمن الفعل القرآني المضارع (يوفون/يخافون) إلى الماضي المركّب (ils ont honoré/ils ont craint) ونرى أنّه تغيير منهجي ومقصود من المترجم يروم به وضع أفعال الأبرار في سياقها الزمني واصفاً ما كانوا عليه في الدنيا من منظور يوم القيامة¹. وهذه الاستراتيجية إنّما الهدف منها خلق إطار زمني واضح لأفعال الوفاء والخوف التي حدثت في الدنيا والجزء، والنعيم الحادثان في الآخرة، ما يجعل السرد القصصي متماسكا من الناحية الزمنية. ولئن بدت هذه الاستراتيجية منطقية من الناحية السردية، فإنّها تأتي على حساب أثر التجدد والاستمرارية والحيوية الذي تحمله صيغة المضارع في النص القرآني. إذ جيء بصيغة المضارع "للدلالة على تجدد وفائهم (الأبرار) بما عقدوا عليه ضمائرهم من الإيمان والعمل الصالح، وذلك مشعراً بأنهم يُكثرون نذر الطاعات وفعل القربات"². أي أنّ هذه الأفعال طبيعة مستمرة وحيّة للأبرار وصفات متجددة فيهم. وعليه، يحوّل استخدام الماضي المركّب (passé composé) هذه الصفات إلى أفعال منتهية، ما يفقد سمة الحيوية والتجدد في وصف طبع الأبرار.

¹ يقول ابن عاشور في هذا الصدد إنّ وفائهم بالنذر حاصل بما أسلفوه في الحياة الدنيا. يراجع: ابن عاشور، مرجع سابق، ص 382.

² ابن عاشور، المرجع السابق، ص 382-383.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ شرّه مستطييراً: (funeste) عمد شبل هنا إلى اتباع نهج الترجمة غير المباشرة إذ بسّط مفهوم الاستطارة من خلال دمج وصفي "الشر" و"الانتشار" في صفة واحدة هي (funeste). ولئن بحثنا عن معناها في القاموس الفرنسي لوجدنا تدلّ على:

« Qui apporte le malheur, la ruine, la désolation »¹

أي يوم شؤم وخراب ودمار. وهذا الاختيار يوحي بمعنى الهلاك وبالنتيجة السيئة، إلّا أنّه يصف ذلك اليوم لا طبيعة الشرّ الواقع فيه. كما يغيب دلالة الانتشار والشمولية بالكامل فلا أثر في كلمة (funeste) للانتشار والامتداد والاتساع التي تحملها كلمة مستطير القرآنية.

- الأثر المعرفي:

■ معنى الوفاء بالندى: حققت الترجمة هذا المعنى بوضوح. لكنّها بالمقابل غيّبت أثر استمرارية الخوف والعمل الصالح. فبتحويلها زمن الفعل المضارع إلى الماضي، أفقدت النصّ أثر التجدد والاستمرارية وحولت الخوف والوفاء من صفات متجددة ومستمرة إلى أفعال منتهية زمنياً.

■ معنى الشرّ: لم تحقق الترجمة من خلال اختيارها المعجمي (funeste) معنى العقاب الذي تنطوي عليه كلمة "شرّ" القرآنية في هذا الموضع ولم تُشر إليه، وبدلاً عن ذلك نجدها تنتج أثراً عاماً يصف ذلك اليوم (الشؤم/الهلاك/الدمار) دون تحديد لسببه (الجزاء والعقاب الإلهي).

¹ Funeste, <https://www.cnrtl.fr/definition/funeste>, (Consulté, le : 17/11/2025).

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

■ طبيعة الشرّ المستطير: لم تحقق الترجمة هذا الأثر المحوري أيضاً والمتمثل في

صورة الشرّ المتفشّي والمنتشر الذي لا مفرّ منه. وبدلاً من ذلك، أنتجت أثراً

مبسّطاً (يوم مشؤوم) أفرغ الآية من قوّتها البلاغية وأثرها الذي يبيّنه سياقها

المعرفي.

- الجهد الذهني: يبدو الجهد الذهني في ترجمة شبل منخفضاً لوضوح لغتها وسلاستها.

ولكن تأتي هذه السهولة على حساب إغفال الأثر الدلالي والبلاغي لنص الآية، حيث تقدّم

معنى سطحياً ومقطوعاً يتقبله القارئ ناقصاً دون أن يدرك أو يتمكن من الاستدلال على

ما فقد من معاني الآية.

- درجة الملاءمة: تحقّق ترجمة شبل تشابهاً تأويلياً ضئيلاً مع الأصل، وذلك راجع

لانتهاجه منهج الترجمة غير المباشرة. ما بسّط المعنى تبسيطاً أسقط معنى الشرّ

وطبيعته، وغيّب مفهوم الانتشار والتفشّي، وألغى صفات الاستمرارية والتجدّد. بذلك،

تكون الترجمة قد فقدت أهم الآثار المعرفية في الآية، ما يجعلها ذات ملاءمة منخفضة

ضحت بتحقيق تشابه تأويلي فعال في سبيل الوضوح السطحي.

← الاستنتاج النهائي والجدول التلخيصي:

يُظهر التحليل المقارن لترجمات الآية (7) من سورة الإنسان أن نقل الصورة البلاغية

المركبة "للشرّ المستطير" القرآنية شكل تحدياً كبيراً للمترجمين جميعهم، ما أدى إلى تباين

في درجات الملاءمة المحقّقة.

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

وتبرز ترجمة زينب عبد العزيز باعتبارها الأعلى ملاءمةً ضمن الترجمات الأربعة بتحقيقها درجة متوسطة من الملاءمة. فعلى الرغم من تبسيطها للصورة القرآنية من خلال اختياراتها المعجمية (mal/ de tout côté)، نجحت في نقل أثرين مهمين هما الوفاء بالنذر والشمولية المكانية للشر. كما أنها تفادت إنتاج آثار معرفية سلبية أو مضللة، ما جعلها تحقق حدًا مقبولاً من التشابه التأويلي مع الآية.

في المقابل، سجلت الترجمات الثلاث الأخرى درجات منخفضة للملاءمة مع الأصل لأسباب مختلفة. فأمّا ترجمة محمد حميد الله فقد أنتجت أثراً مضللاً باستخدامها عبارة اصطلاحية في غير محلّها "vœu pieux"، وأخفقت في نقل بلاغة وقوة كلمة "مستطير". وأمّا ترجمة جاك بيرك فقد أعطت الأولوية لجمالية المبنى على حساب المعنى مستبدلةً معنى "العقاب" القرآني بمجرد الإحساس بـ"الآلم". كما غيّبت أثر الاستطارة، ما أدى إلى انعدام التشابه التأويلي مع الأصل. فيما انتهج مالك شبل نهج الترجمة غير المباشرة، ما أسقط عن الآية أهم آثارها المعرفية.

الترجمة والتحليل	
الآية "يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا" (07، سورة الإنسان)	المترجم
« Ceux qui accomplissent le vœu pieux et redoutent un Jour dont le mal plane ».	حميد الله
الاختيار المعجمي: شرّ = mal	
الأثر المعرفي: منخفض	
أخفق في نقل الآثار المعرفية المحورية: معنى الشر وطبيعته.	
الجهد الذهني: منخفض	

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

	لكنه مضلل يوجه ذهن القارئ نحو معانٍ مغلوبة.
	<u>درجة الملاءمة:</u>
بيرك	« En s'acquittant des vœux, en redoutant le Jour où la douleur éploiera son vol »
	<u>الاختيار المعجمي:</u> شرّ = douleur
	<u>الأثر المعرفي:</u> منخفض
	تغيب لأهم الآثار المعرفية: معنى الشر وطبيعته.
	<u>الجهد الذهني:</u> منخفض
	لكن على حساب المقصد من الآية.
	<u>درجة الملاءمة:</u> منخفضة جداً
	إعطاء الأولوية للمبنى على حساب المعنى ضيع أهم الآثار المعرفية وحال دون تحقيق تشابه تأويلي مع الآية.
عبد العزيز	« Ils accomplissent leurs vœux et appréhendent un Jour où le mal sera de tout côté »
	<u>الاختيار المعجمي:</u> شرّ = mal
	<u>الأثر المعرفي:</u> متوسط
	نجحت في نقل بعض الآثار المعرفية كالوفاء بالندر وشمولية الشر وأخفقت في نقل قوته وديناميكيته من جهة أخرى ما غيب الأثر البلاغي للصورة القرآنية.
	<u>الجهد الذهني:</u> منخفض.
	الترجمة واضحة وسلسة، مع تغيب المعنى البلاغي.
	<u>درجة الملاءمة:</u> متوسطة.
	حققت تشابهاً تأويلياً جزئياً مع الآية.
شبل	« Ils ont honoré les vœux qu'ils s'étaient donnés, et ils ont craint l'imminence d'un jour funeste ».
	<u>الاختيار المعجمي:</u> شر = funeste
	<u>الأثر المعرفي:</u> منخفض جداً

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

تغيب للآثار المعرفية المحورية: الاستمرارية والتجدد، الشر كعقاب، الانتشار والتفشي.
<u>الجهد الذهني: منخفض.</u> ولكن على حساب تحقيق الآثار المعرفية.
<u>درجة الملاءمة: منخفضة جداً</u> بالكاد حققت تشابهاً تأويلياً مع الأصل لانتهاج المترجم نهج الترجمة غير المباشرة. التبسيط وتغيير زمن الفعل ومدار الخوف أفقد الترجمة أهم آثارها المعرفية.

4.5. خلاصة الفصل ومناقشة النتائج:

يخلص هذا الفصل، بعد التحليل المقارن لعينة من الآيات القرآنية، إلى أن ترجمة "ثنائية الخير والشر" إلى اللغة الفرنسية تطرح تحديات دلالية وتداولية وأن تحقيقها للملاءمة يعتمد على قدرة المترجم على تجاوز المقابل المعجمي المباشر وإدراك الأثر المعرفي المحوري المقصود بالسياق في كل موضع من مواضع آي القرآن الكريم.

ولقد أظهر التحليل من منظور الوجوه الثلاثة للثنائية (الدنيوي، والمفاضلة، والأخروي) أنماطاً في استراتيجيات المترجمين الأربعة، نجلها فيما يلي:

- **محمد حميد الله:** غلب على ترجمته منهج الحرفية الحذرة، مع لجوئه تكراراً إلى استخدام المقابل الفرنسي العام لكلمتي "خير" و"شر" (Bien/Mal). ولئن بدت هذه الاستراتيجية آمنة لغوياً، إلا أنها لم توفق في كثير من الأحيان في نقل المعاني السياقية الدقيقة كالوحي أو الغنيمة أو الأجر الأخروي. ولقد عكس إدراكه لهذا القصور من

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

خلال استعانتته بالحواشي التوضيحية كأداة تعويضية لسدّ الفجوة المعرفيّة. وهو حلّ أثبت نجاعته في رفع درجة الملاءمة أحياناً، إلّا أنه جاء على حساب انسيابية النّص وبلاغته المباشرة.

- **جاك بيرك:** اتّسمت ترجمته بنزعة أدبيّة وبلاغية تسعى إلى إعادة بناء صور بيانية في اللّغة الفرنسيّة. إلّا أنّ هذا المنحى، بالرغم من جماليّته، أفضى إلى نتائج متباينة. فقد نجح أحياناً في تحقيق الملاءمة حين تقترب الصورة الجديدة مع الأثر الأصلي كما في "لم ينالوا خيراً" (rien de bon). فيما أخفق حين أعطى الأولويّة للمبنى على حساب المعنى ما أدّى إلى تحوير جوهر الرسالة القرآنية كما في ترجمة "الشّر المستطير" (la douleur éploiera son vol).

- **زينب عبد العزيز:** أظهرت ترجمتها حرصاً على الدّقة التفسيرية والوفاء للأصل. وقد برزت الأكثر ملاءمة في عدّة نماذج مثل آية "إنّ الإنسان خُلِقَ هلوّعاً" وذلك لاختياراتها المعجميّة التي أعادت بناء السياق المعرفي الصحيح. مع ذلك، فإنّ سعيها للدّقة قادها أحياناً إلى استعمال تراكيب حرفيّة ومستحدثة كما في "شرّ مكاناً" (position en mal) و"أعلم" (Le Plus-Scient) أثقلت النّص من الناحية اللغويّة وزادت من الجهد المعرفي على القارئ ما أثر على توازن الملاءمة.

- **مالك شبل:** طبع على ترجمته نهج التبسيط والترجمة غير المباشرة بهدف تقديم معنى واضح وسلس للقارئ. إلّا أنّ هذه الاستراتيجية، مع تحقيقها الوضوح الظاهري، جاءت

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة

في جلّ الأحيان على حساب العمق التّداولي للنّص القرآني. إذ أدّت إلى تبسيط المعاني المركبة وتسطيحها كما في "يوماً كان شره مستطيلاً" (jour funeste)، ما جعل ترجمته في الغالب الأدنى ملائمة بين الترجمات الأربعة. ومنه نستشف وجود علاقة عكسيّة بين انتهاج المترجم لنهج الترجمة غير المباشرة وبين درجة الملاءمة المحقّقة. فكّماً مال المترجم إلى التبسيط عبر الترجمة غير المباشرة كلّما ضُعف التشابه التّأويلي مع الأصل القرآني وانخفضت درجة الملاءمة.

وعلى العموم، تؤكد هذه الدراسة التطبيقية من خلال النتائج التي توصلت إليها أن ترجمة مفهومي "الخير الشّر" القرآنيين لا تقتصر على عملية النقل اللغوي فحسب وإنّما هي عملية تأويليّة تتطّلب من المترجم أن يدرك السياق المعرفي للآيات الواردين فيها والأهداف التّواصلية لها، كما تقتضي قدرةً من لدنه على الموازنة بين الأمانة للمعاني والوضوح للقارئ.



الخاتمة

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة البحثية التي تناولت مدى قدرة الترجمات الفرنسية لمعاني القرآن الكريم على تحقيق الملاءمة المثلى في نقل ثنائية "الخير والشر" القرآنية في ضوء الأثر المعرفي والمقصد التواصلية، نصل إلى جملة من النتائج الجوهرية والاستنتاجات التي تجيب عن أسئلة البحث المركزية وتختبر فرضياته النظرية وتبرز القيمة المضافة للمنهجية المتبعة من تفاعل الأسس النظرية والنتائج التطبيقية.

وقد كان الاعتماد في خوض هذه الرحلة البحثية على التأصيل النظري لنظرية الملاءمة في التواصل لسبربر وويلسن وتطبيقاتها في حقل الترجمة على يد إرنست أوغست غوت؛ هذا التأصيل الذي يتخذ من مبدأ التشابه التأويلي معياراً لنجاعة الترجمة.

وقد وظّفنا هذا الإطار النظري على نحوٍ إجرائي لتحديد الآثار المعرفية والمقاصد التواصلية للنص القرآني، مع الاعتماد على تفسير "التحرير والتتوير" للطاهر بن عاشور كمعيار للتأويل الاستدلالي.

انطلقت الدراسة من فرضية رئيسة مفادها أنّ المقاربة التداولية المعرفية وبالأخصّ نظرية الملاءمة تقدّم إطاراً نظرياً وأدوات إجرائية ناجعة لتقييم ترجمات معاني القرآن الكريم من خلال تجاوزها مجرد الصواب اللغوي إلى قياس مدى نجاح الترجمة في إعادة إنتاج الآثار المعرفية للنص القرآني وأهدافه التواصلية. وقد أظهرت نتائج البحث، نظرياً وتطبيقياً، أنّ هذا الإطار المعرفي لا يقدر منظوراً تفسيرياً فحسب بل من شأنه أن يوفّر أدوات إجرائية

الخاتمة

تسمح بقياس درجة نجاعة الترجمة في إعادة بناء المعنى القرآني في ذهن القارئ الهدف، وهو ما يؤكد الفرضية الأولى التي انطلقت منها الدراسة.

كما سعى البحث إلى الإجابة عن سؤال فرعي مفاده: هل تتيح نظرية الملاءمة تحديداً أدقّ للمقاصد القرآنية حسب النهج الترجمي المتبع؟ وقد بيّنت النتائج أنّ اعتماد مفهوم التشابه التأويلي كما صاغه سبربر وويلسن وطوره إرنست أوغست غوت في مجال الترجمة، يُمكن من الانتقال من تقييم المقابلات المعجمية إلى تحليل الاستدلال التداولي الذي يحكم تلقي الخطاب القرآني. وعليه، تثبت الفرضية القائلة بأنّ نهج الترجمة المباشرة حين يُؤخذ من منظور تداولي معرفي لا من بعد حرفي ضيق، يُعدّ الأنسب لطبيعة النص القرآني ذلك أنّه يحافظ على الأدلة التواصلية الضرورية لتوجيه الاستدلال.

ومن الأسئلة الجوهرية التي عالجتها الدراسة أيضاً، كيفية تجلّي ثنائية "الخير والشر" في الخطاب القرآني وأثر ذلك في ترجيح الاختيار الترجمي. وقد أفضت الدراسة إلى تحديد أبعاد ثلاثة لهذه الثنائية: البعد الديني المادي وُبعد المفاضلة والبعد الأخروي الجزائي. وقد أظهرت النتائج المتوصل إليها أن الخلل في الترجمة ينشأ من عدم إدراك البعد المقصود في السياق، ما يؤكد الفرضية التي تربط نجاعة الترجمة بقدرتها على نقل البعد التداولي المقصود لا البعد المعجمي العام.

وعموماً، فقد أفضى بحثنا في جانبه النظري إلى مجموعة من الاستنتاجات نجملها فيما يلي:

الخاتمة

- إنَّ المقاربة التداولية المعرفية تنقل محور تقييم ترجمة النصّ القرآني من مجرد المطابقة اللفظية إلى مراعاة معادلة الملاءمة المثلى وهي تحقيق أقصى أثر معرفي ممكن أي تحقيق أكبر قدر من الفهم وتحصيل أكبر كم من المعاني.
- إنَّ التزام المترجم بنهج الترجمة المباشرة هو الأنسب للطبيعة الاعجازية للقرآن الكريم لأنها تسعى لتحقيق التشابه التأويلي التام مع الأصل ما يضمن نقل الخصائص اللفظية والأسلوبية والبلاغية التي تعدّ أدلة تواصلية حاسمة للاستدلال على المقاصد القرآنية.
- إنَّ القيمة المنهجية للتأويل التداولي المعرفي للآيات لا تكمن في كونه مجرد تفسير وإنما أداة إجرائية أسهمت في تحديد المقصد التواصلية والأثر المعرفي المطلوب نقله.
- إنَّ التأويل التداولي المعرفي ارتكز على تحديد الأبعاد الثلاثة لثنائية 'الخير والشر' في القرآن الكريم، وهي:
 1. البعد الدنيوي المادي: ويتعلّق بالخير كنعمة مادية محققة للمصلحة العاجلة كالمال، والخيل، والطعام، والعافية، والظفر في المعارك في مقابل الشر كمكروه دنيويّ يُصيب الإنسان كالفقر، والشدة، والضرر، والأذى، والمصائب. وفي هذا البعد إقرار الخطاب القرآني لهذا التصور الإنساني المادي للخير والشر وتوظيفه له بما يمهد لفهم تصوّره في الأبعاد الأخرى.

الخاتمة

2. بعد المفاضلة: ويتعلق بالخير والشر كوصف للأفعال والأفراد للمفاضلة في الأمور

الماديّة الحسيّة كالأرزاق، أو في المنازل المعنوية كالإيمان والتقوى، أو في بيان

سوء العقابة والمآل في الآخرة.

3. البعد الأخروي الجزائي: ويتعلّق بالخير والشر كجزاء وبيان للمآل، فإمّا ثواب أو

عقاب.

- إنّ هذه الأبعاد الثلاثة شكّلت أساس تقييم الأداء الترجمي حيث كان معيار الملاءمة

هو مدى نجاح الترجمة في نقل البعد المقصود في كلّ سياق.

أمّا من الجانب التطبيقي، فقد أظهر التحليل المقارن لأربع ترجمات فرنسية لكل من محمد

حميد الله وجاهك بيريك وزينب عبد العزيز ومالك شبل، أظهر أن الفروق في درجات الملاءمة

المحققة تعود إلى اختلاف إدراك المترجمين المقصد التداولي للنص القرآني. إذ أثبتت النتائج

التطبيقية ما انتهت إليه النتائج النظرية؛ وبينت أنّ التحدي الذي يواجه المترجم لا يتمثّل

في ترجمة المفردة بل في ترجمة الأثر المعرفي الذي تُحدثه في ذهن القارئ الفرنسي، كما

أنّ الاختيار المعجمي الدقيق وتوظيف الحواشي يسهم في تعويض الجهد الاستدلالي للقارئ

الهدف وفي تحقيق الأثر المعرفي المنشود، في حين يؤدي الانزياح عن الأصل والتبسيط

المفرط إلى تحريف المقصد القرآني. وعموماً، تمثّلت أهم النتائج المستخلصة من الشق

التطبيقي فيما يلي:

الخاتمة

- قصور المقابل الفرنسي العام: لقد أظهر التحليل أنّ لجوء المترجمين إلى المقابلات المعجميّة العامة والمحايدة مثل 'Le bien' (الخير) و 'le mal' (الشر) في سياقات تتطلّب التخصيص كالمال أو الخيل يؤدّي إلى تسطيح المعنى وفقدان الأثر المعرفي المقصود. ما يفرض جهداً ذهنياً إضافياً على القارئ الهدف ويخلّ بالملاءمة.
- العلاقة العكسيّة بين التبسيط وتحقيق الملاءمة: خلصت الدّراسة إلى وجود علاقة عكسيّة بين تبسيط المعنى من خلال الاعتماد المفرط على نهج الترجمة غير المباشرة وبين درجة الملاءمة المحقّقة في ترجمة النّص القرآني. فالنّجاعة في ترجمة النّص القرآني والأمانة لنقل مقاصده تتطلّب، خلافاً لما قد يُعتقد، الحفاظ على الجهد الاستدلالي الموجّه بالأدلة التواصلية للأصل.
- تباين أداء المترجمين: إذ بيّنت الدراسة التطبيقية وجود تباين في تحقيق الملاءمة:
 - حقّقت زينب عبد العزيز أعلى درجات الملاءمة في عددٍ من النماذج لاعتمادها على الاختيار المعجمي الدقيق الذي يعيد بناء السّياق المعرفي الصحيح رغم أنّ بعض اختياراتها اتّسمت بجهد ذهني مرتفع وغياب السّلاسة اللّغويّة.
 - ظهر أداء محمد حميد الله متوازناً من حيث تعويضه للحرفيّة النسبية في ترجمته بالحواشي التوضيحية التي أدّت دور الأدلة التواصلية الموجهة لتحقيق الأثر المعرفي المقصود.

الخاتمة

• أظهر جاك بيرك تبايناً في الأداء حيث أدّى إيلاؤه الأولوية للجانب الأسلوبي والأدبي إلى نتائج متناقضة، ففي حين نجح في تحقيق الملاءمة في بعض المواضع لم يوفق في أخرى بسبب تحويره للمعنى الجوهري لصالح الأسلوب.

• أما مالك شبل فكانت ترجمته، في الغالب، الأدنى ملاءمةً لانتهاجه نهج الترجمة غير المباشرة المفرطة في التبسيط ما أدّى إلى إفراغ الآيات من عمقها التداولي وتقديم معانٍ سطحية لا تحقق الآثار المعرفية الكاملة للأصل.

وبالرجوع إلى إشكالية مدى تناسق المقاربة المعرفية في الترجمة مع ترجمة معاني القرآن الكريم، فإننا نعدّها وسيلة من الوسائل المساعدة للمترجم أثناء أداء عمله بل من شأنها أن تشكّل ركيزة له قبل الترجمة وأثناءها وبعدها وإطاراً للنقد الذاتي سبيلاً لإنتاج ترجمة تفي بالمقاصد وتقترب من الأصل قدر الإمكان.

مساهمة البحث وآفاقه المستقبلية:

لعل المساهمة الأساسية لهذا البحث تكمن في تقديم إطار إجرائي منهجي لتقييم ترجمة ثنائية "الخير والشر" إلى اللغة الفرنسية من خلال الربط بين الأسس التداولية المعرفية والأصول التفسيرية للقرآن الكريم. وقد أتاح هذا الإطار تحديد نقاط القوة والضعف في الترجمات المختارة بموضوعية تفرض تجاوز الأحكام الذاتية والوصف السطحي فالعمل عسير والنقد يسير كما قيل (L'art est difficile, la critique est aisée).

وبناءً على النتائج المستخلصة، توصي الدراسة بما يلي:

الخاتمة

1. اعتماد المقاربة المعرفية الاستدلالية كإطار نظري في تدريس ونقد ترجمة النصوص الدينية عامة والنص القرآني على وجه الخصوص.
 2. دمج ما تقدّمه كتب التفسير من ملامح معرفية - على غرار تفسير التحرير والتنوير - في مراحل الاستدلال التأويلي قبل الشروع في الترجمة.
 3. تطوير معجم سياقي لألفاظ القرآن الكريم يراعي الأبعاد التداولية المعرفية للمفردات القرآنية ويقدم مقابلات ترجمية خاصة بكل سياق بدلاً من الاكتفاء بالمقابلات العامة.
- وفي ضوء ما سبق، تفتح هذه الدراسة الباب أمام آفاق بحثية مستقبلية منها:
- تطبيق المنهجية ذاتها على ثنائيات مفهومية أخرى في القرآن الكريم كـ"الضر والنفع" و"الهدى والضلال".
 - إجراء دراسات مقارنة لترجمات معاني القرآن من أجل تحديد مدى تأثير الخلفية الإيديولوجية للمترجم على معادلة الملاءمة.
 - ولربما تحليل أداء الترجمات المؤسساتية الحديثة في ضوء مبادئ التداولية المعرفية لتقييم مدى نجاحها في تقديم ترجمة ملائمة للقارئ الأجنبي.
- وفي الختام، نأمل أن تكون هذه الدراسة قد قدّمت مرجعاً متواضعاً وإسهاماً مفيداً في حقل ترجمة النص القرآني وفتحت مساراً جديداً يركز على الجمع بين الأدوات النظرية الحديثة وعمق الأصول التفسيرية العربية تحقيقاً لأقصى درجات الملاءمة والأمانة في نقل رسالة القرآن الكريم العالمية.



قائمة المصادر والمراجع

المدونة:

- القرآن الكريم.

- Abdelaziz Zeinab, Le Qur'ān: Traduction du sens de ses Versets, Conveying Islamic Message Society, Egypte, 2009.
- Berque Jacques, Le Coran Essai de Traduction, Editions Albin Michel, France, 2002.
- Chebel Malek, Le Coran : nouvelle traduction, Fayard, France, 2013.
- Hamidullah Muhammad Le Saint Coran : Traduction Intégrale et Notes, Club Français du livre (sans date).

أولاً: المراجع باللغة العربية:

1. الكتب:

- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، 30 مجلداً، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، 1997.
- الأصفهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، ط. 1، دمشق، بيروت، 1412 هـ.
- ألتونجي محمد، المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.
- أوريكيوني كاثرين كيربرات، المضمّر، ترجمة رشيد خاطر، المنظمة العربية للترجمة، ط. 1، بيروت، 2008.
- أوسالم محمد النذير، الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، دار ابن حزم ط. 1، بيروت، 2009.
- إيزوتسو توشييهيكو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ترجمة هادي الجهاد، ط. 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
- بلانشيه فيليب، التداولية من أوستين الى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2007.

قائمة المصادر والمراجع

- الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
- الجابري محمد عابد، تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991.
- الجابري محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم: في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. 5، بيروت، 2018.
- الجليند محمد السيد، قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2010.
- الديوب سمر، الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط. 1، العراق، 2017.
- روبول، آن، موشر جاك، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف الزيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ط. 1، بيروت، 2003.
- ريبول ج. م.، القاموس الموسوعي للتداولية، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.
- ريكاناتي فرانسوا، المعنى الحرفي: دراسات في السياق والمضمون، ترجمة أحمد كروم، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2018.
- زاهيد عبد الحميد، ترجمة البلاغة القرآنية بين أسئلة الهوية وثقافة الآخر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط. 1، الأردن، 2012.
- زواوي مالك، فصول في تداوليات ترجمة النص القرآني، ابن النديم، ط. 1، الجزائر، 2018.
- سباط حسام، ترجمات معاني القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، ط. 1، لبنان، 2018.
- سبربر دان، وويلسن دايردي، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، ترجمة هشام خليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط. 1، بيروت، 2016.
- شاهين عبد الرحمن، عربية القرآن، مكتبة الشباب، (دون تاريخ).

قائمة المصادر والمراجع

- شيخ الشباب عمر، الناصر سمير، فصول في التأويل ولغة الترجمة: الاختلاف وانعدام الكفاية في الترجمة، دار الحصاد، ط. 1، سوريا، 2003.
- الطاهر حمزة محمد، تحليل الخطاب القرآني: دراسة نقدية لتطبيقات المناهج الغربية المعاصرة، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، 2021.
- طه عبد الرحمن، سؤال العمل: بحث عن الأصول العلمية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، ط. 1، المغرب، 2012.
- عبد الكريم حسين، فضاءات المفردة في الخطاب القرآني، مركز الكتاب الأكاديمي، ط. 1، الأردن، 2018.
- العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، الجزء 1، دار القلم، 2000.
- العزب محمد، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 1، مصر، 2006.
- العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.
- عشير عبد السلام، عندما نتواصل نغيّر: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، 2006.
- الغوري سيد عبد الماجد، سفير الإسلام وأمين التراث الإسلامي في الغرب، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 1، دمشق، 2009.
- فاضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992.
- فتحي جورج، مدخل إلى العلوم المعرفية، سلسلة ترجمات في العلوم المعرفية، باريس، 1991.
- فينو جورج، مدخل إلى العلوم المعرفية، سلسلة ترجمات في العلوم المعرفية، باريس، 1991.
- القاسمي جمال الدين، محاسن التأويل، المجلد 2، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 1998.
- الكواز محمد كريم، كلام الله: الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، دار الساقى، ط. 1، بيروت، 2002.

قائمة المصادر والمراجع

- محمد الخضر محمد، بلاغة القرآن: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، دار النوادر، ط. 1، سوريا، 2010.
- مزايط، هيد الله محمد. قضايا في التداوليات المعرفية. ط. 1. عمان: دار كنوز المعرفة، 2002.
- مكي أبو محمد، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان مؤسسة الرسالة، ط. 2، بيروت، 1981.
- الميداني عبد الرحمن، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار العلم، ط. 3، دمشق، 1988.
- الناصر عبد السلام شهاب، فصول في التأويل ولغة الترجمة: الاختلاف وانعدام الكفاية في الترجمة، دار الحصاد، ط. 1، سوريا، 2003.
- هديم عائشة، مقارنة معرفية للتواصل بين الرسل أولي العزم وأقوامهم، دار نور للنشر والتوزيع، الأردن، 2019.
- هديم عائشة، مقالات في تداولية الخطاب القرآني وعلومه، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، 2021.
- الواحدي عبد الباسط، التفسير البسيط، المجلد الثاني عشر، العبيكان للنشر، الرياض، 2017.
- 2. المجلات:
- ابن عروس، مفتاح. "السياق وتأويل الأقوال في نظرية الحصافة." مجلة اللغة والأدب، ع. 21، 2014.
- بالطيب محمد، مسألة الخير والشر والنظام الأخلاقي في الإسلام، مجلة التفاهم 13، ع. 48، 2015.
- بن دحمان عمر، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، مجلة الخطاب، ع. 14، 2013.
- حسين سليمان حيدر، نظرية الصلة والمصاحبات القرآنية، مجلة وادي النيل، (دون تاريخ).

قائمة المصادر والمراجع

- الحَيَّاني عبد الوهاب، وجوه الخير في القرآن الكريم، مجلة جامعة تكريت للعلوم 19، ع. 11، 2012.
- الربيعية محمد بن عبد الله، المقاصد القرآنية: دراسة منهجية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع. 27، جمادى الآخرة 1440.
- زيتونة مسعود علي، الثنائيات الضدية في لغة النص الأدبي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع. 7، 2015.
- عبود نضال مجيد، الثنائيات الضدية في سورة يونس، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 28، ع. 4، 2021.
- علا محمد، الثنائيات في القرآن الكريم وجوانب التكامل والتدافع، مجلة التفاهم، المجلد 17، العدد 66، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، 2019.
- علا محمد، ثنائيات في القرآن: دراسة في الخصائص المنهجية وجوانب التكامل والتقابل، إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المجلد 22، العدد 86، 2016.

3. الأطروحات:

- باب الشيخ محمد، تقويم ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ترجمتا مالك شبل وبوريما عبده داود لسورة البقرة "أنموذجا"، أطروحة دكتوراه العلوم في الترجمة، معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2، 2020/2019.
- شنايت مفيدة، أساليب التوجه الإيديولوجي في إعادة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية، أطروحة دكتوراه علوم في الترجمة، معهد الترجمة، جامعة أبو القاسم سعد الله، 2021.
- قويدر يوسف، حدود نظرية الملائمة في ترجمة النص الأدبي، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2020.

4. المواقع الإلكترونية:

- دmq رؤوف، قراءة في كتاب "الحاكمية لمحمد القاسم حاج حمد. استرجع في 15 أكتوبر 2019 من <https://www.mominoun.com/articles>
- الشفيق عمر، اللسان العربي: تعريف وتصنيف، استرجع في 17 سبتمبر 2019 http://www.ahlalquran.com/arabic/show_article.php?main_id=3802
- طه عبد الرحمن، القول الثقيل والترجمة التأصيلية: آفاق وحدود YouTube، استرجع في 14 أبريل 2021 من الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=KbXJ9JepH_g&t=20s
- المصحف الإلكتروني لجامعة الملك سعود. (دون تاريخ). استرجع من: <http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sural2aya51.html#tabary>

ثانيا: المراجع بالغات الأجنبية

1. Livres:

- Billy Clark. Relevance Theory. New York: Cambridge University Press, 2013.
- Chapman Siobhan, Pragmatics, Palgrave Macmillan, New York, 2011.
- D. Sperber, D. Wilson, Relevance and Meaning, In Relevance and Meaning, Cambridge University Press, New York, 2012.
- Fawcett, P. Translation and language: Linguistic theories explained, St. Jerome, Manchester, 1997.
- Gutt E.-A., Translation and relevance: Cognition and context. 2nd ed. London: Routledge, 2000.
- Hatim B., Teaching and Researching Translation, Pearson, London, 2013.
- House Julianne, A Model for Translation Quality Assessment, Tübingen Narr, 1981.
- Smith, K. G., Bible translation and relevance theory: The translation of Titus, Doctoral dissertation, University of Stellenbosch, South Africa, 2000.
- Sperber, D., & Wilson, D. La pertinence: Communication et cognition. Paris: Les Éditions de Minuit, 1989.

- Sperber, D., & Wilson, D. Relevance: Communication and cognition, Oxford: Blackwell Publishing, 1986.
- Stroinska, Magda, & Grazyna Drzazga, Relevance Theory, interpreting, and translation., In The Routledge Handbook of Translation Studies and Linguistics, edited by Kirsten Malmkjær. London: Routledge, 2018.
- Zaida Fatma, L'Alkoran : Le Livre par excellence. Lisbonne: Imprimerie De La Société Typographique Franco- Portugaise, 1861.

2. Revues:

- Bell Roger T, Why Translation Theory is in a Mess and What Can We Do About It. *In*; Proceedings of the GALLA Congress, Thessaloniki 1985. GALLA/AILA, 1986.
- Besbes K. , The relevance of Relevance Theory to the teaching of literary translation to speakers of Arabic language, International Journal of Arabic and English Studies 14 , 2013.
- Farisi M. Z., Acceptability of the Quran translation, Al-Jāmi‘ah: Journal of Islamic Studies 61, no. 2 , 2023.
- Grice P., Logic and Conversation, *In* Syntax and Semantics, Vol. 3, Speech Acts, edited by P. Cole & J. L. Morgan, 41, Academics Press, New York, 1975.
- Gutt E.-A, A theoretical account of translation—without a translation theory, Target: International Journal of Translation Studies 2, no. 2, 1990.
- Smith, G. Direct Translastion: Striving for Complete resemblance." Acta Theological. (WD)
- Smith, K. G, Translation as Secondary Communication: The Relevance Theory Perspective of Ernst-August Gutt, Acta Theologica, Supplementum 2 22, no. 1, 2002
- Van der Merwe C. H, How ‘direct’ can a direct translation be?, HTS Teologiese Studies/Theological Studies 72, no. 3, 2016, Article a3233.
- Van der Merwe, Winckler W. K., Training Tomorrow’s Bible Translators: Some Theoretical pointers, Journal of Northwest Semitic Language V.19 ,1993.

3. Sites internet:

- Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales (CNRTL),
<https://www.cnrtl.fr>
- Dictionnaire de l'Académie Française 9ème Ed.
<https://www.dictionnaire-academie.fr/article/A9I1318>.
- Dictionnaire Larousse,
<https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/archi-/5037>.
- Dictionnaire Le Robert : <https://dictionnaire.lerobert.com>
- Hamidullah, Mohamed, Le Coran de Fatma Zaida, le Centenaire d'un mystérieux ouvrage, Accessed [14/09/2025].
<https://fr.scribd.com/document/378213325/1961-Le-Centenaire-Du-Coran-de-Fatma-Zaida-Un-Mysterieux-Ouvrage>.
- Laver J., & Mason I., A dictionary of translation and interpreting <http://fit-europe-rc.org/wpcontent/uploads/2019/05/Dictionary-of-translation-and-interpreting-Mason-Laver.pdf>.
- Malmkjaer, K. "Translation and Relevance: Cognition and Context." Mind & Language (1992).
<https://doi.org/10.1111/j.14680017.1992.tb00210.x>.
- Shara Drimalla, What Are Sin, Iniquity, and Transgression in the Bible: Missing the Goal, Distorting Good, and Violating Trust, [Bibleproject.com](https://bibleproject.com). Accessed [25/09/2025].
<https://bibleproject.com/articles/sin-iniquity-and-transgression-in-the-bible/>
- TIRKONEN-CONDIT S.A., Theoretical Account of Translation Without Translation Theory?, Oxford: Basil Blackwell, 1991. Accessed [25/09/2025].
<https://benjamins.com/online/target/articles/target.4.2.08tir>.
- What is the difference between sin, iniquity, and transgressions? Seeking Scripture. Accessed [12/10/2025]. <https://seekingscripture.com/what-is-the-difference-between-sin-iniquity-and-transgressions>.
- Wilson, D., Linguistics, Oxford Research Encyclopedias <https://doi.org/10.1093/acrefore/9780199384655.013.201>.



مسرد المصطلحات

مسرد المصطلحات

مسرد مصطلحات الملاءمة

عربي - فرنسي - انجليزي

أ		
Contextual effects	Effets contextuels	آثار سياقية
Positive cognitive effects	Effets cognitifs positifs	آثار معرفية إيجابية
Failure (translation)	Echec (d'une traduction)	إخفاق (ترجمة)
Perception	Perception	إدراك
Communicative clues	Indices communicatifs	أدلة التواصلية
Inference	Inférence	استدلال
Non-demonstrative inference	Inférence non-démonstrative	استدلال غير برهاني
Minimax strategy	Stratégie du Minimax	استراتيجية تحقيق الأقصى بالأدنى
Language interpretive use	Usage interprétatif du langage	استعمال التأويلي للغة
Language descriptive use	Usage descriptif du langage	استعمال وصفي للغة
Induction	Induction	استقراء
Implications	Implications	استلزامات
Analytical implications	Implications analytiques	استلزامات تحليلية
Contextual implications	Implications contextuelles	استلزامات سياقية
Ostention	Ostension	إشارة تدللية / إظهار / تجلية
Presumption	Présomption	افتراض

مسرد المصطلحات

Quotation	Citation	اقتباس
Interlingual quotation	Citation interlinguale	اقتباس بين اللغات
Indirect quotation	Citation indirecte	اقتباس غير مباشر
Direct quotation	Citation directe	اقتباس مباشر
Elimination (of an assumption)	Elimination (d'une assumption)	إلغاء فرضية
Faithfulness	Fidélité	أمانة
peripheral systems	Systèmes périphériques	أنظمة طرفية
Input Systems	Systèmes d'entrée	أنظمة معالجة المدخلات
ب		
Demonstration	Démonstration	برهنة
ت		
Interpretation	Interprétation	تأويل
Discourse analysis	Analyse du discours	تحليل الخطاب
Inferential pragmatics	Pragmatique Inférentielle	تداوليات استدلالية
Cognitive Pragmatics	Pragmatique Cognitive	تداوليات معرفية
Fixation of belief	Fixation des croyances	ترسيخ/تثبيت الاعتقاد
Complete resemblance	Ressemblance totale	تشابه تام
Interpretive resemblance	Ressemblance interprétative	تشابه تأويلي
Explicatures	Explicatures	تصريحات/ محتويات تصريحية

مسرد المصطلحات

Implicatures	Implicatures	تضمينات / محتويات تضمينية
Semantic representations	Représentations sémantiques	تمثيلات دلالية
Mental Representations	Représentations mentales	تمثيلات ذهنية
Communication	Communication	تواصل
Inferential communication	Communication inférentielle	تواصل استدلالي
Ostensive inferential communication	Communication inférentielle ostentatoire	تواصل استدلالي إشاري
Non-verbal communication	Communication non-verbale	تواصل غير لغوي
Secondary communication	Communication secondaire	تواصل من الدرجة الثانية
Expectations	Attentes	توقعات
ج		
Cognitive effort	Effort cognitif	جهد المعرفي
ح		
Literalness	Littéralité	حرفية
خ		
Assumption schema	Schéma d'assomptions	خطاظة فرضية
د		
Accuracy	Précision	دقة
ذ		
Memory	Mémoire	ذاكرة

مسرد المصطلحات

س		
Naturalness	Fluidité	سلاسة
Ostensive behaviour	Comportement ostensif	سلوك إشاري
Physical context	Contexte physique	سياق مادي
ص		
Propositional form	Forme propositionnelle	صيغة قضوية
ظ		
Manifestness	Manifesteté	ظهور
ع		
Cognitive translatology	Traductologie cognitive	علم الترجمة المعرفي
Mental processes	Processus mentaux	عمليات ذهنية
ف		
Assumption	Assomption	فرضية
ق		
Maxim of relevance	Maxime de pertinence	قاعدة الملاءمة
Module	Module	قالب
Informative intention	Intention informative	قصد إخباري
Communicative intention	Intention communicative	قصد تواصلية
ك		
Translational competence	Compétence traductionnelle	كفاءة ترجمية

ل		
Communicative linguistics	Linguistique communicative	لسانيات تواصلية
Pragmatics	Linguistique pragmatique	لسانيات تداولية
م		
Relevance principle	Principe de pertinence	مبدأ الملاءمة
Transducers	Transducteurs	محوّلات
Cognitive environment	Environnement cognitif	محيط معرفي
Schemas	Schémas	مخططات
Lexical entry	Entrée lexicale	مدخل معجمي
Logical entry	Entrée logique	مدخل منطقي
Encyclopedic entry	Entrée encyclopédique	مدخل موسوعي
Processing	Traitement	معالجة
Information processing	Traitement de l'information	معالجة المعلومات
Cognition	Cognition	معرفة
Concept	Concept	مفهوم
Intentions	Intentions	مقاصد
premises	Prémises	مقدمات
Optimal relevance	Pertinence optimale	ملاءمة مثلى
Utterances	Enoncés	ملفوظات
Stimulus	Stimulus	منبه

مسرد المصطلحات

ن		
Modularity	Modularité	النظرية القلبية
Cognitive theory	Théorie cognitive	النظرية المعرفية
Relevance theory	Théorie de la Pertinence	نظرية الملاءمة
Computational Modeling of Intelligence	Modélisation computationnelle de l'intelligence	النمذجة الحاسوبية للذكاء
Inferential model	Modèle inférentiel	نموذج استدلال
Code model	Modèle du Code	نموذج التشفير
Interactive model of communication	Modèle interactif de la communication	نموذج تفاعلي للتواصل
Direct translation	Traduction Directe	نهج الترجمة المباشرة
Indirect translation	Traduction Indirecte	نهج الترجمة غير المباشرة
هـ		
Blueprint for propositions	Ébauche de propositions	هيكل قضوي
و		
clarity	Clarté	وضوح



الملخص

ملخّص بالّغة العربيّة

تسعى هذه الأطروحة إلى دراسة ترجمة ثنائية "الخير والشر" في آي القرآن الكريم في ضوء التداوليات المعرفية استناداً إلى نظرية الملاءمة باعتبارها نموذجاً إجرائياً لقياس مدى قدرة الترجمة على إعادة إنتاج الأثر المعرفي الأصلي وتحقيق التشابه التأويلي مع النصّ القرآني. وقد اعتمدت الدراسة معيار (الجهد الذهني/الأثر المعرفي) لتحليل سبع عشرة آية تمثّل مختلف تجليات الثنائية محل الدراسة عبر مقارنة أربع ترجمات فرنسية: محمّد حميد الله وجاك بيرك وزينب عبد العزيز ومالك شبل مع اتخاذ تفسير "التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور إطاراً مرجعياً لتحديد السياق المعرفي القرآني. وأظهرت النتائج أنّ الترجمات التي اعتمدت النهج المباشر كانت الأقرب إلى تحقيق التشابه التأويلي وإيصال المقصد القرآني بخلاف الترجمات ذات النهج غير المباشر التي أعطت الأولوية للسلسلة الأسلوبية على حساب الدقة المعنوية ما أثر على نقل الأبعاد العقدية والقيمية للثنائية. وخلصت الدراسة إلى أنّ نجاعة الترجمة القرآنية لا ترتبط بمطابقتها اللغوية للنصّ الأصلي بمقدار ارتباطها بالقدرة على إعادة إحداث المقصد القرآني في ذهن المتلقي. كما بيّنت أن إطار الملاءمة بما يتيح من أدوات تحليلية معرفية يشكّل نموذجاً قابلاً للتكيف لضبط أداء الترجمة القرآنية وتوجيهه.

الكلمات المفتاحية: الترجمة القرآنية، ثنائية الخير والشر، التداوليات المعرفية، نظرية الملاءمة، معيار "الجهد الذهني/الأثر المعرفي"، التشابه التأويلي.

Résumé:

La présente étude explore la traduction de la dualité du Bien et du Mal dans le Noble Coran selon l'approche pragmatique cognitive. Elle mobilise la Théorie de la Pertinence comme cadre procédural pour mesurer les effets cognitifs véhiculés par la traduction et évaluer son degré de ressemblance interprétative à l'original. En appliquant le critère « effort de traitement/effet cognitif » et en s'étayant sur l'exégèse d'Al-Tahrir wa al-Tanwir par Al-Taher Ibn Ashur, dix-sept versets illustrant les diverses expressions du Bien et du Mal ont été analysés dans quatre traductions françaises : celles de Muhammad Hamidullah, Jacques Berque, Zeineb Abdelaziz et Malek Chebel. Les résultats montrent que la Traduction Directe, telle que conceptualisée par la Théorie de la Pertinence, tend à atteindre un degré de ressemblance interprétative plus élevé et à transmettre plus efficacement les visées coraniques. À l'inverse, la Traductions Indirecte privilégie souvent le style à la précision sémantique et compromet, ainsi, le message du texte coranique. L'étude conclut qu'une traduction coranique efficace repose non pas sur la fidélité linguistique formelle, mais sur la capacité du traducteur à évoquer le message du texte original chez le récepteur cible. Elle suggère, en outre, que la théorie de la pertinence offre un cadre analytique adaptable pour guider et évaluer la pratique de la traduction coranique.

Mots-clés : Traduction Coranique, Dualité du Bien et du Mal, Pragmatique Cognitive, Théorie de la Pertinence, Effort de traitement/Effet Cognitif, Ressemblance Interprétative.

Abstract:

This study explores the translation of the ‘Good and Evil’ duality in selected Qur’anic verses from a cognitive perspective. It engages Relevance Theory as a procedural framework to measure the amount of the original’s cognitive effects conveyed by the translation and assess its degree of interpretive resemblance to the Source Text. Applying the ‘processing effort/cognitive effect’ criterion, and taking Al-Tahrir wa al-Tanwir exegesis by Al-Taher Ibn Ashur as a reference for the Qur’anic cognitive context, seventeen verses representing the various expressions of “Good/Evil” were analyzed across four French translations by Muhammad Hamidullah, Jacques Berque, Zeineb Abdelaziz, and Malek Chebel. Findings indicate that Direct Translation, as conceptualized within Relevance Theory, tends to achieve a higher degree of interpretive resemblance and conveys the intended Qur’anic purposes more effectively. In contrast, translations relying on the Indirect approach often prioritize stylistic naturalness over semantic accuracy, which compromises the message embedded in the Qur’anic text. The study concludes that effective Qur’anic translation hinges not on formal linguistic faithfulness but on the translator’s ability to evoke the meant message of the original in the receptor’s mind. It, further, suggests that Relevance Theory offers an adaptable analytical framework for guiding and assessing Qur’anic translation practice.

Keywords: Qur’anic translation, ‘Good and evil’ Duality, Cognitive pragmatics, Relevance Theory, processing effort/cognitive effect, interpretive resemblance.



الفهرس

أ	الإهداء
ب	شكر وعرفان
1	المقدمة
16	الفصل الأول: التداوليات المعرفية ونظرية الملاءمة: الأسس والمفاهيم
17	0.1. تمهيد الفصل
18	1.1. المفاهيم الأساسية للتداوليات المعرفية
18	1.1.1. التداوليات المعرفية: النشأة ومسار التطور
23	2.1.1. الجهاز المصطلحي للتداوليات المعرفية
25	2.1. نظرية الملاءمة وجهازها المفاهيمي
27	1.2.1. الاستدلال التداولي المعرفي
39	2.2.1. السياق في إطار التداوليات المعرفية
44	3.2.1. مفهوم الملاءمة
48	4.2.1. شرطا الملاءمة
49	5.2.1. عاملا الملاءمة
50	1.5.2.1. الأثر المعرفي
56	2.5.2.1. الجهد الذهني
58	3.1. سيرورة التأويل في إطار الملاءمة
65	1.3.1. مفهوم التشابه التأويلي
65	1.2.3.1. الاستعمال الوصفي والاستعمال التأويلي للغة
70	2.2.3.1. التشابه التأويلي ضمن الإطار النظري للملاءمة
75	4.1. خلاصة الفصل
78	الفصل الثاني: مقارنة الترجمة من منظور نظرية الملاءمة
79	0.2. تمهيد الفصل
80	1.2. الإطار النظري للترجمة عند إرنست غوت

81	 1.1.2. النهج الفكري والتأسيس النظري
87	 2.1.2. معالم التغيير في مقارنة الترجمة
87	 أولاً. تغيير في موضوع الترجمة وميدانها
88	 ثانياً. تغيير في المنهج العام
89	 2.2. سيرورة الترجمة ضمن نظرية الملاءمة
91	 1.2.2. الترجمة والتواصل
96	 2.2.2. التشابه التأويلي في الترجمة
101	 3.2.2. نهجا الترجمة في ضوء نظرية الملاءمة
103	 1.3.2.2. الترجمة غير المباشرة
107	 2.3.2.2. الترجمة المباشرة
110	 1.2.3.2.2. السياق التأويلي
112	 2.2.3.2.2. التشابه التأويلي التام
114	 3.2.3.2.2. الأدلة التواصلية
116	 4.2.3.2.2. المحتويات التصريحية لنص الأصل
118	 3.2. خلاصة الفصل
120	 الفصل الثالث: منهجية ترجمة القرآن الكريم في ضوء نظرية الملاءمة
121	 0.3. تمهيد الفصل
122	 1.3. التأويل التداولي المعرفي للأصل القرآني
127	 2.3. تحديد نهج الترجمة
140	 1.2.3. الحفاظ على إعجاز القرآن الكريم
146	 2.2.3. نقل المقاصد الدقيقة
149	 3.2.3. احترام قدسية النص القرآني وأصالته
154	 3.3. نقل الأثر المعرفي
156	 خلاصة الفصل
158	 الفصل الرابع: ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم
159	 0.4. تمهيد الفصل

161	 1.4. ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم
161	 1.1.4. مفهوم الثنائيات في القرآن الكريم
163	 2.1.4. أنواع الثنائيات في القرآن الكريم
164	 1.2.1.4. أنواع الثنائيات على أساس تفاعل طرفيها
167	 2.2.1.4. أنواع الثنائيات على أساس موقع الإنسان فيها
169	 4.2.2. تعريف ثنائية الخير والشر في القرآن الكريم
170	 1.2.2.4. الخير والشر في لسان العرب
173	 2.2.2.4. الخير والشر في لسان القرآن
174	 1.2.2.2.4. معيار الخير والشر في التصور القرآني
176	 2.2.2.2.4. مفهوم الخير والشر في القرآن الكريم
178	 3.2.2.2.4. طبيعة التضاد بين الخير والشر
180	 3.1.4. تجليات الخير والشر في القرآن الكريم
181	 1.3.1.4. الوجه الأول: النفع الدنيوي والمصلحة العاجلة
182	 1.1.3.1.4. إطلاقات الخير بمعنى النفع الدنيوي
186	 2.1.3.1.4. إطلاقات الشر بمعنى المكروه الدنيوي
190	 2.3.1.4. الوجه الثاني: الأفضلية والمفاضلة
191	 1.2.3.1.4. الخير بمعنى أخير وأفضل
194	 2.2.3.1.4. الشر بمعنى أسوأ وأدنى
196	 3.3.1.4. الوجه الثالث: البعد القيمي والمصلحة الآجلة
198	 1.3.3.1.4. إطلاقات الخير بمفهوم البعد القيمي
205	 2.3.3.1.4. إطلاقات الشر بمفهوم البعد القيمي
209	 4.4. خلاصة الفصل
211	 الفصل الخامس: الدراسة التحليلية المقارنة في ضوء نظرية الملاءمة
212	 0.5. تمهيد الفصل
213	 1.5. التعريف بالمدونة
213	 1.1.5. المدونة القرآنية المختارة

214	 التعريف بالمترجمين 2.1.5
221	 المرجع التفسيري المعتمد 3.1.5
224	 المنهجية المتبعة 2.5
228	 تحليل الترجمات ومقارنتها 3.5
438	 خلاصة الفصل ومناقشة النتائج 4.5
486	 الخاتمة
494	 قائمة المصادر والمراجع
503	 مسرد المصطلحات
510	 الملخص
511	 ملخص باللغة العربية
512	 ملخص باللغة الفرنسية
513	 ملخص بالإنجليزية
514	 الفهرس

